谷崎 潤一郎

تانيزاكى جونإيتشيو

الجزء الأول "الأخوات ماكي أوكا"

細雪 رقائق الثلج

الترجمة عن اليابانية آية حسن

小説
رواية

مكتبة 1675

رقائق الثلج

لكن بجانب الظروف التى ذكرتها سابقًا والتى صارت سببًا فى تأخر زواجها، فهناك أيضًا سبب لسوء حظ "يوكيقو" وهو أنها من مواليد برج الحمل. عمومًا فإن الاعتقاد الخرافى بكراهية مواليد برج الحمل والكراهية الشديدة لبرج الحصان غير موجود بإقليم "طوكيو"، لذا فسكان "طوكيو" شعورهم مختلف حيال الأمر.

لكن بإقليم "كانساى" الذى يضم محافظات "أوساكا" و"كوبيه" و"كيوتو" _خصوصًا فى ما بين نساء القرى_ يُزعم أن مواليد هذين البرجين حظهم عثر ويتأخر زواجهم ومن الأفضل تجنبهم، حتى إنهم يطلقون عليهم الأمثال الشعبية، مثل:

"التعيسة من برج الحمل.. لن يُفتح لها باب ولا أمل"

telegram @soramnqraa

تصميم غلاف: عمر مصطفى

ISBN 978-977-313-786-1

9 789773 137861

مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات

رقائق الثـــلج

الجزء الأول

"الأخوات ماكى أوكا"

مكتبة 1674

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa

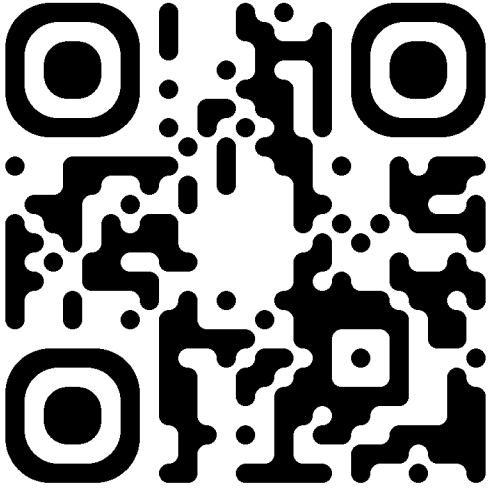

عنوان الكتاب: رقائق الثـــلج 細雪
الجزء الأول.. الأخوات ماكي أوكا
المؤلف: تانيزاكي جونيتشيرو 谷崎潤一郎
ترجمة: آية حسن شاكر

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 002 02 28432157

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٦٦٨٧
الترقيم الدولي: 978-977-313-786-1
جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2019

رواية

مكتبة
t.me/soramnqraa

رقائق الثـــلج

الجزء الأول

"الأخوات ماكي أوكا"

تانيزاكى جونيتشيرو

ترجمة: آية حسن شاكر

الطبعة الأولى 2019

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

جونيتشيرو،تانيزاكى
رقائق الثلج/ تانيزاكى جونيتشيرو؛ ترجمة آية حسن شاكر.-ط1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2019
م ج 1، 306 ص؛ 14.5×21.5 سم
المحتويات: "الأخوات ماكي أوكا"
تدمك 978-977-313-786-1
1 - القصص اليابانية
أ-شاكر، آية حسن (مترجم)
ب- العنوان
891.63
رقم الإيداع 2019/26687

أبطال الرواية

- "تسوروقو"- الأخت الكبرى وربة البيت الرئيس للعائلة.
- "ساتشيقو"- الأخت الثانية وربة البيت الفرعى للأسرة.
- "يوكيقو"- الأخت الثالثة فى الثلاثين من عمرها وغير متزوجة، وهى خجولة ومترددة و أحيانا ينادونها ب "كى -أن " أو "يوكى" .
- "تائيقو"- الأخت الصغرى المتطلعة للإبداع و العمل و السفر و تتبع أخر صيحات الموضة في مظهرها.
- "تاتسوأو"- موظف بنكى وزوج الأخت الكبرى، وأخذ لقب عائلة "ماكى أوكا" وتولى شئون العائلة و ينادونه بأخى الكبير أو أخونا بالقانون و بالتبنى كما تجرى العادة باليابان.
- "تينوسوكيه"- زوج الأخت الثانية "ساتشيقو"، و هو محاسب و أخذ أيضاً لقب عائلة "ماكى أوكا" و أصبح أخاهم بالقانون أو بالتبنى كما يعتادون ذكرها.
- "اتسوقو"- ابنة "ساتشيقو" و"تينوسوكيه" و أحيانا ينادونها "اتسو"و هي طفلة في السادسة من عمرها و تنادى خالتيها

بأخـواتى نظـرا لعيشـهم معـا فتنـادى خالتهـا "يوكيقـو" بأختـى الكبـيره ، و تنـادى "تائقـو" بأختـى الصغـيرة.

- "أوهارو"- خادمة بالبيت الثانى.
- "أوكوباتـا"- ابـن لتاجـر مـن عائلـة شـهيرة بأوسـاكا، وحـاول الهـرب مـع الأخـت الصغـرى "تائيقـو".
- "إيتـانى"- صاحبـة صالـون تجميـل تـتردد عليـه الأخـوات "مـاكى أوكا".
- "إيتاكورا"- مصوِّر وموظف بمتجر "أوكوباتا".

الفصل الأول

"أختى الصغيرة. هل لي أن أسألكِ؟"

حين رأت فى المرآة "تائيقو" قادمة من الردهة تمرر الفرشة لتلمع رداءها بذاتها، حدقت إليها دون أن تلتفت إليها، كأن وجهها بلباسها الداخلى الذى انعكس أمامها هو وجه لشخص آخر.

سألتها "ساتشيقو":

- "أختك يوكيقو ماذا تفعل بالأسفل؟"

- "يبدو أنه بيانو اتسوقو".

حسنًا إذًا، فإن صوت تدريب العزف بالردهة هذا كان لـ"يوكيقو"، التى ارتدت رداءها سابقًا وأمسكت بـ"اتسوقو" وأسرعت لأنها تحاول أن تتدرب.

كانت "اتسوقو" تبدو كأنها ليست طفلة، بل شخص بالغ يمكث بالبيت حتى حين تخرج والدتها وتبقى لأجلها بالمنزل "يوكيقو"، لكن على الرغم من ذلك فهى اليوم فى مزاج سيئ قليلاً، فقد خرج كلٌ من "تائيقو" و"يوكيقو" مع أمها. لقد وافقت أن يأتوها عائدين قبل

موعد العشاء. بالطبع ستسبقهم "يوكيقو" فور انتهاء الحفل الموسيقى الذى سيبدأ فى الثانية.

- "مهلاً. أختى الصغيرة، إنه حديث يوكيقو، وهناك بقية أيضًا".

- "حسنًا".

وأسرعت "يوكيقو" خلف أختها "تائيقو" التى كانت تنفض مساحيق تجميل وجهها التى علقت بالآثار الواضحة لفرشة الملابس.

قطعًا هى ليست حدباء، وإنما فقط رأت ظهرها العارى المبلل بلونه ولمعانه فى شعاع ضوء يوم خريفى من وراء كتفَى "ساتشيقو" الممتلئة الجسم قليلاً، التى نهضت فجأة. رأتها مفعمة بالحيوية وليست كأنها واحدة تجاوزت الثلاثين مطلقًا.

- "ها قد جاءت السيدة إيتانى بما لديها من أحاديث".

- "حسنًا".

- "موظف. موظف بشركة الصناعات الكيماوية MB".

- "وكم يبلغ راتبه تقريبًا؟"

- "راتبه الشهرى 178 ينًّا، وإن أضفنا العلاوات سيبلغ نحو 250 ينًّا".

- "إن كانت هى شركة الصناعات الكيماوية MB كما تقول، فإنها شركة فرنسية".

- "أعلم ذاك الأمر".

كانت "تائيقو" أصغر أخت هى التى على دراية بهذه الأمور أكثر من كلتا الأختين الكبريين، بل من الأدعى هنا أن تراهما بكامل السذاجة وهما لا تدركان شيئًا عن العالم، خصوصًا وهما تتحدثان بأسلوب الأكبر سنًّا.

- "لقد سمعت باسم هذه الشركة من قبل. إنها شركة رأسمالية كبيرة ومقرها باريس".
- "أليست هى البناية الضخمة على طريق الشاطئ بكوبيه؟"
- "هى كذلك. إنه تعيَّن هناك".
- "ذاك الشخص، هل يجيد الفرنسية؟"
- "مممممم. لقد تخرج فى قسم الفرنسية باللغات الأجنبية لأوساكا، وذهب إلى باريس عدة مرات، وعمل مدرس لغة فرنسية فى مدرسة مسائية بعد الشركة حين كان راتبه 100 ين، ليصير دخله من كلا العملين 350 ينًّا".
- "ومدخراته؟"
- "فى الحقيقة مدخراته لا شىء. والدته تعيش بمفردها فى الأرياف وهى تسكن ببيت عتيق، وهو لديه أرض وبيت يسكن به فقط فى منطقة روقّو، اشتراه بقسط سنوى، وسمعت أنه بيت صغير على الطراز الحديث. هذا ما شاعت معرفته".
- "ومع ذلك فإنه إذا وفَّر الإيجار سيتمكن من العيش بأكثر من 400 ين".
- "كيف هو الأمر ليوكيقو؟ إنه يعول أمه فقط، وهى تعيش فى الأرياف وقليلاً ما تأتى إلى كوبيه. هذا أول زواج له وهو فى سن الحادية والأربعين".
- "ولِمَ لم يتزوج حتى سن 41؟"
- "ألا يمكنك أن تقولى إن ذاك أعطاه مميزات؟"
- "أشك فى ذلك، سأبحث فى الأمر".
- "إنها متحمسة".

- "سأذهب لطلب صورة كى أن".

هناك أخت تكبر "ساتشيقو" هى "تسوروقو"، وتقطن بمسقط رأسها، لذلك فإن "تائيقو" اعتادت منذ الصغر أن تنادى "ساتشيقو" بالأخت الوسطى وأن تنادى "يوكيقو" بالأخت الأكبر "يوكى" أو "كى أن".

- "لقد تعهدت للسيدة إيتانى أن أجلب لها الصورة بطريقتى، ويبدو أنها ستنال ما أرادته".

- "أليست لديكِ صورة له؟"

لم يعد يُسمع صوت البيانو بالأسفل، وظنت "ساتشيقو" أن "يوكيقو" لن تأتى.

- "افتحى ذاك الدرج الصغير الأعلى على اليمين، انظرى فيه".

وأخذت عصاها ذات اللون القرمزى وأرسلت إلى وجهها القبلات بالمرآة.

- "وجدتها. ها هى".

- "حسنًا أعرضتِ هذه على كى أن؟"

- "عرضتها".

- "هل قالت لا أدرى؟"

- "كالمعتاد لا أدرى وتقول فقط: ممم، هذا الشخص. أختى ما رأيك؟"

- "الأمر على هذا النحو لا بأس به، ولا أعلم كيف سيبدو الرجل. وإنما مهما بدا فهو موظف".

- "حسنًا. لا خلاف على ذلك".

- "فى الأمر شىء واحد جيد ليوكيقو: سيعلمها الفرنسية".

بالكاد انتهت "ساتشيقو" وفكت رباط ورقتها المطوية التى تضعها بالكيمونو، ولكنها على الفور تذكرت.

- "حسنًا، أنا لدىَّ نقص ب. أختى اذهبى إلى الأسفل، وأخبرينى حين تنتهين من تعقيم الحقنة".

كان مرض البرى برى[1] مستوطنًا بإقليم "أوساكا وكوبييه"، ولربما كان هذا سبب ما قالته. كانوا يبدؤون بالأزواج فى هذا المنزل، وكانت "اتسوقو" تعانى هذا المرض كل عام من الصيف حتى بدايات الخريف حتى صارت تلميذة فى الصف الأول الابتدائى هذا العام، لذلك صارت حقن "فيتامين ب" عادة، ولم تعد بحاجة إلى الذهاب إلى الطبيب مؤخرًا. كانت الأسرة بكاملها تُعد حقنة عقار "بيتاكسين" القوى، وتجتمع فى الحال كأن شيئًا لم يكن. كانوا يطلقون على ذلك "نقص ب" إن لاحظ أحد سوء حالة جسدها الضئيل بسبب المرض.

توقف صوت عزف البيانو وعادت "تائيقو" بالخلاصة وجلبت الصورة، ولكنها ذهبت إلى أول السلم ومكثت تختلس النظر لأسفل دون أن تنزل، ثم صاحت:

- "عذرًا، هل هناك أحد؟"

- "سيدتى، لقد عقمت الحقنة".

---

(1) مرض يصيب الجهاز العصبى بسبب نقص فى الثيامين thiamin فيتامين بي1) أعراض المرض تشمل نقصًا فى الوزن، اضطرابات نفسية، تلفًا فى وظائف الأعصاب الحسية، ضعفًا وآلامًا فى الأطراف ودورات من عدم انتظام ضربات القلب. يكثر هذا المرض بين الناس الذين يتكون طعامهم من الأرز الأبيض منزوع القشرة (الذى قد يحتوى على القليل من - أو لا يحتوى على الإطلاق - الثيامين بسبب إزالة القشرة الخارجية عنه، التى تحتوى على معظم الثيامين).

الفصل الثانى

كانت السيدة "إيتانى" صاحبة مركز تجميل بالقرب من فندق "أورينتال أوتيل" بـ"كوبيه"، الذى تتردد عليه باستمرار عائلة "ساتشيقو"، حيث كانت تسألها بالضرورة عن أمر "يوكيقو". ولأن "ساتشيقو" تدرى أن "إيتانى" تحب أحاديث الزواج أعطتها الصورة، ومنذ بضعة أيام، حين ذهبن جميعًا، السيدة "إيتانى" دعت "ساتشيقو" فى وقتها الشاغر لتصاحبها لاحتساء الشاى، وحينها بدأ الحديث فى ردهة الفندق. ظنت "ساتشيقو" أنه ليس من الذوق ألا تخوض فى حديث، بل قد يكون ضياعًا لحسن الحظ، لذلك عرضت عليها صورة أختها التى لا تزال تحت رعايتها ولم تتزوج بعد دون أى غرض ما، حتى إن هذا الحديث دار منذ قرابة شهر ونصف، وعليه لم تكن هناك أى أخبار لبعض الوقت، لذلك كادت تنساه.

لكن فى غضون ذلك كانت السيدة "إيتانى" قد بحثت فى أمر العائلة والبيت الرئيس بأوساكا والبيت الفرعى للعائلة، وبعدها ذهبت لتسأل عن شأن ذلك الشخص بأماكن تدريس فنون الخط والإتيكيت، وبحثت أيضًا عمَّا إن كان على علم بشأن عائلة "ماكى

أوكا"، وإن كان يدرى أى شىء عن حادث الجريدة مثلاً والخطأ بذلك المقال وذهابهم إلى مقر الجريدة خصوصًا. واتضح أنه يتفهم الأمور جيدًا وما زال يريد أن يلتقى "يوكيقو" حتى وإن كانت أختها كذلك. وقد شرح للسيدة "إيتانى" موافقته.

قالت عنه السيدة "إيتانى":

- "إنه شخص متواضع وهناك اختلاف فى المستوى الاجتماعى بينه وبين أسرتكم -أسرة ماكى أوكا، غير أن راتبه ضئيل. لا أظنه سيتقدم لأختكم لأنه من المؤسف أن يجعلها تعانى مع أسرته الفقيرة، ولكن على كل حال إن استطاع الزواج -وإن كان الأمل ضعيفًا- فإنه يرجو فقط التحدث معها. رأيى أن وضعه الاجتماعى ليس متفاوتًا إلى هذا الحد. إن جده متقاعد بإقليم بغرب طوكيو، والآن تبقى له بيت بقطعة أرض فى البلدة مسقط رأسه، وعائلتكم عائلة عريقة بأوساكا، ولكن إن مكثتم قيد هذا التفكير العتيق ففى النهاية ستستمر أختكم فى تأخرها عن الزواج، وفى معظم الأحوال تظنون أن من الأفضل أن تصبر، فى حين أنه فى الواقع حتى إن كان راتبه ضئيلاً فهو ما زال فى الحادية والأربعين من عمره ولا يمكن ألا نتوقع زيادة راتبه. علاوة على ذلك فعلى خلاف الشركات اليابانية هو لديه متسع من الوقت للتدريس بالمدارس المسائية، ومن السهل عليه أن يزيد دخله عن الأربعمئة ين، لذلك ليس لديه ما يعوق تحمله لأعباء زواج وجلب خادمة.

إنه كان بالمدرسة نفسها مع أخى بالإعدادية وأخى يعرفه جيدًا منذ صغرهما ويقول إنه شخص مضمون.

على الرغم من ذلك أنتم لا تبحثون عمًا بأيديكم ولو لمرة، أن سبب تأخر زواج أختكم فى الحقيقة ليس من الخارج بل بسبب تفضيلكم للمظاهر، وهذا أظنه المتوقع منكم.

إنه يذهب إلى باريس، ولأنه قد تجاوز الأربعين فهذا يعنى بالضرورة أنه يعرف فتيات بالطبع، لكن ما شعرت به حين قابلته هو أنه حقًا غاية فى الجدية ولا يدرى معنى اللهو ولو بالقليل. أما عن حب المظاهر فهناك نوع من الأشخاص يأخذون بها جيدًا، لكن ذلك الشخص أيضًا جاءت ردة فعله برؤيته لباريس فى أن ينحصر طلبه فى زوجة جميلة على النمط اليابانى الأصيل لا تتشبه بالنمط الغربى فى ملابسها، مهذبة، رزينة، أنيقة، حسنة المظهر، ملامحها طبيعية فقط وإنما بالمقام الأول يريدها ممشوقة القوام، لذلك على الفور فكرت فى عائلتكم لكن.. على هذا النحو!"

كانت السيدة "إيتانى" تدير صالون تجميل وترعى زوجها طريح الفراش الذى أصيب بالشلل منذ زمن طويل، بجانب تكفُّلها بأخيها الصغير حتى حصل على درجة الدكتوراه فى الطب، وفى ربيع هذا العام التحقت ابنتها بجامعة بـ"طوكيو" بحى "مجيررو"، فهى عوضًا عن كونها زوجة عادية وبدلاً من أن تكون سريعة البديهة بارعة فى كل شىء، ستجدها تفتقر للأنوثة فى مزاولتها للأعمال التجارية، لا تنسق كلماتها أو تتبع طرائق ملتوية فى الحديث، تفصح على الفور عمًا بداخلها مهما كان ودون مبالغة، وتخبرك بالحقيقة إن اضطرت إلى ذلك، فهى ليس بمكنونها أى سوء للآخرين.

فى البداية تساءلت "ساتشيقو" أيضًا عن كونها دائمًا تتحدث مسرعة كأنها على عجلة من أمرها، وتجدها تستمع بتأنٍّ وتنصح بكل محاباة على نحو مسيطر، وفوق كل ذلك تأتيك بحديث عقلانى بلا ثغرات لذلك تشعر بأنها تقلب الأمور رأسًا على عقب فجأة.

إنها على الفور تناقشت مع أسرة "ماكى أوكا"، وأيضًا بحثت فى أصل ذاك الشخص، وحينها خالفتهم الرأى. هناك كثير ممن ارتاب فى أمر "يوكيقو" الأخت التالية لـ"ساتشيقو" بخصوص تخطيها سن الزواج على حين غرة ودخولها فى سن الثلاثين، لكن فى الحقيقة لا داعى لذلك. إن قولنا إن أكبر سبب هو فقط الأخت الكبرى "تسوروقو" والتى تليها "ساتشيقو"، علاوة على "يوكيقو" ذاتها، والحياة المرفهة لأبيهن واللقب العريق لعائلتهن، وأخذنا بالأعراف الاجتماعية للعائلات الكبيرة، سنجد أن النتيجة هى رغبتهن فى عائلة زوج مناسبة لاسم عائلتهن.

فى البداية كانت تنهال عروض الزواج، ولكنهن استمررن فى الرفض لشعورهن بأن أيًا منهم لم يكن مناسبًا، وبعدها شيئًا فشيئًا لم يعد هناك أحد بهذا العالم متمسكًا بتلك الأحاديث التحيزية، وفى تلك الآونة بدأت تتناقص ثروات العائلة أكثر فأكثر، لذلك كلمات السيدة "إيتانى": "كفاكم تفكيرًا فى ما كان بالماضى" هى بالفعل نصيحة طيبة، ظنًا منها أن ذلك هو الأصلح. وعلى ذلك فإن عائلة "ماكى أوكا" فى أحسن الأحوال كان عهد زهوها حتى نهاية عصر "تايشو"[1]، وبهذا فإن أمرهن فى تلك الفترة لا يدريه سوى القليل من سكان "أوساكا"، وغالبًا لا يمكث الأمر إلا بذكرياتهن. وإن تحدثنا بصراحة أكثر فإن طريقة أبيهن اللينة فى شئون أعماله وحياته هى التى جاءت فى النهاية بما لا يحمد عقباه، وتسببت فى توالى الفشل واحدًا تلو الآخر. وبموت الأب وإقامة سياسات دمج الأعمال التى تلاها العصر الإقطاعى -عصر شوجون- وما أعقبه من تسليم متاجر بناء السفن التى يعود تاريخها بكل فخر إلى عصر "شوجون" الإقطاعى، ظلت "ساتشيقو" و"يوكيقو" طويلاً لا يمكنهما نسيان حياة أبيهما.

كانتا تمران من أمام المتجر ذى الجدران الطينية المحتفظ بوجهته العتيقة الأصلية إلى أن أُعيد تصميمه وإنشاء مبناه الحالى. كانتا

(1) بدأ عصر تايشو بتولى الإمبراطور تايشو العرش فى 1912 حتى 1926.

تختلسان النظر باشتياق إلى داخله الكئيب من خلف الستائر القصيرة. كان أبوهما -أبو الفتيات الذى ليس لديه صبية- قد تقاعد فى سنته الأخيرة وسلَّم كل إرث الأسرة إلى ولد تبناه، هو "تاتسوأو" زوج ابنته الأولى، وفعل أيضًا المثل مع زوج ابنته الثانية "ساتشيقو"، وجعلهما فرعًا للعائلة بالبيت الثانى، لكن الابنة الثالثة "يوكيقو" لسوء حظها كانت لم تبلغ بعد سن الزواج فى ذاك الوقت. لم تأتِها أى فرص مناسبة عن طريق والدها، وأساء زوج أختها، شقيقها بالقانون، فهم موقفها.

كان "تاتسوأو" ابنًا لموظف بنك، وهو أيضًا مُعيَّن ببنك بـ"أوساكا" حتى تبنوه، وبعدما استلم مهام أسرة "ماكى أوكا" أيضًا ظل عمله الفعلى موظفًا رفيع الشأن بالبنك، وبموت الأب عاداه إخوته بالقانون وأقاربه وأجبروه على الابتعاد.

ما زال "تاتسوأو" يثابر ويتحمل أمورًا من ذاك القبيل، ولا أدرى إن كان استطاع أن يجتازها أم لا، فقد سلمت أسرة "ماكى أوكا" المتجر إلى رجل استأجرته للمهام نفسها، وعاد "تاتسوأو" مرة أخرى موظفًا بنكيًا. وعلى حد هذا القول فإنه شخص مختلف عن أبيه الذى تبناه والذى كان مهتمًا بالمظاهر، فهو شخص يمكن الاعتماد عليه، ومن ناحية أخرى الخجل من شيمه، فعلى الرغم من أنه استعاد مكانته بأسرة غير عادية واستمر يصارع الصعوبات المالية، فإنه فضَّل اختيار الطريق الآمن ظنًّا منه أن الأمر لا يناسبه، لأن شخصًا مثله يحترم مسئولياته حقًّا.

أحبت "يوكيقو" أيام الماضى وكانت بداخلها غير راضية بتصرفات أختيها، وشعرت بأن أباها أيضًا كان سيشعر بالمثل فاستمرت فى نقدهما على نحو غير مباشر، ولكنهما بمجرد موت أبيهما تحمستا بشدة لتزويجها بشخص ذى مركز رفيع بالبنك فى فرعه الإقليمى، كان وريثًا لعائلة ثرية بمدينة "طويوهاشى".كان "تاتسوأو" بالمقر الرئيس

لهذا البنك، لذلك استطاع أن يعرف كل المعلومات عن شخصية ذلك الرجل وحالته المالية.

إنه بالنسبة إلى عائلة "ماكى أوكا" شريك رائع فى الوقت الراهن، وهذا الشخص محبَّذ لديهم لذلك كانوا يجعلونهما يخوضان الأحاديث معًا قبيل المقابلة الرسمية للزواج.

قابلته "يوكيقو" ورأته لكنه لم يرُقها لأنه لم يكن أنيقًا، وشعرت بأنه بأى حال من الأحوال ريفى. إنه لم يلقَ استحسانها وإن كان يروقهم. قد تظن أن "يوكيقو" خرجت من المدرسة الإعدادية بسبب مرضها ولم تلتحق بالمدارس العليا كما يقال، وقد تظنها ضعيفة فى التعليم الأكاديمى، لكن الحقيقة هى أن هناك قلقًا من أن "يوكيقو" التى تخرجت فى قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بنتيجة ممتازة لن تتمكن من إبداء الاحترام لهذا الشخص، وإن كانت ضمانات الحياة هى كونه وريثًا لأسرة رأسمالية، فإن العيش وحيدة ببلدة صغيرة بإقليم مثل "طويوهاشى" لهو أمر لن تتحمله. تعاطفت معها "ساتشيقو" أكثر من أى أحد وعدَّته أمرًا بائسًا. أما عن أخيها بالتبنى فهو لا يدرى إن كانت متقنة للتعليم الأكاديمى أم لا، ولكنه يعلم أنها مترددة قليلاً وانطوائية، ولأنها لديها هوايات يابانية فإنها تناسبها عيشة بلدة ريفية هادئة قليلة الإثارة، ومع شخص هادئ أيضًا سيكون الخلاف أمرًا مفروغًا منه.

لكن خلف ظنه وكان هناك فارق، فـ"يوكيقو" الخجول الشديدة الحياء، التى لا تجرؤ على الحديث أمام العامة، بها أيضًا ما تُخفيه ولا يبدو على مظهرها، فهى امرأة لا يمكنها الخضوع أو الإذعان، وهذا ما أدركه "تاتسوأو" للمرة الأولى.

لكن بالنسبة إلى "يوكيقو" حتى إن كانت قررت الرفض رفضًا قاطعًا من داخلها، فإن ما تجيد قوله سريعًا هو الإجابات الغامضة

دون أن تبوح لإحدى أختيها، وفى آخر لحظة تفصح عما بداخلها لـ"ساتشيقو"، ومما قالته أن هناك أسبابًا يصعب الحديث عنها أمام أخيها المتحمس.

وفى هذه الأجواء وبعادتها السيئة بكونها لا يسعها الكلام، أصبح "تاتسوأو" لديه شعور مختلف بعدم رفضها، ولكن بعد مقابلة الزواج والشغف والإلحاح وصل الحديث إلى الأمر الذى لا يمكن اجتنابه وأوضحت "يوكيقو" نواياها بالرفض، وهنا تناوب فى نصحها كل من أختها الكبرى وأخيها، ولكنها حتى النهاية لم تصرح بقول: "حسنًا"، فكانت خيبة أمل أخيها كبيرة، فقد ظن أن عرض زواج كهذا فقط هو الذى سيسعد والدهم فى آخرته، بل وكانت الورطة الكبرى أنه بعدما ظن أن ذلك الشخص سيكون واسطته بالبنك مع ذوى المراكز العليا، فإنه الآن سيتصبب عرقًا أمامه دون حتى أن يلقى التحية.

فوق ذلك، سيشاع أن لديها أسبابها وسيقع عليه اللوم ويبدو كالأبله ولن تأتيها عروض زواج أخرى.

وإن ظلت "يوكيقو" كما هى وقيل عنها لا ترغب فى الأمر وأثارت الشكوك وتشوهت سمعتها، ألن يكون ذلك من دوافعها الكامنة لتضع أخاها فى موقف أليم عن عمد؟!

من هنا، ومن التجربة المريرة لإخوتها معها، فهم يفرحون حين يأتيهم الآخرون بأحاديث عن الزواج ولكن لا يأخذون الأمر بإيجابية ويصفونه بالجيد أو السيئ، بل يتهربون من الأمر قدر المستطاع.

الفصل الثالث

كان هناك بالفعل سبب آخر لتضاؤل فرص "يوكيقو" للزواج ذكرته السيدة "إيتانى" بذكرها "حادث الجريدة". منذ قرابة خمس أو ست سنوات حين كانت أصغر أخت "تائيقو" فى العشرين من عمرها، وقعت فى حب ابن عائلة "أوكوباتا"، وهى عائلة عريقة لتجارة المعادن النفيسة برصيف الميناء نفسه، ووقع حادث هروبهما معًا. كان أمر زواج "تائيقو" أولاً متجاهلة أختها الكبرى "يوكيقو" شيئًا يصعب تداوله فى الأعراف التقليدية. بدا أن دوافعهما جدية لذا توجها معًا نحو تدبير متآمر غير اعتيادى، لكن كلتا العائلتين لا يمكن أن تسمح بمثل هذا الشىء، لذلك إن استحضرتا الأمر من حين إلى آخر تتظاهران كأنه تم تصفية تلك المسألة السخيفة، وإنما من سوء حظهما أن الحادث صدر بجريدة البلدة.

علاوة على ذلك أخطأت الجريدة فى اسم "تائيقو" وصدر الخبر باسم "يوكيقو"، والسن المذكورة أيضًا كانت سنها.

داهمتهم المخاوف من طلب حذف الاسم من أجل "يوكيقو"، لأنهم إن صححوه فسيذكرون فى ملاحظة فى الجهة الأخرى ما فعلته "تائيقو"

ويصلون إلى النتيجة نفسها، وإن ظلوا متجاهلين الأمر باعتباره كلامًا عاريًا من الصحة مثلما رجح كبير العائلة "تاتسوأو"، فإنه لا ينبغي إلصاق التهمة بشخص لا ذنب له عوضًا عمن ارتكب خطأه، لذلك طالبوا بحذف الاسم فقط، وكالمتوقع ما صدر بالجريدة ليس الحذف ولكنه تصحيح جاء به اسم "تائيقو".

تصور "تاتسوأو" أنه كان حريًا به الإصغاء لرأى "يوكيقو" أولاً، لكنه يدرى أنها بطيئة فى الكلام ولن تعطيه إجابة واضحة فى كل الأحوال، وإن تناقش مع بقية الأخوات فسيزداد الأمر تعقيدًا بين "تائيقو" و"يوكيقو" اللتين تتعارض مصالحهما الآن، لذا تحدث فقط مع زوجته آخذًا على عاتقه وحده المسئولية كاملة.

إن تحدثنا من منطلق الصراحة فإن هذا كان إلى أقصى مدى إعمالاً لنواياه الحقيقية التى تريد خيرًا بـ"يوكيقو" لمحو التهمة الباطلة عنها، حتى إن كان سيضحى بـ"تائيقو"، وعلى حد هذا القول فإنه أراد أيضًا أن ينال اطمئنانها فى هذه الفرصة لأنها فى الحقيقة كانت أكثر أخت له بالقانون صعبة المراس ولا تثق به أو تطمئن له إطلاقًا وهو الراشد الهادئ، لكن حينها خلفت حساباته ولم ينَل سوى إحساس كل من "تائيقو" و"يوكيقو" بالامتعاض.

بالنسبة إلى "يوكيقو" كانت المقالة الخاطئة بالجريدة هى من قبيل سوء حظها ولا حل سوى ترك الأمر، والحذف أو أى شىء على هذا النحو عادةً بلا جدوى ويصدر بركن صغير لا تلحظه أعين الناس.

أما بالنسبة إلى الجميع فصدور الخبر بالجريدة كثيرًا سواء بالحذف أو غيره ما هو إلا شىء تعس، لذلك فمن الحكمة تجاهله بهدوء.

كان شيئًا جديرًا بالشكر أن يستعيد أخوهن سمعتهن، لكن ماذا عن الابنة الصغرى؟! فبجانب أن فعلتها مشينة فإن اعتبرناها واقعة

تهور من شريك بالعائلة لم يبلغ رشده بعد، سنجد أنه لمن الأولى إلقاء اللوم على سوء تدبير وتحكمات كلتا العائلتين.

حين وقعت حادثة الجريدة هذه لم يجرؤ "تاتسوأو" على مواجهة الناس قط حتى بلغ الأمر أنه تقدم باستقالته، والأكثر من هذا أنه تدارك المسألة بهدوء قائلاً: "لا داعى لقول أى شىء".

لكن المصيبة التى حلت بـ"يوكيقو" لم يكن هناك ما يعوض عنها.

هناك البعض ممن تنبهوا بمقال التصحيح وعلموا بما لحقها من تهمة كاذبة، لكن حتى إن كانت بريئة فلقد كانت الحقيقة التى ذاعت هى عن أختها الأصغر، وصار هذا من أهم أسباب تأخر زواجها ناهيك بثقتها بذاتها.

ببساطة كانت "يوكيقو" ذاتها تتظاهر قائلة: "الأمر ليس بحد أن يجرحنى". لذلك لم يكن الجو العام سيؤدى أبدًا إلى صدع فى المشاعر بين الأختين بسبب تلك الحادثة، بل على العكس فالأمر جعل أختاها تميلان نحو احتواء "تائيقو".

ذهبت كلتا الأختين من البيت الرئيس ببلدة "أويه هون" إلى البيت الفرعى بـ"كنكيو أشيجاوا"، وكان الاتجاه السائد باستمرار عن ذى قبل هو أن تأتى وتعود كل واحدة منهما على حدة إلى بيت "ساتشيقو"، وتتناوبان الأدوار فى المبيت. ظل الوضع هكذا على مر عدة سنوات ولم يطرأ أى تغيير ما على "يوكيقو"، لكن حدث تطور غير متوقع بشأن "تائيقو"، وفى النهاية كانت لذلك علاقة بمصير "يوكيقو".

أتقنت "تائيقو" منذ عهدها بمدرسة الفتيات صنع الدمى فى وقت فراغها، ومع تطور التقنيات استطاعت أن تعرض منتجاتها على أرفف المحلات التجارية. كانت مصنوعاتها كالدمى الفرنسية وأشياء على النمط اليابانى الأصيل مثل "الكابوكى"[1] وغيرها كثيرًا، وتومض

(1) كابوكى باليابانية 歌舞伎 من أنواع المسرح اليابانى، ويرجع تاريخ هذا المسرح إلى فترة

كلها بريقًا بموهبتها الفريدة التى لا تتبع أو تحاكى أحدًا بل تروى ذوقها الرفيع العابر للثقافات والفنون والدراما والسينما، وكل قطعة فنية تخرج من بين يديها تحشد معجبيها، حتى إنها فى العام الماضى استأجرت معرضًا بشارع "شينساى باشى" وافتتحت معرضها الخاص بحثٌ من أختها الأكبر "ساتشيقو".

فى البداية كانت تذهب إلى بيت "ساتشيقو" لصخب جموع الأطفال ببيت العائلة، ثم صارت بعد ذلك فى حاجة إلى فرقة كاملة خاصة بعملها، فاستأجرت شقة من غرفة واحدة بمنطقة "شووطو" حيث خط السكة الحديد نفسه، وبذلك يمكنها الذهاب حيث بيت "ساتشيقو" فقط فى ثلاثين دقيقة.

لم يرُق لأخيهن أن تأتيهن "تائيقو" كسيدة أعمال، خصوصًا أن "ساتشيقو" تحدثت إليه بشأن استئجارها لغرفة.

"تائيقو" التى لديها وصمة عار بماضيها والتى بسببها يتأخر زواج "يوكيقو" كان من الأفضل لها أن تجد لنفسها عملاً واحدًا يناسبها، حتى إن قيل إنها استأجرت غرفة فإنها لعملها فقط وليست للمبيت.

وماذا بها إن كانت لديها صديقة مرحة وأرملة ولها شقة تؤجرها فطلبت منها استئجارها، ولأن المكان قريب فهى تذهب لرؤيتها بين الحين والآخر، ودائمًا ما ترحب بمجيئها بعد عملها.

كانت "تائيقو" بشخصيتها المبتهجة على العكس من "يوكيقو" تلقى الفكاهات والأمثال، لكن منذ وقوع الحادثة صارت متجهمة ضائعة فى أفكارها على نحو غريب، وصار عالمها الجديد الذى فتحت أبوابه هو النجدة.

إيدو، وهو عكس فنون المسرح التى كانت سائدة آنذاك مثل مسرح نو، فقد حظى هذا الفن بشعبية كبيرة، وكان انتشار فن المسرح قبلها محصورًا داخل أوساط رجال البلاط والنبلاء فقط.

إنها مؤخرًا استعادت المرح كسابق عهدها ولامس هذا منظورها للحياة، فقد تحسنت أحوالها المادية للغاية، فقد كانت تتلقى مصروفها الشهرى من أسرتها إضافة أيضًا إلى بيع منتجاتها بقيمة عالية، فكانت تبهر الجميع بين الحين والآخر بحقيبة ترتديها أو حذاء رائع مستورد تنتعله، إلا أن أختيها الكبيرتين "يوكيقو" و"ساتشيقو" كانتا تشعران حيالها بالقلق وتنصحانها بالادخار، لكن لا حاجة إلى قول إن الطريقة التى برعت بها فقط هى دفتر توفير البريد، وكانت تسلمه إلى أختها "ساتشيقو" فقط التى كانت هى الوحيدة التى تطلعها على أمورها الشخصية، حتى إنها قالت:

"أختى الوسطى إن لم يكفكِ مصروفك يمكننى إقراضك".

إلا أن "تائيقو" لم تنطق بشىء البتة من اندهاشها.

استطردت "ساتشيقو" قائلة: "لقد رآكِ زوجى تسيرين مع أوكوباتا للبنك فى شوكوجاوا. ها قد انتبه لكما أحدهم".

فى الحقيقة حينها تدحرجت قداحة من جيبها وهى تُخرج محرمتها، وها قد عُرف ما كانت تخبئه وعُرف أنها تدخن السجائر، لكنها أصبحت فى الخامسة والعشرين من عمرها والقصد أنه ليس هناك ما يمكن فعله حيال ذاك. حتى لو سألنا من رآها ذاته فسيجزم بذلك.

وما إن تتساءل أكثر وأكثر حتى تجد أن ردها كان: "أريدكم أن تثقوا بى لأنى صرت بالغة وتغيرت عن ذى قبل، ولا ألتقيه إلا فى المناسبات".

وقالت إنها ليست على اتصال به بعد، ولكنه جاءها فى افتتاح معرضها وهو أكثر من ابتاع منتجاتها، وبعدها صار يرافقها وتظهر صداقتهما جلية. لكن "ساتشيقو" حين وصلها ما آل إليه الوضع وشعرت بأنها بجلبها إلى بيت العائلة ستكون هناك مسئولية -على عكس الوضع فى شقة مستأجرة، فهو مقلق فهذا الشخص يذهب إليها بحجة التصنيع متظاهرًا بأنه فنان ليتقرب منها يومًا بعد يوم،

وهى ليست لها أى قواعد خاصة بعملها، فهى تستريح لأيام متتالية عدة ثم تواصل عملها دون نوم حتى الصباح التالى وتعود بوجه شاحب. لم يكن هناك داعٍ ليسمحوا لها بالمبيت فى شقتها فلم تصل الأمور إلى هذا الحد.

علاوة على ذلك، كانت "تائيقو" تدرك أنه ليس عليها الاتصال والإبلاغ عن موعد خروجها من هناك ووصولها إلى هنا، سواء من وإلى البيت الأصلى بـ"أوإيه هونماتشى" أو الفرعى بـ"أشيبا" أو شقتها بـ"شوكوجاوا".

أدركت "ساتشيقو" لاحقًا أن اهتمامها مبالغ فيه.

فى يوم ما فى أثناء تغيب "تائيقو" ذهبت "ساتشيقو" إلى تلك الشقة، وقابلت صديقتها المالكة لها وسألتها على نحو غير مباشر، فكان قول هذه السيدة إن ابنة عائلتكم لهى إنسانة عظيمة، تأتيها بضعة تلاميذ لتتعلم طريقة صنع الدمى، أما عن الرجال والشابات والزوجات فالأمر لا يتعدى كون أصحاب الحرف يأتون إليها لأخذ الطلبات وتخزين البضائع، وهى مجرد أن تنهمك فى العمل فليس بالغريب أن تتنبه وقد صارت الساعة الثالثة أو الرابعة عصرًا، وحينها تستريح قليلاً ثم تعود فى أول قطار قبل أن ينقشع ظلام الليل.

وبهذا الحديث يسهل فهم مشكلتها وتتسق أركان جزئية توقيتاتها.

كانت غرفتها على النمط اليابانى بمساحة 9.5م^2، ولكنها مؤخرًا استبدلت مكانًا أوسع بها. غرفة من مستويين على النمط الغربى ملحقة بها غرفة على الطراز اليابانى مساحتها قرابة 7م^2، تجدها متكدسة بالمجلات والأقمشة والمراجع وماكينة الخياطة، وغيرها من الخامات والعديد من الصور مثبت على الحائط. المكان فوضوى مثل ورش عمل الفنانين حقًّا، لكن تشعر فيه باللمسات الأنثوية حيث ألوانه المتألقة.

باكتمال مهام النظافة والترتيب الدقيق دون جمع لأى من أعقاب السجائر التى بعمق المرمدة، وبالبحث فى الأدراج ورف الرسائل لم تعثر "ساتشيقو" على أى شىء يثير الشك. إنها فى الحقيقة لم تكتشف أى شىء كدليل، وبدلاً من أن تغادر فى خوف مكثت على العكس لا ترغب فى العودة وتنفست الصعداء. إنه كان حقًّا من الأفضل مجيئها قبل أن تبادر بأى ردة فعل، وتوطدت ثقتها بـ"تائيقو"، لكن بعد شهر أو اثنين نسيت الأمر تمامًا، وفى يوم ما وفى أثناء غياب "تائيقو" عن المنزل إلى "شوكوجاوا" جاء "أوكوباتا" للزيارة على حين غرة، ودخل قائلاً: "جئت لزيارة ابنة عائلتكم".

لقد كانت هناك علاقة بين العائلتين منذ عهد رصيف الميناء حيث كانت بيوتهم متقارب بعضها من بعض، لذلك فإن "ساتشيقو" ليست بالوجه الغريب عنه، وقال لها: "وإن كان غير لائق مقابلتك فجأة لكن على أى حال أرجو منكِ أن تتفهمى فعلاً". واستطرد بعد هذه المقدمة: "إننى أدرك أن ما أقدمنا عليه منذ بضع سنوات كان حقًّا تهورًا، ولكنه قطعًا ليس ناجمًا عن غش أو خداع وإنما أردنا حينها أن نبتعد. لقد قطعت عهدًا صارمًا مع ابنة عائلتكم أن أنتظر حتى أحصل على موافقة والدى حتى لو طال الأمد لسنوات، وفى البداية لم يتفهم والداى أمرنا ولم يلقَ استحسانهما، لكن بعد معرفتهما باجتهادها وموهبتها الفنية ودرايتهما أيضًا بقوة الحب الذى بيننا جئتكِ اليوم لأروى لكِ وأخبركِ بعدم معارضتهما لزواجنا الآن، لذا جئتكِ لأسألكِ بما أنه لم يتحدد بعد مصير أختها الأكبر يوكيقو، فهل ستسمحون بزواجنا بعد أن يتقرر شأنها؟ لقد جئتكِ لتناقشوا الأمر معًا، وبالطبع نحن لن نتعجل وسننتظر الوقت المناسب.

(كان أوكوباتا يقول باستمرار "ابنة عائلتكم" دون قول اسمها "تائيقو"، وكان أيضًا يتحدث إلى ساتشيقو قائلاً لها "الأخت الكبرى").

ولكن أنتِ الآن فقط التى تعلمين بشأن علاقتنا والوعد الذى قطعناه على أنفسنا، لذلك أستميحك عذرًا أن تثقى بنا، علاوة على هذا سأكون غاية فى الامتنان لكما أنتِ الأخت الكبرى ورب العائلة الأخ الأكبر إن أمكنكما تحقيق أمنيتنا يومًا ما، فأنتِ الآن أكثر أحد يتفهم أمرنا ومتعاطف معنا، لذلك جئتكِ بطلبى الشخصى هذا".

كانت "ساتشيقو" منذ أن قدمت له التحية وهى لديها التساؤلات، لكنه ذهب دون أن تفصح عن شىء مما يدور بخلدها لأنها لم تكن على دراية بشىء ولم يخطر حتى بخيالها كل ما تحدث عنه "أوكوباتا"، وبكل صراحة كان أفضل حل بعد ما أعلن بالجرائد عن علاقتهما أن يجعلوا الاثنين يرتبطان، ولقد انتهى المطاف بأخيها رب العائلة وأختها الكبرى لهذا التفكير نفسه فى النهاية، لكنهما أخذا فى الاعتبار التأثير المرتد فى نفسية "يوكيقو"، وهذه هى المشكلة التى ورد ذكرها فى البداية.

وبهذا وبعد إيفاد "أوكوباتا" فليس هناك ما يمكن فعله سوى أمر واحد من العادات، وهو جر البيانو والنوت والكتب الموسيقية من غرفة الاستقبال لغرفة العزف، لأن "تائيقو" ستعود فى أقرب وقت من "شوكوجاوا".

استراحت "ساتشيقو" قليلاً بمجىء "تائيقو" وهى غير مكترثة بشىء فنادتها:

- "أختى. للتو ذهب أوكوباتا".
- "حسنًا".
- "ها قد شرح لى أمركما وطلب منى أيضًا الثقة وألا أفصح عن شىء حاليًا".
- "حسنًا".

- "إن اتخذنا أى خطوة الآن ستبدو يوكيقو مثيرة للشفقة".
- "تفهمين هذا، أليس كذلك؟"

بـدت "تائيقـو" كأنهـا ليسـت عـلى مـا يـرام، وكانـت كل تعبيراتهـا فى بـلادة تامـة ولا تقـول شـيئًا سـوى "حسـنًا".

الفصل الرابع

فى البداية قررت "ساتشيقو" أنها لن تخبر أحدًا بما عرفته مؤخرًا عن تفاصيل شأن "تائيقو" و"أوكوباتا"، ولا حتى "يوكيقو"، لكن فى يوم ما كانا يتنزهان معًا سيرًا من "شوكوجاوا" حتى حدائق "قودو" عابرين الطريق السريع "أوساكا-كوبيه"، وحينها لسوء حظهما قابلا "يوكيقو" تنزل من الحافلة.

التزمت "يوكيقو" الصمت ومرت قرابة الأسبوعين وأكثر، ثم سألتها "تائيقو" وأرادت أن تفهِّمها الوضع، وأن تخرج عن صمتها هى أيضًا، وروت لها عن زيارة "أوكوباتا" لهم والسبب، وأنهما ليسا فى عجلة من أمرهما بل ينتظرانها حتى تتزوج، فما دام الوضع آل إلى هذا فلا بد من خوض مشقة النقاش مع "يوكيقو" للحصول على موافقة العائلة.

انتظرت "تائيقو" أن يظهر أى تعبير على وجه أختها مفصحًا عن ردة فعلها لكنها لم تبدِ أى شىء، وبعدما استمعت "يوكيقو" فى هدوء قالت: إن كان التأجيل بسبب اختلاف الترتيب فقط فلا داعى لهذا

التردد، فإن ارتباطكما معًا قبلى لن يبدد أمانيَّ أو يحطمنى إن تزوجت بعدكِ. أنا أوقن بأن يوم فرحى سيأتى مهما تأخر.

قالت هذا كأنها تلقت الموضوع بصدر رحب دون هلع أو انهزامية، لكن بحسب ما يظن الناس فلا بد من اتباع ترتيب الأخوات، وإن كان قد تقرر مصير "تائيقو" فهذا يعنى أنه لا بد من الإسراع فى شأن عرض زواج "يوكيقو".

لكن بجانب الظروف التى ذكرتها سابقًا والتى صارت سببًا فى تأخر زواجها، فهناك أيضًا سبب لسوء حظ "يوكيقو" وهو أنها من مواليد برج الحمل. عمومًا فإن الاعتقاد الخرافى بكراهية مواليد برج الحمل والكراهية الشديدة لبرج الحصان[1] غير موجود بإقليم "طوكيو"، لذا فسكان "طوكيو" شعورهم مختلف حيال الأمر.

لكن بإقليم "كانساى" الذى يضم محافظات "أوساكا" و" كوبيه" و"كيوتو" -خصوصًا فى ما بين نساء القرى- يُزعم أن مواليد هذين البرجين حظهم عثر ويتأخر زواجهم ومن الأفضل تجنبهم، حتى إنهم يطلقون عليهم الأمثال الشعبية، مثل:

"التعيسة من برج الحمل لن يُفتح لها باب ولا أمل".

كثير من سكان القرى بأوساكا يكره ذلك منذ القدم، وقد يكون هذا أيضًا من أسباب تأخر زواج "يوكيقو".

كان كل هذا ضمن ثرثرة الأخت الأكبر ببيت العائلة الرئيس، وبهذا وبذاك اقتنع أخوها وأختاها أن ذلك الشرط الصعب لزواج "تائيقو" جعل شأنها من المستحيلات، ووصل الأمر إلى حد قول: "وإن كان هى من حقها أن تتزوج أولاً فالأخرى أيضًا بالمثل، لكن أيًّا كان من منهما الثانية فما دامت لم تنجب أطفالاً فلن تبدو عليها السن حتى

(1) (الأبراج صينية هى المعتاد استخدامها فى المجتمع اليابانى)

إن كانت أكبر من رب الأسرة الأخ تينوسكيه بعام أو اثنين، وحتى إن أنجبت لاحقًا طفلاً أو اثنين".

إن وافقتهم "يوكيقو" الرأى ولم تبدِ أى استياء من شروطهم سيقال لها فلتتزوجى، وبمجرد أن يكون لديها أطفال حتى إن كان المولود طفلة لطيفة تحبها حبًا جمًا فسيظل يقال إنها صار لها زوج وهى فى الأربعينات من عمرها، وإن زوجها أرسى حياته فى تلك الحدود بالتأكيد، ومهما زادت موارد دخلهما ستظل قليلة، وعلى أغلب الظن ستصبح أرملة، فحتى إن لم تكن لديها مدخرات كثيرة فإنها تأمل فقط تأمين حياتها حين يتقدم بها العمر، لذلك فما ستطلبه منهم جميعًا لاحقًا لهو أكثر شىء تبتغيه فعلاً.

وأضافت شرطًا آخر.

كانت السيدة "إيتانى" قد خاضت مثل هذا الحديث من قبل، لذلك فلم يكن طلبها بعيدًا كل البعد عن ذلك بل بعيدًا تمامًا عن كونها ليست لديها أى مدخرات.

البديل هو من فى الحادية والأربعين من عمره وأصغر من "تينوسكيه" بعام أو عامين، ولن نقول إنه ليست أمامه سنون المستقبل، وإن كان أكبر فى السن من زوج أختها الكبرى الثانية فإن ما سيحسم الأمر هو أنها لن تتنازل عن أن يكون حسن المظهر، وأفضل شىء فى الموضوع برمته أن هذا أول زواج له، ولعلها بتخليها عما تأمله تجد ما يروقها أكثر ولا يستحيل حديثها السابق. فباختصار إن كان هناك ما لا ترضاه، فكون هذا أول زواج له يغنى عن كل شىء آخر، ويأتى فيما بعد كوْن هذا الشخص موظفًا، وإتقانه للفرنسية ينم عن اطلاعه على الفنون والآداب، وتظن "ساتشيقو" أن هذا ما سيلقى استحسان "يوكيقو"، فبالطبع سيرغب هذا الشخص الذى لا يعرفونه أو غيره فى الارتباط بها ابنة الأسرة العريقة ذات السمات اليابانية الأصيلة.

قد يكون الانطباع الظاهرى من ملابسها وقوامها ومهاراتها اللغوية غير الواقع الذى هو ليس كذلك، فهي فى الحقيقة حتى الآن تدرس الفرنسية وتفهم فى الموسيقى والفن أكثر من الأشياء اليابانية والغربية.

أرادت "ساتشيقو" أن تتواصل مع أحد داخل شركة M B لتستعلم عن سمعة عائلة "سجوشى" وبحثت خارجها أيضًا، وفى كليهما لم تجد شخصًا واحدًا يتحدث عنها بسوء، وكان هذا من حسن الحظ.

منذ أسبوع مضى استقلت السيدة "إيتانى" سيارة أجرة، وجاءت إلى بيتهم فى "أشيبا" فجأة، وجاءتهم بصورته بمجرد التفكير فى مناقشة الأمر مع كل العائلة، وسألتهم على نحو جدلى:

- هل فكرتم فى حديثنا السابق؟

إن سيدة مثل "إيتانى" تأتى بهذا الحديث غالبًا للضغط للوصول إلى إجابة، لذلك كان ردهم سنتناقش مع رب العائلة دون إبداء أى تباطؤ لهو حقًّا من لطف القدر، وكونهم سيتباحثون فى الأمر عائليًا فتأتيهم هى بعد أسبوع لإلقاء التحية وقول مثل هذا الحديث لهو لاستعجالهم.

أليس التعجيل بقدر المستطاع من الأفضل؟

إن السيد "سيجوشى" يوافيها باتصال يوميًا متسائلاً: "أليس بعد؟". هى بالتأكيد ستلقى نظرة على الصورة وبعدها إن لاقت استحسانها سيدعونه لزيارتهم. لذلك جاءتهم "إيتانى" الآن قائلة:

"ها قد مر أسبوع وقطعًا توصلتم إلى رد، طيلة الخمس دقائق وأنا أروى لكم باختصار ما يخص هذا الموضوع، وعلى الفور سأنطلق عائدة مباشرةً بالسيارة الأجرة التى جعلتها تنتظرنى بالخارج. هل لى أن أدعو كليكما للعشاء؟ وحتى إن لم يأتِ والداه فلتتفضلوا وتشرفونى مع أزواجكم، وبالطبع هو سيرحب بالأمر". قالتها كأن الوضع صار

لا مفر منه، فبالنسبة إلى السيدة "إيتانى" هؤلاء الأخوات يبالغن فى غرورهن، وعلى الرغم من أن هذا الشخص يسعى متلهفًا فإنهن حتى الآن يبدين فى غاية التروى.

أليست هذه الأجواء أحرى بأن تكون سببًا لتأخر زواجها؟

كانت "إيتانى" غاضبة من الرصانة التى لا بد لهن من اتباعها، لذلك أجرت هذا الحديث للضغط.

وبالنسبة إلى "ساتشيقو" أيضًا لم يكن هذا الشعور غامضًا، بل بمجرد أن تساءلت أجابتها "إيتانى" مسرعة فلنجعلها فى الغد الأحد ستكون ظروفنا أنا والسيد"سيجوشى" مواتية. سيكون الغد أول موعد، وبما أنها تلح للوصول إلى إجابة فبعد الغد على الأرجح ستهاتفهم فى المساء، وهذا ما قالته وجاء فى اليوم والأمس.

- "أختى".

حاولت "ساتشيقو" خداعها وخلعت رداءها على حين غرة وألقت به، فهو لم يكن يروقها، وفتحت الورقة المطوية به ولوهلة تخيلت أنها ستستمع لصوت عزف البيانو يأتيها من الطرقة مرة أخرى بعد توقفه.

- "فى الحقيقة إن الأمر صعب".
- "وما هو هذا الأمر؟"
- "قبل أن أخرج أفكر فى أن أتصل بالسيدة إيتانى".
- "ولمَ؟"
- "ذلك الشخص، لقد جاءها بالأمس أيضًا وهى تريدكما أن تلتقيا ليرى كل منكما الآخر اليوم".
- "ذاك الشخص! أدائمًا هكذا؟"

- "الأمر ليس مقابلة رسمية، فقط سنتناول العشاء معًا، وهى تريدك أن تعرفيه، وإن قلنا لهم: لا يناسبنا الموعد، فليكن بعد غد، سيظنون أننا نبلغهم رفضنا".

- "وماذا عن رب العائلة؟"

- "لقد هاتفته أختنا الكبرى وقال لها أن ترافقك، وإنما إن رافقتك أنا فهى عليها أن تلزم البيت. هل هكذا أخبر إيتانى بموافقتنا؟

أختى كى أن ما رأيك؟"

- "حسنًا، وماذا إن رفضت؟"

- "إن قلتِ لا يروقنى؟"

- "نعم. إن قلت لا يعجبنى، ذهبنا والتقيته وفى الغد أو بعد الغد أبلغتكم رفضى، حينها لن تقولوا ليس الأمر بهذه السهولة وليس هناك سبب حقيقى، قولى لنا سببًا واضحًا محددًا. دعينا نبحث فى أمره وبعدها ارفضى أو اقبلى وتأخذون فى نصحى؟"

- "إن رفضتِ سأبلغ إيتانى بطريقة أو بأخرى".

- "بطريقة أو أخرى. لكن إن لم تذكرى لها سببًا ستظل تتساءل إلى ما لا نهاية، وهذه المرة مهما قلنا لها، فتلك السيدة إن أثرنا غضبها سيستحيل أن تقدم لنا أى عون فيما بعد. حسنًا أختى الصغيرة! فى اليوم أو فى الغد، ألا يجب أن تحاولى مرة وتخبرى تلك الأخت الصغرى قبلها بأربعة أو خمسة أيام؟"

- "أحاول أن أخبركِ؟! لقد حاولت، ولكن ما دمتِ بدأتِ الحديث هكذا يا كى أن فأظن أن لا جدوى".

- "كلا. ليس كذلك. هذه المرة لا يروقنى قولكم لى لا تتعجلى، فأنا لا أشعر بأن الأمر يبدو بهذا السوء، بل إن راقنى فسأعرفه جيدًا وسأجرب".

فُتح الباب الجرار ودخلت "يوكيقو" قادمة من الطرقة، وبمجيئها قطعت "تسوروقو" حديثها.

الفصل الخامس

- "أختى. هل ستحكمين ربط حزام الكيمونو لى؟"

رأت "يوكيقو" أختها الصغيرة "تائيقو" وهى تحكم ربط حزام أختهما الكبرى "ساتشيقو"، فقالت:

- "ذاك الحزام، متى صنعتِه؟ أهو الذى ارتديتِه من قبل فى حفل البيانو؟"
- "نعم إنه هو الذى ذهبت به حينها".
- "لو كنتِ تجلسين بجوارها حينها وأختك الكبرى بمجرد أن تتنفس يزمجر ذاك الحزام مُطلقًا صيحات لا تنقطع من حيث بطنها".
- "حقًّا! لم أكن أدرى".
- "لقد كان صوتًا خافتًا لكنى فى الحقيقة كنت أجد صعوبة مع كل نفس ويبلغ مسامعى صوت زمجرته، لذلك ظننت وأنا فى الحفلة الموسيقية أنه حقًّا ليس جيدًا".

- "حسنًا إذًا. أيها سترتدين الآن؟" سألتها "تائيقو" وفتحت الخزانة وأخرجت منها العديد من العلب الورقية، وصفَّتها بالجوار وبدأت فى فك هذه العلب.

- "ارتدى هذا". واختارت لها "تائيقو" واحدًا بموديل يابانى يسمى "كنسميزو".

- "أيعجبكِ هذا؟"

- "نعم نعم.. ارتدى هذا".

كانت "يوكيقو" و"تائيقو" قد انتهتا من ارتداء ملابسهما مسبقًا، و"ساتشيقو" فقط هى المتأخرة، لذلك أخذت "تائيقو" تلاطفها كأنها تداعب طفلاً، ثم التفَّت من خلفها حاملةً الحزام. فى النهاية استطاعت أن تفرغ من ارتداء زيِّها ثم جلست مرة أخرى أمام المرآة.

- "لا جدوى". وصاحت بعنف "هذا الحزام أيضًا ليس جيدًا".

- "ولِمَ؟"

- "لِمَ! انظرى، اسمعى جيدًا، إنه أيضًا يزمجر". قالتها "ساتشيقو" وشدت أنفاسها عن عمد فأطلق الحزام زمجرته من حيث بطنها وجعلتهما تشاهدان.

- "فى الحقيقة يزمجر".

- "حسنًا إذًا، ماذا عن موديل تسويوشيبا؟"

- "وماذا عساى أن أفعل! ابحثى عن ذاك الحزام يا أختى".

فى ما بين الثلاث أخوات كانت "تائيقو" فقط هى التى ملابسها على النمط الغربى، وتتحرك برشاقة هنا وهناك وتبحث بداخل علب الأحزمة المتناثرة، وما إن وجدت الذى تبتغيه حتى التفَّت مرة أخرى من خلف "ساتشيقو".

تحسسته "ساتشيقو" بإحدى يديها بعد ربطه، وجربت أن تقف وتتنفس عدة مرات.

- "هذه المرة يبدو جيدًا". قالتها وأكملت إحكام ربطه وأدخلت طرفه بإحكام، وأيضًا أطلق ذالك الحزام أصواتًا كالزمجرة.
- "هذا أيضًا! ماذا أفعل؟"
- "فى الحقيقة.. مممم.." فى هذه المرة حين أطلق الحزام زمجرته من حيث بطنها التفت ثلاثتهن بعضهن إلى بعض، وضحكن بشدة.
- "مممم.. لا ترتديه، إنه بلا فائدة". قالتها "يوكيقو".
- "إنه ليس بسبب الحزام بل بسبب خامته".
- "إن كان كذلك أليس كلنا مؤخرًا لدينا تلك الخامة نفسها؟ أم أنها تزمجر فقط حين يُصنع منها حزام؟"
- "فهمنا يا أختنا فهمنا". قالتها "تائيقو" وذهبت مرة أخرى لجلب حزام آخر.
- "انظرى إلى هذا. أظن أنه لن يُحدث صوتًا".
- "إن كان هكذا لن أرتدى حزامًا".
- "بل جربى أن تفعلى كما نقول لكِ. نعلم أنه لسبب ما يصدر ذلك الصوت".
- "مرَّ أكثر من ساعة، فلنسرع وننتهِ. إن لقاء اليوم أشبه بوقت الأداء الموسيقى حقًّا".
- "حسنًا، أعلم، ألن تقولى أى تعليق على الحزام يا يوكيقو؟".
- "إن كان كذلك فإنى فى الحقيقة أسمع صوتًا متميزًا، وما هناك من حل لذاك الصوت الذى يصل إلى مسامعنا".

- "آآآآ سريعًا، لكم مرة نفكه ونربطه! لقد تصببت عرقًا".
- "أبدو بلهاء، وهذه المسكينة لقد أُنهكت". قالتها و"تائيقو" تجلس على ركبتيها خلفها وتُحكم ربط الحزام لها.
- "هل أضع الحقنة هنا؟" قالتها الخادمة "أوهارو" وقد جاءت بصينية عليها حقنة معقمة، وعقار "بيتاكسين"، وزجاجة كحول، وقطن طبى، وضمادة.
- "يوكيقو، كما طلبتِ الحقنة.. ها هى الحقنة". قالتها "ساتشيقو".
- "حسنًا، وماذا بعد؟" وانطلقت مسرعة خلف "أوهارو".
- "السيارة. إن كان كل شىء على ما يرام فهى على وشك الوصول".

ها هو، هذا شأن "يوكيقو" كل مرة. لقد اعتادت أن تكسر عبوة المصل بالمبرد وتسحب المصل بالحقنة وتأخذ الذراع اليسرى لـ"ساتشيقو"، التى كانت تقف أمام المرآة وشمَّرت كميها حتى الكتف، وبعدما فركت ذراعها بشدة بقطعة القطن الطبى المشربة بالكحول أدخلت إبرة الحقنة بمهارة بالغة.

- "آه.. آه، تؤلمنى، تؤلمنى اليوم أكثر، أهكذا تعطينى إياها ببطء اليوم ونحن فى عجلة؟"

انتشرت رائحة عقار فيتامين (ب) القوية بلحظة وملأت الغرفة بكاملها، ولصقت "يوكيقو" الضمادة بعدما دعكت المكان جيدًا.

- "ها نحن انتهينا من هذا أيضًا". قالتها "تائيقو".
- "حسنًا، إن ارتديت هذا الحزام فأى ربطة له أفضل؟"
- "إنه جيد هكذا، جيد، جيد. فلنسرع".

- "أهـذا هـو؟ فلنـسرع! عـلى هـذا المنـوال لـن يسـعنا أن نعـرف شـيئًا ولـن أدرك ذلـك الشـخص ذاتـه".

- "حسنًا كيف يبدو هكذا؟ أختى، فلتجربى أن تأخذى نفسًا".

- "ممـم.. حقًّـا". ردَّت بهـا "ساتشـيقو" عـلى "تائيقـو" وجربـت أن تلتقـط أنفاسـها لمـرات عـدة.

- "حقًّا، كيف هو هكذا؟ أختى الصغيرة..كيف يبدو؟"

- "إن الحـزام الجديـد هـو الـذى يصـدر أصواتًـا كتلـك، ولكـن هـذا الحـزام صـار قديمًـا وأوشـكت خامتـه أن تبـلى، لذلـك لـن يصـدر منـه أى صـوت".

- "بالفعل، هذا كان السبب".

- "فلتفكرى قليلاً".

- "سـيدتى هنـاك مكالمـة لـكِ مـن السـيدة إيتـانى". قالتهـا "أوهـارو" ودخلـت قادمـة مـن الردهـة.

- "كل شىء بأفضـل حـال ولكنـى نسـيت الاتصـال بـكِ، والآن يبـدو أن السـيارة قـد وصلـت"

- "وماذا نفعل؟ ماذا عسانا أن نفعل؟"

وأخـذت "ساتشـيقو" نفسًـا عميقًـا، لكـن "يوكيقـو" بـدت كأن الأمـر لا يعنيهـا وكأنهـا مشـكلة شـخص آخـر.

- "حسنًا، يوكيقو.. كيف لى أن أقول..."

- "حسنًا، ذاك الشخص بكل أسف يعتذر".

- "هذا ما رجوته".

- "إن كان هكذا، فعلى أى حال هل مناسب غدًا؟"

- "مممممم".
- "حسنًا إذًا".
- "مممممممم".

بالنسبة إلى "ساتشيقو" التى كانت تقف وأمامها "يوكيقو" تجلس على الأرض، فإنه فى كل الأحوال تعبيرات "يوكيقو" مبهمة.

الفصل السادس

"صغيرتي اتسوقو، فلتأتي هيا". قالتها وهي تدير ناظريها في الغرفة ذات الطراز الغربي قبلما تخرج إليها "اتسوقو" التي كانت ترتب أدواتها قبالة الزهور اليافعة.

- "حسنًا، سأدعكِ تمكثين بالمنزل".
- "وهل تذكرين هديتي يا أختي الكبرى؟"
- "أدري، هيا فلتلعبي الدمى التي تطهو الطعام التي رأيتها سابقًا".

كانت "اتسوقو" تنادي خالتها التي تقطن بيت العائلة الرئيس فقط بـ"خالتي"، أما كلتا خالتيها الشابتين فتناديهما بأختي الكبرى وأختي الأصغر.

- "قَطعًا ستأتون قبل المساء يا أختي الكبرى".
- "بالضبط قطعًا سنعود".
- "قطعًا، أليس كذلك؟"

- "قطعًا، ستنتظر أمك وتائيقو أباكِ فى كوبيه، وسيذهبون لتناول العشاء، أما أنا فسآكل مع صغيرتى اتسوقو، ونقوم بالواجب".
- "لدىَّ واجب، موضوع تعبير".
- "إذًا فلتقللى من اللهو وتكتبى واجباتك ولنرَ حين أعود".

- "مع السلامة يا أختىّ".

قالتها الصغيرة وأوصلتهما إلى المدخل ونزلت بـ"شبشبها" إلى الأرضية المتسخة وقفزت فوق حجارة الرصف البيضاء حتى البوابة متعقبة آثار خطوات خالتيها.

- "عودا سريعًا، يوكيقو لا تتأخرى".
- "حاضر. ها أنتِ تقولين الشىء نفسه مرارًا وتكرارًا".
- "ستغضب منكِ اتسوقو إن لم تعودى سريعًا. اتفقنا يا يوكيقو؟"
- "اتفقنا، اتفقنا، يا للإزعاج".

لكن "يوكيقو" كانت فرحة بهذه الأجواء وبكون "اتسوقو" تشتاق إليها هكذا.

فعلى الرغم من أن هذه الطفلة لا تتعقب خطوات والدتها بهذا النحو إن خرجت، فإنها بكل إصرار تتبع "يوكيقو" عادةً فور خروجها، وبإملاء شروطها من وماذا وهكذا. وعلى أى حال فإن "يوكيقو" تكره بيت العائلة الرئيس فى بلدة "أويه هون" وعادةً ما تأتى إلى بيت بلدة "أشى يا"، فعلاقتها سيئة بأخيها هناك (زوج أختها تسوروقو)، فهى تتفاهم جيدًا مع أختها الثانية "ساتشيقو"، ويبدو أن السبب الرئيس كما يظنه الناس أن حبها لـ"اتسوقو" يطغى على ما سبق، وهذا ملحوظ جدًّا فى الآونة الأخيرة. ملحوظ أيضًا حبها الفائق الذى

صار مودة، ولهذا كانت "تسورقو" تتهكم ساخرة قائلة لـ"يوكيقو" محرجة إياها: "إنكِ لا تحبين أطفالى مثلما تحبين طفلة ساتشيقو"، لكن بكل صراحة، "يوكيقو" تحب البنات اللاتى فى شكل وسن "اتسوقو" نفسيهما، وأطفال أختها "تسورقو" جميعهم صبية، والطفلة الوحيدة بينهم سنها لا تتعدى عامين، واهتمام "يوكيقو" بها لا يقارَن باهتمامها بـ"اتسوقو".

لقد توفيت والدتهن سريعًا ولحق بها والدهن و"يوكيقو" لم تبلغ العاشرة بعد، وهى الآن تتردد ذهابًا وإيابًا على البيت الرئيس والفرعى دون مقر ثابت لإقامتها، لذلك فأينما كانت فى الغد لا يعلق بحنايا قلبها شىء مميز، ولكنها إن تزوجت فإنها لن تستطيع الابتعاد عن "ساتشيقو"، فهى أكثر أحد مقرب لديها، وإن استطاعت الابتعاد عنها فلن تستطيع فراق "اتسوقو"، ولكن حينها لن تصير "اتسوقو" التى كانت فى سابق عهدها، فتأثيرها ومشاعر حبها المنصبة نحوها ستتناساها "اتسوقو" شيئًا فشيئًا وستصير واحدة أخرى. هكذا ظنت، فـ"ساتشيقو" ستحتكر كل مشاعر الحب من هذه الصغيرة إلى الأبد لأنها أمها، وهذا ما تحسدها عليه "يوكيقو" ويحيرها. لقد كان شرط زواجها من الشخص الثانى أنه وقتما أرادت الذهاب إلى الطفلة الصغيرة تذهب إليها. إنها بعد "اتسوقو" لن تحب أحدًا مثلها أبدًا حتى إن صارت أمًا لطفلة جميلة، وحين تفكر فى الأمر تجد أن من أسباب تأخر زواجها أنها فى النهاية لا ترى حالها وحيدة، فبدلاً من أن تتزوج بشخص لا يروقها، تمكث بهذا البيت وتتولى دور "ساتشيقو" كأم، وبهذا لن يعتريها الشعور بالوحدة، وهذا ما ظنته يساعدها. لكن إن تحدثنا بصراحة، أليست أجواء ارتباط "يوكيقو" بـ"اتسوقو" مهما كان هي من ترتيب "ساتشيقو"؟ فمثلاً فى بيت "أشى يا" كانت "يوكيقو" و"تائيقو" تتشاركان الغرفة نفسها، لكن دائمًا ما استغلتها

"تائيقـو" لتكـون مـكان عملهـا، وحينهـا قـررت "ساتشـيقو" بحـدة أن تشـارك "يوكيقـو" ابنتهـا فى الغرفـة.

كانـت غرفـة "اتسـوقو" بالطابـق الثـانى وعـلى النمـط اليابـانى، ومسـاحتها قرابـة العـشرة أمتـار، وبهـا سريـر أطفـال خشـبى صغـير فـوق الحصـير، وإلى ذاك الحـين كانـت الخادمـة تفـرش فـراش نومهـا أسـفل ذلـك السريـر لتنـام برفقـة "اتسـوقو"، لكـن بعدهـا صـارت "يوكيقـو" بـدل الخادمـة تضـع طبقتـين مـن فـراش نـوم قطنـى عـلى الحصـير القـشّ ليقـارب فراشـها ارتفـاع سريـر "اتسـوقو".

وبدايـةً بهـذا ومـرورًا بالتمريـض فى أثنـاء أى وعكـة صحيـة، والمراجعات المدرسـية، وتدريبـات البيانـو، والعنايـة بالوجبـات المسـائية، حتـى تجـد فى النهايـة أن الأدوار انتقلـت مـن "ساتشـيقو" إلى "يوكيقـو"، وبـكل منهـا كانـت "يوكيقـو" أمهـر مـن "ساتشـيقو". كانـت بفطرتهـا كأم تـدرى إن بـدت عـلى "اتسـوقو" أعـراض نقـص فى مناعتهـا مـن صحتهـا وبدنهـا وبشرتهـا، وإن كان لديهـا تضخـم فى الغـدد الليمفاويـة أو تـورم بلـوز الحلـق أو ارتفـاع فى الحـرارة، فحينهـا وعـلى مَـرِّ يومـين وثلاثـة تتحمـل "يوكيقـو" مـا لا يسـتطيع تحملـه أحـد غيرهـا، وتسـهر لتمريضهـا طـوال الليـل تبـدل الكـمادات وأكيـاس الثلـج.

عـلى وجـه العمـوم، فى مـا بـين الأخـوات الثـلاث كانـت "يوكيقـو" أكثرهـن نحـولاً فى بنيتهـا الجسـدية، فـلا اختـلاف فى سُـمك ذراعهـا عـن "اتسـوقو"، لكـن بالتأكيـد مرضهـا الصـدرى يبـدو عـلى هيئتهـا، لذلـك فهـذا أيضًـا مـن ضمـن أسـباب تأخـر زواجهـا إلى الآن.

عـلى الرغـم مـن ذلـك فـإن مناعتهـا قويـة، فبـين أفـراد العائلـة إن انتابتهـم عـدوى نـزلات الـبرد واحـدًا تلـو الآخـر فهـى حينهـا لا تنتقـل إليهـا العـدوى، وإلى الآن لم يصِبهـا مـرض يجعلهـا طريحـة الفـراش، فى حـين أن "ساتشـيقو" التـى تبـدو بأفضـل حـال هـى فى الحقيقـة مثـل" اتسـوقو"

مظهرها خادع وهى أكثرهن قلة ثقة بذاتها، وإن طال أمد قيامها بأعمال التمريض مثلاً تنهار فى النهاية.

إن "ساتشيقو" نشأت فى قمة زهو أسرة "ماكى أوكا". لقد بلغت وهى تستحوذ على حب أبيها الذى توفى وأصبحت هى الآن أمًّا لطفلة فى السابعة من العمر، ولكن بمكان ما بداخلها تمكث الطفلة المدللة، فهى نفسيًّا وبدنيًّا طبيعتها لا تقوى على التحمل، وعلى العكس من كلتا أختيها فهي عادةً مستهجِنة معنِّفة، ولهذا لا يقتصر الأمر فقط على عدم قدرتها على رعاية مريض وإنما لا تناسبها على الإطلاق تربية أى أطفال، وكثيرًا ما تتشاجر مع ابنتها "اتسوقو" بمنتهى الجدية.

يقول الناس إن "ساتشيقو" كانت تعامل "يوكيقو" كأنها معلمة الأسرة، فهي لا تريدها أن تغادرها لذلك يصعب أن تقبل بأى عرض زواج لـ"يوكيقو". يقول الناس أيضًا إن "ساتشيقو" لا تريدها أن تترك الجوار، ودارت الشائعات حول هذا إلى أن وصلت إلى بيت العائلة الرئيس، لكن أختهن الكبيرة التى بذاك البيت لم تسئ فهم "ساتشيقو" إلى ذاك الحد، وسمعت بالثرثرة الخبيثة حول أن "يوكيقو" شخص خدوم، لذلك لم ترِدها أن تعود إلى البيت الثانى. شعر "تينوسوكيه" زوج "ساتشيقو" بذلك وقال إنه من الصالح بقاء "يوكيقو" هناك، وإنه ليس بالأمر المحبذ لديه مجىء مَن يشتت علاقة ثلاثتهن بعضهن ببعض، وماذا إذًا إن ابتعدت "يوكيقو" عن "اتسوقو"؟ إنها ستفتقدها، ويا لها من متاعب!

دار مثل هذا الحديث، وأخبرها زوجها بعد طول تفكير أن "اتسوقو" وإن كانت لبقة وذكية ما زالت مجرد طفلة، وهى تعتمد على "يوكيقو" لكن حقيقة مشاعرها بالتأكيد أنى أكثر شخص تحبه، وإن لم تهرع إلىَّ تحتضننى أدرى أن هناك خطبًا ما قد حدث، وفى النهاية أنتِ تدرين أن "يوكيقو" لا بد لها من أن يأتى يوم وتصير عروسًا.

أنا ذاتى بفضلها استطعت أن أوفر وقتًا للاعتناء بطفلتى ولا شك فى أنها تقدم لنا العون، لكن هذا الوضع هو إلى أن تتزوج، فهو وضع مؤقت، وأنا عوضًا عن ذلك أدعها تمكث مع "اتسوقو" لأنها تحب الاعتناء بالأطفال على ذاك النحو، ولكن مهما كان فإنى أظن أن هذا الوضع الراهن يُنسينا تعاستها لتأخر زواجها، فالأخت الصغرى لديها عملها من تصنيع الدمى بجانب راتبها (وترتبط سرًّا بذلك الشخص) وكل هذا ليس لدى "يوكيقو"، وبمنتهى الصراحة ظروفها تبدو كأنها ليس لديها مكان، فلا بد لى من أن أشعر بالشفقة حيالها، لذلك أدع "اتسوقو" تلعب دور الدمية التى تسليها فى وحدتها.

على الأرجح لم تكن "يوكيقو" تدرى ما آل إليه تفكير" ساتشيقو"، لكنها فى الحقيقة كانت تكرِّس حالها لخدمة "اتسوقو" إن مرضت على نحو لا تتحمله أمها أو حتى ممرضة، وإن كان على أحدهم أن يمكث بالمنزل لأن ثلاثتهم سيخرجون -"ساتشيقو" وزوجها وابنتها- كانت هى من تتحمل عبء ذلك كالمعتاد، لذلك كانت عادةً تبقى بالبيت يوم الأحد، لكن لسوء الحظ هناك لقاء اليوم ببيت السيد "كووايامـا"، وهو تجمّع صغير للاستماع إلى العازف "ليو سيروتا"[1] وهذا يعنى أن

ثلاثتهم مدعو، وما دام لقاء بالخارج فإن" يوكيقو" برحابة تتخلى عن الذهاب، ولكنها لا تستطيع الامتناع عن الذهاب للاستماع للبيانو. ذهبت "ساتشيقو" و"اتسوقو" بعد الاجتماع للتنزه فى "أريما" وقابلا "تينوسوكيه" فى موعد لتناول العشاء، وكانت "يوكيقو" فقط هى من تغيب وهى أيضًا أول من عاد إلى المنزل.

---

(1) ليو سيروتا (LIO SIROTA) هو عازف بيانو شهير ذو شهرة عالمية.

الفصل السابع

"عـذرًا، أمـا زلـتِ هكـذا يـا عزيـزتى أختـى الوسـطى".(جملة مـش مفهومـة!)

عـلى الرغـم مـن أن الاثنتـين أسرعتـا نحـو البوابـة، فـإن "ساتشـيقو" بـدت أنهـا لـن تـأتى لتخـرج معهـما أبـدًا.

- "لقد صارت الساعة الثانية".

قالتها "اتسوقو" وذهبت نحو السائق الذى يقف فاتحًا الباب.

- "يا لها من مكالمة طويلة للغاية".

- "أما زالت لم تنتهِ بعد؟"

- "كلما ظننتها ستنتهى أجدها ما زالت، فلا تلقى بالاً".

ومرة أخرى بدت "يوكيقو" كأنها تستمتع بشئون الآخرين.

- "صغـيرتى اتسـوقو قـولى لأمـكِ مـن الأفضـل أن تـسرع بإنهـاء المكالمـة".

- "هل أركب السيارة يا كى أن؟" قالتها "اتسوقو" وهى تفتح الباب، لكن "يوكيقو" التى تحافظ على انضباط مثل هذه الأخلاقيات قالت لها:

- "فلتنتظرى".

ولم توافق "يوكيقو" بإجابة قاطعة، وهى أيضًا لا حيلة لها وتقف أمام السيارة، و"اتسوقو" عادت إلى الخلف.

- "لقد سمعت أنه حديث السيدة إيتانى". قالتها "تائيقو" كأن السائق لا يسمع.

- "أهو كذلك!"

- "ستعرض عليكِ الصورة".

- "حسنًا".

- "عزيزتى كى أن ماذا تظنين؟"

- "وهل سأدرى من مجرد رؤية صورة؟!"

- "هل تبعًا لذلك ستختارين ما إن كانت هناك مقابلة؟"

- "..."

- "إن كان سيأتينا وكانت المقابلة جيدة بالتأكيد أختك الوسطى ستعقِّد الأمر".

- "وما سبب مثل ذاك التأجيل؟"

- "مممم.. قطعًا لا يسعنا قول هذا، وإنما.."

وجاء صوت الخطوات من هناك.

- "آآآآ.. لقد نسيت محرمتى. هل سيحضرها أحدٌ لى؟ المحرمة.. المحرمة".

وأسرعت "ساتشيقو" نحو البوابة وهى تجمع أطراف كمى ثوبها الداخلى الطويل اللذين علقا.

- "انتظرى يا للبعد".
- "وقت طويل حقًّا".
- "وماذا يعنى مثل هذا الحديث؟ لقد انتهيت للتو من المكالمة".
- "حسنًا، فلنسمع.. وماذا إذًا بعد ذاك الحديث الطويل؟"
- "هيا اركبى سريعًا". قالتها "تائيقو" وهى تتبع "يوكيقو".

كانت المسافة من بيت "ساتشيقو" وحتى المحطة نحو 7 أو 8 محطات، وفى يوم مثل هذا وهن فى عجلة من أمرهن يجعلن السيارة تسرع وتتبقى مسافة يأخذنها سيرًا على مهل. كانت الأخوات الثلاث فى الأيام التى يتصادف فيها أن يكون الطقس جميلاً يسرن فى الطريق الذى بجهة الجبال، الموازى لخط سكة حديد "هانكيو"، الذى يطلق عليه أهل المنطقة "الممر المائى".

كن يسرن مرتديات أبهى الملابس الرسمية، وبالطبع لا يمكن ألا يجذبن الانتباه، لذلك كان الناس فى مثل هذه البلدة يعرفون وجوههن جيدًا، ويتناولونهن بالشائعات، ولكن بالكاد قليل منهم من يدرى سِنّهن الحقيقية.

إن "ساتشيقو" لديها ابنتها "اتسوقو" ولا يمكن أن يتوارى الأمر إلى هذا الحد، فمن مثلها لا يمكن أن يبدو فى السابعة أو الثامنة والعشرين مثلاً، و"يوكيقو" ما زالت لم تتزوج بعد فهى على غالب الظن فى الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين، و"تائيقو" لا بد لها أن تكون فى السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين من العمر. كانت غريبة تلك السن التى يظنونها لـ"يوكيقو" وهم أنفسهم يطلقون عليها "السيدة

الشابة" و"ابنة الحسب والنسب"، وعلى الرغم من هذا لم يتنبه أحد، فثلاثتهن يتشابهن للغاية بملابسهن المزركشة المبهرجة ودرجات ألوانها، لكنهن لا يبدين شابات بسبب ملابسهن فقط، بل أيضًا ملامحهن وأجسادهن غاية فى الشباب والحيوية، لذا حقًّا لا يناسبهن سوى ارتداء هذه الأشياء الخاطفة للأنظار.

فى العام الماضى اصطحب "تينوسوكيه" ابنته "اتسوقو" والأخوات الثلاث إلى جسر "كينتاى" لمشاهدة تفتح زهور الربيع، واصطف ثلاثتهن لالتقاط صورة فارتجل لهن "تينوسوكيه" غنوة.

الثلاث أخوات الفاتنات

على جسر "كينتاى" مصطفات

قطعًا لم تكن منهن واحدة تشبه الأخرى على الإطلاق، بل لكل منهن صفاتها المميزة. إن بينهن تضادًا جميلاً وأيضًا بينهن نقاط مشتركة بلا شك، ويتركن انطباعًا لمن يراهن بأنهن الأخوات الجميلات، بدايةً من تدرج أطوال قاماتهن بالترتيب بفارق بسيط، تجد أن "ساتشيقو" أطولهن وتليها "يوكيقو" ثم "تائيقو"، وهذا فقط فى ما يخص هيئتهن وهن سائرات بالطرقات بهذا الترتيب، أما عن الشخصية والأزياء والممتلكات فتجد أن أكثرهن تمتعًا بالذوق اليابانى هى "يوكيقو"، وأكثرهن ميلاً للذوق الغربى هى "تائيقو"، أما "ساتشيقو" فهى بين هذا وذاك. أما عن ملامح وجوههن، فقد كانت" تائيقو" أكثرهن وضوحًا لرسمة أنفها وعينيها، ووجهها مستدير ويتناغم مع جسدها، فقد كانت قوة بنيتها الجسدية متوازنة، أما "يوكيقو" فهى على العكس من ذلك فهى أكثرهن نحافة وهيئتها ضعيفة هزيلة، وإن امتزجت مزايا كلتيهما تجدها "ساتشيقو".

بالملابس أيضًا كانت "تائيقو" هى من ترتدى الزى الغربى و"يوكيقو" عادةً ترتدى الزى اليابانى، إنما "ساتشيقو" ترتدى فى المقام الأول الزى الغربى فى الصيف وبخلافه الزى اليابانى التقليدى.

أما إن تحدثنا عن نقاط التشابه بينهن فإن "ساتشيقو" و"تائيقو" تشبهان أباهما، لهذا هما على الشاكلة نفسها لديهما الهيئة المبهجة المتفاخرة، على العكس من "يوكيقو" التى كانت هى فقط تنفرد بملامحها وملابسها المميزة من الحرير المزركش بالورود و"اليوزن"[1] الذى يناسب احتفالات سيدات القصور، ولا يناسب إطلاقًا النمط السائد بـ"طوكيو" حيث الأقمشة المخططة الرتيبة.

إنها عادةً ما تتأنق حين ذهابها إلى الحفلات الموسيقية، ولكنها اليوم خصوصًا مدعوَّة إلى منزل ذلك الشخص، لذا تهندمت على أفضل وجه. كان ذلك فى يوم صافٍ من أيام الخريف، وثلاثتهن ينسللن من السيارة مسرعات للصعود إلى رصيف محطة "هانكيو"، وتشبثت بهن أعين كل الناس ملتفتين نحوهن.

ولأنه مساء يوم الأحد، فقط كانت عربات القطار المتجه إلى "كوبيه" تكاد تكون خاوية. أخذ ثلاثتهن المقاعد بالترتيب، وحينها انحنى طالب فى الإعدادية يجلس قبالة "يوكيقو" تحيةً لها، وفى هذه اللحظة نظرت إلى أسفل خجلاً، وتخضب وجهها بالحمرة كأنه يحترق من تدفق الدماء إلى وجنتيها بشكل ملحوظ.

---

(1) اليوزن هو أسلوب طباعة على الحرير.

الفصل الثامن

حين سئمت "اتسوقو" من اللهو، أحضرت الدفتر من الغرفة التى بالطابق الثانى المقابلة للزهور، وبدأت فى كتابة موضوع التعبير الذى من فروضها المنزلية بالغرفة ذات الطراز الغربى. كانت غالب غرف البيت على النمط اليابانى، وإنما فقط غرفتا السفرة والصالون هما اللتان على النمط الغربى، لكن هذه الغرفة هى التى كان يجتمع بها كل أفراد العائلة ليجلسوا معًا، وكانت تُستخدم هذه الغرفة غربية النمط لاستقبال الزائرين، ومعظم الأوقات يقضونه بها. كان بها الجرامافون والراديو والبيانو، وفى الشتاء يسهل إشعال حطب المدفأة بها، لذلك حين يكون الجو باردًا يجتمعون كلهم عادةً، وصار من الطبيعى أن تكون هذه أكثر مكان ازدحامًا بالبيت.

"اتسوقو" أيضًا كانت كل معيشتها بالغرفة غربية النمط هذه، ولا تذهب إلى غرفتها بالطابق الثانى إلا نادرًا أو إن كانت مريضة طريحة الفراش أو كان هناك ضيوف بالطابق السفلى. إن غرفتها كانت على الطراز اليابانى ولكنها معدَّة بمجموعة من الأثاث الأوروبى، وكانت بمثابة غرفة نوم واستذكار، لكن "اتسوقو" فى لهوها واستذكارها كانت

تفضل غرفة الصالون وعادةً ما تتناثر أدواتها المدرسية ولعبها بكثرة، لذلك إن جاء ضيوف على حين غرة تثور زوبعة كبيرة.

فى المساء بمجرد أن تعالى رنين الجرس ألقت "اتسوقو" بقلمها الرصاص وأخذت لفافة هديتها كما وُعدت وأسرعت قفزًا خلف "يوكيقو" ودخلت غرفة الصالون.

"هيا انظرى هذا". وأسرعت وقلبت دفترها الذى على المنضدة نحو "يوكيقو".

- "دعينى أرى الهدية"، وعلى الفور نزعت اللفافة وأخذت الدمية التى بداخلها ووضعتها على الأريكة.
- "أختى شكرًا لكِ".
- "أهى التى أردتِها؟"
- "نعم هى كذلك. شكرًا".
- "هل انتهيتِ من واجباتك؟"
- "يا ويحى، يا ويحى".

وأخذت" اتسوقو" دفترها وأغلقته وأمسكته بكلتا يديها وضمته إلى صدرها وقفزت أمامها.

- "حسنًا إذًا، هناك أمر ما".
- "وما هو؟"
- "مممممم.. هذا، إنه مكتوب عنكِ".
- "مكتوب! حسنًا دعينى أرى".
- "فيما بعد، فيما بعد سأدعكِ ترين. ليس الآن".

كان عنوان موضوع التعبير بواجب "اتسوقو" هو "أذنا الأرنب"، وورد به القليل عن شأن "يوكيقو".

من الخطأ أن تقرر أن تراه الآن، بل بهدوء بعدما تنام الصغيرة ستقرؤه وتصحح ما تجده من أخطاء، إنها ستستيقظ باكرًا وتعيد كتابة الموضوع مرتبًا قبل أن تذهب إلى المدرسة.

كانت "يوكيقو" تدرى أن "ساتشيقو" وزوجها سيذهبان إلى السينما أو أى مكان آخر، لذلك سيعودان فى وقت متأخر، لذلك بعد الانتهاء من العشاء اصطحبت "اتسوقو" لتغتسل، وفى الثامنة والنصف صعدت إلى غرفة نومها.

كانت الصغيرة لا تخلد إلى النوم بسهولة كالأطفال، بل كانت عادتها أن تمكث فى سريرها قرابة عشرين أو ثلاثين دقيقة مستمرة فى الثرثرة بحماس، لذلك تصبح مهمة "يوكيقو" الوحيدة أن تجعلها تنام بسلام. لكن عادةً ما كانت "يوكيقو" تتبادل معها أطراف الحديث لتجعلها تخلد إلى النوم فتنام هى أيضًا، وفى أحيان أخرى تمكث مستيقظة وترتدى معطفها فوق ثوب نومها وتنزل دون أن توقظ الصغيرة لتحتسى الشاى وتتحدث مع "ساتشيقو" وزوجها.

وعلى ذاك النحو ينضم إليهم "تينوسوكيه" أيضًا ويُخرج قنينة النبيذ الأبيض والجبن ويملأ كئوسهم. لكن "يوكيقو" الرصينة فى هذه الليلة أيضًا كانت غاية فى الجدية، ولم تستطِع النوم وما زال هناك بعض الوقت حتى تعود "ساتشيقو"، ولا بد لها حقًا من أن ترى موضوع التعبير فى أثناء هذا، وبعدما تأكدت من أن "اتسوقو" قد استغرقت فى سبات عميق أخذت الدفتر الذى كان بجوار وسادتها وفتحته.

أذنا الأرنب

اشتريت أرنبًا. كان الناس يطلقون على هذا الأرنب الصغير "الصغير أوتشاو". هذا هو الأرنب الذى جلبوه لى. ولأني فى بيتى لدىَّ قطة وكلب فقد أخذت الأرنب بعيدًا عنهما ووضعته عند المدخل. كل صباح قبل أن أذهب إلى المدرسة أحتضنه وأهدهده بالتأكيد. كان ذلك الخميس الماضى عند خروجى من مدخل البيت لأذهب إلى المدرسة، كانت أذنا الأرنب إحداهما تقف مستقيمة والأخرى تميل على جنب. قلت على الفور: "أووه يا للغرابة". وقلت له: "فلتوقف هذه الأذن أيضًا". لكن الأرنب لم يستطِع، فقلت له:" إذًا سأوقفها لك"، وأوقفتها له بيدى، لكن بمجرد أن أبعدت يدى سقطت مرة أخرى على الفور. ناديت أختى الكبرى وقلت لها: "من فضلك أوقفى أذن ذلك الأرنب". التقطت أختى أذن الأرنب بقدمها وأوقفتها، لكن بمجرد أن أبعدت قدمها سقطت أذنه مرة أخرى. قالت أختي: "يا لها من أذن غريبة!" وضحكت.

أسرعت "يوكيقو" ومسحت بالقلم الرصاص أحرف كلمة "بقدمها".

كانت "اتسوقو" تستطيع كتابة مواضيع التعبير جيدًا لذلك كتبت الجمل بمهارة، لكن "يوكيقو" حين رأت الإملاء صححت لها فقط "غريبه" إلى "غريبة"، و"تصقط" إلى "تسقط"، و"لا يستطع" إلى "لا يستطيع"، وظنت أنها لم تخطئ فى الجمل ولكنها احتارت فى موضع "بقدمها"، وصححت الجملة بدايةً من: "أختى بقدمها.. تسقط" على النحو التالى:

"أختى أيضًا أمسكت بأذن الأرنب وحاولت إيقافها، ولكن بمجرد أن تبتعد عنها تسقط مرة أخرى على الفور".

كان من الأسهل أن تضع "بيدها" بدلاً من "بقدمها"، لكن لأنه فى الحقيقة هى حينها فعلت ذلك بقدمها فلا يمكنها أن تجعل الطفلة تكتب خلاف ذلك، فأثمر تفكيرها عن أن تصححها وتكتبها هكذا

على نحو غامض، لكنها ارتعدت حين فكرت فى أن "اتسوقو" ستأخذه للمدرسة دون أن تدرى بما حدث، وستجعلها معلمتها تقرؤه، فإن تركتها وشأنها كما كتبت سيصبح الأمر فكاهيًا للغاية.

إن أصل رواية "بقدمها" هو أن: بالمنزل المجاور لهم فى "أشبيا" انتقلت أسرة شخص ألمانى يدعى ""STOLZ منذ أكثر من 6 أشهر، وأصبحت الحديقة الخلفية مشتركة بينهما. كان هناك فاصل من شبكة سلكية صلبة على حدود الحديقة بينهما فقط، لذلك تعرفت "اتسوقو" على الفور إلى أطفال عائلة "STOLZ". فى البداية كانوا يحملقون بعضهم ببعض من بُعد من الفاصل السلكى كأنهم حيوانات تشم رائحة الآخرين أولاً، ثم فى وقت قصير بدؤوا يعبرون الشبكة السلكية ذهابًا وإيابًا.

كان الطفل الألمانى الأكبر يدعى "Peta " وتليه الطفلة "RoseMarry" ثم أصغرهم الطفل ""Fritz. كان أكبرهم يبدو فى العاشرة أو الحادية عشرة من العمر، و"روزمارى" تقريبًا فى عمر "اتسوقو" نفسه. ولأن الأطفال الأجانب أكبر فى بنيتهم الجسدية فهم فى الحقيقة أصغر فى العمر سنة أو سنتين مما يبدون عليه.

أصبحت "اتسوقو" رفيقة "روزمارى" على وجه الخصوص من بين هؤلاء الإخوة جميعهم، وكل يوم فور عودتها من المدرسة إلى البيت تخرج لإلقاء التحية واللهو فى الحديقة. كانت "روزمارى" تنادى "اتسوقو" بكنيتها وسرعان ما اعتادت مناداتها بلقبها إن كان هناك أى أحد، وكانت "اتسوقو" تناديها كما يقول أبواها وأخواها، "رومى".

كانت أسرة STOLZ لديها كلب من نوع German Pointer، وقطة سوداء بكاملها من السلالات الأوروبية، بخلاف أرنب من أنجولا فى صندوق بالحديقة الخلفية. كانت "اتسوقو" معتادة على الكلب والقطة وتطعمهما ولكنها لم تألف الأرنب، لذلك كانت عادةً ما تذهب مع

"روزمارى" لإطعامه، فكانت تحمله من أذنيه وسرعان ما رغبت هى الأخرى فى القيام بالمثل، وتوسلت لأمها لتسمح لها بإطعام الأرنب.

لم تمانع أمها "ساتشيقو" فى ذلك، لكنها تخشى أن تميت الحيوانات غير المعتادة عليها إن أطعمتها، والأمر يتطلب كثيرًا من الجهد، وعلى الرغم من ذلك فهى فى حيرة من أمرها، فهى قلقة من أن يأتى الأرنب مرة أخرى ويطعموه، فحتى إن أبقت عليه وآوته خشية أن يقتلوه من كثرة الطعام فلا مكان ملائمًا له بهذا البيت، إلى أن جاء الرجل المختص بنظافة المداخن قائلاً: "أعطوا هذا للصغيرة ابنتكم"، وجاء بأرنب من مكان ما. كان أرنبًا عاديًّا وليس أرنبًا أنجوليًّا لكنه كان جميلاً وناصع البياض، وتناقشت "اتسوقو" مع والدتها وتوصلتا إلى أن أكثر مكان آمن هو المكان المنخفض عند المدخل، فهو بعيد كل البعد عن القطة والكلب وغيرهما.

وضعته "اتسوقو" هناك وأطعمته، لكن الأرنب كان فقط يفتح عينيه الحمراوين ومهما تحدثوا إليه لا يبدى أى ردة فعل، فهو مختلف تمامًا عن القطط والكلاب فى سلوكه، وتعجب الجميع من ذلك، فهو لا يلقى اللطف فى المعاملة كالحيوانات الأليفة ولا علاقة له بالبشر نهائيًّا، ولا يشعر سوى بسخافات شده وانتزاعه، وهذا هو الأرنب الذى ورد بموضوع "اتسوقو"، ففي كل صباح توقظها "يوكيقو" وتعد لها الفطور وحقيبتها، وبعدما تذهب الصغيرة إلى المدرسة تعود إلى فراشها، لكن فى ذاك اليوم من أيام أواخر الخريف كانت البرودة شديدة فى الصباح، لذلك ارتدت "يوكيقو" روبًا من الحرير اليابانى فوق لباس نومها دون أن تربط حزامه، وكانت مرتدية جوربها وأوصلت "اتسوقو" للباب، التى كانت عادةً ما تمسك بأذن الأرنب وتوقفها، لكن حينها مهما حاولت كانت لا تقف، فقالت ليوكيقو: "فلتجربى أنتِ"، وبالفعل حاولت "يوكيقو" حتى لا تدعها تتأخر، ولأنها كانت ترتعد خوفًا من ملامسة أى شىء رخو من ذاك القبيل، فحاولت بقدمها وهى بها

الجـورب أن تلتقـط تلـك الأذن ممسـكة بهـا، لكنهـا بمجـرد أن أبعـدت قدمهـا سـقطت عـلى الفـور عـلى جانـب وجهـه.

- "يوكيقو لماذا هى هكذا؟!"

وفى صباح اليوم التالى كان هذا ما رأته فى موضوع التعبير.

- "اتسوقو، ليس جيدًا. لا يمكنك كتابة: فعلتها بقدمها".
- "لكـن ألم تفعليهـا بقدمـك؟ إنـكِ إن لامسـتِه بيـدكِ ترتعديـن خوفًـا". قالتهـا ولكـن بـدا عـلى وجههـا أنهـا لم تفهـم لمَ.
- "حسـنًا، إن كتبتِهـا فهـذا ليـس بالأمـر الجيـد. لا يمكنـكِ كتابتهـا بهـذه الصيغـة الغريبـة، إن جعلتـكِ معلمتـكِ تقرئينـه عـلى الفـور سـتظن أن أختـكِ سـلوكها سـيئ".

رغم ذلك بدا أن "اتسوقو" لم تقتنع بعد.

الفصل التاسع

- "إن لم تواتِنا الظروف فى الغد فإن يوم 16 يبدو مناسبًا جدًّا، وإن قررتم كذلك فإنى فى انتظار مكالمتك".

هكذا قالت "ساتشيقو" بالأمس حين جاءتها المكالمة، ولم يحتَج الأمر إلى دليل لتدركه "يوكيقو"، لكن:

- "حسنًا فلنذهب ونرَ".

هذه الكلمات تطلبت يومين حتى تتمكن "يوكيقو" من أن تتفوه بها على نحو ما.

أرادت السيدة "إيتانى" لسبب أو لآخر أن تجعل الموعد كما سبق، هو مجرد دعوة للطرفين إلى تنفيذ الشرط بألا تجعلهم يشعرون بأنها مقابلة زواج. كان الحضور الساعة السادسة مساءً فى ذاك اليوم بفندق "أورينتال" للسادة أصحاب الدعوة السيدة "إيتانى" وأخيها الصغير "أوراكامى ناأوجيرو" الذى هو موظف بمتجر "قوكوبو" للحديد بأوساكا وزوجته، إنه أيضًا صديق سابق لـ"سجوشى ناروهيدو"، ما يعنى أنه ستدور الأحاديث ولكن لا بد ألا تكون حول قلة مقابلاتهما مثلاً.

بالنسبة إلى الحضور من طرف "سجوشى" فلأنه وحيد وبمفرده ولم يستدعِ أحدًا من أقربائه بالبلدة، فلحسن حظه كان كبيره الذى من بلدته نفسها الرجل المهذب الخمسينى مدير المتجر الموظف به رفيقه "ناأوجيرو" هو أيضًا مدعوًّا ليكون ضيف شرف. أما بالنسبة إلى الطرف الآخر فهم ثلاثة أشخاص: "يوكيقو" و"تيونوسوكيه" وزوجته، وبهذا يصبح كل الحضور ثمانية أشخاص.

قبل يوم من ذلك، ذهبت "ساتشيقو" لتصفيف شعرها بصالون السيدة "إيتانى" مع "يوكيقو"، ولأنها كانت تبغى عدة أشياء بدأت "يوكيقو" قبلها، وفى أثناء انتظارهما لدورهما كانت "إيتانى" فى وقت الراحة وجاءت إليهما.

- "حسنًا". قالتها وانحنت نحوها.
- "عذرًا سيدتى أستميحك عذرًا"، وهمست فى أذنها.
- "هذا، بالطبع أنتِ تدرين دون حاجة إلى أن أقول لكِ أن تسويه لى على نحو بسيط للغد".
- "حسنًا بالضبط". قالتها "ساتشيقو" ورفعت شعرها لأعلى.
- "عفوًا، لكن لا يمكنكِ أن تسويه بسيطًا إلى هذا الحد، حقًّا لا تجعليه بسيطًا هكذا، إنها شابة جميلة ولكنها من أصحاب الوجه النحيل، لذلك ستخسر إن اصطفت مع السيدات بوجوههن المبهرجة وهن يستعرضن للغاية، ودون ذلك لن يجذبن الأنظار إليهن بسهولة، وعلى هذا ففى الغد فقط فلتجعلى مظهرك يبدو أكبر من عمركِ عشر أو خمس عشرة سنة قدر الإمكان. من فضلك أظهرى ذلك، ولكن لا تذميه كما اعتادت أن تفعل السيدات دائمًا، وإنما هذا لا يعنى ألا تفعلى على الإطلاق".

لم تكن هذه المرة الأولى التى تعطى فيها "ساتشيقو" ملاحظاتها، فحتى الآن مرت "يوكيقو" بالعديد من مقابلات الزواج، لكن كان كثيراً ما يقال:

"تلك الأخت الكبرى وجهها شاب ومستضىء ودائمًا ما نراها فى أماكن كثيرة، بخلاف الأخت الصغرى التى ملامح وجهها باهتة"، أو يُقال مثلاً: "هذه الأخت الكبرى مبهجة وتواكب الموضة لكن الصغرى خجول قليلاً وسلبية"، وبين كل ما قيل تجد من يتطفل متدخلاً قائلاً:

"إنها الأخت الكبرى بالبيت الرئيس فقط هى التى لديها حضور، تقل عنها الأخت التى بالبيت الفرعى التى لديها كثير من الاحتياط"، وفى كل مرة تدرى بها "ساتشيقو" بما يقال ترد ببعض من الفخر قائلة:

"إن هؤلاء يقولون كذلك لأنهم لا يدرون مزايا يوكيقو بالطبع، فملامحها مثلى مفعمة بالحيوية والإيجابية، ولا أدرى ما المقصود بمواكبة للموضة، وإنما مثل هذا الوجه المألوف بين الناس والمجتمع فى هذه الآونة الأخيرة شىء ليس بالنادر، ومن الغريب أن أمتدح شأن أختى الصغيرة، لكنها حقًّا لديها ملامح فتاة بريئة من الماضى تربت ولم تصادفها رياح عاتية، ومرهفة الحس راقية الجمال. أليس هذا مثالاً لصغيرتى يوكيقو؟ إنى لن أعطى أختى إلا لمن يقدر هذا الجمال ويدركه جيدًا. إن فى حق يوكيقو هناك الكثير ليُقال وبكل مشاعر صادقة هناك أيضًا ما تتفوق به ولا يمكن إخفاؤه. إنى إن قمت بذلك مع يوكيقو سأعوقها، والعديد من ذاك القبيل يقوله زوجى تينوسوكيه، وكثيراً ما يقول لى أيضًا: أنا فقط أتعقبك تحسبًا لوقت ما تتراجعين، لا، ما زال هذا لا يكفى.. أكثر.. فلتفعليها أكثر بساطة لتنالى قدر أختك الصغيرة أيضًا".

لكن لا تزال "ساتشيقو" تشعر بحالة من السعادة لكونها زوجة متألقة، وهى تجعلها تعد ملابسها وزينتها ويظهر ذلك جليًا بعينيها، لذلك حدث أن امتنعت "ساتشيقو" عن حضور مقابلات زواج لـ"يوكيقو" لمرة أو اثنتين، لكن فى غالب الأحوال يكون لا بد لها أن تحضر لتقوم بدور الأخت الكبرى ربة منزل العائلة، وكثيرًا ما تقول لها "يوكيقو" إنها تنزعج إذا لم تلحق بها، لذلك حينها تبذل قصارى جهدها لتعد إعدادات بسيطة للغاية، فكل ما تملكه من ملابس عادةً ما يكون مبهرجًا، لذلك فمهما قيل لها كفى فى النهاية تظل تقول مرارًا وتكرارًا: "ذلك ليس جيدًا بعد"، "آآآآ، جميعكم تقولون لى مثل ذاك القول، إنى أتفهم جيدًا، وقبلما تقولونها أظننى من الغد حقًّا سأقوم بها على نحو بسيط".

مكثت "ساتشيقو" وحدها بغرفة الانتظار دون سماع صوت أى أحد بالخارج. كانت الستائر مربوطة على الفاصل الذى بين الغرفة المجاورة حيث كانت "يوكيقو" تجلس على مقعد معتمرة مجفف الشعر فوق رأسها، وتنعكس صورة كلتيهما فى المرآة.

وحسبما ترغب السيدة "إيتانى" بالضبط، فلأنها تحت مجفف الشعر فليس لها بالضرورة أن تستمع لما يدور من أحاديث، وعليه خاضت كل من "ساتشيقو" و"إيتانى" فى ثرثرة وهما تنظران نحو "يوكيقو" التى كانت لا تدرى عما تتحدثان، ولأنهما كانتا تحدقان بأعينهما إلى ما فوق رأسها فلم تستطِع أن تخمن ما يقال من حركة شفتى "ساتشيقو"، فشعرت بالتوتر.

فى ذلك اليوم، تلقت "يوكيقو" يد العون من أخواتها جميعهن، وبدأن فى الاستعداد من الساعة الثالثة. "تينوسوكيه" أيضًا أسرع من عمله إلى المنزل، وهرع داخلاً إلى غرفة التجميل مقاطعًا إياهم. إنه كان لديه اهتمام بالغ بأمور الملابس والشعر وغيره، ويحب أن يطيل

النظر إلى هيئة النساء، لكنه يتيقن أن هؤلاء ليس لديهن أدنى فكرة عن الوقت، لذلك فهو يسيطر على الأحوال حتى لا يتأخروا على موعدهم اليوم فى تمام السادسة مساءً.

بمجرد أن عادت "اتسوقو" من المدرسة ألقت بحقيبتها فى غرفة الاستقبال وصعدت إليهم.

- "اليوم أنتِ يا أختى الكبرى ستلتقين عريسًا"، قالتها واندفعت لتدخل إليهم.

اندهشت "ساتشيقو" ونظرت بالمرآة إلى وجه "يوكيقو" الذى امتقع لونه، ثم استطردت غير مبالية بالأجواء:

- "وممن سمعتِ هذا؟"
- "صباحًا من أوهارو. أليس هو كذلك بالفعل أختى؟"
- "لا ليس كذلك". أجابتها أمها.
- "اليوم أختك وأمك دعتهما السيدة إيتانى إلى عزومة بفندق أورينتال".
- "حسنًا، وهل سيذهب معكما أبى أيضًا؟"
- "نعم. أبوكِ أيضًا مدعو".
- "هيا انزلى يا صغيرتى اتسوقو"، قالتها "يوكيقو" وهى تحدق إليها فى المرآة.
- "انزلى ومن فضلك قولى للسيدة أوهارو أن تأتينى".
- "هل يصح أن تأتى وتصعد إلى هنا؟! دائمًا ما نقول لها ألا تفعل، ولكن مهما قلنا لها لا تستمع". وجاء بنبرة صوتها شىء غير اعتيادى.
- "حسنًا".

قالتها الصغيرة وانصرفت، وعلى الفور:

- "تحت أمرك".

قالتها "أوهارو" وفتحت الباب الجرار مرتعبة وتسمرت على العتبة، وما إن فكرت فى أنها قد تكون تسببت فى سماع "اتسوقو" لأى شىء حتى تغير لون وجهها هى أيضًا. حينها اختفى على الفور "تينوسوكيه" وأيضًا "تائيقو" بمجرد أن رأى كل منهما الإنذار بحالة الخطر.

- "سيدة أوهارو أنتِ ماذا قلتِ اليوم للصغيرة؟"

"ساتشيقو" لا تتذكر أنها تحدثت بشأن اليوم لأى من الخدم، ولكن الخطأ فقط فى أنهم لم يتنبهوا لكيلا يعلم الخدم بالأمر، لذلك بمجرد أن آل الأمر إلى ذلك شعرت "يوكيقو" بأنه لا بد لها من أن تسأل "أوهارو" بنفسها.

- "حسنًا، سيدة أوهارو".

انحنت "أوهارو" لأسفل قائلة:

- "عذرًا"، وأفصح انكماش جسدها عن خوفها.

- "أنتِ متى قلتِ للصغيرة؟"

- "صباحًا. حضرتك".

- "ماذا ظننتِ وقلتِه؟"

- "..."

كانت "أوهارو" ليست إلا فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها، وجاءت إليهم وهى فى الخامسة عشرة. إنها الآن كبيرة الخدم، وتُعامَل كأنها فرد من العائلة حقًّا، لكن هذا ليس مبررًا.

فى البداية فقط اعتادوا أن ينادوها بـ"السيدة"، وكانت الصغيرة "اتسوقو" تناديها بكنيتها "السيدة أوها"، وأحيانًا دون ألقاب، "أوها" فقط.

كانت "اتسوقو" لا بد لها من أن تسلك طريق "هانشين" السريع فى أثناء ذهابها وإيابها من المدرسة، وهو طريق كثير الحوادث المرورية، لذلك لا بد لها من أحد يوصلها وينتظرها، وهذا فى غالب الأحيان دور "أوهارو"، لذلك حين استجوابها قالت تحدثت إلى الصغيرة بالطريق فى أثناء توصيلها إلى المدرسة صباحًا.

إنها عادةً ما تكون سيدة لطيفة للغاية، لكن فور توبيخها تتحطم فجأة على نحو مؤسف، وهذا يبدو فى أعين الآخرين شيئًا يدعو للسخرية.

- "انظرى. لا أدرى لعلنى لم أُعِر انتباهًا كما ينبغى لوجودك أنتِ وغيرك حين إجراء المكالمات الهاتفية. إن كنتِ استمعتِ للمكالمة فلا بد أنكِ علمتِ أن اليوم لن يتغير أى شىء على الإطلاق، فهذا لن يزيد عن كونه تجمعًا عائليًّا خاصًّا، وحتى إن كان هناك شىء فليس لكِ أن تتحدثى فى الأمر.

وبناءً عليه فإنكِ تتحدثين للصغيرة بأمر لا ندرى كيف سيكون.

أنتِ، منذ متى وأنتِ توجدين هنا بالبيت؟! هل جئتِ للخدمة بالأمس أو اليوم مثلاً فلا تفهمين إلى ذاك الحد!"

- "أهذا ما تفعلينه دومًا؟!"

- "إنكِ عادةً ثرثارة وهذه عادة سيئة، حتى إن كنتِ تتحدثين بأمور جيدة".

وبينما يتناوب الاثنان الدور، بدت "أوهارو" حقًّا كأنها ليست هنا ولا تسمع ولا تفهم، وتنظر إلى أسفل دون أدنى حراك، وحتى

بعدما قيل لها "هيا اذهبى من هنا" مكثت كأنها ماتت للتو، لكن حين قيل لها للمرة الثانية والثالثة "هيا اذهبى" اعتذرت وهى واقفة بصوت خافت لا يكاد يُسمع.

- "رغم ما يقال لكِ فبماذا تثرثرين!"

قالتها "ساتشيقو" وهى تتفحص وجه "يوكيقو" التى ما زالت لم يتحسن مزاجها.

- "لا بد أنى لم أنتبه جيدًا حينما تحدثت بالمكالمة، ولا بد أنه كانت هناك طريقة ما لكيلا يدرك هؤلاء، ولكنى لم يخطر لى ببال أنهم قد يخبرون الصغيرة!"

- "هكذا بالهاتف أيضًا، ولاحظت مؤخرًا أن السيدة أوهارو تتناقش بما سمعته ورأته وأى شىء يحدث أو يقال".

- "حقًّا لا أدرى، أذلك ما يحدث؟"

- "أهذا لعدة مرات حقًّا! تأتى وتنضم إلى أحاديثنا وحينها لا أحد منا يقطع حديثه، فهكذا بلا خلاف استطاعت أن تسمع".

وعلى هذا النحو فلعدة مرات بالأيام السابقة بعدما تخلد الصغيرة "اتسوقو" إلى النوم عادةً ما يجتمع بغرفة الاستقبال كلٌّ من "تينوسوكيه" وزوجته "ساتشيقو" و"يوكيقو" بعد العاشرة تقريبًا، وأحيانًا تزيد عليهم "تائيقو" أيضًا، ويتناقشون فقط بشأن مقابلة اليوم.

كانت تأتيهم "أوهارو" بين الحين والآخر حاملةً المشروبات مرورًا من غرفة الطعام، فالفاصل بين الغرفتين مجرد باب جرار من ثلاث طبقات، بين الطبقة والأخرى حيز يسمح بإدخال إصبع، لذلك فمن يوجد بغرفة الطعام يمكنه أن يستمع جيدًا لصوت الحديث بغرفة الاستقبال. الأدهى أن الأمر يزداد خصوصًا فى الأوقات الهادئة من

أواخر الليل، لذلك كان أولى بهم أن يخفتوا صوت حديثهم، إلا أنهم فى الحقيقة لم يعِر أى منهم انتباهًا لهذه المسألة.

ولا يمكن أن نعتبر فى ذلك الوقت أن "يوكيقو" تتحدث بصوت خافت عن عمد لأنها بطبيعتها نبرة صوتها خافتة، ولا أحد يدرى حين تصمت، وهى بالطبع أيضًا تتورط حين تخوض فى حديث كالذى وقع مع "أوهارو"، فشخص مثلها عادةً ما سيقع فى مأزق حين لا تسعه الكلمات.

دون تفكير لم تستطِع "ساتشيقو" أن تتدخل فى الأمر، ومع ذلك فإن "يوكيقو" حين رأتها وهى تتكلم بكل احترام قائلة لـ"أوهارو": "هيا تحدثى بصوت عالٍ" شعرت بها كأنها تلقى كل اللوم على "تينوسوكيه" الذى التزم الصمت بدوره هو أيضًا، ولكنه فى الحقيقة بمجرد تلفظه بأبسط الكلمات يسمع كل من حوله بسهولة لعلوّ نبرة صوته وتحوله بسلاسة.

- "حبيبتى يوكيقو ما دمتِ تنبهتِ للأمر ألم يكن من الأحرى بكِ أن تنبهينا حينها؟"
- "ماذا؟ هل تريدين بعد ذلك أن تخوضى فى مثل هذه الأحاديث أمام هؤلاء؟ إنى أمقت مثل هذه المقابلات ولكم كرهتها، مع كل شخص ممن سبق وحتى مع هذا، هل تظنين أن الأمور ستسير على ما يرام هذه المرة؟ كم هذا مرير!"

وفجأة اختنق صوتها وانهمرت دموعها أمام المرآة.

- "لا تقولى ذلك، فحتى الآن ولا مرة قوبلتِ بالرفض من الطرف الآخر. إنكِ تعلمين يا يوكيقو جيدًا أنه عادةً بعد المقابلة لا ينصح الطرف الآخر بالرد سريعًا، وحتى إن لم يرُق لكِ فلا تنهارى".

- "لكن، ذلك الشخص لن يظننى كذلك، وها أنا ذا أقولها لكِ ثانيةً وماذا إن رفضنى هذا الشخص هو الآخر هذه المرة؟! وبسبب تلك الإشاعة التى قدرى أن تمسنى. هذا هو السبب بالتأكيد".
- "كفى..كفى، فلتصمتى عن هذا الحديث".
- "إن كنت أنا بهذا السوء فبعد ذلك قطعًا لن أفعل".
- "هل يمكنك ألا تفسدى زينة وجهك؟"

واقتربت لتصلح لها زينتها، إلا أنها خشيت من انهمار دموعها فتراجعت على الفور.

الفصل العاشر

كان " تينوسوكيه" ينأى بذاته هاربًا لغرفة المكتبة، وعلى الرغم من أن الساعة تعدت الرابعة فإنه ما زالت الفتيات لم يتممن استعداداتهن بعد، وبتروٍّ تنبهن للوقت، وفجأة جاء صوت سقوط شيء ما على أوراق الأشجار الجافة بالحديقة، فمدَّ "تينوسوكيه" يده متكئًا على المكتب ليفتح الباب الجرار، ووجد أنه حلت الأمطار الموسمية في الحال بالسماء الصافية، وسريعًا ما بدأت آثار الأمطار الخفيفة في رسم خط متقطع على عتبة المنزل.

- "ماذا؟ أمطار؟!"، وهرع "تينوسوكيه" لداخل المنزل ودخل غرفتهم بجوار السلم.
- "أحقًّا أنها تمطر؟" وأسرعت "ساتشيقو" أيضًا لنافذة لتلقى نظرة.
- "إنها أمطار موسمية. ستتوقف بالتأكيد. ألا ترون؟ ما زالت بالسماء قطع زرقاء". ولكنها بمجرد أن تفوهت بذلك رأت قرميد السقف خارج النافذة يبتل، وسريعًا ما تغير صوت هطول الأمطار.

- "ماذا كان سيقول عنا لو لم نطلب سيارة؟ إنها الخامسة وخمس عشرة دقيقة تقريبًا".
- "إننى سأرتدى ملابس غربية بسبب المطر. من الأفضل أن أرتدى بزة".

عادةً مع زخات المطر فى أنحاء "أشيًا" تصبح السيارات كالطائرات الورقية ذات الخيوط.

تنبه "تينوسوكيه" لذلك على الفور، وحضَّر حاله بطلبها بالهاتف مسبقًا.

لكن ثلاثة أشخاص بكامل هندامهم لن تأتيهم سيارة فى الخامسة والربع أو حتى والثلث ما دام المطر قد اشتد. فقط بساحة الانتظار هناك يمكن أن يجرب المناداة على واحدة من تلك السيارات، ولكن اليوم كانت الشمس ساطعة لذلك هناك عشرات من الأعراس، وإنما بسبب تلك الأمطار المؤسفة فالكل استبق الحجز، وحتى إن انتهت أى مراسم زفاف فإنهم يجولون لإلقاء التحية.

اليوم إن خرجوا فى تمام الساعة الخامسة والنصف وسلكوا طريقًا مباشرًا مستقيمًا بالعربة حتى "كوبيه" بالكاد سيتمكنون من اللحاق بميعادهم فى السادسة، وثلاثون دقيقة هي أكثر مما يلزمهم بكثير.

وعلى هذه الحال دون أن يلقوا بالاً أصبحت الساعة السادسة إلا خمس دقائق، وكان لا بد لهم من الاعتذار بطريقة أو بأخرى دون أن يدعوا مجالاً لـ"إيتانى" لتزيد من إلحاحها، فهاتف "تينوسوكيه" فندق "أورينتال" بمكالمة، وها هم فى النهاية أخيرًا ستأتيهم سيارة، لكن حينها بدأ هطول الأمطار بغزارة، فهرولوا واحد تلو الآخر ليمروا من تحت المظلة التى حملها السائق.

فى ذاك الوقت وبعدما دخلت "ساتشيقو" السيارة وجلست وتنفست الصعداء بعدما دخل الرذاذ البارد داخل ياقة ردائها تذكرت أن كل مقابلة زواج لـ"يوكيقو" تكون على هذه الشاكلة، ففي المرة السابقة وما قبلها أيضًا كانت تهطل الأمطار.

- "هيا لقد تأخرنا ثلاثين دقيقة". وبمجرد أن رأى "تينوسوكيه" السيدة "إيتانى" التى جاءت لاستقبالهم بالمكان المخصص لخلع المعاطف ظل يرص كلمات الاعتذار رصًا عوضًا عن إلقاء التحية.
- "اليوم كانت الشمس ساطعة، والأفراح فى أماكن كثيرة، وفجأة بسبب الأمطار أصبح من غاية الصعوبة أن تأتينا سيارة".
- "حقًا لقد رأيت العديد من السيارات التى تقل عرائس فى أثناء مجيئى إلى هنا". هكذا قالت "إيتانى"، و"ساتشيقو" و"يوكيقو" بالزاوية تخلعان معطفيهما.
- "ولكن، عذرًا.."

وأشارت لـ"تينوسوكيه" بعينها ودعته إلى الجهة المقابلة:

- "إنكم الآن ستلتقون بعائلة سيجوشى، ولكن قبل ذلك أود أن أستفسر منكم عن شىء عذرًا، هل انتهى البحث والتحرى كليةً من قبل عائلة ماكى أوكا؟"
- "ها.. ماذا عساى أن أقول؟ فى الحقيقة، البحث عن سيجوشى ذاته قد انتهى، وما يدعو للسعادة العارمة أنه لا اعتراض عليه، والآن سنبحث فى بلدته مسقط رأسه.

ومع ذلك أيضًا، فإنى أدرى مسبقًا أنه لا اعتراض على النقاط الأساسية، ولكن لم تأتِنى ولا معلومة واحدة بخصوص الأمر، لذلك فلننتظر لأسبوع آخر عذرًا من فضلك".

- "حسنًا، لن نختلف".

- "واجهنا كثير من العوائق فتأخرنا ونأسف لذلك، وماذا لى أن أفعل وكلهم ببيت العائلة أشخاص على الطراز القديم يفعلون كل شىء على هون. لكنى أدرك طيب خلقكم وأعلم أنكم ستوافقوننى الرأى تمامًا، فعلى الطراز القديم يشاع قول: فاته الزواج، وشخص عظيم مثلك ما سيبحث عنه لاحقًا هو أن يكون كل شىء مقبولاً بالمنطق، وهذا ما أوصى به قدر المستطاع، وحسبما تسير الأحوال الليلة، فإن لم يكن هناك أى اعتراض من جانبنا فالمرة المقبلة فى الغالب نسوى الأمر".

اتفق "تينوسوكيه" مع زوجته مسبقًا على هذا الحديث، لذلك شرحه بطريقة ماهرة، لكنه مع ذلك جاء نصف كلامه وصفًا لمشاعره بمنتهى الصراحة.

تأخر الوقت، لذلك انتهوا من أمر التعارف سريعًا ببهو الفندق، واتجه الثمانية معًا إلى المصعد ثم إلى الطابق الثانى حيث قاعة الطعام الصغيرة.

وعلى مأدبة العشاء جلست فى إحدى الجهتين السيدة "إيتانى" والسيد "إيجاراشى"، ثم السيد "سيجوشى" وتليه زوجة السيد "فوساجيرو"، ثم "فوساجيرو"، ومن الجهة الأخرى جلست "يوكيقو" وجهًا لوجه قبالة "سيجوشى" ثم "ساتشيقو" ثم زوجها "تينوسوكيه".

بالأمس حين تناقشت "ساتشيقو" مع السيدة "إيتانى" بصالون التجميل عن ترتيب المقاعد، اتفقتا على أن "سيجوشى" وبجواره الزوجان "فوساجيرو" بجهة، وبالجهة الأخرى "يوكيقو" وعلى جانبها الزوجان "تينوسوكيه"، وهذا ما تم تعديله كما اقترحت "ساتشيقو"، وهكذا اصطفّوا فى أماكنهم.

- "مساء الخير، إنى قد علمت بأمر تناولنا العشاء فجأة وعلى حين غرة".

قالها "إيجاراشى" واعتبر ذلك من أفضل الأوقات لديه وشرع فى تناول الحساء.مكتبة سُر مَن قرأ

- "فى الحقيقة أنى لست من بلدة السيد سيجوشى نفسها، وكما ترون من حيث السن فبالتأكيد أنا الأكبر فحتى لم نكن معًا بالمدرسة، ولكن إن تحدثنا عن علاقتنا فإن بيوت آبائنا قريبة بعضها من بعض فى البلدة نفسها، لذلك فمقاعدنا بالصف نفسه اليوم لهى من دواعى الفخر لى، ولأننا ابتعدنا كثيرًا فأنا فى غاية القلق، ولكنى سأخبركم بالحقيقة، لقد أُجبرت على المجىء إلى هنا لأن السيد موراكامى غير معتاد الخروج، حقًّا السيد موراكامى، وماذا عساى أن أقول، وأختى الكبيرة السيدة إيتانى هى أيضًا متحدثة بليغة لديها حماسة قوية كالرجال، والأخ الأصغر أيضًا يليها فى طلاقة الحديث، ولقد ترددت فى قبول الدعوة لحضور مأدبة اليوم، ولكن فى مثل هذه الأوقات على العجوز أن يبذل قصارى جهده وغير مسموح بأى مراوغة بعد مجهوداتك فى هذا الأمر، لذلك لم أملك سوى أن أسلِّم حالى".

- "هاهاهاااا لكن سيادة المدير التنفيذى.." قالها "فوساجيرو" واستطرد:

"ومن سيقول ذلك غيرك أنت، فقطعًا لن تستاء من الحضور أبدًا".

- "كلا، بهذه المناسبة لا يمكننى أن أكون سيادة المدير التنفيذى، بل بهذه الليلة دعنا ننسى الشغل ونترفه قليلاً".

تذكرت "ساتشيقو" وقتما كانت صغيرة وكان بمتجر "ماكى أوكا" برصيف الميناء موظف أصلع الرأس وطريف مثل ذاك الشخص، فاليوم

بعدما صارت غالبية المتاجر الكبيرة مؤسسات أوراق مالية، ترقى "السيد الأصلع" ليصبح "المدير التنفيذى"، وأصبح يرتدى البزة عوضًا عن المئزر فوق زيه، وأصبحت تستخدم المصطلحات الرسمية بدلاً عن كلمة "رصيف الميناء"، والشعور بذلك التحول ملموس أيضًا مع كبار مسئولى الشركات الذين كانوا عمالاً بمتاجر من ذى قبل، وكان المعتاد بمثل هذه الأجواء قديمًا وجود شخص أو اثنين من الموظفين والبائعين الماهرين بأى متجر ممن يثيرون الضحك ويسعون لكسب ود رب العمل بالدعابة، وعادةً ما يكونون من الأشخاص خفيفي الظل قصيري القامة.

هذه هى الشخصية التى أضافتها السيدة "إيتانى" بهذه الأمسية، واعتُبر ذلك نوعًا من الاهتمام كى لا يتعكر صفو اللقاء.

كان "سيجوشى" يبتسم ابتسامة عريضة وهو يستمع لجدال "إيجاراشى" و"فوساجيرو"، وكانت شخصيتا "تينوسوكيه" وزوجته "ساتشيقو" كما توقعوهما من الصور، ولكنهما بديا فى الواقع أكثر شبابًا، وفى النهاية لن تتضح إلا نسبة ضئيلة لا تتجاوز 37- 38% من شخصيتيهما الحقيقيتين، فقد كانت تعبيرات وجهيهما وقورًا ولكن يمكن القول إنها تفتقر للمرح، وكما تنتقدهما "تائيقو" ذات المشاعر العفوية: إنهما صاحبا وجهين تقليديين، الهيئة وطول القامة وشكل الجسد والملابس حتى ذوق ربطة العنق، جميعها على هذه الشاكلة نفسها "تقليدية"، أما عن دراسته بباريس وما إلى ذلك فبدلاً من أن يقولوا أمرًا لا غبار عليه قالوا لا بأس به واعتبروه نموذجًا لموظف شركة جدير بالثقة.

الانطباع الأول الذى يواتيك من هذا أن "سيجوشى" يجتاز الاختبار.

- "كم سنة تقريبًا مكثت فى باريس يا سيد سيجوشى؟"
- "لمدة سنتين كاملتين، ولكن ذلك فى الماضى على أى حال".

- "إذًا، متى كان ذلك؟"

- "منذ خمسة عشر أو ستة عشر عامًا، ذهبت فور تخرجى".

- "إذًا هذا يعنى أنك قد توظفت بهذه الوظيفة فور تخرجك فى الجامعة".

- " كلا ليس كذلك. لقد توظفت فى الشركة الحالية بعد عودتى من الخارج بفترة، فبعد عودتى من فرنسا كنت شاردًا فى الحقيقة، ففى تلك الفترة توفى والدى، لم يبلغ الأمر كوْن لدىَّ ميراث، ولكنى أردت أن أكون حرَّ ذاتى قليلاً، وتبقى لدىَّ هذا الإحساس لفترة، وكنت أطمح بقوة لإتقان الفرنسية بمهارة أكثر، ورأيت أنه من الأفضل أن أجد وظيفة من ذاك القبيل، واستمر تفكيرى مبهمًا، وفى النهاية لم أصل إلى هذا أو ذاك وقطعًا انتهى الترحال".

- "لقد تغيرت يا سيد سيجوشى". قالها " فوساجيرو" معلقًا وهو بجواره.

- "غالب الناس حين يذهب إلى باريس يكره العودة، لكنك يا سيد سيجوشى شعرت بالإحباط هناك وعانيت من الحنين الشديد لبلدك لذلك عدت".

- "يا للهول! وما السبب فى ذلك؟!"

- "لم أجد لدىَّ أى تفسير لذلك، ولكن باختصار أظن أن السبب هو أن توقعاتى الأولية كانت كبيرة للغاية".

- "ذهبت إلى باريس فأدركت مزايا اليابان وعدت. قطعًا هذا ليس بالشىء السيئ، ولذلك أصبحت تفضل الفتيات ذوات الطابع اليابانى الأصيل". قالها "إيجاراشى" مقاطعًا الحديث،

وفى الحال ألقى بنظرة خاطفة من طرف منضدة الطعام على وجه "يوكيقو" وهى تنظر إلى أسفل فى خجل.

- "لكن بعودتك وتوظفك بالشركة الحالية تقدمت أكثر بالفرنسية، أليس كذلك؟" وتساءل "تينوسوكيه".

- "ليس إلى ذلك الحد، فالشركة فرنسية حقًّا ولكن الغالبية العظمى بها من اليابانيين، وكبار الموظفين الفرنسيين بها نحو شخصين أو ثلاثة فقط".

- "إذًا لا تتسنى لك الفرص للخوض فى محادثات بالفرنسية؟"

- "حين تأتى سفينة M M أذهب وأتحدث إليهم، والخطابات التجارية دائمًا ما يجعلوننى أكتبها".

- "يوكيقو كريمة عائلتكم تدرس الفرنسية الآن، أليس كذلك؟"، تساءلت السيدة "إيتانى".

- "نعم. وأختى الكبرى أيضًا تدرس، لذلك تنضم إلينا".

- "مَن معلمك؟ أهو يابانى أم فرنسى؟"

- "فرنسية".

أجابت "يوكيقو" باختصار، فأضافت بعدها "ساتشيقو":

- "وأصبحت زوجة يابانية".

كانت "يوكيقو" ومن دون ذلك الموقف لا تستطيع أن تقول أى شىء بمجرد خروجها للمجتمع، غير أنها بمكانها هذا كانت مقيدة بالحديث بلكنة "طوكيو"، "تفضلت بـ." وعلى هذا النحو من صيغ الاحترام، وحينما تنهى الجملة بالكلمات العادية يصبح الأمر مبهمًا، ومع أن هذا الأمر صعب أيضًا بالنسبة إلى "ساتشيقو" إلا أنها تلجأ

للخديعة بنهايات الكلمات وتستخدم تكنيكًا يجعل الآذان لا تلتقط لكنة "أوساكا"، وتثرثر بأى شىء مهما كان دون أن يبدو الأمر غريبًا.

- "تلك السيدة هل تستطيع تحدث اليابانية؟"

قالها "سيجوشى" وهو ينظر إلى وجه "يوكيقو" مباشرةً.

- "نعم، فى البداية لم تكن تستطيع الحديث، ولكن شيئًا فشيئًا استطاعت، حتى أصبحت مؤخرًا ماهرة فى.."

- "لكن هذا بالعكس، فإنه ليس مفيدًا لكِ".

ومرة أخرى تلتقط "ساتشيقو" أطراف الحديث:

"إنها وقت الاستذكار لا تستخدم اليابانية إطلاقًا، لكن لم تسِر الأمور هكذا للأسف وأصبحت تتفوه بقليل من اليابانية".

- "أنا أستمع لاستذكارهم من الغرفة المجاورة، وحقًّا صار ثلاثتهم يثرثرون باليابانية".

- "ماذا؟ أحقًّا يحدث هذا؟!"

ودون تفكير التفتت "ساتشيقو" نحو زوجها وانسابت كلماتها بلكنة أوساكا:

- "بالطبع نستخدم الفرنسية، ولكنك لا يمكنك سماع حديثنا مع آن".

- "حسنًا يبدو كذلك، بين الحين والآخر تستخدمون الفرنسية، لكن حينها دائمًا ما تهمهمون على استحياء وبصوت خافت كطنين ناموسة، لذلك ليس بالضرورة أن أستطيع أن أسمع من الغرفة المجاورة، وما دام قد حدث ذلك لمرات عدة فهذا يعنى أنه ليس هناك أى تقدم، ولكن على أى حال فإن ممارسة ما تدرسه زوجتى والفتاة الشابة من لغة هو على ذاك النحو بكل مكان".

- "حسنًا. يا لها من طريقة رائعة لقول ذلك! لكننا لا ندرس اللغة فقط بل تجعلنا نعلمها طرق الطبخ وإعداد الحلوى والغزل بالخيوط، لذلك نستخدم اليابانية أحيانًا. لقد راقت آن مؤخرًا أكلات الحبار وتريدنا أن نعلمها الكثير. ألا نفعل!"

وهكذا أصبح جدال الزوجين مسليًا على نحو مثير لضحك كل الحضور.

- "أتقولين أكلات الحبار؟".

بعد سؤال زوجة "فوساشيرو" انهالت وصفات الأكلات الفرنسية للحبار المطهو بالطماطم والغنى بمذاق الثوم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الحادى عشر

كانت "ساتشيقو" مهما ملأت كأس الشراب لـ"سيجوشى" يميله مشيراً إليها مرة أخرى، فتأكدت من أنه شخص كثير الشراب بلا خلاف. بدا أن "فوساجيرو" لا يشرب على الإطلاق، "إيجاراشى" أيضًا احمرت أذناه حتى أسفلهما.

- "حسنًا، أنا.."

وأشار بيده للنادل حين مروره، وبدا الود بين "سيجوشى" و"تينوسوكيه"، ولكنه لم يظهر على وجهيهما أو أفعالهما بعد.

جاء بحديث السيدة "إيتانى" أن "سيجوشى" لا يعتاد الشراب كل ليلة، ولكنه شخص لا يكره الخمر وإنما يحتسيها مع الآخرين كلما سنحت الفرصة بحسب ما عرفت. لم تعتبر "ساتشيقو" ذلك بالشىء السيئ للغاية، ولذلك علاقة بموت أمهن مبكرًا، فكان والدهن فى سنواته الأخيرة ينتظر على مائدة الطعام ويجعلهن يشاركنه كل ليلة، وبدأ الأمر بالأخت الكبرى ربة البيت الرئيس "تسوروقو"، ثم شيئًا فشيئًا صرن كلهن يحتسين الشراب.

بعدها أخوهن بالقانون "تاتسو أو" وأيضًا "تينوسوكيه" صار كل منهما يحتسى الشراب مع الطعام فى المساء، ومن هنا لم يعد هناك أى أحد منهم لا يحتسى الشراب على الإطلاق، بل لا يكتفون بذلك فالأسوأ والأضل سبيلاً من الخمر هو تفضيلهم للزوج الذى يحتسى الشراب على نحو ما.

لم تفصح "يوكيقو" عن تلك الملاحظة، ولكنها اتضحت فى سلوك "ساتشيقو" وهى تعتقد أن "يوكيقو" أيضًا بالمثل بداخلها كذلك فى الغالب.

علاوة على ذلك فإن شخصية مثل "يوكيقو" لا تفصح عن مكنون صدرها بأى شكل من الأشكال وتكتم بداخلها بكل حزم، إن لم تدعها ترافقها بالشراب من وقت لآخر تُصَب بالإحباط أكثر وأكثر، وحتى الزوج إن كانت لديه زوجة كذلك فإنه إن لم يدعها تشاركه الشراب فإنها ستكتئب على نحو لا يحتمل، وعليه فإن كان لـ"يوكيقو" زوج لا يشرب فستكون وحيدة للغاية وبائسة، لذلك فى هذه الليلة أيضًا أرادت "ساتشيقو" ألا تدع "يوكيقو" غارقة فى صمتها:

- "يوكيقو ألا تشربين قليلاً؟".

وهمست لها ثم أشارت لها بعينها نحو كأس من قنينة النبيذ الأبيض أمامها، وجعلتها ترى وهى ذاتها تشرب أيضًا القليل من ذلك، وهمهمت فى أذن النادل:

- "عفوًا، فلتصبّ قليلاً من قنينة النبيذ بجوارى".

شعرت "يوكيقو" بأن "سيجوشى" كثير الشراب فى حياته، خصوصًا أنها هى أيضًا عليها أن تكون أكثر وضوحًا. كانت من وقت إلى آخر تتذوق شيئًا على نحو غير لافت للنظر لكنها كانت فى مزاج سيئ، فجوربها ما زال مبتلاً قليلاً من الأمطار والخمر تتغلغل فى رأسها لكنها لا تجعلها فى حالة سُكر.

- "آنسة يوكيقو أتحبين النبيذ الأبيض؟"

سألها "سيجوشى" الذى لم يلحظ الإشارة بينها وبين أختها منذ فترة وجيزة.

ضحكت "يوكيقو" فى ارتباك ونظرت إلى أسفل.

- "نعم. كأسًا أو اثنتين تقريبًا". قالتها "ساتشيقو" واستطردت:
- "سيد سيجوشى تبدو قويًّا للغاية، كم كأسًا تقريبًا تشرب حضرتك؟"
- "لا أدرى بالضبط. قد يمكننى أن أشرب فى حدود سبع أو ثمان".
- "ها قد أظهرت مواهبك الدفينة فى الثمالة". قالها "إيجاراشى".
- "على أى حال فأنا ليست لدى أى موهبة، وها قد صرت ثرثارًا أكثر مما كنت دائمًا".
- "حسنًا، سيدتى كريمة عائلة ماكى أوكا"، وسألتها "إيتانى":
- "هل تعزفين البيانو؟ فى عائلة ماكى أوكا الكل يهوى الموسيقى الغربية".
- " لا، حتى إن كان كذلك". أجابتها "ساتشيقو" وأضافت:

"ففى صغرى تعلمت قوطو[1]، وفى هذه الآونة أردت استعادتها وتنظيفها، فقد بدأت ابنتى مؤخرًا التدريب على رقص القرى الجبلية لذلك أصبح هناك الكثير من الفرص للاستمتاع بالقوطو وموسيقى الفلكلور جى أوتا[2]".

- "حقًّا! هل تستطيعين عزف القوطو؟"

---

(1) آلة القانون اليابانية، وهى من 13 وترًا.

(2) نوع من موسيقى التراث والفلكلور اليابانى، ويرجع أصلها إلى عصر "إيدو"..

- "نعم، حتى إن كنت أبدو عصرية إلا أنى أريد استرجاع هوايات الصغر أكثر وأكثر. وكما تعلمين ابنتى ماهرة وسريعًا ما أتقنت العزف، لذلك كان لا بد لى من تعليمها فى سن مبكرة".

- "إنى لا أدرى جيدًا التخصصات، ولكن رقص القرى الجبلية هو فى الواقع شىء رائع، وبكل الأحوال ليس من الجيد فى شىء تقليد طوكيو، فنوننا المحلية لا بد لها من أن تزدهر".

- "حسنًا بالضبط، أليس هذا أيضًا ما تراه سيدى المدير؟ أليس كذلك سيد إيجاراشى؟"

وبينما "فوساجيرو" يومئ برأسه قال:

- "إن السيد إيجاراشى ماهر فى القصائد الشعبية الغنائية، فهو يتدرب منذ سنوات عدة".

- - "لكن إن كنت تتعلم أشياء من هذا القبيل.." قالها "تينوسوكيه".

- "لو كنت ماهرًا فى التعلم مثل السيد إيجاراشى لاختلف الأمر. إنى فى البداية كنت متهورًا، ولا أريد الاستماع لأحد، ثم قلت ولمَ لا أذهب إلى المقاهى؟!"

- "يا عزيزى تلك هي الحال لأى أحد، فمن مساوئ المعزوفات اليابانية أنك لن تمكث بالبيت، والأمر أكثر اختلافًا بالنسبة إلىَّ، فقطعًا لم أبدأ تعلمها وأنا لدى شغف كشغف عشاقها من النساء، وحين وصلت إلى هذه النقطة وجدت الشخص النموذجى، إنه السيد موراكامى".

- "أجل، لأن مجال عمله تجارة الحديد".

- "ها ها ها. ليس كذلك، إنى فقط تذكرته... ولكنى بمرة خطر لى أن أسأل امرأة: إنكم جميعًا لديكن علبة مسحوق الوجه، أليس كذلك؟ هل ما بداخلها مجرد مسحوق للوجه؟"

التقطت منه "إيتانى" أطراف الحديث قائلة:

- "مجرد مسحوق للوجه ولكن.. كيف لك أن تفعل هذا؟"

- "فى الحقيقة هذا الأمر منذ قرابة الأسبوع، فقد كنت فى ذلك اليوم مستقلاً القطار نحو هانكيوو، وجلست سيدة بكامل أناقتها بجوار النافذة وفى اتجاه الهواء، وأخرجت من حقيبتها علبة مسحوق التجميل، وهكذا، بدأت تربِّت على حواف أنفها سريعًا، وعلى الفور انتابتنى حالة من العطس، أليس ذلك ما حدث؟"

- "ها ها ها، بذاك الوقت، ماذا حدث لأنفك سيد إيجاراشى؟ أهذا بسبب علبة مسحوق الوجه؟"

- "أنا أيضًا ظننت ذلك على الفور، لكن بالسابق كانت لى التجربة نفسها، وكانت هذه الوقعة هى الثانية".

- "حقًّا، هذا صحيح". قالتها "ساتشيقو".

- "إنى، حين أفتح علبة مسحوق التجميل بالقطار، مَن بالجوار تنتابه حالة من العطس لمرتين أو ثلاث، ومن واقع خبرتى فإنه حتى علب المساحيق عالية الجودة رائحتها تفعل كذلك".

- "هاهاها، خمنت هذا فعلاً. حسنًا، ولكن هل تلك السيدة واحدة أخرى وليست زوجتك، بناءً على ما حكيته سابقًا؟"

- "حقًّا! لا أدرى. بالغ أسفى عمَّا بدر منى فى ذاك الحين".

- "أنا للمرة الأولى أسمع بذلك". قالتها زوجة "فوساجيرو" وأضافت:

- "لا بد لى من أن أجرب فى مرة مسحوق تجميل عالي الجودة بأقرب وقت".

- "لا أمزح، ولكن يا للورطة من رواج ذلك. فيما بعد إن جلست سيدة بالمقعد المجاور للنافذة بالقطار سأرجوها قطعًا ألا تستخدم علبة التجميل. ومن الجيد أنك ألقيت التحية، فتلك السيدة التى جعلتنى أعطس لمرات عدة لم يسعنى التعرف على وجهها لذلك راودنى الشك".

- "حسنًا، إن أختى الصغرى حين أراها بالقطار وشعرها الذى تعقصه ذيل حصان ورباطه يطيران فوق ياقات ملابس الرجال أريد بشدة أن أسحبه".

- "هاهاهاااا".

- "هاهاهاااا".

- "تذكرت وأنا طفلة حين كنت أخرج القطن المحشو بالمفروشات وأريد أن أستخرجه كله بكامله". هكذا قالت "إيتانى".

- "بالناس مثل تلك الغرائز الغريبة التى يمكن أن تراها مع الثمالة، قد ترغب فى ضغط زر جرس البوابات الخارجية للمنازل، وحين ترى على رصيف المحطة مكتوبًا: لا تلمس الجرس، ترغب فى أن تجرب وتضغطه، لذلك تحترس قدر الإمكان ولا تذهب إلى الجوار".

- "فعلاً، لقد ضحكت كثيرًا هذه الليلة حقًّا". قالتها "إيتانى" وهى تلتقط أنفاسها، ولكن بدا أنها لم تكتفِ من الثرثرة حتى بعدما جاءتهم فاكهة ما بعد الطعام، فنادت قائلة:

- "سيدتى بعائلة ماكى أوكا".

- "لقد اختلف القول! إني لم أعتَد منكِ قول سيدتي، منذ فترة وجيزة كنتِ تقولين: سيدتي الشابة. حسنًا، قولكِ سيدتي يعني ما زلت شبابًا، ولكن أيضًا هي كلمة لآونة لاحقة، فاللائي هن زوجات في العشرينات وتزوجن منذ عام أو اثنين بماذا ستدعينهن؟ هناك الكثير من الحاذقات في العلم بالحقيقة، وفي التنشئة، وفي الاقتصاد، لذلك يجعلنني أشعر بشدة اختلاف العصر".

- "حسنًا، هذا بالضبط كما تقولين، فأنا مثلاً أظن أن تعليم مدارس البنات تغير تغيرًا هائلاً، لذلك الآن حين أرى سيدة شابة يعتبر الأمر لغزًا بالنسبة إليَّ، فحقًّا الزمن اختلف.

إن ابنة أخي جاءتني من بلدتهم وهي فتاة، ومكثت تحت رعايتي حتى تخرجت في مدرسة بنات في كوبيه، وتزوجت عن قريب، وكان لديها بيت بحي قووروإن وزوجها موظف بشركة في أوساكا براتب شهري 90 ينًّا. كانت تقول إن بالخارج هناك علاوات، ومع ذلك كانت تتلقى مساعدة شهرية من البلدة فقط للإيجار الذي هو 30 ينًّا، وبهذا يصبح دخلها الشهري في حدود 150- 160 ينًّا، لذلك فإني لا أدري كيف لها أن تدير شئونها كل شهر وزوجها يعود لها بنهاية كل شهر بـ90 ينًّا، وعلى الفور تحضِّر في ظرف مدفوعات فاتورة الغاز والكهرباء والملبس والمصروف وغيره. إن قسمت الراتب هكذا لتدفع كل هذا أولاً إذًا كيف لها أن تكسب قوتها طوال الشهر؟! لا بد لها أن تقتصد العيش، لكني ما أدعوه عشاء شهيًّا هو الطعام المقدم على نحو غير متوقع. الإعداد والتنسيق بالبيت ليس بائسًا إلى هذا الحد وإنما يلزمه تفكير حذق، وبالطبع من هذه الناحية فهي مخضرمة. عن قريب كنا معًا ذاهبتين إلى أوساكا، فأعطيتها محفظة نقودي وقلت لها أن تشتري لنا تذاكر القطار، فعلى الفور ابتاعت الكثير من التذاكر ووضعت لي الباقي. لقد أثارت اندهاشي في الحقيقة

حيال الأمر. لكم كان من السخف أنى كنت أرعاها وأقلق عليها. لقد كنت خجلة".

- "قطعًا فى هذه الآونة ليس الشباب بل على العكس الأمهات هن من يكنَّ مبذرات". قالتها "ساتشيقو" ثم تابعت حينها قائلة:

- "بالجوار أيضًا هناك زوجة شابة لديها طفلة لم تبلغ العامين بعد مؤخرًا. ذهبت إلى بابها فى أمر ما فدعتنى للدخول وأن نصعد لنترفه، فقلت حسنًا، ونظرت حين صعدت عندها ولم تكن هناك خادمة، وعلى الرغم من ذلك كان المكان مرتبًا بالحقيقة. بعدها على الفور ظننت أن تلك الزوجة بالتأكيد تلقى الملابس على المقاعد هنا وهناك، ولكن أتدرين؟! لم يكن كذلك. قلت لا بد أن الملابس ستكون بتلك الجهة كالمعتاد، ولكن فى ذاك اليوم كانت تضع عربة الأطفال بالغرفة وبمهارة بداخلها أشياء إلى حد أنه لا مكان للطفلة، وما إن بدأت أن أهدهدها حتى جاءت قائلة عفوًا أستميحك عذرًا ها قد جئت أخيرًا بالشاى، ووقفت قليلاً ترينى الطفلة ثم ذهبت. بعدها بقليل أدخلت الشاى، ثم جاءت بزجاجة حليب لتعطيها للطفلة وقطَّعت بها الخبز الطرى، وبينما تقول لى تفضلى كوب الشاى وأنا أظنها ستتخذ مقعدًا، وجدتها على الفور تنظر إلى ساعتها وتقول: ها هو، الآن تبدأ معزوفات شوبان، ألا تستمعين إليها يا سيدتى؟ قالتها وفتحت زر المذياع، وبينما نستمع للموسيقى من ناحية، من ناحية أخرى هى لا تريح يدها مطقًا، فهى تملأ الملعقة باللبن وتسقيه للطفلة.

بهذه الأجواء، هى لا تضيع وقتها هباءً وتنظم إياه وتقضى ثلاثة أمور فى آنٍ واحد. إنها مع ضيفتها وتستمتع بالموسيقى فى المذياع وتقدم وجبة طفلتها. فى الحقيقة أنا أظنها طريقة ماهرة ذكية.

أسلوب تربيتها للأطفال مختلف تمامًا عن الشائع هذه الأيام. تلك الزوجات اللاتى أتحدث عنهن.. أحيانًا تذهب الأم فى زيارة تريد بها لقاء ابنها الأكبر، وهو أمر لا غبار عليه، ولكن كما جرت العادة لا يتحمل أعباءها ويفعل ذلك فقط حين تصبح طاعنة فى السن، وهى تنتحب بعد فترة إن لم يفعل ويعتصرها الألم حتى ترجع العادات الأولية، وهكذا تظل تبكى كما كان يفعل هذا الطفل الصغير بالماضى، وحين يصطحبها بالطرقات تتعثر وتسقط وإن نهضت بمفردها كأنها طفل صغير قطعًا لا يعبأ بشأنها ويتجاوزها مبتعدًا، وفى تلك الأثناء بمجرد أن يذهب مبتعدًا عن أمه كأنها وجه لا يعرفه، فالطفل على العكس لا يبكى بل ينهض بمفرده ويلاحقه".

انتهت المأدبة، وبعدما نزلوا إلى البهو بالطابق السفلى قالت "إيتانى" للزوجين "تينوسوكيه" متسائلة:

- "إن لم يكن ذلك تدخلاً منى، ولكن هل تسمحان بـ15 أو 20 دقيقة ليتحدث مع كريمة عائلتكم هما الاثنان فقط؟" وأبلغتهما برغبة "سيجوشى".

لم يكن لدى "يوكيقو" أى اعتراض، ولبعض الوقت انتقل الاثنان لمقاعد أخرى وتبادل المتبقى من الحضور أطراف الحديث مرة أخرى.

- "عمَّ تحدث السيد سيجوشى منذ قليل؟" سألتها "ساتشيقو" وهم عائدين بالسيارة.
- "قال لى العديد من الأشياء". وبينما تتفوه "يوكيقو" بكلماتها قاطعتها "ساتشيقو":

- "تحديدًا ماذا قال، ما مجمل حديثه؟"
- "حسنًا. أهو اختبار عقلي!"
- ".....".

بدأت تقل حدة الأمطار بالخارج، وبدت كأمطار الربيع تتساقط قطراتها برفق وفي هدوء، وبدا أن رأسها يدور الآن مما تجرعته من نبيذ أبيض منذ قليل.

شعرت حينها بتوهج وجنتيها، وزاغت مقلتاها وهي تحاول أن تصمد وتشاهد مسلوبة اللب تداخل أضواء مصابيح السيارات بعدد لا حصر له، وانعكاسها على الطريق الممهد المبتل من نافذة سيارة مسرعة على طريق "هانشين قوكودو".

الفصل الثانى عشر

فى مساء يوم صافٍ وبمجىء "تينوسوكيه" إلى المنزل نظر إلى زوجته وقال:

- "لقد جاءت السيدة إيتانى إلى مكتبى اليوم".
- "ماذا؟ ألم تقل لها ألا تأتيك فى المكتب ثانيةً!"
- "إنها تقول: لم تدعونى لمنزلكم، واليوم كانت لدى بعض الأمور وجئت إلى أوساكا، لذلك جئت هنا بعدما انتهيت ولم آتِ إلى السيدة زوجتك لنجرى حديثًا سريعًا، وأستميحك عذرًا لمجيئى فجأة إلى هنا".
- "حسنًا، وما ذاك الحديث؟"
- "فى الحقيقة حديث لا بأس به. مممم.. تعالى هناك". قالها "تينوسوكيه" واصطحب "ساتشيقو" لغرفة مكتبه وروى لها:
- "ما قالته لى السيدة إيتانى أنهم بتلك الليلة بعد عودة ثلاثتنا مكثوا هم بعضهم مع بعض لعشرين أو ثلاثين دقيقة. باختصار سيجوشى مهتم للغاية، وبالطبع لا اعتراض لديه على شخصية ومظهر الآنسة كريمتكم، ولكن كان ملحوظًا ما بدا عليها من

ضعف.. ليس هناك أى شىء بحالتها الصحية، أليس كذلك؟ وبذكر هذا فإن أخى فوساشيرو أيضًا كان يذهب إلى مدرسة الفتيات أحيانًا ويطلعونه على دفاتر النتيجة حين كانت هى فتاة بالمدرسة، وحينها عرف أن لديها الكثير من أيام الغياب".

إذًا كان ذلك هو السؤال. ولأن "تينوسوكيه" نفسه لا يدرى بعهدها وهى بمدرسة البنات فإنه لا يستطيع أن يجزم بشىء حتى يتأكد من زوجته أو منها هى ذاتها، وحتى بعدما يعلم الأمر بنفسه فإن "يوكيقو" التى بالغرفة المجاورة ليست مريضة بالمرض الذى يبدو عليها، وإنما هى بالفعل ضعيفة، نحيلة، هزيلة، وبالتأكيد لا يمكنه قول إنها ذات بنية قوية.

إنه من ناحية ندرة الإصابة بنزلات البرد فإنها هى بين الأخوات الأربع فى المرتبة الأولى، ومن ناحية تحمل الأعباء البدنية فهو يضمن بذاته أنها فى المرتبة الأولى أيضًا باستثناء الأخت الكبرى فى بيت العائلة الرئيس، ولكنه ما زال يراوده الشك حيال هيئتها الهزيلة وفى ما إذا كانت مصابة بمرض صدرى، وهذا ما أثار مخاوفه أكثر، لذلك سارع بعودته إلى المنزل ليتناقش مع زوجته ومعها، وسعى أيضًا للفهم من البيت الرئيس، وأراد إجراء فحص طبى من الطبيب ليطمئن، وحاول إسداء النصح بأخذ صورة الأشعة للفحص لو أمكن.

إن مثل هذا القول لا يمكنه الخوض فيه مهما كان بتاتًا، لذلك يكفيه أن يسأل عن تفسير، لكن، على مضض، فمن الأفضل تنسيق مثل هذا الكلام بوضوح، فحتى بالنسبة إليه هو من الأضمن أن يقول:

"أليس من الأفضل أن نستمع لرأى طبيب آخر؟ يا لها من فرصة مناسبة حقًّا لذلك. بكل حال من الأحوال إنها طريقة لنطمئن أنفسنا".

إن جرت الأمور على هذا النحو وبهذه الطريقة سيثق أهل البيت الرئيس أيضًا، وسيرون بالدليل أنه ليس بمكنون صدره أى غضاضة وسيكون شعورهم طيبًا مهما كان، لذلك أعد "تينوسوكيه" حديثه فى سياق أنه حتى لو كان الحديث عن عرض الزواج أمرًا غير مقبول، فالاستعداد أيضًا من الآن لما أصبح موضع شك والإسراع بإجراء هذه الأشعة هو شىء لن يذهب سدى على حد ظنه، وبالتأكيد لن يعترض أى من أهل البيت، لذلك وماذا بها إن أصطحبها فى الغد إلى جامعة "أوساكا"؟

- "حين كانت بمدرسة البنات لمَ كانت تتغيب هكذا؟ هل فى تلك الآونة كانت مريضة؟"

- "بالطبع سيكون الأمر مزعجًا الآن مثلما كان حينها وهى بالمدرسة، لذلك كان أبى عادةً ما يجعلنا نأخذ قسطًا من الراحة ويصطحبنا لنذهب للتنزه، وعليه فقد اصطحبنا لكل مكان، لذلك إن بحثت فى أيام غياب يوكيقو لوجدتنى أنا أكثر منها".

- "إن كان الأمر كذلك، فلا بد أن نخبر يوكيقو بشأن الأشعة".

- "لكن ألا تظن أن شأن جامعة أوساكا ليس بالأمر الجيد؟ ضع فى الاعتبار الأستاذ كوشيدا".

- "حسنًا، ها هى ذى مرة أخرى، هذه البقعة".

رأى "تينوسوكيه" أمورًا مفضَّلة غير متوقعة من الأناس الذين كانوا على يساره، فمنذ البارحة وهناك من يبادر بالقول عمَّا لاحظه من بقعة خافتة بدت على طرف العين اليسرى للفتاة، وهو أيضًا لاحظها.

- "ها قد أصبحت مشكلة. إن إيتانى لم تلحظها، ولكن هل تظن أنه الرجل؟ بالتأكيد لا. أم هل استطاع رؤيتها مثلاً فى أشعة الضوء

آنـذاك؟ تتعـدد الاحتـمالات ولكـن هـل حقًّـا توجـد تلـك البقعـة؟ هـذا مـا سُـئلت عنـه".

- "فى الليلـة الماضيـة رأيتهـا قليـلاً ويـا لهـا مـن صدفـة مؤسـفة، لكـن مـا دام الأمـر آل إلى ذلـك ففـى النهايـة أصبحنـا أمـام مشـكلة".
- "حتى لو كان هذا اهتمامًا مبالغًا فيه، ولكن ما هى تلك؟"

طـرف العـين اليـسرى لـ"يوكيقـو"، بوضـوح أكـثر بالجفـن العلوى، أسـفل الحاجـب، بـين الحـين والآخـر يظهـر ظـل خافـت ويتراجـع، وهـذا مـا حدث مؤخـرًا، لذلـك حـين لاحظـه "تينوسـوكيه" مثـلاً لم يكـن سـوى منـذ بضعـة أشـهر، أو نحـو سـتة أشـهر. فى ذاك الوقـت سـأل زوجتـه بهـدوء منـذ متـى بـدأ هـذا الـشىء فى الظهـور عـلى وجـه "يوكيقـو"؟ لكـن "ساتشـيقو" قـد لاحظـت الأمـر فى هـذه الآونـة أيضًـا ولم تكـن تـدرى بوجـوده مـن ذى قبـل، وحتـى الآن هـو ليـس أمـرًا مسـتمرًّا بـل فى الطبيعـى هـو حقًّـا خافـت لا تـكاد تدركـه حتـى إن نظـرت مدققًـا، وهـو يتـلاشى كليـة ودون سـابق إنـذار، ومدتـه أسـبوع فقـط، ولاحظـت "ساتشـيقو" أنـه فى الغالـب فـترة ظهـوره القـوى تكـون فى الفـترة حـول آلامهـا الشـهرية.

الأهـم مـن أى شىء هـو "يوكيقـو" ذاتهـا كيـف تشـعر حيـال ذلـك، إنـه وجههـا هـى، أى بـلا شـك ستكتشـف تلـك العلامـة قبـل أى أحـد. ظنـت "ساتشـيقو" أنـه مـن الأفضـل ألا تـدرى مـا هـذا كى لا تتأثـر نفسـيتها، فهـذا مـا تخشـاه، وإن كان عـلى وجـه العمـوم "يوكيقـو" ليسـت بائسـة أو حتـى غيـورًا لتأخـر زواجهـا إلى الآن، إضافـة إلى هـذا هـى دائمًـا مـا تبـدو لديهـا ثقتهـا الداخليـة حيـال مظهرهـا، لكنهـا إن بلغهـا مـا يـدور حـول مثـل ذلـك العيـب غـير المتوقـع فـماذا سـيكون شـعورها؟

وبينـما تخفـى "ساتشـيقو" مخاوفهـا تلـك، تمـر الأيـام وهـى تتفحـص وجـه "يوكيقـو"، فهـى لا يمكنهـا أن تسـأل عـن رأيهـا فى ذاك الشـخص بـلا مبـالاة، ولكـن "يوكيقـو" لم يطـرأ عـلى تصرفاتهـا أى تغيـير.

أهى حقًّا لا تعير انتباهًا لذاك الأمر؟ لقد بدا كأنه ليس بمشكلة.

ثم فى وقت ما نادت "تائيقو" أختها الوسطى قائلة:

- "أختى أقرأتِ هذا؟"

وأشارت إلى أمر جاء بمجلة نسائية لديهم منذ نحو شهرين أو ثلاثة أشهر، وبمجرد أن رأت "ساتشيقو" تنبهت إلى أنه بعمود الاستشارات الطبية بالمجلة القديمة هناك فتاة فى التاسعة والعشرين من العمر وغير متزوجة وتعانى من الأعراض نفسها التى لدى "يوكيقو"، وهى أيضًا لاحظت ذلك مؤخرًا، وأيضًا خلال شهر أصبحت هذه البقعة تظهر خافتة حينًا وتختفى فى حين آخر، وأوقاتًا تصبح داكنة، ووجدت بالإجابة أنه لا داعى لأى قلق فهى عادةً ما تكون أعراضًا فسيولوجية لدى الفتيات غير المتزوجات وتخطّين سن الزواج مثلما بحالة "يوكيقو".

غالب الحالات يطيب مباشرةً فور الزواج، ولكن حتى إن لم يحدث ذلك فكثيرًا ما يتم العلاج بالمداومة قليلاً على حقن هرمونات أنثوية.

شعرت "ساتشيقو" بالارتياح لتلقيها مثل تلك المعلومات، وفى الحقيقة "ساتشيقو" ذاتها أيضًا لديها تجربة مماثلة لذلك فى ما مضى.

فى حالتها، وقبل بضع سنوات من الآن، كان حول شفتيها يبدو كأنه متلطخ من حيث حواف فمها بصلصة الفاصوليا الحمراء كالأطفال بالضبط، وأحيانًا ما كانت تظهر بقعة بلون أسود مزرق كالكدمة، وحين تفحصها الطبيب وجد أنها فى ذاك الوقت كان لديها تسمم أسبرين، وإن تركتها كما هى لحالها فستختفى على مَرِّ سنة، وبالفعل مضى الأمر على ما يرام دون أن يتكرر.

بأخذ ذلك فى الاعتبار فإنه يبدو إلى حد ما أن هؤلاء الأخوات لديهن استعداد فطرى لظهور مثل تلك البقع، فـ"ساتشيقو" لديها فى

الماضى تلك التجربة، وعلاوة على ذلك كانت تلك البقعة على أطراف فمها داكنة أكثر من التى لدى "يوكيقو" على جفن عينها، وهذا مثال حى لكون مثل تلك البقع تطيب بوقت قريب، لذلك فمن الأساس ليس هناك ما يقلق حيالها، وبقراءة ذلك المقال بالمجلة لا بد أن تكون اطمأنت تمامًا.

لكن "تائيقو" جذبت هذه المجلة القديمة وذهبت بها بهدف أن تجعل أختها "كى أن" تقرأ المقال بطريقة أو بأخرى.

لكن لم يتغير شىء البتة بحالة "كى أن" بقراءتها ذلك، وبدا أنه بداخلها ضيق لا ينتهى لكونها وحيدة، وما يريدون إخبارها به أنه لا داعى للقلق حيال أى شىء كما هو مكتوب هنا، وأنها ستطيب إن تزوجت، وحتى إن لم تكن فهناك طرائق جديدة للعلاج قبله قدر المستطاع، وذلك بالاستمرار على علاج. لكنه مهما قيل لها من ذاك القبيل فلن يجدى نفعًا فى أمر "كى أن"، بل إنها ستقتنع فى الوقت المناسب.

إن "ساتشيقو" حتى الآن لم تتناقش مع أحد بشأن البقعة التى لدى "يوكيقو"، وعليه فإن حديثها مع "تائيقو" كان هو للمرة الأولى. إنها تدرى أن "تائيقو" هى الأخرى مثلها تتألم بداخلها دون أن يدرى بها أحد حيال ذاك الأمر، ولكن موقف "تائيقو" مختلف فهناك حسابات أخرى تدعمها بخلاف مشاعر الحب الناجمة عن رابط الدم بينهما، فهى سيطول أمد زواجها بـ"أوكوباتا" إن لم تتزوج "يوكيقو" سريعًا، وهذا ما ظنته "ساتشيقو".

وإن كان الأمر كذلك فإنه واجب على واحدة منهما أن تجعل "يوكيقو" ترى المجلة، وانتهى نقاشهما على أن "تائيقو" هى الأفضل و"ساتشيقو" على العكس صارت مبالغًا فى شأنها للغاية. ولأن مخاوفها أثارت ريبتها حتى من أن تدع زوجها "تينوسوكيه" يشاركها النقاش

عـلى نحـو طبيعـى، فلذلـك حسـمت "تائيقـو" الأمـر برفـق وعـلى نحـو غـير مكـترث.

ظهـرت البقعـة الداكنـة عـلى وجـه "يوكيقـو" مـرة أخـرى فيـما بعـد، وكانـت تتوجـه إلى المـرآة بغرفـة الملابـس والزينـة وحدهـا وتصـادف وجـود "تائيقـو"، فقالـت لهـا بهـدوء:

- "عزيزتى كى أن، لا تقلقى بتاتًا بشأن تلك التى بطرف عينك".

فأشاحت "يوكيقو" بوجهها ولم تقل سوى:

- "مممممممم".

ولكـن "تائيقـو" غابـت عـن ناظرهـا وتوجهـت إلى الأسـفل وعـادت إليهـا قائلـة:

"ذاك الأمـر هـا هـو قـد جـاء بمجلـة السـيدات، ألا تقرئينهـا يـا عزيـزتى كى أن؟ إن لم تريهـا بعـد دعينـى أريهـا لـكِ".

- "لا أدرى. ربما قرأتها".

- "ممـم. هـل قرأتهـا؟ إنهـا سـتطيب إن تزوجـتِ، وممكـن أيضًـا بالعـلاج".

- "مممممم".

- "أتدرين بذلك عزيزتى كى أن؟"

بالنسـبة إلى "تائيقـو" فـإن "يوكيقـو" لا تريـد أن تتطـرق إلى تلـك المسـألة، لذلـك أخـذت المجلـة بـلا مبـالاة وألقـت بهـا جانبًـا، ولكـن أيضًـا ترديدهـا لـ"ممـم" لعـدة مـرات هـو أمـر إيجـابى. المربـك فى كونهـا قـد قـرأت تلـك المجلـة هـو أنهـا فى القريـب العاجـل سـتصير متزوجـة.

ألقـت "تائيقـو" نظـرة باسـتحياء عـلى "يوكيقـو" بعدمـا شـعرت بالارتيـاح التـام لذلـك، وأسـدت إليهـا نصيحـة قائلـة:

- "وإن كنتِ قد قرأتها فلمَ إذًا سيجب أخذ الحقن؟!"

لكن "يوكيقو" بدا عليها أن ذلك الشعور لن يستمر، فقد تعاملت بازدراء مع تلك النصيحة. الأمر الوحيد فى ذلك هو أنه وفقًا لطبيعتها، فلا بد أن يأخذ بيدها أحد ويجذبها بقوة. إنها تكره الذهاب إلى طبيب أمراض جلدية غير مألوف ليتفحصها، فى حين أن كل ما فى الأمر هو أن هؤلاء الذين هم على الحافة يخشون حتى الظل، وبذلك فهى ستعانى وستتعامل مع تلك البقعة بحساسية مفرطة.

تصادف فى يوم ما بعدما نصحتها "تائيقو" بتلك النصيحة أن لاحظت الصغيرة "اتسوقو" للمرة الأولى شيئًا غريبًا بوجه "يوكيقو"، وحدقت إليها متسائلة بصوت عالٍ:

- "أختى الكبيرة. ما هذا الذى حول عينك؟"

ولسوء الحظ أن بذلك الموقف كانت "ساتشيقو" والخادمات موجودات بالخارج وساد بينهن الصمت فجأة. فى ذاك الوقت أيضًا كان شعور "يوكيقو" غير متوقع، فلم يتغير لون وجهها البتة، واستمرت فقط فى مضغ شىء ما بداخل فمها مراوغة بالإجابة.

إن أكثر ما يزعج "ساتشيقو" وابنتها هو حينما تظهر تلك البقعة بوضوح على هذا النحو وهى ترافقهما بالمدينة وبالتسوق فى المحلات التجارية. أما بالنسبة إلى أخواتها، فـ"يوكيقو" الآن فى فترة ما قبل الزواج أى هى سلعة مهمة للبيع، فإن لم يكن هناك مقابلة زواج فإنها أيضًا عليها أن تتأنق بملبسها فى الخروج فلربما رآها أى أحد بمكان ما.

منذ قرابة الأسبوع أو أكثر وهم يمكثون بالبيت قدر المستطاع، وإن كان لا بد لهم من الخروج، فبأدوات التجميل تعمل على إخفاء تلك البقعة، لكنه على الرغم من أن هذا حل بارع فإنها لا تبالى بالمرة بتلك المسألة، فما تظنه "ساتشيقو" و"تائيقو" هو أن وجه "يوكيقو" يليق به التزين الصارخ بأدوات التجميل، ولكن فى الفترة التى يظهر

فيها هذا الظل وتزيد من اللون الأبيض، فإنه على العكس، فحين تنظر إليها من خلال الأشعة المائلة سترى بوضوح رواسب لجزء بلون رصاصي تحت القوام شديد البياض، لذلك فمن الأحرى بها بتلك الفترة أن تخفف من اللون الأبيض، ويستحسن أن تزيد من مورِّد الوجنتين، وهنا نجد "يوكيقو" عادةً ما تكره وضع مورد الوجنتين وتستمر في وضع الزينة بألوان صارخة وتخرج. (هذا المكياج هو سبب أن راودتهم الشكوك في ما إن كان لديها مرض رئوي أو شيء من ذاك القبيل، وعارضتها "تائيقو" لتضع مورِّد الوجنتين حتى إن لم تضع الأبيض). في ذلك الوقت، ومن سوء حظها، دائمًا ما يتصادف لقاؤهن أشخاصًا يعرفونهن.

في مرة كانت "تائيقو" معها وتستقلان معًا القطار، وفي ذلك اليوم على وجه الخصوص كانت تلك البقعة واضحة بشدة، أخرجت "تائيقو" بهدوء علبة أحمرها وأعطتها إياها قائلة:

- "خذي ضعي من هذه"، وحثتها على أن تضع على أطراف وجهها، ومع ذلك بدت كأنها لا تشعر بها من الأساس.

الفصل الثالث عشر

- "إن كان كذلك، فماذا بك إذًا؟ ما المشكلة؟"
- "كما هى الحال، لقد قلتها صراحةً، إنها لا تظهر عادةً بمثل ذلك الشكل، وما لا يدعو للقلق حيال أى شىء هو مثل هذا القول الذى ورد بالمجلة وبمجلات أخرى أيضًا قرأتها، لذلك فما أفكر فيه هو كيف سأحصل على الأشعة السينية وأذهب بها إلى جامعة أوساكا، وأطلب ممن بطب الأمراض الجلدية أن يتفحصوها كى أتأكد مما إن كان العلاج حقًّا كما هو مكتوب بالمجلة. المشكلة ستصير فى كونى أنا الذى أريد أن أتأكد وهى تظن أن الأمر فقط ليس بهذا القدر".

شعر "تينوسوكيه" بأنه سيكون خطأه إن تركها وحدها وهو يدرى الآن بشأنها، فى حين أنه من الطبيعى ألا يلحظ ذلك أخوها ببيت العائلة الرئيس، لأن "يوكيقو" تأتيهم وتمكث غالب الشهر عندهم ببيت العائلة الفرعى، ومهما قيل فإن الأمر بدأ مؤخرًا ولم يمثل مشكلة ولو لمرة واحدة فى أى من مقابلات الزواج حتى الآن، وعلاوة على ذلك، فإن "ساتشيقو" حينها فكرت فى المسألة بمنتهى البساطة

لـترى حقيقـة علاجهـا دون أى قلـق، فبالنسـبة إلى "ساتشـيقو" الفـترة التـى تظهـر فيهـا تلـك البقعـة بوجـه "يوكيقـو" يمكـن التنبـؤ بهـا بحسـاب الأيـام، وبنـاءً عليـه يمكنهـم ألا يحـددوا موعـد المقابلـة فى تلـك الفـترة، ولكـن لا تـزال "إيتـانى" تضغـط عليهـم بخصـوص شـأن واحـد، وإن بـدا منهـم أى عـدم مبـالاة فيـما بعـد وتحـدد اللقـاء فى يـوم مـا زالـت هـذه البقعـة ظاهـرة فيـه وملحوظـة لأعـين الآخريـن ولم تختـفِ بعـد، فحينهـا سـتربط الأمـور بعضهـا ببعـض.

فى الصبـاح حاولـت "ساتشـيقو" بعدمـا خـرج زوجهـا ليذهـب إلى عملـه أن تسـأل "يوكيقـو" بهـدوء عـن انطباعهـا بخصـوص الأمـس. عـلى العمـوم هـى قـد سـمعت نوايـا أخواتهـا وأخويهـا بالقانـون بـأن يدعـوا الأمـر لهـا، لذلـك كانـت تقلـق وتجعـل الأمـور تـزداد تعقيـدًا وتبـدأ فى التحـدث بحـدة كلـما دار حديـث فى سـياق أنـه شـخص جيـد بعـد طـول انتظـار، وفى أثنـاء ذلـك بعدمـا نامـت الصغيـرة ليـلاً وجـدت "تينوسـوكيه" هـو الآخـر مـترددًا، ومـا إن أخـرج مـا فى جعبتـه بشـأن الأشـعة السـينية وبشـأن طبيـب جلديـة حتـى جـاءت موافقتهـا سريعًـا عـلى غـير المتوقـع، وقالـت إنهـا تفضـل أن تصطحبهـا أختهـا الأكـبر "ساتشـيقو" وتذهبـا معًـا للفحـص. يومًـا تلـو الآخـر بعـد ذاك الحديـث خفـت الظـل الـذى بنهايـة جفنهـا حتـى تـلاشى، لذلـك رجحـت "ساتشـيقو" الانتظـار حتـى يظهـر مـرة أخـرى أكـثر وضوحًـا ليذهبـا للكشـف الطبـى، لكـن كان مخطـط "إيتـانى" كـما تصـوروه فعجَّـل "تينوسـوكيه" باللقـاء القـادم ليكـون فى أقـرب وقـت ممكـن، لذلـك فى اليـوم التـالى ذهـب إلى البيـت الرئيـس للعائلـة ببلـدة "أويـه هـون" ليطلـب منهـم التحـرى وجمـع المعلومـات الخاصـة بمقابلـة الـزواج، وذلـك جنبًـا إلى جنـب مـع قيامـه باصطحـاب "يوكيقـو" لجامعـة "أوسـاكا" بمجـرد إجابتهـا عـلى أختهـا، وبعدهـا فى اليـوم التـالى سـيخرج وهـو يقـول عـن عمـد أمـام الخادمـات إنهـم ذاهبـون إلى مجمـع متاجـر "ميقـوشى" مـع "يوكيقـو".

كانت نتيجة الفحص الطبى الباطنى والجلدى أيضًا كالمتوقع، فصورة الأشعة السينية فى ذاك اليوم بعد انتظارهم لاستخراج الصورة العكسية/ السلبية (نيجاتيف الصورة) لأشعة الصدر لم يتضح بها أى ظل ولا نقطة واحدة، لكن بعد مرور أيام عدة وصل التقرير الذى كان به أن معدل الترسيب بالدم نسبته 13، وغيره من النتائج الرجعية السلبية بالفحص الجلدى، فبقسم الأمراض الجلدية نادوا "ساتشيقو" بعيدًا وقالوا لها فجأة إن هذه الفتاة لا بد من الإسراع بتزويجها، وحين قالت إنها سمعت عن العلاج بالحقن كان الرد أنه بالفعل هناك علاج بالحقن، وإنما على الأرجح لن يجدى نفعًا فى هذه المرحلة، فالأفضل من ذلك تزويجها سريعًا فهذه هى أفضل طريقة للعلاج، وانتهى الحديث على هذا النحو، ما يعنى أنه فى النهاية ما قرؤوه بالمجلة شىء محتمل.

- "إذًا، إلى أين ستأخذيننا يا سيدة إيتانى؟"

قال ذلك "تينوسوكيه". لقد كان من الأفضل أن تصطحبهما، لكنه منذ وقت قليل مضى قال لها: "لقد تحدثت سريعًا إلى زوجك، وكان هدفى بالحديث هو أنتِ لأنى أريد أن أسلمك هذا، ولا أريد أن أتسبب له بأى ضيق بسبب استبعاده من هذا الحديث. فى الحقيقة، فى تلك الأحوال أريد أن أتعجل فى الحديث والنتيجة أنى أتعثر بالكلام". فلاحقته "ساتشيقو" بالحديث قائلة:

"نانى، الأمر ليس كذلك، لقد هاتَفكِ تينوسوكيه سريعًا من مقر عمله اليومى، وأرسل إليكِ صورًا وتقارير بالبريد السريع، وما زال لديه هنا أيضًا بعض المهام المكتبية".

هكذا نحو الساعة الرابعة مساءً من ذاك اليوم المشرق، أى منذ ساعة من الآن، كانت هناك مكالمة هاتفية للاستفسار، وظهرت "إيتانى" هى الأخرى بالمكتب فى تمام الساعة الخامسة وقالت:

"لكم جزيل الشكر بشأن الأمس، ولقد أوصلته إلى السيد سيجوشى على الفور. ممتنة لكم للغاية لذهابكم خصوصًا لجلب التقرير المفصل إضافة إلى صور الأشعة وما إلى ذلك، وبالطبع الأمر مطمئن تمامًا وأعتذر إليكم مرارًا وتكرارًا لطلبى شيئًا وقحًا وأنانيًا إلى هذا الحد ولكن.. فى الواقع أتردد كثيرًا فى ما سأطلبه، إن السيد سيجوشى يرجو أن يتبادل الحديث مع ابنة عائلتكم، هما الاثنان فقط لساعة مثلاً دون عجلة كما سبق فى تلك المرة. ألا تتفقون معى فى ذلك؟"، ثم استطردت "إيتانى" مضيفة:

"إن السيد سيجوشى شخص بالغ ولكنه لم يسبق له الزواج قط، لذلك فهو يعد مبتدئًا، لقد كان متوترًا فى تلك المرة حتى إنه لا يتذكر فيمَ تحدثا، علاوة على أن ابنتكم خجول للغاية".

حقًّا الخجل صفة حسنة، ولكن حينها كان لقاؤهما الأول لدقائق فقط والتعامل بمنتهى التكلف، لذلك بلقائهما مرة أخرى سيحاول كل منهما أن يتخلى عن تحفظه.

هذا ما كانت تقصده.

وبعد ما قالت هذا استطردت:

"إن وافقتم فهل من الممكن أن يكون اللقاء بمجيئكم إلى منزلى فى هانزكيو أوكاموتو؟ إنه بيت متواضع ولكن ذلك لأن اللقاء بفندق أو مطعم ما أسهل أن تلحظه الأعين".

من ناحية أخرى كان يوم الأحد المقبل وفق ما يرغبون تمامًا، لكن كان هذا حديثهم:

- "حسنًا وكيف ذلك؟ وهل أعطتك يوكيقو موافقتها؟"
- "ليس يوكيقو بل بيت العائلة لا أدرى ما رأيهم. إنهم لم يقرروا بعد بوضوح، وعلى الرغم من أنه من الأفضل كونهم أناسًا لا يتدخلون كثيرًا، لكن هل سأستطيع قول ذلك؟"
- "ومن جهة أخرى فما حال تلك البقعة بوجهها؟ لا أدرى إن كنتم تريدون رؤيتها مرة أخرى!"
- "فى الحقيقة كلامك صحيح".
- "إذًا، ليس من الأفضل أن نقول، فالآن غير مناسب، وأيضًا نحن لا ندرى فأى قول فى مثل هذه الأجواء قد يأتى بما لا نرجوه".
- "حسنًا، ولكن إن اعتذرت فماذا سيظن؟ سيبدو أنكم لا ترغبون".

بعدما دار هذا النقاش بين الزوجين، وفى اليوم التالى، وجدت "ساتشيقو" أنه أيضًا هاتف المنزل سيسبب المتاعب، فذهبت إلى هاتف عام بالجوار لتطلب أختها الكبيرة ببيت العائلة، وكما ظنت بالضبط، فحين قالت لها ولمَ إلى ذاك الحد لا يتقابلان ولو لمرة واحدة، وغيره من ذاك القبيل، وكلفها ذلك خمس مكالمات هاتفية، فقالت لها أختها: "وأنا أيضًا لا أدرى لمَ كذلك، ولا أدرى أيضًا كيف سيحدث ذلك، وهل مسموح لكليهما فقط أن يتقابلا. بالنسبة إلىَّ لا أدرى، لذلك فى المساء سأتناقش مع أخيها الكبير وسأوافيكِ بالرد غدًا".

لذلك فى الصباح التالى أسرعت "ساتشيقو" مرة أخرى للهاتف العام دون انتظار لمجىء مكالمة منها، وتأكدت من موافقة أخيهن الكبير بالقانون، ولكنه وضع عدة شروط بخصوص المكان والتوقيت ومن سيتولى الأمر ويصطحبها، بعد ذلك توجهت لترى "يوكيقو" ووضحت لها سريعًا، وعلى الفور وافقت.

فى ذلك اليوم جاءت "ساتشيقو" بباقة زهور وأخذتها إلى بيت "إيتانى" لتقدمها لها.

رحبت بهم "إيتانى" فى البداية وقدمت لهم الشاى وتبادلوا الأربعة الحديث لقليل من الوقت، ثم دلّتهم "إيتانى" على الطابق العلوى وانتظرت و"ساتشيقو" بالطابق السفلى واستمر حديثهما، لكن الموعد الذى كان من المفترض أن يكون ساعة امتد بعدها لقرابة 30 أو 40 دقيقة أخرى، ثم نزل الاثنان.

بالإياب تخلف عنهم "سيجوشى" بخطوة وخرجت الأختان أولاً لتلحقا بوقتهما، فإنه يوم الأحد والصغيرة "اتسوقو" تمكث بالبيت، لكنهما توجهتا إلى "كوبيه" وذهبتا إلى فندق "أورينتال" واحتستا الشاى مرة أخرى، وحين سألتها "ساتشيقو" عن أحوال المقابلة:

- "اليوم حقًّا تحدثنا". وهكذا فإن "يوكيقو" فى ذلك اليوم استمرت فى الثرثرة فى عديد من الأشياء دون خوف. لقد سألها دافعًا إياها لتجيبه تمامًا عن سبب كونها هى وأختها "تائيقو" تفضلان العيش بالبيت الفرعى أكثر من المنزل الرئيس، وعن حادث "تائيقو" الذى ورد بالصحف، وماذا حدث بعدها، وأشياء من ذاك القبيل، فأجابته دون أى اعتراض ولكنها لم تفصح بالقول لأختها عن الأشياء التى سيسىء فهمها أخوها الكبير بالبيت الرئيس.

لقد قال لها "سيجوشى": "لا تجعلينى أنا فقط الذى أستمر فى طرح الأسئلة وتفضلى بسؤالى أنتِ أيضًا"، لكن "يوكيقو" استمرت على حيائها، لذلك استرسل هو فى الحديث عن ذاته. قال إنه يبحث عن شخصية ذات إحساس أصيل وليست شخصية ذات إحساس مواكب للعصر، لذلك تأخر فى الزواج إلى الآن، وقال لها إن مجىء شخصية مثلك هو شىء أكثر بكثير مما أستحق، وكرر لمرتين أو ثلاث كلمة

"الفارق الاجتماعى بيننا". بعد ذلك قال إنه بالنسبة إلى علاقاته النسائية فإنه لم تكن لديه أى علاقة فى الماضى، وإنما هناك واحدة فقط يريد أن يخبرها بها لأنها تركت أثرًا غير متوقع.

فى مرة تبادل الحديث مع امرأة بفرنسا كانت تعمل بائعة بمتجر متعدد الأقسام وقتما كان بباريس. لم يدُر بينهما حديث مفصل، ولكن فى النهاية انخدع بتلك المرأة، لذلك عانى من حنينه للوطن وللأسرة، وأيضًا كردة فعل لذلك أصبح يتوق لكل ما هو يابانى خالص، ويدرى بهذا الحديث فقط صديق قديم لـ"سيجوشى" هو السيد "فوساجيرو".

قال لها إنه لم يتحدث لأحد بخلافه سوى اليوم للمرة الأولى، لكن علاقته بتلك المرأة انتهت بالصداقة، لذلك طلب منها ثقتها حيال تلك المسألة.

فى الغالب تلك هى الأشياء التى كانت "ساتشيقو" ترغب فى سماعها، لكن "يوكيقو" فى غنى عن قول إنها تفهمت شعوره وبوحه بمكنون صدره بصراحة إلى ذاك الحد.

أما عن "إيتانى"، فهى على الفور بدأت المطاردة من اليوم التالى وهاتفت "تينوسوكيه" واستمرت فى إلحاحها قائلة: "لقد أعطيتموه فرصة مثالية بالأمس، ولن يكون لدى سيجوشى ما سيقوله بعد، ولقد تفحصت وجهها بالأمس باحثة عن البقعة وكانت على ما يرام وليست بالشىء الذى قد يصل إلى درجة المشكلة أبدًا، وعليه، فأنا أتساءل إن كان اجتاز امتحان زوج ابنة عائلتكم، إنى أنتظر مجىء الإجابة". وكانت فى الوقت نفسه ترص مزيدًا من الكلمات وتتساءل: ألم ينتهِ بعد بحث عائلتكم بالبيت الرئيس؟

إن نظرنا إلى "إيتانى" سنجدها من بداية هذا الحديث منذ أكثر من شهر، وأيضًا حين زارتهم فى يوم ما ببيت "أشيبا"، وبعدها بأيام

عدة أيضًا حين التقتهم بفندق "أورينتال"، وهى تسمع منهم التحية وتلحقها عبارة "هل ممكن أن تنتظروا لأسبوع لاحق؟"

لذلك لا بد لهم من أن يتخلصوا أكثر وأكثر من خدر لا داعى له. إن "ساتشيقو" ذهبت فى الحقيقة إلى بيت العائلة لتناقش الأمر للمرة الأولى بالكاد منذ عشرة أيام أو أسبوعين، وحتى دون ذلك، فبالنسبة إليهم لا داعى للرد السريع من بيت العائلة فى مثل هذه التحريات التى تستدعى اهتمامًا.

بالمختصر كانت "ساتشيقو" تحت ضغط بسبب الهجوم المستمر من "إيتانى"، فقد قالت لها: "هل بعد أسبوع أيضًا!" وقالت أيضًا: "تينوسوكيه لا خيار لديه فيوافقك الرأى وهذا خطأ، وبصراحة، بيت العائلة طلب سجل عائلة سيجوشى من دار البلدية بمسقط رأسه، لكن توالت الأحداث وقلتم وصل أخيرًا منذ يومين أو ثلاثة، وإنما تقرير إدارة المباحث والتحريات الذى سيتولى البحث ببلدته مسقط رأسه سيستغرق وقتًا أيضًا هو الآخر، وفى النهاية ستقررون، وها هو الأمر مرة أخرى من أجل تلك الأفكار سترسلون شخصًا مناسبًا إلى البلدة مسقط رأسه!".

كان الزوجان "تينوسوكيه" فى ورطة، خصوصًا بعد مضى كل ذلك الوقت، ولم يكن أمامهما سوى المماطلة بقول بعد أربعة أو خمسة أيام، لكن "إيتانى" فى تلك الأثناء بدأت ممارساتها بالضغط بذهابها إلى منزل "أشيبا" مرة وإلى المكتب بـ"أوساكا" مرة أخرى، وللأسف لن يتم الموضوع سريعًا، ومن السهل ظهور العراقيل، وسيكون من حسن الحظ إن استطاعوا إتمام أى مراسم هذا العام، وبلغ بها القول إلى هذا الحد ثم عادت أدراجها. لكنها لم تكتفِ بذلك، بل لم تستطِع الانتظار مطلقًا واتصلت بالأخت الكبرى ببيت العائلة الرئيس التى حتى لم تلتقِها من قبل، وهاتفتها مباشرةً مواصلة إلحاحها. اندهشت الأخت

الكبرى وبعدها اتصلت بـ"ساتشيقو" لتخبرها، لكنها كان لديها طول بال أكثر من "ساتشيقو" وكان الأمر غريبًا عليها، وبدا عليها الارتباك وهي تحاول الرد على أسئلة لأكثر من خمس دقائق، ولكن حتى إن توجهت "إيتانى" إلى الأخت الكبرى واستخدمت عبارات المجاملة مثل "إنه من السهل إدخال العراقيل بالكلام السلس" وغيرها، إلا أنها بدت بالنسبة إليهم سريعة الكلام دائمًا وتسعى لإقناعهم على نحو كبير.

الفصل الرابع عشر

فى خضم تلك الأحداث انتهى الشهر، وفى يومٍ ما بعد بدء شهر ديسمبر، جاءت مكالمة هاتفية من سيدة البيت الرئيس، فخرجت "ساتشيقو" لتتلقى المكالمة التى كانت بخصوص عرض الزواج الذى تلقوه مؤخرًا، فلقد طال أمر البحث المفصل ولكن أخيرًا صاروا على علم بغالب الأشياء وستأتيهم اليوم. بعدما انتهت المكالمة استرجعت "ساتشيقو" كلماتها وظنت أن أختها لا بد أنها تريد أن تسعدهم ولديها حديث جيد بلا شك، ولم تعارض بمخيلتها هذا التوقع إلى أقصى حد، فمنذ اللحظة الأولى لسماعها صوت أختها الكبرى وهى تشعر أنه أخيرًا لن يكون هناك تأجيل لمرة أخرى. وأنهت المكالمة وعادت إلى حجرة الاستقبال وتنفست الصعداء، وألقت بنفسها على مقعد وثير.

حتى هنا، فكل ذلك تكرر حدوثه لعدة مرات فى ما سبق، وأصبح المألوف تقريبًا أن يأتى الرفض فى اللحظة الأخيرة، لذلك فى كل مرة كانت "ساتشيقو" لا تستهلك قواها إلى أقصى حد، وإنما بهذه المرة ستصيبهم خيبة الأمل فى صميم قلوبهم جميعًا بالمثل، حتى لو ظنوا

أنه ليس قدرًا بائسًا خصوصًا لها. إنهم بالبيت الرئيس حتى الآن لهم الرأى نفسه، وعلى الجهة نفسها يوافقون كلهم على الإلغاء، وعلى الرغم من ذلك ففى هذه المرة كان لديهم شعور بأن الأمور تسير على ما يرام، و"إيتانى" كانت بمثابة المنفِّذ المسئول، واختلفت طريقتهم لإقحام ذاتهم فى الأمر على نحو غريب، فمثلاً "تينوسوكيه" ذى قبل كان ينأى بنفسه جانبًا حتى إنهم يجرونه جرًّا ليشغل دوره، وعلى الرغم من ذلك فهو هذه المرة بذل كثيرًا من الجهد للوساطة، وفوق كل ذلك "يوكيقو" أيضًا فى هذه المرة بها اختلاف.

إنها وافقت على الذهاب إلى هذا اللقاء المتسرع، وقبلت مرة أخرى بلقائهما هما الاثنين فقط للحديث، إضافة إلى واقعة الفحص الطبى بأمراض الجلدية وتصوير الأشعة وغيره، وكانت تصغى باهتمام ودون وجه يبدو عليه الضجر.

كل هذا سلوك غير متوقعة رؤيته من "يوكيقو". لكن أليس ذلك التغيير فى رأيها هو نتيجة لأعراض تخفيها بقلبها سرًّا ألا وهى رغبتها فى التعجل فى الزواج أيضًا، والاستمرار باعتبارها كأنها لا تشعر بشىء فى داخلها أو حيال ذلك الظل الذى ظهر على جفن عينها هل هو لم يؤثر فيها فعلاً؟!

لهذا أو لذاك ولعديد من الأسباب الأخرى إنها تريد هذه المرة أن تتم الزيجة حقًّا، وهذا ما آل إليه تفكيرها، لذلك حين التقت أختهم الكبيرة وحتى نهاية حديثها وهى لم تتخلَّ عن رغبتها ولم تقطع الأمل تمامًا، وفكرت فى أنه مهما كان الوضع فلا بد أن هناك حلاً، ومع سماعها لكامل الحديث لم يمكنها التوقف عن التفكير، ولكن ما باليد حيلة بالطبع. استغلت الأخت الكبيرة التى تختلف عن "ساتشيقو" بمشاعر أمومتها الجياشة ساعة أو ساعتين فى المساء حتى موعد مجىء أطفالها من مدارسهم الابتدائية والإعدادية، وجاءت أيضًا لعلمها بأن

"يوكيقو" فى ذلك اليوم تخرج منذ الساعة الثانية لتذهب إلى تدريب طقوس تقديم الشاى، لذلك بمجرد أن رأت الصغيرة "اتسوقو" قد عادت أشارت للوقت وقالت لـ"ساتشيقو": "سأترك لكِ مهمة سبب الرفض، لذا فلتتناقشى مع تينوسوكيه". وكان حديثهما قد استمر قرابة الساعة والنصف وهما بغرفة الاستقبال.

طبقًا لما ورد بحديث الأخت الكبيرة، فإن والدة السيد "سيجوشى" بعدما فقدت زوجها منذ عشر سنوات مكثت فى منزلها مقر إقامتهم القديم ولازمته وتوارت عن الأنظار بسبب مرضها، وكان ابنها "سيجوشى" لا يعود إلى البلدة إلا نادرًا، وإنما كانت بالجوار دائمًا لمعاونتها حقًّا ابنتها التى أصبحت أرملة وكانت هى من تتولى المسئولية. الأعراض الظاهرية للمرض هى الشلل، وإنما حين رآها الباعة الذين يترددون ذهابًا وإيابًا هناك وجدوا أن الأمر لا يبدو كذلك، ففى الواقع هو نوع من أنواع الأمراض العقلية، فهى لو رأت وجه ابنها لا تعرفه، وغيره من هذه التصرفات. هذا الشىء أيضًا وردت عنه تلميحات غامضة بتقرير وكالة التحريات، ولكن كى لا يلتبس علينا الأمر أرسلنا شخصًا خصوصًا للتأكد من أنه ليس هناك خطأ ما بهذا الشأن.

كم من المؤسف أن ينكسر خاطرنا فى كل مرة، ويأتينا أناس طيبون بكل أسى قلقين بشأن ما حدث، لكننا قطعًا لا نرجو ذلك، إنهم لا ينتبهون لقلقنا العارم تجاه المكانة الاجتماعية للعائلة والأصل، لذلك كان الحديث هذه المرة نهايته منطقية للغاية.

إن كانوا يفكرون فى ما سينتهى إليه الأمر مع أمثالنا حقًّا فليذهبوا للبحث فى الأرياف عن شخص يناسبه. إن ذاك الشخص على عكس الظاهر، إنه يقول وماذا عساى أن أفعل، بدلاً من أن يقلع عن الفكرة من الأساس لأن لديه نسبًا مع الأمراض العقلية، أليس كذلك؟

أما بالنسبة إلى عروض الزواج من "يوكيقو" فإنها دائمًا ما تفشل لشيء أو لشخص ما ليس فى الحسبان، ومهما كان الرفض محرجًا إلا أنه ليس بالغريب.

قالت لهم أيضًا أن ينتبهوا فـ"يوكيقو" فقط شخص حظه قليل، لذلك لا داعى أبدًا للأخذ بالمعتقدات الخرافية حول برج الحمل وهذا القبيل.

رأت "ساتشيقو" أختها "يوكيقو" عائدة بمجرد ذهاب أختهما الكبيرة، وأدخلت وعاء الشاى بحقيبة يدها وتهم بدخول الغرفة غربية الطراز. حينها بالضبط ولحسن الحظ كانت الصغيرة "اتسوقو" ستذهب للهو بحديقة جيرانهم عائلة "STOLZ".

- "منذ قليل جاءتنا أختنا الكبيرة". قالتها ساتشيقو وحاولت أن تنتظر قليلاً، ولكن "يوكيقو" أجابتها بالإجابة المعتادة:
- "مممممم".

وبعدما توقفت عن الحديث وجدت أنه ليس أمامها سوى أن تستطرد، فسألت:

- "وما القصة؟"
- "حسنًا. إنها أمه، يقال إنها تعانى من الشلل الرباعى، ولكن بدا فى الواقع أنه مرض عقلى".
- "حسنًا".
- "إن كان الأمر كذلك فإنها ستكون مشكلة".
- "ممم".

جاء لمسامعهما عن بعد صوت الصغيرة "اتسوقو":

- "أهلاً صديقتى رومى".

ورأيا الطفلتين قادمتين نحوهما من الحديقة، فنزلت إليهما "ساتشيقو" بعدما قالت لها:

- "سأخبرك فيما بعد بالتفاصيل، هذا صوتهما قادمتين".

- "مرحبًا بعودتك يا أختى". قالتها الصغيرة وسبقت إلى التراس وفتحت الباب الزجاجى لمدخل الحجرة الذى على الحديقة، وتوقفت ووقفت بجوارها كتفًا إلى كتف "روزمارى" التى جاءت معها من الخارج، واصطفت أرجلهما على نحو لطيف وهما ترتديان الجوارب الصوفية ذات الألوان الفاتحة.

ذهبت "يوكيقو" أيضًا إليهما وأغلقت الباب الزجاجى وقالت لهما:

- "اتسوقو، فلتلعبا معًا بالداخل اليوم؛ إن الجو بارد اليوم".

- "هيا يا رومى فلتدخلى أنتِ أيضًا". وقالتها بنبرة صوتها نفسها التى لا تتغير مطلقًا.

بذلك انتهى الموضوع بالنسبة إلى "يوكيقو"، وإنما "تينوسوكيه" لم يتقبل الأمر بهذه البساطة، فحين عاد إلى المنزل فى المساء وسمع من زوجته أن أختهم الكبيرة ربة البيت الرئيس جاءتهم لتبلغهم الرفض، امتعض وجهه بشدة وقال:

- "أرَفض أيضًا هذه المرة هى الأخرى!"

إن" تينوسوكيه" هذه المرة -كما أشارت "إيتانى"- هو أول من يتصدى للنقاش، لذلك بدأ يستاء شيئًا فشيئًا، فإن كانوا ببيت العائلة متمسكين بالشكليات الرجعية والوضع الاجتماعى فإن الوقت يمضى، وليجرب إسداء النصح من أخ إلى أخته وليحاول جاهدًا أن يجعلهم يعيدوا التفكير، غير أن ذلك هو أول زواج لـ"سيجوشى"، وهو فعليًا يبدو شابًا أصغر نسبيًا من سنه لدرجة أنه بجوار "يوكيقو" يبدو كأن الأمر مألوف، وبخلاف ذلك فإن كان الرفض لكونها ستأتيها فرص زواج

أفضل بالمستقبل، فإنهما هما الاثنين حتى لو ندما هناك العديد من الأشياء التى يمكن التأكيد عليها، لذلك مهما استمع بجدية للأسباب التى تقولها "ساتشيقو" ما زال لا يستطيع أن يستسلم.

لكن بصرف النظر عن رأيه، فإن بيت العائلة فى غنى عن معرفة ذلك، وحتى إن كان أخاها بالقانون فهل هو من سيتحمل المسئولية؟

إن زوَّجها بشخص له مثل هذا النسب فسيسألونه إن كان باستطاعته أن يضمن ألا يحدث أى سوء على الإطلاق لزوجها ولأطفالها فى المستقبل.

إن "تينوسوكيه" ذاته لا يسعه أن يطمئن حيال ذلك، وإن كان القول كذلك ففي ربيع العام الماضى كان هناك حديث يشبه هذه المرة، شخص بالأربعينات من عمره وهذا أول زواج له علاوة على أنه كان من أسرة غنية مثلهم، حينها رحبوا كلهم بالموضوع ووافقوا، حتى يوم الخطبة، فجأة عرفوا من مصدر ما أن هذا الرجل يرافق فتاة وتربطه بها علاقة وطيدة، وليخدع الكل بالمظهر العام يقول إنه يستقبل زوجته، فأسرعوا حينها بالإلغاء.

إن عروض الزواج كلها التى يجلبونها لـ"يوكيقو" إن بحثنا فى شأنها سنجد أكثرها يصطدم بشىء حالك السواد على نحو غريب، لذلك صار أخواها يتوخيان الحذر أكثر من ذى قبل، وبعد كل شىء صارت هذه الطريقة صعبة للغاية، ولأنهم يبحثون عن شريك مناسب على نحو غير مناسب فدائمًا ما يحدث العكس ويعلقون بإغراءات غريبة على هذه الشاكلة.

إنهم إن أمعنوا النظر سيدركون أن بمجرد قول "أربعينى لم يسبق له الزواج" فبمقتضى الحال هى مراوغة على الأرجح. فى حالة "سيجوشى" أيضًا يبدو أنه لم يتزوج إلى الآن بسبب نسبه الذى يمثل نقطة ضعفه، ولكن من الواضح أنه لم تكن لديه فكرة الخداع بهذا الشأن. ربما لو رأينا الموضوع من جهة أخرى لوجدنا أنه بعد كل هذا الوقت

الطويل الذى استغرقوه للبحث فى مسقط رأسه ظن أنه لا بد لهم أنهم عرفوا بشأن أمه، وفهم أن عليه أن يخوض الحديث.

"فرق اجتماعى"، "أكثر مما أستحق"، وغيره من مثل هذه الكلمات كلها كانت تُظهر إحساسه بمشاعر عميقة.

انتشرت الشائعات هذه المرة بين زملاء "سيجوشى" بشركة M.B وقيل إنه سيفوز بعروس من مكان راقٍ للغاية، ولم ينكر "سيجوشى" ذاته ذلك، فهذا الشخص الدؤوب كان حتى وقت قريب بلا عمل لذلك فهو يضيق صدره مما يحدث، ومثل هذه الأجواء حين بلغت مسامعهم وعرف بها "تينوسوكيه" شعر بالشفقة حياله وفكر فى الإحراج الذى طال رجلاً محترمًا ومهذبًا بلا داعٍ، ولكن ما باليد حيلة.

خلاصة الأمر أنهم إن كانوا بحثوا سريعًا وعجَّلوا بالرفض أسرع من ذلك لانتهى الموضوع بلا أى شىء.

واضح من البداية أن الطريق مع "ساتشيقو" مسدود، وبعدما وصل إلى يد بيت العائلة قطعًا لم يأخذوه على محمل السرعة، والأسوأ من ذلك كله، أنهم ليبقوا على تواصل فى تلك الفترة استمروا فى استقبال الطرف الآخر بعبارات ترحيب كثيرة جدًّا مثل: "فلتأمل خيرًا إلى أقصى حد"، حتى أوشك بحثهم على الانتهاء، وبالطبع هذا بالنسبة إليهم ليس حديثًا عشوائيًّا وإنما هو قول يعربون به عن رغبتهم فى إتمام الموضوع، لكن إن رأينا أثر ذلك فى الطرف الآخر سنجد أنه من الطبيعى أن يكون قد لحق به أذى بالغ يصل إلى حد الجرم.

بهذه النقطة "تينوسوكيه" نفسه يرى أنه لا بد له أن يلوم حاله من البداية وليس "ساتشيقو" أو بيت العائلة فقط. إن مكانته تمامًا مثل الأخ الأكبر بالبيت الرئيس "أخيهن بالتبنى"، لذلك حتى الآن كلاهما لا يتدخل بقوة باذلاً كل جهده فى عروض الزواج وغيرها من شئون أخواتهما، وعلى الرغم من ذلك، فعندما سحبتهم دوامة

الأحداث هذه المرة على نحو غير متوقع ولم يعد هناك مفر من الإلغاء، يقع على عاتقهما هما الاثنين سخافة إحراج الشخص المعنى، وذلك بالنهاية ظنهما لكيلا يتسببا فى تعاسة حظ أخواتهما فيما بعد، وهذه الكلمات لا يمكن التفوه بها، ولكن انتابهما شعور بأن شأن "يوكيقو" على وجه الخصوص لن ينتهى، وبالطبع ليست هذه المرة فقط، وعليه فإن عائلة "ماكى أوكا" أصبحت مكروهة من كثيرين حتى الآن، فالرفض إن جاء من الطرف الآخر فلا بأس، وإنما الرفض إن أتى من فتاة مهما كان العذر فإن هذا يحرج الرجال. لا يزال هناك الكثير أيضًا من هؤلاء بسبب طريقتهم بالرفض فى اللحظة الأخيرة وبعد استمرار سحبهم للطرف الآخر بشدة بسبب التمهل الأحمق لدى "ساتشيقو" والأخت الكبيرة ببيت العائلة عادةً.

لكن ما يخشاه "تينوسوكيه" هو أن كثرة تراكمات هذه الأمور لن تجعلهم مكروهين فقط، بل أيضًا سترسخ فى أذهان الجميع أن "يوكيقو" ليست سعيدة، لذلك فالرفض هذه المرة فى الوقت الراهن لا بد له أن ينال تفهُّم السيدة "إيتانى" التى سحبت ورقة يانصيب خاسرة، ولا من سبيل آخر.

ومن منطلق أن "تينوسوكيه" يكفِّر عن خطئه حيث يتضح جليًّا أن "ساتشيقو" تتهرب، فكيف سيقولون ذلك؟

مهما كان ظن "سيجوشى" بهم فلا مفر الآن، وبالنسبة إلى "إيتانى" فقط لا بد ألا يترسب لديها أى شعور سيئ، فما زال هناك الكثير فيما بعد. أيضًا هذه المرة بذلت "إيتانى" الكثير من الوقت والجهد، لقد حملت قدميها للمكتب بـ"أوساكا" وللبيت فى "أشيبا" لعدة مرات وهذا ليس بالقليل.

إنها لديها الكثير من المعاونين الشباب لإدارة صالون التجميل، ويبدو أن حالها فى ازدهار مستمر، ومع ذلك كانت تغادر عملها

تلك الفترة وتبذل قصارى جهدها. هذا بالتأكيد دعم رواج الشائعات، ولكن عمومًا هى لا تستطيع أن تتصرف دون شهامة وطيبة، وإن ذكرنا التفاصيل، فهى تنفق الكثير من الأموال حتى إن كانت تقضى شئونها سيرًا على الأقدام وليس بسيارات أجرة. إنه فى ليلة اللقاء بفندق "أورينتال" رأى "تينوسوكيه" أنه من الواجب الأخلاقى أن يتشارك النفقات هو و"سيجوشى" حتى لو هى دعوة "إيتانى"، وأقدم على قول ذلك حين هموا بالانصراف، لكن "إيتانى" قالت: " كلا، إنها دعوتى لكم"، ولم تقبل بأى شىء آخر.

على أى حل، هى ما زالت الواسطة لكل شخص ولكل شىء وتبذل قصارى جهدها إلى أن استقر الوضع لهذه النهاية.

فكروا فى فرصة ليشكروها على كل شىء فعلته، وإنما بذاك الحين عليهم أن يتركوا كل شىء كما هو على حاله، وها هم الآن لا يستطيعون تحمل عبء هذا أيضًا.

- "فى الحقيقة، دعونا نعطيها مالاً. إنه لن يجدى نفعًا أن نذهب إليها بهدية، وإنما.."

هكذا قالت "ساتشيقو".

- "أفكر فى ما قلته للتو، ولكن كيف لنا ذلك! إنك على أى حال لا تتحدث إلا بما سنجلبه لها فقط ولك الشكر، فيما بعد، وبعدما أتناقش مع إخوتى مهما كان هذا الشىء فسآخذه وأتوجه به إلى هذه الشخصية".

لم يلقَ ذلك استحسان "تينوسوكيه" فقال لها:

"وحضرتك هذا فقط كل دورك! إذًا ماذا عساى أن أفعل!"

وهذا كل ما توصلا إليه فى النهاية.

الفصل الخامس عشر

على غير المعتاد، منذ بداية شهر ديسمبر لم تأتِهم السيدة "إيتانى" لمواصلة إلحاحها، ربما تكون تفهمت إلى حد ما الخطأ بهذا الموقف، وبذلك تصبح الظروف موائمة على غير المتوقع، وظن "تينوسوكيه" أنه لا داعى للذهاب إلى صالونها فهو يخشى مما قد يظنه الآخرون، وأراد زيارتها بمنزلها بمدينة "أوكاموتو" ويتأكد من موعد وجودها بالمنزل مساءً، فخرج من مكتبه متأخرًا عن توقيته المعتاد، وذهب مجولاً على قدميه حيث مسكنها.

كانت الأنوار مضاءة بالغرفة التى نظر "تينوسوكيه" من خلالها، ولكنها كانت باللون الأخضر الداكن وبها حامل معلقة به إضاءة غائرة، لذلك كان نصف الغرفة فى ظلمة حالكة، وبالنصف الآخر للغرفة مقعد وثير تجلس عليه "إيتانى"، لكنه لم يستطِع تمييز ملامحها بوضوح فأصبح من الأفضل لذلك الشاب الخلوق أن يبدأ الحديث وإن كان ذلك ليس من مهامه.

- "مساء الخير، آسف للغاية على إزعاجك بمجيئى. فى الحقيقة لقد بحثنا فى شأن ذلك الشخص ببلدته مؤخرًا، والأمر بدا

جيدًا من ظاهره، وإنما بعد ذلك وجدنا أن مرض والدته هو مرض.."

- "ماذا؟" قالتها "إيتانى" وأدارت رأسها، فاستطرد:
- "إنه تفضل بذكر أنها تعانى من شلل أو ما شابه ذلك، ولكن تبين بالبحث والتحرى أنه مرض عقلى".
- "حقًّا!" وقالتها فجأة بصوت مرتبك لا يتماشى مع سياق الحديث، ثم تابعت مكررة قولها:
- "حقًّا!" وهى تهز رأسها بالموافقة.

كان "تينوسوكيه" يتشكك فيما إذا كانت "إيتانى" على دراية بموضوع "المرض العقلى" هذا، لكن بمجرد أن رأى ردة فعلها وارتباكها الآن وتسرعها فى الكلام دون تفكير لم يسعه إلا التفكير فى أنها تعلم بالفعل كما توقع.

- "حدث سوء فهم وهذه هى المشكلة، ولكن بقولك مثل هذا الكلام قطعًا لن ألقى عليك أى لوم، وإن كان الأمر كذلك فأظن أنكم سترفضون تلقائيًّا متعللين بعذر لا يمت لأى شىء بصلة. إنكم فكرتم ولكن أنا منذ البداية لست فى صفكم وضد كل جهودكم. إنكم ترفضون ولا تدعمون أى سبب يذهب بكم نحو الموافقة، ولهذا فأنا أدرى أنه لن يروق لكم".
- "كلا كلا، مثل هذا القول مؤسف للغاية، ولكن بالنسبة إلىَّ فقط، فبيت ما كى أوكا يقع أسيرًا للشكليات الاجتماعية وغيرها، وللأسف جميعهم يرفضون حتى لو كان عرض الزواج مناسبًا لأنه يصعب عليهم ما سيظنه الناس بهم. قطعًا ذلك لا معنى له، وإنما هذه المرة الظروف لا مفر منها فى الحقيقة. سيفعل الناس بكل حال من الأحوال، لذلك أريد منكِ أنتِ أن

تتفهمى الأمر على الأقل وأرجوكِ دون غضب، وأطلب منكِ أن تظلى فى العون دائمًا. هذا فقط ما أريدك أن تعرفيه بالطبع، وأريد منكِ أن تبلغى الطرف الآخر رفضنا من فضلك بأى شكل ترينه مناسبًا".

- "جزيل الشكر لتحيتك المهذبة. فى الحقيقة لم أكن أعلم ماذا ظننتم، لكن ها هو الآن أسمع منك للمرة الأولى قول مرض عقلى أو ما شابه ذلك، وقطعًا لم يكن لدى علم، لكن حقًّا هل بحثتم جيدًا؟! لو أن الأمر كذلك فمرحبًا بمجيئك، وهذا حقًّا من سوء حظه، وإنما لا تقلق أبدًا حيال إبلاغى ذلك له بطريقة ذكية".

شعر "تينوسوكيه" بالارتياح لحديثها الحذق وبانتهاء النقاش، وهمَّ مسرعًا بالانصراف، وحين خرجت "إيتانى" لتوصله للباب لم ينتابه أى شعور بالضيق وظل يكرر قوله:

" أنا آسف لذلك"، ثم أراد أن ينتظر فهو قطعًا سيذهب ولديه هذا الكلام الطيب كتعويض مقبول ولا يحتاج إلى كثير من التفكير، فلو على ابنة العائلة فهى بالطبع توافقهم الرأى كالمعتاد، ولو على زوجته فسيبلغها ما قيل له بكل طريقة من الطرائق، ولكن الأمر تبعًا لحالة "إيتانى" المزاجية يومًا بيوم، لذلك لا يجب أخذه كله على محمل الجد حتى لا تتأذى مشاعر أحد.

بعد ذلك بعدة أيام ذهبت "ساتشيقو" إلى متجر "ميتسوتوشى" بـ"أوساكا" لتجلب بعضًا من الملابس الجاهزة كهدية، وحملتها وانعطفت ذاهبة إلى حى "أوكاموتو". لم تكن "إيتانى" عادت بعد فوضعت ما جاءت به وتركت رسالة وعادت، فى اليوم التالى جاءتها رسالة شكر ودية من "إيتانى" ولكنها بعبارات اعتذارية تفصح بها عن قلقها، مثل:

"على الرغم من أن الموضوع انتهى وكانت النتيجة أنى علقت بعدة متاعب عبثًا، وليست بسبب أى تقصير منى. ألم أفعل أى شىء مجدٍ؟" وبالطبع لحقت ذلك بكلمات مكررة لتتدارك الأمر.

بعد ذلك وبعد مرور أكثر من عشرة أيام من ذاك الشهر، صار لا يتبقى سوى القليل فى هذا العام.

فى مساء يوم ما جاء صوت "إيتانى" من جهة البوابة، وكانت قد جاءت فى زيارة لإلقاء التحية فى عجالة. توقفت السيارة الأجرة أمام البيت بـ"أشيًا" مثلما فعلت فى السابق. من سوء الحظ كانت "ساتشيقو" مصابة بنزلة برد وتلازم الفراش، لكن "تينوسوكيه" كان قد عاد من عمله فاستقبلها ودعاها للتفضل بدخول غرفة الصالون وشدد بقوله "معذرة"، وتحدثا قليلاً وسألها "تينوسوكيه":

"كيف حال السيد سيجوشى؟ إنه شخص جيد فى الحقيقة ولكن للأسف. حقًا حاله مؤسفة".

وبعد كلام من ذاك القبيل قال لها إن ذاك الشخص كان يعلم أن مثل هذا المرض لدى والدته سيمثل عقبة، فقالت "إيتانى" إنه فى البداية كان رافضًا ولا يبدى اهتمامًا، ثم بعد ذلك تحمس حقًا ولا أدرى ربما كان فى البداية متحفظًا بسبب أمه. فقال "تينوسوكيه":

- "لذلك استغرق البحث وقتًا ما جعلكم تخطؤون فهمنا وصرنا نحن الطرف السيئ. رجاء لا تغضبى من ذلك ودائمًا ظلّى فى العون". وبمجرد أن قال عبارته هذه مرة أخرى فى أثناء هذا قالت له "إيتانى" فجأة وبصوت خافت محاولة جذب انتباهه أكثر:

- "ماذا عن شخص لديه أطفال عدة؟ إن لم يكن لديكم مانع فسيكون لدينا ما نتحدث بشأنه الآن".

هنا تنبه "تينوسوكيه" إلى أنها جاءت فى الأساس لقول ذلك، وحين أنصت لها استطردت قائلة إن ذاك الشخص مدير لفرع بنك فى مدينة "شيمو إيتشى" بمقاطعة "ياماطو"، ولديه خمسة أبناء أكبرهم ولد بمدرسة بأوساكا، وتليه ابنة بالغة شارفت على سن الزواج، وعليه سيمكث فى البيت ثلاثة لا غير، أما من ناحية شئونهم الحياتية فليس هناك أى قلق لأنه شخص ثرى من الفئة الأولى بمنطقته. هكذا يقال عليه، لكن "تينوسوكيه" بمجرد سماعه أن لديه خمسة أبناء ومن "شيمو إيتشى" لم يجد ما يقوله وبدا على وجهه عدم الاهتمام من منتصف حديثها، ورأت "إيتانى" ذلك فتراجعت على الفور، لأن الأمر بدا أنه لن يروقهم على الإطلاق، وهذا لا يعنى أنه مفهوم بأى نية طرحت هى هذا الموضوع بشروطه السيئة، فهى أيضًا تشعر بداخلها بالانزعاج لأن الفرصة مناسبة بالتمام والتلميحات ظهرت ضمنية.

صعد "تينوسوكيه" إلى الغرفة بالطابق الثانى بعدما خرج ليوصل "إيتانى"، وحينها وجد "ساتشيقو" توشك أن تستلقى بفراشها وكانت تمسح وجهها بمنشفة الحمام وتتلاحق أنفاسها، ولكنها قالت:

- "هل جاءت إيتانى بعرض زواج مرة أخرى؟"، وانتبهت للحديث وواصلت تجفيف وجهها بالمنشفة.
- "مممم.. من؟"
- "الآن جاءت اتسوقو لتخبرك".
- "حسنًا، بماذا؟"

وفجأة وجد "تينوسوكيه" الصغيرة تدخل بالحديث الذى دار مع "إيتانى" وتستريح فى جلستها وتود الإصغاء، فطردها والدها من الغرفة وقال لها إن هذا الحديث لا يستمع إليه أطفال واذهبى هناك. تراجعت "اتسوقو" لغرفة الطعام وبالتأكيد كانت تسترق السمع.

- "بالطبع طفلة ولديها فضول لمثل هذه الأحاديث".

- "لكن هناك خمسة أطفال آخرين، ماذا ستقولين عن ذاك أيضًا؟!

هههههههه ابنه الأكبر بمدرسة بأوساكا وابنته الكبيرة فى سن يجعلها عن قريب عروسًا".

- "ماذا؟!"

- "إنه شخص من شيمو إيتشى بمقاطعة ياماطو، وهو رئيس لفرع بنك ما".

- "لقد أدهشتنى! إنها فرصة لنتجاهلها وتفتر العلاقات".

- "حقًا إن لم تنتهِ سيكون الأمر مريعًا فيما بعد، ومن حسن الحظ أن يوكيقو ليست موجودة اليوم".

تعتاد كل من "يوكيقو" و"تائيقو" الذهاب إلى بيت العائلة الرئيس كل عام آخر يوم فى السنة وقضاء أول ثلاثة أيام من العام الجديد. سبقت "يوكيقو" أختها وذهبت منذ الأمس إلى هناك، وشعر الزوجان بالارتياح لأنها لو كانت موجودة لظلت تسأل ماذا حدث.

كانت "ساتشيقو" دائمًا تعانى من نزلات الشعب الهوائية طوال فترة الشتاء، وذات مرة ازداد الأمر سوءًا وتطور إلى التهاب رئوى ووبخها الطبيب ولازمت الفراش لما يقارب شهرًا، لذلك فهى حتى بنزلات البرد الخفيفة تلزمها عناية شديدة، وفى أحسن الحالات كهذه المرة يتوقف الأمر عند التهاب الحلق، وفى النهاية تتراجع درجة حرارتها إلى المعدل الطبيعى.

سريعًا ما اقتربت نهاية العام، وفى يوم 25 كان لا يزال أمامها يوم أو يومان آخران لتظل حبيسة غرفتها، وبينما هى جالسة على سريرها

تطالع مجلة للعام الجديد جاءتها "تائيقو" لتلقى السلام عليها، قبل أن تذهب إلى بيت العائلة.

- "لمَ يا أختى الصغيرة؟ لا يزال هناك أسبوع حتى آخر السنة". قالتها "ساتشيقو" متشككة لتمازحها:
- "ألم تذهبى فى العام الماضى يوم 31؟"
- "أفعلت ذلك؟ لا أدرى".

عن قريب ستفتتح "تائيقو" معرضها الفردى الثالث للعرائس، لذلك فهى تكرس كل وقتها للتصنيع، ومنذ قرابة الشهر وهى يوميًّا تقضى أغلب وقتها بشقة "شوكوجاوا"، لكنها أيضًا لم تتخلَّ عن تدريبات الرقص، وتتردد على مكان التدريب فى "سانصون" بمحافظة "أوساكا" مرة أسبوعيًّا، ولاحظت "ساتشيقو" أنهما منذ وقت طويل لم يتقابل وجهاهما.

إنها تدرى أن أختيها الصغيرتين تودان الذهاب إلى بيت العائلة ليجتمعوا معًا، وهى لم ترغب قط فى أن تبقيهما بالجوار، لكن "تائيقو" تكره الذهاب إلى هناك أكثر من "يوكيقو" وعادةً بكل سنة تسارع بالعودة، فالأمر به شىء غريب ولكن حتى لو هو كذلك، فربما ودون أى ظنون سيئة هذا موعد بينها وبين "أوكوباتا". الأمر فقط هو كونها أصغر أخت وهى التى نضجها سابق لأوانه، وها هى عامًا تلو الآخر تكبر وتنأى بجانبها مستقلة بحالها أكثر من أى أحد، وكل هذا أدعى أن يذكِّرها بعدم اكتفائها بالأشياء البسيطة بأى نوع كانت.

- "حسنًا، وقتما أنتهى من العمل سأعود إلى أوساكا، وأنوى الذهاب إلى دروس الرقص يوميًّا فى هذه الفترة". قالتها "تائيقو" دون إضافة الأعذار.
- "اليوم، ماذا تعلمتِ؟"

- "علمونا رقصة المانزاى لرأس السنة وهكذا. ساتشيقو هيا دعينا نرقص".
- "حسنًا، إنى أتذكر معظمها". قالتها "ساتشيقو" وعلى الفور بدأت الغناء ودندنة الألحان.

أهلاً أهلاً بمواسم العام الجديد

العهد الإمبراطورى فى إزهار مديد

تشا تشا

بكل الحب والاحترام يهل العام الجديد

وبينما تشاركها "تائيقو" الغناء نهضت وبدأت فى أداء خطوات الرقصة.

- "انتظرى، انتظرى يا ساتشيقو". وأسرعت إلى غرفتها واستبدلت الرداء اليابانى التقليدى "الكيمونو" بملابسها، وجلبت المروحة الخاصة بالرقصة وعادت.
- "تشاتشا، تن، تشا.. جميلة الجميلات مدينة كيوتو

جميلة الجميلات هى بائعة المحار

المحار المحار، وصغار المحار

وقواقع الحلزون والأصداف والأسماك الكبار

والعنبر اليابانى وأسماك المرجان

حين تمر من هناك لو نظرت بالجوار

لوجدت قماش الحرير القرمزى

والساتان اللامع الذهبى.. تن تن تشن تن تن تشا[1]

(1) هتاف احتفالى لرقصة ومهرجان "مانزاى".

وكلما قالتا كلمة "جميلة الجميلات" و"تن تشا" تماشى غناؤهما مع دقات العود الياباني ثلاثي الأوتار، فكانت مثل هذه الكلمات ممتعة للغاية، وهما لم تنسيا قط هذه الغنوة من الفلكلور لأنها كانت معتادة لديهم كلهم وهم أطفال، والآن حين تتغنيان بها هكذا تسترجعان ذكرياتهما الجميلة لبيت رصيف الميناء منذ عشرين سنة، ويأتيهما تذكير وثيق بملامح والديهما الغاليين وهما يعلِّمان "تائيقو" الرقص حينها، فكانت ترقص رقصة الـ"مانزاي" هذه على عزف العود من أختها الأكبر وأمها عادةً في رأس السنة.

تذكرت "ساتشيقو" هيئتها وهي طفلة تشير للسماء بإصبعها الصغير والآفاق كلها تمتلئ بكثير من الناس من الأقاليم، وبمختلف أنواع الأسماك في اليوم الثالث من أول شهر بالسنة.

على الرغم من أن ذلك المشهد عالق بعينيها بكل وضوح كأنه بالأمس القريب، فها هي أختها الصغيرة تتزين بالمروحة لأداء الرقصة، وتخيلت كأن والديهما يشاهدانهما من بين أوراق العشب، ويريان هذه الأخت الصغيرة التي تكبرها، وكلتاهما بجوار طفلتها، ولم تحتمل "ساتشيقو" وانهمرت دموعها.

- "أختي الصغيرة، متى ستعودين؟". قالتها بشدة ولم تخفِ دموعها.
- "سأعود في اليوم الرابع من يناير".
- "حسنًا إذًا، حينما تشاهدون رقصات الاحتفال بالعام الجديد تذكريني وتعالي، فأنا أيضًا أحتفظ بعود ثلاثي الأوتار".

إنه لديهم ببيت "أشيبّا" لأنه منذ وجودهم بـ"أوساكا" لا يأتيهم ضيوف في يوم رأس السنة، والأكثر من ذلك أنه بغياب أختيها الاثنتين صار يوم رأس السنة في الأعوام الأخيرة هادئًا، وصار كأنها ترسلهما ليوم تفتقده.

حتى إن كان ذلك اليوم بالنسبة إلى الزوجين مناسبة للقرب الحميمى، فإن الصغيرة تظل وحيدة للغاية وتنتظر مجىء أختيها بفارغ الصبر.

أخرجت "ساتشيقو" العود ثلاثى الأوتار يوم رأس السنة، وأخذت تتمرن على عزف أغانى احتفالات الـ"مانزاى"، واستمرت على تلك الحال طوال الثلاثة أيام الأولى من العام الجديد، وفى النهاية حفظتها الصغيرة "اتسوقو"، وكلما جاءت عند جزئية:

"القماش الحرير القرمزى و.."

غنتا معًا: تن تن تشا

تن تن تشا

الفصل السادس عشر

سيقام معرض "تائيقو" المقبل بالمعرض الفنى فى شارع "قوإيكاوا" بمحافظة "كوبيه"، وقد استأجرته لمدة ثلاثة أيام. كانت ملحوظة أيضًا تحركات "ساتشيقو" المعروفة جيدًا بمدينة "هانشين كان"، فكانت النتيجة هى بيع غالب المنتجات منذ اليوم الأول، وفى مساء اليوم الثالث جاءت "ساتشيقو" مصطحبة ابنتها وأختهما "يوكيقو" للمساعدة فى ترتيب القاعة، وعندما شارفن على الانتهاء من المهام المتبقية:

- "صغيرتى اتسو، الليلة لنا عزومة من أختنا الصغيرة، لقد صارت ثرية".
- "حسنًا، حسنًا".

فقالت "يوكيقو" أيضًا بنبرة تحفيزية:

- "تفضلين أى مطعم يا اتسو، غربى أم صينى؟"
- "حقًّا ما زال يلزمنى تلقى المزيد من الأموال". قالتها "تائيقو" بابتسامة عريضة، فمهما حاولت أن تتظاهر بالتجاهل لن تتمكن.

- " فهمنا، إن كنتِ تجنين المال فأنتِ تدفعين أيضًا الكثير من الالتزامات، ولكن.."

قالتها "ساتشيقو" لأنها على علم بحسابها البنكى، وأن ما يضاف إليه من المبيعات ليس بقليل حتى لو خصمت نفقاتها الخاصة، لذلك كانت تؤيد عل نحو ما تحملها لهذه العزومة.

هذا ليس بكلام "إيتانى"، وإنما "تائيقو" التى تبحث عن النمط العصرى بخلاف "ساتشيقو" ليست بالشخص الذى سيحل رباط كيس نقوده بهذه السهولة، حتى بمثل هذا الموقف الذى شارف على أن يكون توبيخًا.

- "إذًا دعونا نذهب إلى المطعم الصينى. إنه أرخص مكان".
- "يا لكِ من بخيلة يا أختى، ولن تدفعى مالاً ببذخ للمشويات الشرقية".

إن هذا المكان بالحى الصينى، وهو متجر بسيط ورخيص لطعام الصين الجنوبية (كانتون)، يبيع بالقطعة لحوم الأبقار والخنازير ويعرضها بواجهة المتجر.

- "مساء الخير".

قالتها فتاة أجنبية شابة كانت تقف لدفع الحساب بمكان الخزنة.

- "أهلاً كاترينا، يا لها من صدفة. دعينى أعرِّفك". قالتها "تائيقو".
- "هذه هى الروسية التى حدثتكم عنها من قبل.. هذه أختى الكبيرة، وهذه أختى الأكبر التى تليها".
- "أهلاً، حسنًا، إنى كاترينا كيريلنقو. لقد ذهبت اليوم إلى المعرض. تمكنت تائيقو من بيع كل معروضاتها من الدمى، تهانئى".

- "أختى، من هى هذه الأجنبية؟". وتساءلت الصغيرة بمجرد ذهاب الفتاة.
- "هذه تلميذة لتائيقو". هكذا أجابت "ساتشيقو"، ثم أضافت:
- "هذه الفتاة حقًّا رأيتها من قبل بالقطار".
- "ملامح وجهها جميلة".
- "أهذه الأجنبية تحب الأكل الصينى؟"
- "إنها نشأت فى شنغهاى ومعتادة الطعام الصينى، وتقول إنها يمكنها إعداده لذيذًا أفضل من بيوت المغتربين القذرة التى لا يمكن ارتيادها، وهذا المكان فعلاً هو الأفضل فى مقاطعة كوبيه".
- "هل هى روسية؟ لا أدرى لمَ لا أشعر بذلك!" هكذا قالت "يوكيقو".
- "إنها ذهبت إلى مدارس إنجليزية فى شنغهاى، وأصبحت ممرضة بمشفى إنجليزى، وبعدها تزوجت بشخص إنجليزى، ولديها طفل".
- "حقًّا! وكم عمره؟"
- "إذًا، كم عمره؟ هل هو أصغر أم أكبر من طفلتنا؟"

أضافت "تائيقو":

- "إن عائلة كيريلنقو الروسية ذات البشرة البيضاء جيرانى بشقة حى شوطو فى شوكوجاوا. مسكنهم صغير لا يتعدى كله بالأعلى والأسفل أربع غرف، وتعيش كاترينا مع أمها المسنة وأخيها الأكبر. كاترينا فقط هى التى كنت ألتقيها مصادفةً بالطريق فتلقى التحية، ومن هنا بدأت صداقتنا، لكن بمرة زارتنى

فجأة ودخلت غرفة عملى وطلبت منى أن تصبح تلميذتى ومساعدتى، لأنها ترغب فى تعلم طريقة صنع الدمى، خصوصًا على النمط اليابانى".

بمجرد أن وافقت "تائيقو" على ذلك بعد هذا الموقف على الفور بدأت "كاترينا" مناداتها بـ"أستاذة"، فكانت ترتبك، لذلك عادت لمناداتها بـ"آنسة تائيقو". كان ذلك منذ قرابة الشهر، ثم أصبحت صديقتها، ومؤخرًا أصبحت تتردد ذهابًا وإيابًا على شقتها وأحيانًا تذهب سريعًا إلى بيت عائلتها، وقالت لها: "إنى أرى أخواتك الكبار عادةً بالقطار وأعرفهن. إنهن بغاية الجمال وأنا أحبهن، وأطلب منكِ من فضلك أن تعرفينى إليهن".

- "وكيف تكسب قوت عيشها؟"

- "إنها تقول إن أخاها الكبير تاجر منتجات صوفية وما إلى ذلك، لكن حالة بيتهم لا تبدو مرفهة بالمرة. كاترينا فقط تتلقى مالاً من زوجها بعد انفصالهما وهذا ما تعيش به، وتقول إنها لا تتلقى العون من أخيها. إنها جميلة فى ذاتها أيضًا، وبالنسبة إلى نشأتها فى شنغهاى، فإن عائلتها تشتتت وقت الثورة، واصطحبتها جدتها وهربتا معًا من شنغهاى، لكن أخاها اصطحبته أمه وجاءا إلى اليابان، والتحق هو بمدرسة إعدادية هنا، وكان لديه بعض المعرفة بالكانچى[1]، ولهذا السبب صارت ابنتها فى إنجلترا.

(1) الكانچى هو المقاطع الصينية المستخدمة فى الكتابة، وورد للغة اليابانية من الصين، وكل مقطع هو كلمة فى حد ذاته، وبذلك صار المقطع الواحد من الكانچى له قراءة صينية أصلية وله قراءة يابانية أيضًا.

إن أمها وأخاها يقدسان اليابان للغاية، فحين رأيت بيتهم وجدت بالغرفة التى بالطابق الأول صورة معلقة للإمبراطور والإمبراطورة، وبالغرفة الأخرى صورة لنيكولاى الثانى[1] والإمبراطورة".

كان من الطبيعى أن يكون أخو "كريلينقو" ماهرًا فى اليابانية، "كاترينا" أيضًا بعد مجيئها إلى اليابان بفترة قصيرة أصبحت بالمثل، لكن الطريف أن اللغة اليابانية لدى الجدة كانت صعبة الفهم، وكان هذا بالنسبة إلى "تائيقو" أيضًا ورطة ليست بالهينة.

- "هذه الجدة حين تتحدث اليابانية يكون نطقها سريعًا وغريبًا. سألتنى ما بلدتك، ولكنها تنطقها: ما بليدوتك! أجبتها أوساكا".

بعد ذلك بيومين أو ثلاثة جاءتهما "تائيقو" ولديها حكاية جديدة عن "الجدة"، وجعلت أختيها تستمتعان بحديثها.

فى ذاك اليوم ذهبت "تائيقو" للتسوق بالشارع التجارى "موطوماتشى" بمقاطعة "كوبيه"، واحتست الشاى بمتجر الحلوى الألمانى "JUCHHEIM " وحينها دخلت الجدة مع "كاترينا"، وقالت إنهما فيما بعد ستذهبان إلى المتجر الجديد "شوواراكى" الذى افتُتح مؤخرًا وبه ساحة للتزلج، ودعتاها بشدة لتأتى معهما إذا كانت غير مرتبطة بمواعيد أخرى، وقالتا لها إنكِ ليست لديكِ تجربة بالتزلج من قبل، دعينا نعلمك وستتذكرينها دائمًا. "تائيقو" لديها ثقة بنفسها حيال التمارين الرياضية، فبالطبع جربت الذهاب معهما وتدربت لمدة ساعة، وخلالها استطاعت فهم النصائح لتبدأ، وامتدحتاها بشدة وقالتا لها: "إنكِ ماهرة للغاية، ولا نصدق أنها المرة الأولى لكِ". لكن "تائيقو" كانت فى اندهاش. إن تلك "الجدة" لم تتوقف ولو لمرة طوال

---

(1) نيكولاى الثانى والمعروف بالقديس نيكولاس هو آخر إمبراطور لروسيا، وحكم فى الفترة من 1 نوفمبر 1894 وحتى تخلى عن العرش فى 15 مارس 1971.

ساعة التزلج، بل بدأت متبخترة بروح جعلت كل الشباب حولها يخجلون من أنفسهم، وكالمتوقع بالضبط، بسبب خبراتها السابقة خصرها مذهل.

وعلى الرغم من أن الأمر لا يخلو من المخاطر، فإنها من وقت لآخر كانت تؤدى حركة ماهرة سريعة تثير دهشة كل اليابانيين الموجودين فى الساحة. وهذا ما روته لهم "تائيقو"، وبعدها قالت:

- "اليوم دعتنى كاترينا على العشاء".

وذهبت بالفعل "تائيقو" وعادت متأخرة فى المساء. كانت فى غاية العجب من أن الروس بهذه الشراهة. فى البداية قدموا لها المقبلات وبعدها العديد من أطباق الطعام الساخنة، لكن كميات اللحم والخضر هائلة وتُقدم بوفرة، حتى الخبز كان بأشكال عديدة وبمختلف الأنواع. بمجرد أن تناولت "تائيقو" المقبلات فقط شعرت بالامتلاء وقالت حسنًا هكذا، ولكنها مهما قالت لا أستطيع أكل المزيد استمروا فى سؤالها لمَ لا تأكلين؟ هذا جيد، وماذا عن هذا أيضًا؟ وتتوالى ترشيحاتهم لمختلف الأنواع، وكل عائلة "كريلينقو" يأكل، ويتجرع الكثير من الخمر اليابانى والجعة والفودكا.

لم يكُن أخو "كاترينا" غريبًا إلى هذا الحد مثلهم، إنما هى "كاترينا" و"الجدة" أيضًا، فقد كانت كلما شربت عادت وشربت أكثر وأكثر كأنها لا يمكنها أن تتفوق عليها الابنة أو الابن.

صارت الساعة التاسعة وهم على هذه الحال، وكلما همَّت "تائيقو" بالانصراف يقولون لها كلا لا يمكنكِ الانصراف مطلقًا الآن، وجاؤوا بلعبة الورق، وتشاركوا اللعب لأكثر من ساعة، وتجاوزت الساعة العاشرة وحينها قدموا العشاء مرة أخرى، لكن "تائيقو" شعرت بالإعياء لمجرد رؤية ذلك، فهؤلاء الأشخاص يأكلون ويشربون الخمر مرة أخرى ويتناولون العشاء من جديد. طريقة شربهم أيضًا

غريبة، فبدلاً من مَلء كئوس الويسكى بدفعة واحدة لشربها بنفس واحد، هم يملؤون الكئوس إلى آخرها ويلقون بها فى أفواههم. الخمر اليابانى بالطبع خمر شديد المفعول كالويسكى، وفى الحقيقة يبدو أن بطونهم الضخمة أصبحت فى حالة ثمالة ولن تشعر بلذة المذاق إلا إذا تجرعت الشراب بكميات كبيرة هكذا. لم يكن الطعام لذيذًا إلى هذا الحد، وإنما من الأشياء المختلفة به، مثلاً الحساء حيث كانت تطفو على سطحه معجنات من دقيق القمح تشبه الـ"RAVIOLI" بالأطباق الإيطالية، والعجائن المكوَّرة بالطعام الصينى.

قالت "تائيقو":

- "لقد قلت لها حين تأتى فلتجلب معها أخاها لأعرِّفه إليكما، هل بها شىء؟ لمرة واحدة فقط".

بذاك الوقت، صارت "كاترينا" عارضة لدى "تائيقو"، وعقصت شعرها على النمط اليابانى للآنسات، ووقفت مرتدية الكيمونو ذا الأكمام الطويلة لتمثل هيئة فتاة تقف ممسكة بمضرب كرة الريشة. تحمست "كاترينا" للتصنيع، فصارت "تائيقو" كلما مكثت بالبيت فى "أشيبا" دون أن تذهب إلى شقتها فى "شوكوجاوا" تأتيها "كاترينا" لبيت أهلها هذا دون دعوة لتتعلم منها وتتلقى الإرشادات، لذلك كان من الطبيعى أن تصير الصديقة المقربة للعائلة كلها أيضًا، واعتاد "تينوسوكيه" رؤيتها، وكان يقول لها إن هذه التصاميم حتى لو كانت بـ"هوليوود" ستلقى إعجابًا، لكنها لم تفهم مقصده مما ذكره عن الأمريكان، وكانت تتشارك مع الزوجات اليابانيات وغيرهن بلطف وسماحة.

فى مساء يوم العيد الإمبراطورى[1] ذهبوا جميعًا إلى شلالات "تاكازا" للتنزه، وجاء معهم أخوها الكبير حتى البوابة، لكنه كان

(1) عيد قومى يقام منذ عام 1872 فى الحادى عشر من شهر فبراير كل عام.

مرتديًا ملابس الجولف فدخل لاحقًا ولم يصعد لهم بالأعلى، بل اكتفى بالتمشية فى الحديقة ثم اتخذ مقعدًا بالتراس. بعدها، ألقى على "تينوسوكيه" تحية أول لقاء لهما، ثم نادى "كاترينا" لمرتين أو ثلاث وذهب للتحدث معها قرابة النصف ساعة، فقال "تينوسوكيه" ممازحًا:

- "إن لم يأتِ لكنت قابلت الجدة التى أود رؤيتها الجدة عافاو". وقالها ساخرًا مما سمعه عن هذه الجدة وكونها لا تستطيع تحدث اليابانية وتقول "عافاو" بدلاً من "عفوًا"، ووافقته "ساتشيقو" الرأى قائلة:

- "حقًا. عادةً ما تقلدها لنا أختى، وعما قليل قلت أنا أيضًا أود مقابلتها". واستمرا فى حديثهما المضحك على ذاك المنوال.

الفصل السابع عشر

فى البداية لم يلحظوا أنهم ينادون عليهم بجدية؛ لقد كانوا منهمكين فى حديث "تائيقو" بفضول. كانت الدعوات المتكررة من الجهة الأخرى لا يمكن رفضها، وفى النهاية قرروا الذهاب إلى بيت "كريلينقو". كان يومًا صافيًا باردًا رغم أنه فى الربيع. كانت العائلة كلها حاضرة مكتملة، لكنهم يعرفون أن الوقت تأخر فتوقفت "اتسوقو" و"يوكيقو" وحوّلتا وجهتهما للعودة إلى المنزل، فى حين ذهب الثلاثة فقط -"تينوسوكيه" وزوجته و"تائيقو"- إلى دعوة العشاء. استقلوا خط قطار "هان كيوو"، ونزلوا بمحطة "شوكوجاوا" وعبروا الجسر وذهبوا مباشرةً إلى البناية 56 حيث شارع الثلل الذى به البيوت مصفوفة حتى ينتهى الطريق بحقول الأرز، وبالجهة المقابلة هناك المرتفعات التى عليها الكثير من غابات الصنوبر. كان بيت عائلة "كريلينقو" أصغر بيت بين البيوت المصفوفة قبالة الثلل حديثة الطراز بأسفل المرتفعات، ولكنه بطلاء أبيض جديد ويشبه البيوت التى بصور القصص الخيالية.

على الفور اصطحبتهم "كاترينا" للغرفة الثانية بالطابق الأرضى التى تتوسطها مدفأة معدنية. جلسوا على المقاعد الرئيسة المخصصة لأربعة أفراد، وكان المكان ضيقًا لا يسع أن يتحرك أى منهم.

اتخذوا كلهم جلستهم بشكل مناسب على ما وجدوه من مقاعد خشبية قاسية، دون حتى أن يجدوا مقعدًا واحدًا مريحًا له مسند للرأس أو الأطراف بين تلك المقاعد الطويلة. كان لا بد لهم أن يأخذوا حذرهم جيدًا، فإذا التفت أحدهم دون قصد بجسده، فسيواجهه خطر ملامسة مدخنة المدفأة أو أن يُسقط بمرفقه الأشياء التى فوق المنضدة.

يبدو أن الطابق العلوى به ثلاث غرف نوم لهم، وظنوا أن الطابق الأرضى به غرفتين وبالخارج هناك المطبخ، وبدا لهم من حيث مكانهم أن الغرفة المجاورة هى التى يستخدمونها كغرفة سفرة، وعلى الأرجح هاتان الغرفتان بالمساحة الضيقة نفسها.

"تينوسوكيه" راوده القلق، فكيف سيصطف ستة أشخاص هناك، ولكن لم يكن هناك أى بادرة أمل لظهور الجدة أو الأخ الأكبر لـ"كاترينا". وعلى الرغم من أن موعد العشاء لدى الأجانب متأخر عن اليابانيين، فإنهم لم يسألوا صراحةً عن الموعد المحدد وبدا أنهم جاؤوا مبكرًا أكثر من اللازم، ومن النافذة بدا أنه حل الظلام، والهدوء يسود كل أركان المنزل، وما زالت ليست هناك أى إعدادات.

- "صنعت هذه للمرة الأولى. دعونى أريها لكم من فضلكم". قالتها "كاترينا" وأخذت دمية لفتاة راقصة صنعتها كعينة تجريبية من على عمود أسفل رف مثلث الشكل.
- "ماذا! أحقًّا أنتِ التى صنعتِها؟!"
- "لكن بها العديد والعديد من الأخطاء، فلتصححيها لى يا تائيقو".

- "أخى. انظر إلى تصميم ذلك الوشاح للكيمونو". قالتها "تائيقو" وتابعت:

- "إنه مختلف عما علمتها إياه. إن كاترينا فكرت فيه ورسمته بنفسها".

كانت مرسومة على الوشاح المربوط على الدمية قطع الشطرنج اليابانى برسم زيتى على القماش الأسود. إنها ربما استعارت تلك الفكرة من أخيها.

- "وهذا. انظرى من فضلك". قالتها "كاترينا" مرة أخرى وجاءت بكتاب صور لها حين كانت بـ"شنغهاى"، وقالت:

- "هذا زوجى السابق وهذه ابنتى".

- "ابنتك! إنها تشبهك تمامًا. يا لها من فتاة جميلة".

- "حقًّا!"

- "نعم. إنها تشبهك للغاية. ألا تشتاقين للقائها؟"

- "ابنتى فى إنجلترا الآن. لا تمكننى مقابلتها. ليس هناك حل".

- "بأى مكان فى إنجلترا؟ هل تعرفين؟ ربما إن ذهبتِ إلى هناك تستطيعين لقاءها".

- "لا أدرى، لكنى أود مقابلتها وربما أذهب لمقابلتها". وقالتها "كاترينا" ببساطة دون أى مشاعر خاصة.

كان "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" يشعران بالجوع منذ البداية، وكلما نظر أحدهما إلى ساعة يده تلاقت أعينهما، لكنهما انتظرا حتى أنهت كلامها ثم سألها "تينوسوكيه":

- "أخوكِ، كيف حاله، هل هو بالخارج هذا المساء؟"

- "إن أخى يعود متأخرًا كل ليلة".

- "وماما؟"

- "ماما ذهبت للتسوق فى كوبيه".

- "حسنًا".

إذًا الجدة لم تُعدّ أيًّا من مكونات الطعام كما توقعوا، لكنهم تشككوا فى الأمر أكثر حين دقت ساعة الحائط مشيرة إلى السابعة وبدا أنها لن تعود.

شعرت "تائيقو" بالمسئولية لكونها جاءت بأخواتها، وشيئًا فشيئًا تصارعت أفكارها، ونظرت بوقاحة جهة غرفة الطعام التى لم يبدُ بها أى تجهيزات أو تحضير. لكن هل شعرت "كاترينا" بذلك أم لا؟

من حين إلى آخر كان يخفت لهب المدفأة، وكان الفحم متكدسًا أمامها فألقت بواحدة تلو الأخرى، وكادت تنطفئ المدفأة مرة أخرى وهم ما زالوا يتحملون الجوع، فكان لا بد لهم من إيجاد موضوع ليثرثروا به، لكنهم لم يجدوا شيئًا على الفور، ومر عليهم وقت وهم لا ينبس أحد منهم ببنت شفة، ولا يعلو سوى صوت احتراق الحطب فقط.

فتح الباب كلب هجين من فصيلة الـ POINTER دافعًا إياه بأنفه، واختار أكثر مكان دافئ ليجلس به، وانحنى ممددًا رجليه الأماميتين مريحًا رقبته عليهما، وتزاحمت الأرجل وتقلصت بينها المسافات.

- "PLEASE"، ونادت "كاترينا" ورمقته بنظرة حادة مشيحة بعينيها لهناك، لكن الكلب لم يتحرك من أمام النار.

- "PLEASE". قالها "تينوسوكيه" أيضًا حيث لم يكن هناك متسع، وانحنى إلى الأمام وربَّت على ظهره بعدما ظل واقفًا هكذا لمدة طويلة، ثم قال فجأة:

- "سيدة كاترينا.. نحن، هل أخطأنا بفعل أى MISTAKE؟"

- ماذا؟

- إذًا، أختى، نحن هل أخطأنا فى سماع أى شىء؟! إن كان كذلك، فإننا أزعجناكِ للغاية. على أى حال من الأفضل أن نستأذن هذا المساء".

- "لا داعى لذلك". قالتها "تائيقو".

- "حسنًا سيدة كاترينا".

- "ماذا؟ عفوًا، أختك الوسطى تريد قول شىء ما، لكننى لا أفهم ماذا تقول".

- "ساتشيقو، ألن يفيد الآن استخدام الفرنسية بهذا الموقف؟"

- "تائيقو، هل السيدة كاترينا تعرف الفرنسية؟"

- "بالطبع تعرف، وتتحدثها كالإنجليزية تمامًا".

- "سيدة كاترينا، I.. AM AFRAID "، وبدأ "تينوسوكيه" الحديث متعثرًا بالإنجليزية:

- "? YOU..WHY NOT EXPECTING US TONIGHT"

- "ما السبب؟" قالتها "كاترينا" بإنجليزية طليقة وبنبرة توبيخ وقد اتسعت عيناها.

حين دقت الساعة الثامنة نهضت "كاترينا" وذهبت إلى المطبخ. بدا أنها تسلق شيئًا ما فقد وصلت إلى مسامعهم بقبقة الماء بالقدر، وحملت لغرفة الطعام العديد والعديد من الأشياء سريعًا ونادت ثلاثتهم.

وجدت عائلة "تينوسوكيه" الكثير من المقبلات على الطاولة..كيف كل هذه التجهيزات دون أن يدروا؟

السلمون المدخن، الأنشوجة المخللة، السردين بالزيت، لحم الخنزير، الجبن والرقائق المحمصة، شطائر اللحم، العديد من أنواع الخبز،كل هذا ظهر دفعة واحدة فى الوقت نفسه كأنها خدعة سحرية. اصطفت كل هذه الأطباق جنبًا إلى جنب حتى صار لا مكان آخر لوضع المزيد.

حين رأوا هذا المشهد تنفسوا الصعداء.

كانت "كاترينا" تعمل بمفردها جيدًا، وأدخلت إليهم الشاى مرات عدة.

وعلى غير المتوقع، همَّ جميعهم بالأكل سريعًا فقد كانوا يتضورون جوعًا، لكنهم سرعان ما شعروا بالامتلاء خصوصًا أن الكميات وفيرة ويتوالى النصح بتجربة صنف تلو الآخر.

كانوا من حين إلى آخر وبلطف يلقون الطعام لـ"بوليس" تحت الطاولة، ثم فجأة ظهر وهرع خارجًا وطار نحو الباب.

همست "تائيقو" بصوت خافت:

- "يبدو أن الجدة وصلت".

وقبل أى شىء تركت الجدة بضع لفائف من مختلف المشتريات ودخلت المطبخ. بعدها دخل أخو "كاترينا" غرفة الطعام مصطحبًا معه رجلاً أنيقًا يتجاوز الخمسين من عمره.

- "مساء الخير. يا لها من وليمة".

- "تفضلوا تفضلوا".

قالها وانحنى وبالوقت نفسه فرك يديه إحداهما بالأخرى. كان أخوها رجلاً أجنبيًّا ضئيل البنية، ووجهه نحيل مثل "أوزايامون"[1] ، ووجنته مفعمة بالحمرة من رياح المساء الباردة بالربيع المبكر عن

(1) اسم ممثل مسرح "كابوكى" فى عصر شووا.

أوانه، وقال لأخته الصغيرة كلمتين أو ثلاثًا بالروسية، لكن اليابانيين الحضور التقطت آذانهم فقط كلمة: "ماما تشيكا، ماما تشيكا"، وظنوا أنها قد تكون كلمة روسية كنية لـ"ماما".

- "إنى التقيته مع ماما الآن فى كوبيه فعدنا معًا. ها هو ذا". قالها "كرلينقو" وربَّت على كتف صديقه وقال:
- "إنكِ تعرفينه، أليس كذلك آنسة تائيقو؟ صديقى السيد أورونسكى".
- "حقًّا. أنا أعرفه، هذا أخى الأكبر وأختى الكبيرة".
- "أتقولين أورونسكى! ظهر فى ANNA KARENINA"[1].
- "بالضبط هكذا. إنك مطلع جيد. هل تقرأ لتولستوى؟"
- "كل اليابانيين يقرؤون لتولستوى وديستوفيسكى". قالها "كرلنقو" موجهًا كلامه لـ"أورونسكى".

سألت "ساتشيقو" أختها:

مكتبة
t.me/soramnqraa

- "ولمَ أنتِ تعرفين السيد أورونسكى؟"
- "إنه يقطن بالجوار بشقة فى شوكوجاوا هاوس إنه يحب الأطفال للغاية وأينما وجد أطفالاً يدللهم بلطف، وأينما قلت: الروسى الذى يحب الأطفال، ستجدينه مشهورًا للغاية بالمنطقة. إن قلتِ لأى أحد: السيد أورونسكى سيجيب كما ينطقونها: يودوموسكى".
- "وماذا عن زوجته؟"
- "ليست لديه، ويدور حوله الكثير من الأقاويل والكلام المأساوى".

---

(1) رواية ليف تولستوى ANNA KARENINA، وأصبحت فيلماً أمريكيًا شهيرًا.

"أورونسكى" يبدو عليه أنه يحب الأطفال بالتأكيد، رقيق، نظرات عينيه بها الوحدة وشيء ما من المشاعر المرهفة وتحتوى الدعابة أيضًا، وتظهر التجاعيد الدقيقة عند طرف عينيه. إنه يسمع ما يدور حوله من شائعات ولا يحرك ساكنًا. هو قوى البنية بالنسبة إلى "كرلنقو"، جسده تكسوه الشحوم، ولون بشرته يميل إلى الصفرة كأنه منصبغ سمارًا بأشعة الشمس، وشعره باللون الرمادى الداكن، وعيناه سوداوان ما يشعرك بتشابهه مع اليابانيين. يقال إنه كان بحارًا.

- "ليست حاضرة هذا المساء الصغيرة اتسوقو؟"

- "نعم، تلك الصغيرة، لديها واجبات مدرسية للأسف. بالطبع لو كنت أعلم لكنت اصطحبتها معى لأريك ابنتى المدللة".

- "يا للأسف".

حينها دخلت الجدة لإلقاء التحية:

- "إنى أكين هذا المساء فى غاية السعادة. يا أخت تائيقو الكبيرة لِمَ لم تستطِع ابنتك المجىء معكِ؟"

فور أن سمع كلٌ من "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" قولها "أكين" نظرا إلى "تائيقو" باستغراب، لكنها بدورها عملت جاهدة على ألا تلتقى أعينهم، وحولت ناظرها بعيدًا وبمهارة اعتلت وجهها نظرة اللامبالاة، ولم يصبح الأمر غريبًا مرة أخرى.

كان يقال عليها "جدة"، ولكنها ليست مثل المسنات الأجنبيات الممتلئات بل هيئتها مثالية تمامًا، وتنتعل الأحذية ذات الكعب العالي دائمًا. قوامها جميل مع رجليها الرفيعتين، وتسير على الأرض بخفة كالغزال.

كلما قيل عنها "جدة" تأتى لمخيلة "تائيقو" صورتها وهى تسير بنشاط وبمنتهى الحيوية فى وقت التزلج الذى حكت عنه من قبل.

كانت الجدة كلما ضحكت ظهر مكان أسنانها المخلوعة والتجاعيد على جانب وجهها، لكنها كانت فى غاية البياض كأنها دون جلد، وإن شاهدتها عن بُعد لن تتضح مثل هذه التجاعيد أبدًا.

أعادت الجدة ترتيب الطاولة مرة أخرى بعدما جاءت بأصناف جديدة كالمحار الطازج وبطارخ السلمون والفلفل المخلل وكبد الفراخ والخنزير وغيرها من أنواع النقانق، وصفَّتها مع الأنواع المختلفة من الخبز.

فى النهاية جاءت بالخمر وقدموا الكئوس للجعة والويسكى ونصحوهم بخلطه مع الخمر اليابانية "الساكى الساخن"، ومن بين الحضور الروس كانت "كاترينا" و"الجدة" هما من تفضلان الخمر اليابانية.

وكما كانت مخاوفهم بالضبط، ليس هناك متسع حول الطاولة لتكفيهم كلهم. وقفت "كاترينا" عند المدفأة واتكأت على رفِّها، وكانت لا تدعها تنطفئ، وكانت الجدة تأكل وتشرب وهى تقوم بالعديد من المهام وتمد يدها من خلف الجلوس. كانت الشوك والسكاكين غير مكتملة العدد ولا تكفى للجميع، فكانت "كاترينا" من وقت للآخر تلتقط بيديها بعض الأشياء وتأكلها، وإن صادف ولاحظها أى من الضيوف يحمر وجهها خجلاً، وبذلت عائلة "تينوسوكيه" كثيرًا من الجهد ليتصرفوا كأنهم لم يلحظوها.

- "كُلْ من هذا المحار". همست "ساتشيقو" خلسة لزوجها.

كان محارًا طازجًا وإنما له مذاق مميز ليس كمحار المحيط ولونه لا يختلف عن الذى ابتاعته وجاءت به من السوق للتو. أكل الروس بمنتهى الجرأة فى حين أن هذا عند اليابانيين نوع من الهمجية.

- "حسنًا، حقًّا أشعر بالامتلاء". قالها "تينوسوكيه" ووجهه نحو عائلته التى كانت تختلس النظر إليه وهو يعطى الكثير

لـ"بولس" تحت المنضدة. بدا على "تينوسوكيه" تأثر بخليط الخمور المختلفة الذى جعلوه يشربه.

- "ما هذه الصورة؟" قالها وقد اشتدت ثمالته ووصلت ذروتها وهو يشير إلى صور مبانٍ رائعة معلقة بجوار صورة الإمبراطور.
- "إنه قصر TSARSKOYE SELO [1]. القصر الذى بقرب بطرسبرج" (هؤلاء الأشخاص قطعًا لن يعرفوا اسم لينينجراد[2]). أجابه " كرلنقو".
- "قصر TSARSKOYE SELO الشهير!"
- "نعم. كان منزلنا قريبًا جدًّا منه. كنا نرى الإمبراطور يوميًّا وهو خارج من القصر ويركب عربته ذات الخيول، وأتذكر أنى سمعت صوت جلالته ذات مرة وهو يتحدث".
- "ماما تشيكا"، ونادى عليها "كرلنقو" بالروسية طالبًا توضيحًا، فأضاف هو:
- "هذا لا يعنى حرفيًّا أنى سمعت صوت جلالته، وإنما شعرت كأنى أسمعه، فالعربة ذات الخيول كانت قريبة لهذا الحد. على أى حال لقد كان منزلنا بجوار هذا القصر مباشرةً. لا أتذكر سوى أشياء غامضة آنذاك وأنا طفل".
- "وأنتِ يا كاترينا؟"
- "أنا لا يسعنى أن أتذكر أى شىء قبل المدرسة الابتدائية".

---

(1) اسم منتجع صيفى حيث قصر الإمبراطور الروسى، وهو على بعد 24 كم جنوب حى سان بطرسبرج.

(2) كانت ثانى أكبر مدينة بالاتحاد السوفييتى، وحاصرها الألمان لمدة 900 يوم فى واحدة من معارك الحرب العالمية الثانية وعُرف بحصار لينينجراد سبتمبر 1941- يناير 1944، وهى الآن مدينة "سان بطرسبرج".

- "تلك الغرفة، معلقة بها صورة لجلالة الإمبراطور اليابانى والإمبراطورة، فما شعوركم حيالهما؟"

- "نعم، هذا شيء طبيعى. المهاجرون البيض يعيشون هنا بفضل جلالته". قالتها الجدة وصارت تعبيرات وجهها صارمة على نحو غير متوقع.

- "الكل يعلم أن المهاجرين الروس[1] ضد الشيوعية ويناضلون من أجل اليابان حتى النفس الأخير". قال "كرلنقو" هذه الكلمات ثم أضاف:

- "حضرتك ماذا تظن بخصوص الصين؟ ذلك البلد سيصير شيوعيًّا الآن، أليس كذلك؟"

- "حسنًا، نحن لا نفهم كثيرًا فى السياسة، وعلى أى حال فإن المشكلة تكمن فى أن علاقة كلا البلدين الصين واليابان بعضهما ببعض سيئة".

- "حضرتك ما رأيك فى تشيانغ كاى شيك[2]؟" قالها "أورونسكى" متسائلاً وهو يلهو بكأس فارغة فى راحة يده.

- "وما رأيك بما حدث فى ديسمبر العام الماضى فى الصين؟ لقد اعتبر تشان تشو إريان[3] أن تشيانغ كاى شيك سجين حرب، لكنه أنقذ حياته. فماذا يعنى ذلك؟"

- "حسنًا، لقد لاحظت ذلك وإنما لم يرِد عنه أى شيء بالصحف".

---

(1) المهاجرون البيض هم الروس الذين هاجروا من روسيا وقت الثورة والحرب، وكانوا ضد المناخ السياسى المعاصر..

(2) تشيانغ كاى شيك هو سياسى وجندى، وصار أول رئيس لجمهورية الصين ثم هزمه الحزب الشيوعى الصينى بقيادة "ماو تسى تونغ" فى الحرب الأهلية وانتقل إلى "تايوان" فى 1949 وتوفى دون استعادة السيطرة مرة أخرى.

(3) جنرال أول بالجيش الوطنى الثورى.

كان "تينوسوكيه" شغوفًا بالمسائل السياسية وبالمثل فى ما يتعلق بالشئون الدولية، ولديه معرفة فى حدود ما يُنشر بالصحف والمجلات، لكنه فى أى وقت لا يتعدى نطاق المشاهد إطلاقًا، وإنما فى ذاك الوقت اندفع فى الكلام دون تفكير وانغمس فى الموضوع بحذر شديد كى لا يتعثر، وقرر ألا يقول أى رأى خصوصًا أمام أجانب لا يعرف ميولهم.

لكن بالنسبة إلى هؤلاء البيض الذين يلاحقون أخبار وطنهم فهذه المسألة مسألة حياة أو موت، ولا يستطيعون تركها ولو ليوم واحد.

استمر الجدل لحين من الوقت بينهم هم فقط، لكن "أورونسكى" بدا أن لديه تأكيدات بشىء ما طبقًا لمعلومات أكثر عنده بخصوص ذاك الشأن، والآخرون فى الغالب يسمعون فقط ما يدور حولهم.

وكان يجاهد للحديث باليابانية من أجل "تينوسوكيه"، ولكنه كلما خاض فى الأمر قليلاً سرعان ما يعود لاستخدام الروسية و"كرلنقو" يترجم للجميع بين حين وآخر.

الجدة أيضًا كانت مجادلة عقلانية تصغى بهدوء لحديث الرجال دون تدخل، وتجارى التيار مهما احتدت المناقشة أو هدأت، لكن حين تأخذها الحماسة تصبح لغتها اليابانية فوضوية أكثر وأكثر ولا يمكن فهمها لليابانيين والروس أيضًا، فلفت نظرها لذلك"كرلنقو" قائلاً:

- "ماما تشيكا تحدثى بالروسية".

بعدها، لم يعد أى أحد من عائلة "تينوسوكيه" يعرف كيف حدث ذلك، فعلى حين غرة أصبحت المناقشة بين الجدة و"كاترينا" وتطورت إلى حد أشبه بالمعركة. على وجه العموم كانت الجدة ضد الهجوم على كل ما يخص قوميتهم أو السياسة البريطانية، و"كاترينا" بدا أنها تفعل العكس بجنون. كانت الجدة تقول لها إنها ولدت بروسيا ولكن بلادها تلاحقها وذهبت إلى "شنغهاى" ونشأت وهى مستفيدة من الإنجليز، لقد علمها الإنجليز كل المواد الدراسية وعلاوة على ذلك

لم يأخذوا منهم أى مصاريف شهرية ولو لمرة واحدة، وتخرجت فى المدرسة وعملت ممرضة براتب شهرى فى مستشفى، وكل هذا وذاك يعود فضله كله للإنجليز، فما السيئ الذى فعله هؤلاء؟

حين يجعلون الجدة تخوض النقاش إلى ذاك الحد تقول لهم أيضًا أنتم ما زلتم صغارًا فى السن ولا تعرفون شيئًا حقًّا.

شيئًا فشيئًا ازداد الغضب بين الأم وابنتها، وامتقع لون وجهيهما، وتوسط بينهما كل من الأخ و"أورونسكى" وتعاملا مع الأمر بلطف إلى أن انتهى بأن ظلت كل منهما على حالها تتمتم فى سخط فقط لكيلا تفسد المناسبة.

بعدما انتهوا قال "كرلنقو":

"إنهما دائمًا هكذا كلما دار النقاش حول إنجلترا. يا لها من مشكلة".

غيَّر "تينوسوكيه" مقعده مرة أخرى وذهب إلى الغرفة المجاورة وقضى بعضًا من الوقت فى الدردشة والتسلى بأوراق اللعب، ثم نادوه مرة أخرى بغرفة الطعام. بالنسبة إلى الجانب اليابانى فهم لا يمكنهم تناول المزيد من أى صنف آخر، فكانت النتيجة هى زيادة السخاء على معدة "بولس"، وحتى بالنسبة إلى الخمر، بذل "تينوسوكيه" جهدًا مضنيًا محاولاً أن يجارى كلاً من "كرلنقو" و"أورونسكى".

- "انتبه! خطواتك تترنح".

وكان الوقت قد تجاوز الحادية عشرة.

تحدثت "ساتشيقو" وهم فى طريقهم للعودة وسط حقول الأرز حالكة الظلام وقالت:

- "حسنًا. كم منعش هذا النسيم البارد! أهذا حقيقى؟"

"كاترينا" لم تفعل شيئًا سوى أن تخرج بالمأكولات والمشروبات إلى ما لا نهاية! كل مدى يشعرون بالجوع أكثر وأكثر، فتقدم المزيد والمزيد.

يـا لشراهـة هـؤلاء! إن ذُكـر الـروس وجـدت النهـم. بالـشرب أيضًـا لا تُمكِـن هزيمتهـم أو حتـى مجاراتهـم.

- "لكـن مـع كل مـا حـدث، فالجـدة بـدت سـعيدة حـين نادينـا عليهـا. الـروس يحبـون اسـتقبال الضيـوف حتـى لـو كانـت منازلهم صغـيرة إلى ذلـك الحـد".
- "مثـل هـؤلاء فى النهايـة يذرفـون الدمـع عـلى هـذا النحـو، ويبحثـون عـن اليابانيـين فى المجتمـع الـدولى".
- "الأخ وذاك الشـخص الـذى يدعـى أورونسـكى"، قالتهـا "تائيقـو" وهـى فى الظـلام الدامـس تتخلـف عنهـما بخطـوة أو اثنتـين واسـتطردت:
- "ذاك الشـخص ظروفـه مؤسـفة. كانـت لديـه حبيبـة وهـو شـاب، ولكـن بسـبب الثـورة لم يعـد أى منهـما يعلم مـكان الآخـر، وبعدها بأعـوام عـدة عـرف أنهـا فى أسـتراليا، فذهـب إلى هنـاك للبحـث عنهـا، وأخـيرًا عـرف مكانهـا فى النهايـة وتمكـن مـن لقائهـا، ولكـن عـلى الفـور مرضـت حبيبتـه وماتـت، ومنـذ ذاك الحـين قـرر أن يعيـش عزبًـا مـدى الحيـاة".
- "بالطبع سيكون ذاك إحساسه بعد كل ما حدث".
- "لقـد عـانى كثـيرًا للعيـش فى أسـتراليا، حتـى إنـه وصلـت بـه الحـال إلى العمـل بالمناجـم كعامـل، لكـن بعدهـا عمـل بالتجارة واسـتطاع جنـى الأمـوال. الآن لديـه مـا يفـوق الـ500،000 يـن. أخـو كاترينـا تلقـى منـه مـالاً مـرات عـدة".
- "مممـم.. أشـم رائحـة القرنفـل مـن مـكان مـا". قالتهـا "ساتشـيقو" وهـم يتوغلـون فى طريـق لـه سـياج بـ"فيلا تـاون".

- "مـا زالـت هنـاك قرابـة الشـهر حتـى تتفتـح أزهـار الكـرز، أليـس كذلـك؟ لقـد طـال الانتظـار".
- "أنـا لا أطيـق الانتظـار أكـثر". قالهـا "تينوسـوكيه" وهـو يحـاكي الجـدة.

الفصل الثامن عشر

محل الميلاد: محافظة "هيوجو" مدينة "هيميه" بلدة "تاتيماتشى" بناية رقم 20ر

محل الإقامة الحالى: مدينة "كوبيه" حى "نارا" بلوك 4 "أويا" رقم 559.

نومورا مينوكيتشى

سبتمبر 1893

المؤهل الدراسى: تخرج فى جامعة "طوكيو" الإمبراطورية، كلية زراعة عام 1916.

الوظيفة الحالية: مهندس فى قسم الغابات والثروة السمكية، محافظة "هيوجو".

الأسرة والأقارب:

فى عام 1922 تزوج بـ"طوكوقو" الابنة الثانية لعائلة "تاناكا"، وأنجب طفلاً وطفلة. الطفلة ابنته الكبرى ماتت فى الثالثة من العمر. الزوجة "طوكوقو" توفيت إثر حمى فى عام 1935. بعد ذلك الابن الذى كان فى الحادية عشرة من العمر توفى هو أيضًا حين بلغ الثالثة عشرة.

الوالدان سرعان ما فارقا الحياة، ولديه أخت أصغر تزوجت من عائلة "أوتا" وتقطن بطوكيو.

كانت هذه صورة بحجم راحة اليد مكتوبة على ظهرها بالخط الياباني هذه الأمور المذكورة أعلاه، وجاءتهم بالبريد السريع في أواخر شهر مارس من السيدة "چينبا" التي كانت بمدرسة البنات نفسها مع "ساتشيقو".

ما زالت "ساتشيقو" لا تتذكر حتى بعدما استلمتها، لكنها في العام الماضي، وتحديدًا عقب انتهاء الحديث بشأن "سيجوشي" بنهاية شهر نوفمبر، التقت السيدة "چينبا" صدفة في أحد الأيام في تقاطع "ساكورا باشي"، وتوقفتا للحديث معًا قرابة عشرين أو ثلاثين دقيقة، وحينها جاء ذكر الشائعات التي طالت "يوكيقو"، وأنها على تلك الحال لم تتزوج بعد، ولذلك طلبت منها أن تقدم العون، ثم انصرفت، وهذا ما تذكرته "ساتشيقو". لكنها في ذلك الحين كان لديها شعور يقيني بأن موضوع "سيجوشي" شارف على الانتهاء، فأفصحت بمنتصف الحديث عن رغبتها ووجدت من السيدة "چينبا" اهتمامًا بالأمر، وبعد ذلك سألتها عن أحوال أختها الصغيرة وقالت السيدة "چينبا" إنها لم تكن تهتم بالأمر، لولا أن راعى زوجها وولى نعمته السيد "هامادا چووكى" رئيس شركة السكة الحديد بإقليم "كانساى" لديه ابن عم فرَّق الموت بينه وبين زوجته العام الماضي، وهو الآن يبحث عن زوجة.

أضافت السيدة "چينبا" في خطابها المرفق مع الصورة أنها بالطبع تريد لهم فرصة جيدة، وأن:

"السيد هامادا أبدى شغفه بالموضوع ودار الكثير من الأحاديث حتى حصلت على الصورة، لذلك فلتفكر أختك بالأمر، وهذا لا يعني أن زوجي يعرفه جيدًا وإنما لأنه بضمانة السيد هامادا فسيكون شخصية لا غبار عليها، وعلى أي حال أرسلت إليكِ بالبريد السريع

ومرفقة الصورة. فلتنظروا فى الأمر وإن كان يروق لكم فالمذكور بخلف الصورة من تفاصيل يمكنكم الاعتماد عليها فى البحث، وبعدها إن وجدتم أن الفرصة مناسبة وراسلتمونى فسأعمل على تحديد موعد للتعارف".

"ساتشيقو" بمجرد أن وقعت عيناها على هذا الكلام ووجدته حقيقيًا على الفور أرسلت لها لتزورها، أما عن "يوكيقو" فحتى لو تطلب الأمر إجبارها فلا بأس، وعلى هذه الحال وصلت الصورة فى ذاك اليوم المشرق.

أخذت "ساتشيقو" الصورة وكتبت خطابًا للتحية والشكر. لكنها فى العام الماضى وقع عليها اللوم من "إيتانى"، لذلك فهى هذه المرة تعلمت مما سبق ولن تتسرع بالوعود، بل فقط ستشكرها لما لمسته منها من طيب خلق، وإن آل الوضع إلى طول انتظارهم لشهر أو اثنين فستقول لهم إنه كان هناك عرض زواج آخر وللتو رُفض. وعندما فكرت فى حال أختها وجدت أنه من الأفضل أن تبقى على ما لديها من حديث لفترة من الوقت، وهذه المرة سيتوخون الحذر قدر المستطاع. كتبت لها "ساتشيقو":

"بعد التحرى الوافى فإنى لى رجاء عندك، إنكِ كما تعلمين أختى الصغيرة تأخرت فى الزواج وأنا كأخت كبيرة أعتبرها غاية فى البراءة، لذلك أقول لكِ هذا بمنتهى الأمانة، وعليه فهذه المرة ودون أى تسرع، بعدما نبحث بأنفسنا بتروٍّ، إن كان الأمر على ما يرام سنخبر بيت العائلة، وبعدها أيضًا نخبر يوكيقو".

وهذا ما اتفق عليه "تينوسوكيه" معها، وللأمانة "ساتشيقو" لم تكن مهتمة إلى ذاك الحد. بالطبع لا يمكنها القول ببيت العائلة وهم لم يبحثوا بعد، لقد قرآ فقط المكتوب خلف الصورة ولم يرد قط ذكر ما إن كانت لديه ممتلكات أم لا. لكنهما على الفور أدركا أن ظروفه

أسوأ من "سيجوشي". أولاً هو أكبر في السن من "تينوسوكيه" بعامين. ثانيًا هو غير متزوج وتوفى طفلاه من زوجته السابقة، وهذا يهوِّن وضعه، وإنما "ساتشيقو" ترى أن "يوكيقو" لن يروقها الأمر قبل أن تعرف كل ذلك، لأنه من ناحية المظهر وما رأوه بالصورة فهو يبدو عليه تقدمه في العمر ووجهه يبدو كرجل عجوز.

في الحقيقة هم أخطؤوا بإرسالهم صورة كهذه من أجل طلب زواج. للأسف من بعدها لن يستطيعوا رؤيته شابًّا وسيرونه دائمًا عجوزًا. إنه ليس عليه أن يكون وسيمًا ولا يهم إن كان أكبر من "تينوسوكيه"، ولكن هيئته كعريس وهو جنبًا إلى جنب بجوار "يوكيقو" سيبدو حقًّا طاعنًا في السن وستبدو هي مثيرة للشفقة. وبما أنهم يهتمون بحالهم فهم لن يمكنهم التباهي والتفاخر أمام كل الحضور.

وإن كان يستحيل أن يعود شبابه ليبدو كعريس فسيريدونه مليئًا بالحماس مبتهجًا ومفعمًا بالحيوية بأي شكل، ولا هذا ولا ذاك اتضح لـ"ساتشيقو" من الصورة.

لذلك يبقى الوضع كما هو عليه، حتى بعد مرور أسبوع "ساتشيقو" لم تُعِر الأمر اهتمامًا، ولم يتعجلا في البحث. لكنهما لاحظا شيئًا، فمنذ أيام حين جاء البريد الذي به الصورة ألم تكن "يوكيقو" موجودة لتراه ولو صدفة؟ وإن كان الأمر هكذا فهل سكوتها هذا لأنها تخفي شيئًا، أم على العكس هي ليس لديها فضول؟

بالنسبة إلى "ساتشيقو" فإن حال "يوكيقو" ظاهريًّا ليس به أي تغيير ملحوظ، لكن جرحها لم يلتئم بعد، ما يعني أنه من الأفضل ألا تفصح عن شيء حتى بعدما تعاقبت الأحداث سريعًا هكذا.

لكن لِمَ لا تصارحها بمجيء الصورة على أي نحو؟ إنها ستكون في ورطة إن استمرت الحال هكذا على نحو غير طبيعي مراعاةً لحزنها، فعدلت عن تفكيرها وفضلت أن تريها الصورة أولاً، ولعلها تكون

طريقة أيضًا لترى ردة فعلها وماذا ستقول. وعليه ففي يوم وهم قد أوشكوا على الخروج للتسوق، وجاءت "يوكيقو" إلى غرفة الزينة بالطابق الثانى لتبدل ملابسها، قالت لها "ساتشيقو" مباشرةً ودون انتظار لإجابة:

- "يوكيقو، لقد جاءت صورة أخرى. ها هى"، وعلى الفور أخرجتها من الدرج لتريها إياها.

- "اقرئى المكتوب بالخلف".

التزمت "يوكيقو" الصمت وظلت تنظر إلى الصورة فقط ثم قرأت ما بالخلف وسألت:

- "ومن أرسلها؟"

- "أتعرفين السيدة چينبا التى كانت معى بمدرسة البنات؟ قابلتها فى محطة إيما إيدا".

- "مممم. وعلى هذا، أحين قابلتِ تلك السيدة فى الطريق بدأتما الحديث عنى وطلبتِ منها ذلك، وهى أبدت اهتمامها وأرسلت هذه التى جئتنى بها!"

- "الأمر مختلف ولا أطلب منكِ ردًّا الآن فورًا. فى الحقيقة هذه المرة بعدما نتخطى الخطوة الأولى الخاصة بالبحث بدقة سنخبرك لتفكرى فى الموضوع، وحتى لا يبدو الأمر كأننا نخفى عنكِ شيئًا فقط أريها لكِ".

وخرجت "ساتشيقو" بعدما أخذت الصورة وتركتها على الرف وأسرعت لتلحق بـ"يوكيقو" التى خرجت بلا تفكير ونظرها نحو الحديقة.

- "إن كنتِ لا تريدين هذا فاعتبرى أنكِ لم تسمعى شيئًا، خصوصًا أننا ما زلنا سنبحث كما أخبرتك".

- "أختى الوسطى".

قالتها "يوكيقو" وهى ذاهبة إلى وجهتها فى هدوء وتفكيرها شارد فى شىء ما، واجتهدت لتعتلى وجهها الابتسامة وهى تقول:

"إن كان على عروض الزواج فأنا لا أمانع، إنى حتى لم أقُل لكِ الموضوع السابق لم ينتهِ بعد، إنى فقط أريد أن أشعر بشخص ما أو شىء ما يستحق".

- "حقًّا".

- "ألم يكن من الأفضل فى المرات السابقة أن تكون المقابلة بعد البحث جيدًا؟! إن الأمور الخارجية التى تحدث تصعب علىَّ التفكير".

- "حسنًا. إذًا أنا عن نفسى سأخبرك بمثل تلك الأحاديث فقط إذا كان الأمر يستحق العناء".

أكملت "ساتشيقو" ارتداء ملابسها وخرجت وحدها بعدما قالت إنها ستعود فى المساء قبل العَشاء، لكن "يوكيقو" مكثت وعلقت على الشماعة ملابس أختها التى خلعتها وألقتها، وجمعت أوشحة رداء الكيمونو ورتبتها جنبًا إلى جنب، واتكأت على الدرابزين لفترة من الوقت وهى تنظر إلى الحديقة.

فى هذا الوقت كانت مدينة "أشيبا" معظمها غابات على الجبال ومزارع، لكن منذ نهاية عصر تايشوو[1] لم تعد الأراضى الشاسعة المترامية هنا وهناك كما كانت من قبل ولا حتى حديقة المنزل، ففي الماضى كانت أشجار الصنوبر العملاقة التى تصل إلى التراس نحو ثلاث بالحديقة جهة الشمال الغربى. الآن أصبحت كل منطقة التلال وجبال "وقّوو" مطلوبة للحكومة ولا من فاصل بينها وبين شجيرات الجيران، لذا حين ذهبت "يوكيقو" إلى بيت العائلة ببلدة "أويه هون"

(1) بدأ عصر تايشوو فى اليابان فى 1912/7/30 واستمر حتى 1926/12/25.

كعادتها من وقت إلى آخر وعادت بعد أربعة أو خمسة أيام كانت قد انتعش مزاجها وشعرت كأنها ولدت من جديد.

جهة الجنوب حيثما تقف وتلقى بناظريها الآن، هناك ساحات الزهور والمروج وقبالتها تلال صغيرة، والفروع الخضراء عليها الورود الدقيقة البيضاء (قوديمارى) تتساقط فى البحيرة الجافة التى أصبحت جرفًا بين صخور الحديقة، وعلى حافة الماء جهة اليمين تفتحت أزهار الكرز والليلك. ولأن أزهار الكرز تحبها "ساتشيقو" فكان لا بد من زراعة حتى ولو شجرة واحدة بحديقة بيتها لترى أوان تفتح الزهور. منذ بضعة أعوام زرعتها بالحديقة، وحين تزهر تُخرج الحصير تحتها وتفرشه لتجلس مهما قيل لها إن ذلك يضر نموها، وبالفعل فعدد أزهارها كل عام قليل للغاية فى حين أن زهور الليلك مزدهرة ومتفتحة كلها كأنها مكسوة بالثلوج وتفوح منها رائحتها العطرة.

غرب شجرة الليلك تلك، هناك شجرة توت وشجرة قيقب لم تتفتح براعمهما بعد. جنوب شجرة القيقب هناك نوع من الشجيرات يطلق عليه بالفرنسية "Selenga". قالت لهم مدام "تسوكامطو" التى هى مدرستهم للغات إن تلك الشجيرات موجودة بوفرة فى بلادها ولكنها لم ترَها من قبل منذ مجيئها إلى اليابان، وإنه لمن النادر حقًّا رؤيتها بهذه الحديقة. ولأنها المفضلة لديهم جميعًا، فأخوات "يوكيقو" كلهن يعرنها انتباهًا خاصًّا.

حين بحثوا عن معناها فى قاموس فرنسى- يابانى عرفوا أنها باليابانية تسمى (ساتسوما أوتسوجى)، وهى نوع من شجيرات عائلة saxifragales. أزهارها تتفتح عادةً بعدما تسقط أزهار الليلك، وذلك تمامًا مثل زهور الجبال اليابانية المزدوجة والموجودة بالأصل عند سور البوابة الخاص بالغرفة الخارجية، لذلك فحتى الآن الأوراق اليانعة التى على مرمى البصر لم تزهر بعد وإنما تفتحت براعمها فقط.

أمام شجيرات (ساتسوما أوتسوجى) تلك هناك السياج السلكى لحدود الحديقة الخلفية للسيد "Stolz". وتحت شجرة التوت التى تمتد جنبًا إلى جنب بجوار السياج أصبحت "اتسوقو" مؤخرًا تلهو مع "روزمارى" وتجلسان القرفصاء على الحصير وشمس العصر تلمع أشعتها بلطف.

كانت "يوكيقو" تنظر إليهما من بين درابزين الطابق الثانى ووجدتهما قد قسمتا اللعب بينهما وصفَّتاها متكدسة مع سرير ودولاب ملابس ومقاعد ومنضدة للعرائس على النمط الغربى.

استغرقت الطفلتان فى اللعب ونسيتا حالهما وعلت نبرات أصواتهما دون أن تنتبها لنظر "يوكيقو" إليهما.

- "هذا بابا، هذه ماما".

وأمسكت "روزمارى" بيدها اليمنى بدمية على شكل ولد، وبيدها اليسرى دمية أخرى على شكل بنت، وضغطت بهما على جانبى وجهها وهى تصيح:

- "تشووووو".

فى البداية لم تفهم "يوكيقو" ماذا تفعل الصغيرة، ثم حين دققت النظر بدا أنها تجعل الدميتين تقبِّلانها وهى تقول "تشووو" معبِّرة عن الصوت الذى أرادته منهما، ثم قالت "روزمارى":

- "لدينا بيبى".

قالتها وهى تخرج دمية لطفل صغير من أسفل تنورة العروسة الأم، وظلت تكرر الكلمات نفسها لعدة مرات على الحال نفسها "جاءنا بيبى، جاءنا بيبى".

يبدو أن قولها "جاءنا" تعنى به "مولود صبى"، ففى الغرب يعلِّمون الأطفال أن المولود يأتى به طائر اللقلق، ويضعه على غصن الشجرة

ويطير كما يسمعون. وبينما تفكر "يوكيقو" هل تعرف الطفلتان كيف يولد المولود من بطن أمه، كبحت جماح نفسها لتستمتع بالمشهد وهي تستمر بالنظر خلسة إلى ما تفعله الطفلتان.

الفصل التاسع عشر

فى الماضى حين كانت "ساتشيقو" تقضى شهر العسل وسألها "تينوسوكيه" عما تحبه وتكرهه فى المأكولات وأكثر ما تحبه من الأسماك، وهما فى فندق يابانى الطراز بمدينة "هاقونيه"، وتعجب "تينوسوكيه" من إجابتها: "سمك المرجان"، وضحك للغاية لأن سمك "المرجان" نوع رائج للغاية. لكن بالنسبة إلى تفسيرها فإن هذا النوع من الأسماك من حيث شكله ومذاقه فهو أكثر سمك سماته يابانية خالصة، واليابانيون الذين لا يحبونه لا بد أنهم ليسوا يابانيين حقًّا.

إن هذه الكلمات محفورة بصميم قلبها لأن إقليم الصعيد الذى ولدت به يتميز بأفضل مذاق للمرجان فى اليابان بكاملها.

لذلك هناك فخرٌ متخفٍّ كامن وراء كونها من أكثر إقليم يابانى أصيل، وبالمثل أيضًا إن سألتها عن أكثر ما تفضله من الزهور فستقول الكرز دون أى تردد.

منذ قديم الأزل ودواوين الأشعار القديمة والمعاصرة بها أغانٍ عن أزهار الكرز التى تموت منها مئات الآف وتتساقط. الكثير من كبار السن ينتظر تفتحها ويفتقدها حين تذبل، الكثير من الأغانى يردد

هـذا مـرارًا وتكـرارًا، و"ساتشـيقو" وهـى طفلـة كانـت تظـن أن هـذه هـى الأغـانى التقليديـة العامـة، وكانـت تمـضى أوقاتهـا تقـرأ هـذه الأشـعار دون عنـاء، لكـن مـع مـرور الوقـت وبلوغهـا صـارت بـكل مـا فيهـا تـدرك أن كبـار السـن الذيـن ينتظـرون الـورود وقلوبهـم تشـتاقها حـين تطيـل الغيـاب هـم فقـط الفئـة التـى توصـف بـ"رقـى المشـاعر".

كل عـام كلـما جـاء الربيـع تطلب "ساتشـيقو" مـن زوجهـا أن يصطحبها هـى وأختيهـا وابنتهـما لـ"كيوتـو" لرؤيـة تفتـح الزهـور، ولم يقطعـوا هـذه العـادة منـذ عـدة سـنوات وأصبحـت عندهـم مناسـبة معتـادة منـذ أمـد غـير معـروف. مناسـبة بهـا يتغيـب "تينوسـوكيه" عـن عملـه و"اتسـوقو" عـن مدرسـتها، ولم يحـدث ولا لمـرة واحـدة ألا تجتمـع الأخـوات الثـلاث: "ساتشـيقو" و"يوكيقـو" و"تائيقـو".

بالنسـبة إلى "ساتشـيقو" ذبـول الـورود وتسـاقطها يضيـف إلى قلبهـا ذبـولاً كل مـدى حيـال عهدهـا بأختيهـا وهـن فتيـات صغـيرات، وكلـما جـاؤوا كل عـام تسـاءلت فى خاطرهـا تـرى أهـذه آخـر سـنة يشـاهدن الزهـور معًـا ومـع "يوكيقـو"؟! دون أن تخـرج أدنى كلمـة مـن بـين شـفتيها.

بـدا أن هـذه المشـاعر كلهـا بالمثـل لـدى "يوكيقـو" و"تائيقـو" أيضًـا، ولم تكـن أى منهـما لديهـا الشـغف نفسـه بالزهـور بأنواعهـا مثـل "ساتشـيقو"، لكنهـما عـادةً مـا تسـتمتعان بهـذه المناسـبة بداخـل قلبيهـما، وسرعـان مـا ينتظـر جميعهـم تفتـح الزهـور بعـد انتهـاء فـترة مهرجـان "أوميزوطـورى お水取り"، وحينهـا يرتـدون المعاطـف الرسـمية ووشـاح زىّ الكيمونـو، ورداء الكيمونـو الطويـل، ويصـيرون جميعهـم فى حالـة مفعمـة بالمشـاعر نابعـة مـن قلوبهـم تجعلهـم يخطفـون الأنظـار مـن حولهـم.

وأخـيرًا حـلَّ هـذا الفصـل، لكـن حتـى إن بـدأت رحـلات الأطفـال فى الأيـام المحـددة لرؤيـة الزهـور المتفتحـة، فإنهـم لا بـد لهـم مـن اختيـار

يومى السبت والأحد فقط للذهاب بفضل "تينوسوكيه" والصغيرة "اتسوقو".

وها هم ينتابهم القلق كالمعتاد مثلما كان يفعل الكبار حيال الرياح والأمطار، إن كان سيواتيهم الحظ ليكون موعد ذهابهم ذروة تألق الزهور. إن الورود موجودة بالجوار من بيت "أشيبًا" ويستطيعون رؤيتها مرة تلو الأخرى من نافذة قطار خط "هان كيوو"[1]، فالأمر لا يقتصر فقط على منطقة "كيوتو"، لكن "ساتشيقو" ذات الذوق الفريد حتى فى سمك المرجان وكونها لا تفضل سوى مرجان سواحل "أكاشى"، فإنها إن لم ترَ زهور "كيوتو" لا تشعر بأنها شاهدت الزهور. فى ربيع العام الماضى أصرَّ "تينوسوكيه" على ما هو عكس ذلك واقترح تغيير المكان فى هذه المناسبة، وخرجوا وذهبوا حتى كوبرى" كينتاى"، وبعدما عادوا قالت "ساتشيقو": "أشعر كأنى أضعت شيئًا ما وازداد إحساسى بأننى لم ألتقِ الربيع بعد مثل كل عام"، وتوسلت إلى "تينوسوكيه" ليذهبوا إلى "كيوتو"، وفى النهاية كان لا بد لهم من اللحاق بفروع وعناقيد الزهور فى "أومورو"[2]

فى هذه الليلة يكون مبيتهم بنزل "فوياتشوو"، ومع شروق شمس اليوم التالى يذهبون إلى "أراشى ياما"، وهى المحطة التالية لـ"ساجا"، ويتوجهون إلى "بيت الشاى" الذى بمنتصف الجزيرة ويفتحون ما جلبوه معهم من طعام ثم يعودون إلى المدينة فى المساء ويشاهدون زهور حدائق معبد "هييان"، وتبعًا للظروف حينها قد تعود الأختان مع الصغيرة "اتسوقو" ويتركن "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" للمبيت لليلة أخرى، وبهذا يختتمون أحداث هذه المناسبة.

---

(1) خط قطار يذهب إلى محافظة " أوساكا".

(2) حى بمدينة كيوتو اسمه مشتق من حقيقة أن الإمبراطور "أوتا" شيد قصًرا وأطلق عليه اسم "أومورو"، وتشتهر هذه المنطقة بتأخر إزهار شجر الكرز، وبكونها منطقة خلابة ذات تلال صغيرة.

هـن عـادةً مـا يمكـث حتـى آخـر يـوم مـن احتفـالات معبـد "هييـان چنجـو"، فالزهـور بحدائـق هـذا المعبـد هـى الأكـثر جـمالاً فى العاصمـة والأكـثر اسـتحقاقًا للمشـاهدة، فأزهـار حديقـة "مارويامـا" جميعها شـاخت وتسـاقطت، وفى الحقيقـة وقتـما تذبـل كل عـام تظـل الأزهـار هنـا ولا شىء سـواها خـير سـفير للربيـع بالعاصمـة.

وعـلى هـذه الحـال، فهـنَّ فى مسـاء اليـوم الثـانى أو الثالـث يغـادرن مـن إقليـم "سـاجا"، وبالطبـع بمجـرد أن تغـرب شـمس الربيـع يخـترن سـاعة الغسـق ليودعـن مـا تبقـى منهـا، بعدمـا يكـنّ أمضـين منتصـف اليـوم يجوِّلـن تحـت أشـجار حدائـق المعبـد وضفـاف البحـيرة ونهايـات الجسـور ونـواصى الشـوارع وشـجر الكـرز، واحـدة واحـدة يقفـن عندهـا آسـفات إلى أن ينـال منهـن التعـب ويجـرَّنَّ أقدامهـن جـرًّا.

شغفهن حقًّا لا ينتهى.

بعـد عودتهـن إلى بيـت "أشـيبا" أيضًـا تظـل بمخيلتهـن وبـين أجفـان أعينهـن كلـما أغلقنهـا صـورة الأغصـان وألـوان الزهـور عـلى الأشـجار طـوال العـام كلـه وحتـى مجـىء ربيـع العـام التـالى.

كانـت الصغـيرة "اتسـوقو" لا ترتـدى أفضـل ملابسـها الحريريـة ذات الطباعـة والنقـوش والأكـمام الطويلـة سـوى مـرات معـدودة طـوال السـنة، وصغـر عليهـا رداء العـام المـاضى الـذى ارتدتـه لمشـاهدة الزهـور، لذلـك فمثـل هـذه الملابـس التـى لا تعتادهـا بـدت ضيقـة عليهـا هـذا العـام. إنهـا فى هـذا اليـوم عـلى وجـه الخصـوص تضـع القليـل مـن مسـاحيق التجميـل وتتغـير ملامحهـا، وتنتعـل القبقـاب اليابـانى التقليـدى "زورى".

بغرفـة الشـاى الضيقـة بمطعـم "هيسـاجوتيه"، بمجـرد أن جعلـوا الصغـيرة تجلـس ظهـرت ملابسـها الغربيـة التـى تحـت الـرداء اليابـانى، وخرجـت ركبتاهـا عاريتـين، وكان أمامهـم راهـب شـاب عاريـة سـاقه، فمازحهـا الكبـار قائلـين:

- "إنه يا اتسوقو الراهب الصغير بن تن".

كانت الصغيرة لا تزال لا يمكنها الإمساك بعصى الطعام بعد، وكانت تمسكها بطريقة الصغار العجيبة، وفوق ذلك كله تلتف الأكمام على رسغها. لعلها لهذا السبب تختلف طريقتها الآن عما وهى ترتدى الملابس الغربية، وبدا أنها ليست على حريتها فى تناول طعامها، بل بالحظ تستطيع الإمساك بعشبة الـ"كواى" التى بصحنها فتسقط من بين عصا الطعام وتتدحرج من حيث طرفها المبلل، إلى أن سقطت بالحديقة وجرت سريعًا على الطحالب العشبية الخضراء بالأرض، وهنا تعالت ضحكات الكبار و"اتسوقو" أيضًا، وكان هذا أول ما استطاعت فعله من تصرفات مضحكة فى هذا الموسم.

فى صبيحة اليوم التالى ذهبوا أولاً إلى ضفاف بحيرة "هيروساوا"، وتحت إحدى أشجار الكرز الممتدة أغصانها فى الماء وقف كلٌّ من "ساتشيقو" وابنتها "اتسوقو" ثم "يوكيقو" و"تائيقو" بهذا الترتيب. اقترح عليهن "تينوسوكيه" أن يُدخل فى الخلفية جبال معبد "هينچوو" ويلتقط لهن صورة بآلة تصويره من ماركة Leica.

تبادر إلى مخيلاتهن العديد من الذكريات وهن بين أزهار الكرز، منها أنه فى ربيع عام ما حين جئن إلى ضفاف هذه البحيرة كان هناك رجل نبيل لا يعرفنه معه آلة تصوير، طلبن منه أن يلتقط لهن صورة، وبالفعل أخذ لهن عدة صور وتحدث إليهن بلطف قائلاً إن كانت اللقطات جيدة سيرسلها إليهن، ودوَّن عنوانهن وانصرف، وبعد عشرة أيام أرسل إليهن صورة رائعة ولم يخلف موعده حقًّا.

كانت الصورة تحت هذه الشجرة، ويقف كلٌّ من "ساتشيقو" و"اتسوقو" وتنظر كلتاهما جهة البحيرة، وفى خلفية الصورة ماء البحيرة تعلوه أمواج رقيقة. كانت لقطة رائعة لحالة من النشوة بين أم وطفلتها وهما تطيلان النظر كلتاهما إلى الأخرى دون قصد، وتظهر

مشاعرهما بالإعجاب بالربيع المزدهر على سجيتها، وطارت الزهور المتناثرة على كُمَّى رداء الصغيرة.

إنهن منذ أن اعتدن رؤية تفتح الزهور وهن لا بد أن يأتين إلى ضفاف هذه البحيرة ويقفن تحت شجرة الكرز هذه، ولا ينسين مطلقًا تأمل سطح الماء، والأكثر من ذلك أنهن لا يغفلن بتاتًا عن التقاط الصور لهذا المشهد. تظل "ساتشيقو" تتذكر الورود القرمزية بشجر الكاميليا الرائع طوال الطريق بامتداد السور على ضفة البحيرة، وبالطبع تتوقف عند منبع جمال القرمز.

يصعدن الجسر الذى فوق البحيرة، ويمررن من أمام بوابة معبد "تنريووچى" و"سيريووچى" و"داى كاكوشى"، وفى هذا العام أيضًا جئن إلى منطقة جسر "طوجتسو".

من إحدى عاداتهن الغريبة فى موسم مشاهدة الناس للزهور بالعاصمة، أنهن يصاحبن عادةً جموعًا من السيدات الكوريات اللاتى يرتدين الزى الكورى بلون واحد داكن، وهن فى هذا العام أيضًا يتجمعن وكل منهن تجلس القرفصاء بجوار الزهور التى على حافة الماء الجارى تحت جسر "طوجتسو" ويتناولن طعامهن، ومن بينهن من تثمل مبتهجة بخلاف عادات النساء هنا.

فى العام الماضى تجمعت عائلة "ساتشيقو" وفتحوا لفائف طعامهم بمعبد "دابهيكاكو"، وفى العام الذى يسبقه كانت الأخوات الثلاث بجوار الجسر، أما هذا العام فهن قد اخترن جبال معبد "هوورينچى" الذى به البودڤيستاڤا[1].

مرة أخرى عبرن جسر "طوجتسو"، وهن فى ممر دغل أشجار الخيزران شمال معبد "تنريوچى" قلن للصغيرة أن تنظر وترى أعشاش العصافير، وسرن نحو معبد بالحقول وهبت نسمات الرياح الباردة

(1) المتعبدون على النهج البوذى والقادرون على الوصول إلى السكينة

فالمساء حلَّ سريعًا، وحين زرن غرف اعتكاف الناسكين تناثرت بالقرب منهن أعداد لا تحصى من زهور الكرز الموجودة عند المدخل. بعدها خرجن مرة أخرى أمام بوابة معبد "سيريوچى"، ومنها إلى ساحة "شاكادو" حيث استقللن قطار "أتاجو" من المحطة وعدن إلى "أراشيما".

بمرورهن على جسر "طوجتسو" لثالث مرة أخذن قسطًا من الراحة للمرة الأولى بعدما صرن بمحطة "كيتا تزوميه"، ثم استقللن سيارة أجرة إلى معبد "هيان چينجو"، وبدخولهن من البوابة شاهدن واجهة قاعة المداولات للقصر الإمبراطورى. ومن الردهة الغربية إلى حدائق المعبد ومع الخطوة الأولى التى اتخذتها أقدامهن دخلن المكان المخصص لتخزين جذوع الشجر الحمراء بوفرة.

دون أن يدرين ماذا حلَّ بزهور الكرز هذا العام وأشجارها العتيقة التى تعلن للخارج عن هذا الجمال، وبينما يراودهن القلق حيال ما إن كن تأخرن، تسارعت دقات قلوبهن وملأتها الشكوك وهن يجتزن بوابة الممر مثل كل عام، وها هن يجتزن البوابة هذا العام أيضًا وهن تتملكهن الظنون نفسها.

حين نظرن إلى أعلى إلى الغيوم الحمراء المتناثرة بأفق المساء قلن جميعهن على الفور مندهشات: "واااا"، وانطلقت صيحاتهن بالانبهار.

هذه اللحظة على وجه الخصوص هى التى تتربع على عرش الأحداث فى اليومين كلهما، والسعادة بهذه اللحظة هى التى ينتظرنها من عام إلى عام، ينتظرنها منذ أن حلَّ الظلام فى ربيع العام الماضى.

وأخيرًا اكتفين بهذا القدر وهن سعيدات، وبهذا اكتمل لقاؤهن فى موسم تفتح الزهور لهذا العام أيضًا.

تلقائيًا ودون أى شىء وفى الوقت نفسه تمنين أن يحالفهن الحظ ويرين الزهور هذه ربيع العام المقبل أيضًا. لكن "ساتشيقو" لحالها وحدها كانت تفكر هل العام المقبل حين يأتين تحت الشجر

والورود، هل ستكون "يوكيقو" صارت زوجة وتأتى للتجوال معهم احتفالاً بالربيع، أم أن تفتح الورود هذا العام هو آخر مرة لهن معًا، وستصير هى وحيدة؟ حتى إن كان، فمن أجل "يوكيقو" هى تتمنى ذلك بأى حال من الأحوال.

بصراحة هى فى ربيع العام الماضى أيضًا، وفى ربيع كل عام مضى، كانت حين تقف تحت هذه الأشجار تجتاحها المشاعر العميقة، وكل مرة تظن أنها آخر مرة يجتمعن معًا. مع ذلك، فلا عجب أنها هذا العام أيضًا تطيل النظر إلى "يوكيقو" بجوار الورود على ذاك النحو، وبلا داعٍ يعتصر قلبها الألم وهى تنظر إلى وجه "يوكيقو" أمامها وتشعر بأنها لا تستطيع تحمل الأمر.

بعدما ينتهى أوان زهور الكرز تتفتح البراعم الرقيقة لأشجار القيقب والبلوط الأخضر وتزدهر، ويتم تقليم أشجار الزنبق بشكل دائرى.

جعل "تينوسوكيه" الفتيات الثلاث وابنته يسرن أولاً ثم تبعهن حاملاً آلة تصويره، والتقط لهن الصور أينما اعتاد أن يفعل.

على شاطئ بحيرة "بياكّو" حيث تتفتح أزهار السوسن،

على صخور جسر "جاريوو" ببحيرة "صوريو" حين تنعكس الظلال على صفحة المياه، وبكل مكان اصطففن فيه تحت أغصان الزهور المتفتحة بالممرات فى جبل "قوماتسو" غرب بحيرة "سيهوو" وغيرها.

ومع ذلك صار من عاداتهن هنا أن يجعلن الغرباء يلتقطون لهن الصور مرارًا وتكرارًا كل عام. الأشخاص المهذبون يقدمون لهن ما يبتغينه، والوقحون يقطعون المسافة اللازمة لالتقاط الصورة ويمرون بلا مبالاة.

هن يتذكرن جيدًا كل ما فعلنه العام الماضى بكل مكان، حتى أدق تفاصيل الأمور المملة كلها يتذكرنها كلما جئن إلى المكان ذاته،

ويستمرُّنَّ على النهج نفسه، فمثلاً يحتسين الشاى ببيت الشاى الشرقى ببحيرة "سيهوو"، ويلقين بطعام القمح المخصص للأسماك من فوق أسوار الجسور إلى سمك الشبوط الأحمر والذهبى.

على حين غرة ارتفع صوت الصغيرة "اتسوقو":

- "أمى. انظرى.. عروس".مكتبة سُر مَن قرأ

التفتن جميعهن ووجدن مجموعة أمام المعبد الشنتوى انتهت للتو من مراسم الزواج وخرجت من القاعة، والعروس تهم بركوب السيارة، والمتفرجون مصطفون على الجانبين يتابعون فى فضول.

هن فقط رأين من بين الباب الزجاجى طرحتها البيضاء ورداء زفافها المتألق يتلألأ.

فى الحقيقة هذه ليست المرة الأولى لهن التى ينضممن إلى الجموع هنا، فـ"ساتشيقو" كلما ورد لخاطرها شىء فعلته، و"يوكيقو" وتائيقو" كانتا فى حالة غير متوقعة من الهدوء. فى ذاك الحين اختلطن بالحشود التى كانت تنتظر خروج العروس، وظلت "ساتشيقو" تتحدث معهما عن كيف بدا رداؤها وزينة وجهها.

فى ذاك المساء مكث "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" هما الاثنين فقط للمبيت ليلة أخرى بـ"كيوتو"، وفى اليوم التالى زار الزوجان دير "فودوإين"، الذى أنشئ بمجمع معابد "تاكاأو" فى العصور الذهبية، والذى كان يزوره والد "ساتشيقو"، فتذكرت حديثه مع الراهبة العجوز، ثم قضت وقتها مع زوجها فى هدوء لنصف يوم. هذا المكان مشهور بأشجار القيقب، لذلك فهى الآن سرعان ما كستها الأوراق الخضراء النضرة، وفقط أمام الحديقة بجوار جدول المياه بدأت تتفتح براعم زهور السفرجل، وارتشف الزوجان عذوبة الماء الصافى للجبال كل منهما من شفتى الآخر، واشتهيا ملء كئوسهما مرات عدة وهما يتأملان جمال المشهد، ونزلا فى مرج منحدر طويل.

كان طريق عودتهما يمر من أمام معبد "نينا چي"[1]، وكانت "ساتشيقو" تعلم أنه ما زالت الزهور الكبيرة للكرز لم تتساقط بعد، فطلبت من زوجها لو فقط يأخذان قسطًا من الراحة تحت الأغصان ويتناولان بعض المخبوزات بساحة المعبد، لكن الشمس بدأت طريقها إلى المغيب وإن حلَّ الظلام فلا بد لهما من المبيت لليلة أخرى، وهما يعلمان ذلك جيدًا من خبراتهما السابقة في كل مرة، فأسرعا إلى محطة "شيتشي چوو" وقلبها متعلق بكل مكان خطت فيه أقدامهما، "ساجا" و"ياسيه أووبارا" و"كيوميزو"، وأدركا المحطة بعدما تعدت الساعة الخامسة من مساء ذاك اليوم.

بعد مرور أيام، كانت "ساتشيقو" كلما خرج زوجها لعمله تدخل مكتبه لترتبه، لكن صدفة وجدت ورقة خطابات ملقاة على جنب ومكرمشة[2]، ففتحتها ووجدت بها هذه العبارات مكتوبة في عجالة وبقلم رصاص في الهامش:

في "ساجا" في يوم مشهور في شهر أبريل

خير الأناس بأبهى الملابس متوافدين

فتفتُّح الزهور بـ"ساجا" ما له مثيل

كانت "ساتشيقو" هي أيضًا تؤلف الأشعار وهي طالبة، وحتى وقت قريب كانت تدوِّن خواطرها في مذكِّرة تأثرًا بزوجها، وكانت تجد المتعة في ذلك، لكنها حين قرأت ما دوَّنه زوجها ثار شغفها على نحو غير متوقع، ومنذ أيام عدة وهي لا يسعها أن تجمع كل ما في مخيلتها عن معبد "هييان چينجوو"، ثم لخَّصت أفكارها بعد قليل من الوقت كالتالي:

---

(1) *المعبد الرئيس لطائفة "shingon" البوذية، ويقع غرب "كيوتو". تأسس في عام 888 ميلاديًا وتعتبره اليونسكو أحد مواقع التراث العالمي.

(2) اسم مفعول من فعل كرمش- يكرمش- كرمشة بمعنى يجعده ويضم بعضه إلى بعض.

رأيت الورود فى "هييان چينجوو" متناثرة

زهور متساقطة للربيع مفارقة

أخبأتها سرًّا لتظل لى مرافقة؟

أضافت أبيات الشعر هذه بالقلم الرصاص فى الهامش بعد شعر زوجها، ووضعت الورقة مفتوحة بمكانها نفسه فوق المكتب. حين عاد "تينوسوكيه" إلى بيته فى المساء ودخل مكتبه لم يتحدث بأى شىء يفصح عن انتباهه للأمر، و"ساتشيقو" أيضًا نسيته.

لكن فى صباح اليوم التالى حين ذهبت "ساتشيقو" لترتيب غرفة المكتب كعادتها، وجدت الورقة بمكانها كما كانت فى الأمس، وإنما بعد أشعارها دوَّن "تينوسوكيه" بخط يده الكلمات التالية:

فى النهاية رأينا من الزهور بتلات

فى الخفاء هى للربيع السعيد رفات

الفصل العشرون

- "عزيزى.. هيا فلتكملها، إن بذلت مزيدًا من الجهد فقط على هذا النحو ستبدع".
- "فعلاً، ولكنى إن فعلت لن يسعنى أن أتوقف".

صباح الأحد، وفى ذلك اليوم، أراد "تينوسوكيه" أن يدعو زوجته مرة أخرى لمشاهدة الأشجار النضرة مثلما فعلا بـ"كيوتو" فى الشهر الماضى حين ذهبا لرؤية الورود المتفتحة، لكن "ساتشيقو" منذ ذاك الصباح وهى فى مزاج سيئ وجسدها متعب دون سبب يذكر، فأجَّلا الخروج، وفى المساء تحمسا لإزالة الأعشاب الضارة من الحديقة.

حينما تملكا هذا المنزل لم يكن كل العشب بهذه الحديقة قد نما بعد، لكن المالك السابق حذَّرهما إن تركا العشب ينمو فلن يمكنهما حصره، وكان ذلك فى اتفاق البيع ولكنهما لم يأخذا بالنصيحة، و"تينوسوكيه" هو من دعَّم إنباته. والآن الأمر صار ذا شأن وكل مدى يزداد سوءًا مقارنةً بأى مكان آخر، وبالفعل خضاره تأخر عن المعتاد، وإنما "تينوسوكيه" يأخذ على عاتقه مسئوليته لأنه هو من أيَّد وجوده، فهو يعتنى بالعشب عناية فائقة، لكن من أسباب سوء

نموه أنه منذ أن بدأت براعمه فى الظهور فى أول الربيع والعصافير تأتى عليه وتلتقطه وتأكله. حين اكتشف "تينوسوكيه" ذلك وهو يبذل قصارى جهده لمنعها. بمجرد أن يحل فصل الربيع كل عام تصير مهمته ملاحقة العصافير وتفريقها وإلقاء كل ما تطاله يده من حصى عليها، وتنزعج أسرته أيضًا حتى إن أخواته بالقانون كثيرًا ما يقلن: "ها قد جاء موسم رمى الحصى لدى أخينا".

أيضًا حين تنشر الشمس دفئها، وتهب الرياح من وقت للآخر مثلما حدث اليوم، يرتدى بنطال عمل وغطاء رأس للبحر ويأخذ أمامه عربة وحقيبة الراعى وبآلة جزّ العشب يبدأ فى تشذيبه.

- "عزيزى.. نحلة، نحلة كبيرة".

- "أين؟!"

- "إنها هناك".

لقد تمكنوا من حجب الشمس بالتراس بوضعهم للستائر كما فعلوا العام الماضى.

مكثت "ساتشيقو" فى الظل على مقعد من الجلد وخشب السندر، لكن النحلة جاءت خلسة على كتفها ثم اتخذت لها موضعًا فوق طبق مقليات صينية، وبعدها دارت لمرتين أو ثلاث حول أصيص لزهرة الفاونيا وطارت نحو زهور حمراء وبيضاء متفتحة من فصيلة زنبقيات "هيرادو"، وظلت تطن بأزيزها.

حمل زوجها شوكة العشب ودخل شيئًا فشيئًا فى العتمة بين الأغصان السميكة والأوراق الكثيفة للبلوط والخيزران بطور السياج السلكى على حدود حديقتهم، حتى صارت لا تراه من مكانها ولا يظهر منه إلا طرف قبعته الكبيرة من بين مجموعة زهور "هيرادو".

- "الناموس أعظم شأنًا من النحل، إنه يلدغ من فوق القفازات".

- "حسنًا. فلتكتفِ بهذا القدر إذًا".
- "دعكِ من ذلك وأخبرينى لمَ أنتِ فى مزاج سيئ اليوم، ماذا حدث؟"
- "متعبة وسأخلد إلى الفراش، وإن لم تأتِ لأكثر من ذلك سأبتهج ويصفو بالى".
- "متعبة! ماذا بكِ؟"
- "رأسى ثقيل، أشعر بالغثيان وبالخمول فى أطرافى. ماذا تظن؟ أهى أعراض لمرض عضال؟"
- "ماذا تقولين؟ إنه مجرد تعب أعصاب". ثم أضاف "تينوسوكيه":
- "حسنًا. اكتفيت".

قالها بصوت يملؤه الشعور بالارتياح، ونهض رافعًا الأوراق القاسية للخيزران وألقى بالسكين التى معه لزوم تقطيع الجذور التى أمام العربة، وخلع قفازيه، وجفف عرقه بظهر يده التى بها لدغة الناموس، وعلى الفور انحنى ممدًا فقرات ظهره، وبعدها فتح صنبور المياه بجوار حوض الزهور وغسل يده.

- "أليست بعوضة؟"

قالها وهو يصعد داخلاً للتراس ويحك رسغه بشدة حيث تورم واحمرَّ لونه.

- "الربيع حلَّ ومعه البعوض".

صاحت بها "ساتشيقو" وهى تتوجه للداخل، وبعد وقت عادت مرة أخرى ونزلت إلى الحديقة، وهذه المرة بدأت فى التقاط أوراق الزهور الذابلة.

هذه الزنبقيات كانت منذ أربعة أو خمسة أيام فى أوج تفتحها، وهى الآن قد ذبلت فى غضون 6 دقائق وأصبحت قبيحة متسخة

ومنفصلة عن الزهور البيضاء وهى ملطخة بلون أصفر كالنفايات، ومع ذلك كانت تلتقطها "ساتشيقو" واحدة واحدة برفق وتلقيها بحرص، وبعدما تبقت سداة الزهرة[1] كما لو أنها لحية قطعتها هى أيضًا بعناية.

- "أوف! جاء البعوض"، قالتها وهى تكمل ما تقوم به ثم استطردت:
- "المكان يلزمه تنظيف".

بمجرد أن جاء "تينوسوكيه" بجوار زوجته وهو يحمل حاوية مصيدة الناموس صاح:

- "يا للهول!"، ونظر بداخل عينيها.
- "ماذا؟"
- "إنه هنا، المكان ذو اللون الأبيض بعينيكِ".

لقد كانت تخفيه الشمس والآن تحت الظل وقبل أن يحل الظلام حين أخذها "تينوسوكيه" لحافة التراس وأوقفها فى أشعة شمس الغروب، قال:

- "إن ما بداخل عينيكِ أصفر اللون".
- "أصفر!"
- "نعم. بياض عينيكِ صار باللون الأصفر".
- "إذًا، ماذا عساى أن أفعل! أيكون مرض اليرقان[2]؟ إنى لا أدرى".

---

(1) العضو الذكرى بالزهرة.

(2) اليرقان JAUNDICE هو مرض اصفرار الجلد والأغشية الملتحمة فوق بياض العين والأغشية المخاطية الأخرى، وذلك بسبب ارتفاع البيليروبين فى الدم، والاسم الدقيق لهذه الحالة هو "اصفرار الملتحمة".

- "لا أدرى. هل أكلتِ شيئًا مليئًا بالدهون؟ ألم تأكلى شرائح اللحم بالأمس؟"

- "بالضبط. هل تظن بسببها؟"

- "مممم. لا أدرى إن كان كذلك أم لا، ولكن إن كنتِ تشعرين بالإعياء والغثيان فبلا خلاف هذا هو اليرقان".

أصاب "ساتشيقو" الذهول مما قاله زوجها بلا داعٍ، ولكنها لا تقلق إلى هذا الحد حيال ما إن كان هو "يرقان" أم لا، بل على العكس سريعًا ما دبَّ بها النشاط وبدت بعينيها السعادة.

- "حسنًاإذًا. دعينى أرى".

وضع "تينوسوكيه" جبهته على جبين زوجته وقال:

- "أليست حرارتك مرتفعة؟! هيا، حالتك سيئة. استلقِ فى الفراش هيا وليأتِنا السيد كوشيدا ليتفحصك".

واصطحبها للدور الثانى وعلى الفور أجرى المكالمة الهاتفية بنفسه.

إن السيد "كوشيدا" طبيب لديه عيادته الخاصة بالقرب من محطة "أشياجاوا"، وهو ماهر فى التشخيص وذو موهبة متميزة. إنه صار ذائع الصيت للغاية بالمنطقة ويظل يوميًا لما بعد الساعة الحادية عشرة ليلاً يجول بين الزيارات الطبية المنزلية دون حتى أن يتناول عشاءه، لذلك فهو ليس من السهل إطلاقًا إيجاده، وعليه، فبمجرد أن قال "تينوسوكيه": "فليأتِنا"، همَّ ذاهبًا إلى الهاتف فى الحال. أجابه الممرض الذى يعمل لديه منذ زمن طويل: "أوتشيهاشى"، ونادى الطبيب بعد إلحاح "تينوسوكيه"، لكن حتى مع ذلك فإنه إن لم يكن المرض خطيرًا لن يأتيهم على الفور كما يرغبون بل سيتجاهل الأمر، ولذلك اتبع "تينوسوكيه" سياسة التهويل وهو يصف له الحالة بالهاتف.

فى ذاك اليوم أيضًا بعدما تعدت الساعة العاشرة وهم ما زالوا فى انتظاره ظنوا أن السيد "كوشيدا" تناساهم، ولكن فى اللحظة نفسها وقبيل الساعة الحادية عشرة بقليل سمعوا صوت توقف سيارة.

- "بلا شك هذا يرقان".
- "إنها أكلت الكثير من شرائح اللحم بالأمس".
- "ذاك هو السبب. أنكِ أكلتِ الكثير بوجبتك. من الأفضل تناول الحساء يوميًّا".

كان السيد "كوشيدا" شخصًا أسلوبه فى الحديث مألوف ويميل إلى الفكاهة، وبسبب انشغاله الدائم تجده يجرى فحوصه الطبية بسرعة وسلاسة، وهكذا يأتى ويذهب فى عجالة كالريح.

منذ اليوم التالى و"ساتشيقو" تمضى حياتها مستلقية بغرفة بالمشفى، وبصرف النظر عن كونه مرضًا غير مؤلم فإن الوضع كان سخيفًا وحالها كل مدى تسوء. من إحدى السخافات أيضًا أن الطقس كان كئيبًا، فقد كان الوقت قبيل الفصل المطير والجو حار عالى الرطوبة لا يصفو ولا يمطر، وربما بسبب استمرار ذاك الطقس السئ انتابها إحساس كأنها ليس لها مكان لتأوى إليه، ولأنها لم تستطِع الاغتسال لبضعة أيام جعلتهم يأتونها بمنشفة مبللة بالكحول ويبدلون لها ملابس نومها التى اتسخت بالعرق.

جعلت خادمتها "أوهارو" تفرك لها ظهرها، وفى ذاك الحين جاءت طفلتها ووقفت عن بُعد وسألتها:

- "أمى، المزروع هنا بين السريرين، ما هذه الزهرة؟ هل هى زهرة الخشخاش؟"
- "ماذا!"

- "حين أنظر بداخلها أشعر كأنها ستبتلعنى".

- "حقًّا!"

بالطبع للأطفال أحاديثهم الواعدة، وهى بخلاف وضعها ووجودها بالمشفى أصبحت تمسك برأسها وينتابها ألم شديد، والسبب أمام عينها مباشرةً، فالصغيرة لم تتوقف عن السؤال "ولمَ هذا هنا؟" وغيرها من أسئلة على الشاكلة نفسها ظلت تطرحها. كلامها كله يدور حول أنه بالتأكيد هناك سبب لوجود زهرة الخشخاش بين السريرين، وهذه الزهرة حين تتفتح فى الحقول يكون لها جمالها الخاص، وإنما هكذا هى وردة واحدة فقط موضوعة بين سريرين وتعيش فى مزهرية. مجرد رؤيتها فقط تعد شيئًا مرعبًا، "ستبتلعنى"، واستفاضت "اتسوقو" فى رص كلماتها على ذاك النحو.

- "فى الحقيقة، أنا عن نفسى لدى الشعور نفسه، وإن كان على الكبار أن يقولوا العكس".

قالتها "يوكيقو" متعجبة، وأول شىء فعلته هو أنها أنزلت تلك الزهرة وبعدها جاءت بأصيص زهور الزنبق وزنبق النجمة الحمراء وبدأت تنسقها. كان الألم الشديد الذى تعانى منه "ساتشيقو" يجعلها لا تريد أى شىء على الإطلاق، ولكن زوجها علَّق بسريرها أبياتًا شعرية ذات سجع كانت دائمًا تطلبها منه ليبعث بها بعض الحيوية، فكتب لها:

فصل قصير يمر سريعًا

فى "كاجاواكا جيه كى" المساء مطير

مساء مطير فى أعالى "أتاجو" ترعاه غيوم نهر "كيوتاكى كاوا"

ويبدو أن الأجواء تلك بغرفة المشفى كان لها بالغ الأثر، ففى اليوم التالى صارت "ساتشيقو" مزاجها فى خير حال، وفى المساء وبعد الساعة الثالثة رن الجرس وبدا أن هناك زائرًا قادمًا لها وسمعت

وقع الأقدام، وبالفعل جاءتها "أوهارو" تخبرها بوجود زوجة السيد "نيوو" وبصحبتها سيدة تدعى "شيموتزوما" وأخرى تدعى "ساجارا" بالاستقبال.

لم تلتقِ "ساتشيقو" بعائلة "نيوو" منذ زمن طويل، ولكنهم ذهبوا لزيارتها مرتين فى أثناء غيابها لذلك جاؤوها بالمشفى، لكن "ساتشيقو" قالت يا ليتها جاءت وحدها كانت صعدت لغرفتها، فالسيدة "شيموتزوما" ليست من صديقاتها المقربات، وعلاوة على ذلك هى لم تسمع باسم "ساجارا" من قبل، ما جعلها ترتبك قليلاً. إنها بالطبع كانت تفضل أن تظهر "يوكيقو" بدلاً منها، لكن الأخيرة قطعًا لا تأخذ أى دور أمام غرباء أو أناس لا تعرفهم. إن استغلت "ساتشيقو" ظروف مرضها واعتذرت عن عدم لقاء الضيوف سيصبح الأمر لا يغتفر فى حق أسرة "نيوو" التى تأتيها كل مرة عبثًا.

إنها أيضًا تعانى من الملل الشديد، لذلك كانت فى حالة سيئة ومن حين إلى آخر تغفو وتستيقظ مرارًا وتكرارًا ما جعلها لا بد لها أن تعتذر عن هيئتها غير المرتبة. على أى حال هن فى الاستقبال بالأسفل، فسارعت "ساتشيقو" بالجلوس أمام مرآتها وأخذت تمسح وجهها وتربُت على بشرتها بمساحيق التجميل البيضاء واستبدلت بثيابها رداء كيمونو صيفى، واستغرقت ثلاثين دقيقة حتى تنزل لمقابلتهن.

- "دعينى أقدم لكِ، هذه هى زوجة السيد ساجارا".

قالتها السيدة "نيوو" لـ"ساتشيقو" وأشارت لها بإحدى عينيها وأضافت: "معروف أنها عادت للتو من الخارج"، وكانت سيدة ملابسها على الطراز الأمريكى الخالص.

- "إنها صديقتى منذ عهدنا بمدرسة البنات. زوجها موظف بشركة ملاحة بحرية، لذلك حتى وقت قريب كان مقر إقامتهما فى لوس أنجلوس".

- "أهلاً وسهلاً".

قالتها "ساتشيقو" وعلى الفور ندمت على لقائها هؤلاء الضيوف، فهى حتى إن لم تفكر فى أول لقاء لها معهن وهى هزيلة هكذا بسبب المرض، فهى بكل حال من الأحوال لم تظن مطلقًا أن تلك السيدة مذهلة إلى هذا الحد وأنيقة على أحدث صيحات الموضة أيضًا.

- "إنكِ مريضة.. ممَ تعانين؟"

- "إنه اليرقان. انظرى، حول حدقتى عينَى إنه أصفر اللون".

- "فعلاً إنه أصفر للغاية. ألا تشعرين بالإعياء؟" سألتها السيدة "شيموتزوما".

- "فعلاً، لكن اليوم تحسنت كثيراً".

- "عذرًا، لقد أزعجناكِ بمثل هذا الوقت. نيوو ألا تراعين؟ هيا، أولى بنا الانصراف".

- "ماذا؟ وبسببى ستظن أننا أناس سيئون؟ كلا يا سيدتى ماكى أوكا، فى الحقيقة لقد وجدت السيدة ساجارا بالأمس فجأة وهى لا تعرف شيئًا بإقليم كانساى، ولذلك فأنا أتولى مهام الدليل وقلت لها سأجعلك تقابلين سيدة هى مثال للعصرية كلها من أوساكا إلى كوبيه، ولديها كل شىء تتمنين رؤيته".

- "ماذا؟ مثال؟ ماذا تعنين بقول مثال؟"

- "يا للإحراج. أعنى (مثال) بمختلف المعانى، ولقد فكرت طويلاً وفى النهاية وقع اختيارى عليكِ".

- "أبدو حمقاء".

- " بالتأكيد بسبب ما تعانينه من مرض فلن تتفضلى بمشاركتنا.. إذًا.."

قامت السيدة "نيوو" ووضعت أغراضًا فوق مقعد البيانو، وفكّت رباطًا حول صندوقين أحدهما فوق الآخر مملوءين بثمار طماطم رائعة كبيرة وجميلة للغاية.

- "هذه من السيدة ساجارا".

- "ماذا؟ يا لها من ثمار جميلة، من أين أتيتِ بها؟"

- "إنها من ثمار منزل السيدة ساجارا، وهى لا تبيعها".

- "آه الأمر هكذا! عفوًا. السيدة ساجارا أين تسكن؟"

- "فى كيتا كاماكورا، ولكنى عدت العام الماضى ولم أمكث بذاك المنزل سوى شهر أو شهرين فقط".

كانت السيدة "ساجارا" كلما قالت "فقط" أو "لذلك" قالتها بطريقة غريبة، حتى إن "ساتشيقو" ذاتها لا تستطيع تقليدها، لكن إن سمعتها "تائيقو" الموهوبة فى مثل هذه العادة لأصبح الأمر مضحكًا لدرجة لا تحتمل.

- "إذًا أين ذهبت أو قمت بجولات؟"

- "دخلت المشفى لبعض من الوقت".

- "ماذا؟ ممَ تعانين؟"

- "انهيار عصبى حاد".

- "يا ساجارا إنه مرض المرفَّهين".

هكذا التقطت السيدة "شيموتزوما" أطراف الحديث.

- "لكن مهما كانت المدة التى مكثت بها بمشفى سيروكا فالأمر لا بأس به. الجو منعش فالبحر قريب خصوصًا أن المكان هناك جميل، لكن لأنه قريب أيضًا من السوق المركزى للبلدة فمن حين إلى آخر تأتى الرياح برائحة السمك، وكانت تأتى إلى مسامعى أيضًا أجراس معبد هون چان چى".

- "معبد هون چان چى له مبنى رائع، فلنذهب إليه يومًا وندق أجراسه".

- "واااا، حقًا سنفعل!"

- "وماذا بها؟ حتى لو كان صفير إنذار وليس جرسًا سنطلقه أيضًا".

- "وبعدها ندق أجراس الكنيسة أيضًا".

- "حسنًا".

قالتها "شيماتزوما" فى عجالة وتنفست الصعداء ثم أضافت:

- "إنى سأصير ممرضة بمشفى سيروكا، ما رأيكما؟"

- "أظن أنه جيد حقًا".

وتملصت السيدة "نيوو" من الحوار بسلاسة، لكن "ساتشيقو" بلغت مسامعها الشائعات حول أن السيدة "شيموتزوما" لا تعبأ بشئونها العائلية، وشعرت الآن بالدلالات الخفية لهذه الكلمات.

- "حسنًا، إذًا إن كان ما لديكِ هو اليرقان فإنه يفضل وضع كرات الأرز تحت الإبط".

- "ماذا؟"

قالتها السيدة "ساجارا" وهى تشعل قداحتها وتنظر إلى وجه السيدة "نيوو" فى شك وحيرة وأضافت:

- "إنكِ تعرفين أشياء فى غاية الغرابة".

- "إن وضعتِ كرات الأرز تحت الإبطين سيصير لونها أصفر حتى إنكِ ستظنينها اتسخت".

هكذا قالت السيدة "شيموتزوما".

- "سيدة ماكي أوكا هل تفعلين ذلك؟"

- "كلا. أنا للمرة الأولى أسمع هذا الحديث. أعلم فقط أنه يفضل شرب الحساء".

فقالت السيدة "ساجارا":

- "يا له من مرض غير مكلف سواء بهذا أو بذاك".

ظنت "ساتشيقو" أنه ما دام جئن لها بهدية أعجبتها هكذا فلا بد لها من أن تدعوهن للعشاء وتعد الإعدادات اللازمة، لكنه ما زال هناك ما يقارب الساعتين على موعد العشاء، فتراجعت عن توقعاتها وتظاهرت بالتعب الشديد.

بالنسبة إلى "ساتشيقو" النماذج التى على شاكلة السيدة "ساجارا" هى شيء ردىء من حيث شخصيتها وسلوكها وأسلوب كلامها وهيئتها، مهما كانت تتبع صيحات "طوكيو" فى أحدث الماركات وأجودها.

إنها أيضًا كانت بين سيدات "هانشين"(1) حين تجد منهن من تستخدم لكنة "طوكيو" بطلاقة تأتى أمامهن يخيب أملها، وبدلاً من أن تشاركهن الحديث ينتابها شعور بأن كل ما هو بلكنة "طوكيو" ردىء، وبالعكس تتمسك باستخدام كلماتها المحلية عن عمد، وعلى هذا النحو حتى مع السيدة "نيوو"، فـ"ساتشيقو" من عادتها دائمًا أن تتكلم بلكنة "أوساكا"، واليوم المجموعة كلها ترغب فى استخدام لكنة "طوكيو"، فظلت هى وحدها ولا تبالى بالتقرب إليهن. أما السيدة "نيوو" فهى أمضت طفولتها فى "أوساكا" وبدأت علاقتها بـ"طوكيو"

(1) عاصمة محافظة أوساكا".

حين التحقت بمدرسة بنات هناك واختلطت كثيرًا بأهلها، فلم يعد من الغريب أن تتحدث هذه اللكنة بطلاقة.

فوق كل شيء، حين نزلت إليهن "ساتشيقو" بعدما تأخرت عليهن طويلاً، تفاجأت بما لم تكن تعرفه بعد، وهو أن السيدات صرن يستخدمن نظرات الأعين، ويقلبن شفاههن ويمسكن بالسيجارة بين إصبعي الوسطى والسبابة للتدخين في هدوء.

لهجة "طوكيو" إن لم تستخدم منذ البداية مع التصرفات والتعبيرات سيبدو أنك لا تعتادها، وللوهلة الأولى سيظنون أنك شخصية سيئة، وإنما "ساتشيقو" من الشخصيات التي لا تفشل إطلاقًا مهما طال صبرها وظلت لا تحرز تقدمًا، لكن في ذاك اليوم تحديدًا حين سمعت ثرثرتهن هن الثلاث شعرت بالضيق وصار الأمر كريهًا ومزعجًا للغاية واتضح هذا على لون وجهها، لذلك بادرت السيدة "شيموتزوما" بحركة لماحة ونهضت وأجبرتهن دون أن تتراجع وهي تقول:

- "عفوًا، هيا نيوو، الأمور ليست على ما يرام. نستأذنك، هيا بنا".

الفصل الواحد والعشرون

لم تكن رحلة "ساتشيقو" من المرض للشفاء قاسية للغاية، وإنما هي لم تتماثل للشفاء سريعًا، وكما بدا فإن تعافيها امتد حتى بداية الفصل المطير.

في يوم ما تلقَّت مكالمة هاتفية من أختها الكبيرة ببيت العائلة تود زيارتها للاطمئنان على صحتها، ولكنها في الوقت نفسه سمعت أمرًا مفاجئًا، أن أخاها بالقانون نال ترقية وأصبح مديرًا لفرع بـ"طوكيو"، ولا بد لهم في القريب العاجل من الانتقال من بيت العائلة في "أويه هون ماتشي" إلى "طوكيو".

- "ممم.. وهذا متى؟"

- "أخوكِ سيستلم مهام منصبه الجديد من الشهر المقبل، وعليه في البداية أن يذهب وحده دوننا إلى أن يتدبر أمر مسكن ثم سألحق به أنا فيما بعد، فأنا ما زلت عالقة بشأن مدارس الأطفال، وقد تمتد الحال هكذا حتى شهر أغسطس".

وبينما تروى هكذا اختنق صوتها بالبكاء، وكان هذا ملحوظًا حتى عبر الهاتف.

- "وهل حدث هذا فجأة؟"
- "بالضبط. إنه فجأة، حتى إن أخاكِ لم يسمع أى شىء عنه من قبل".
- "الشهر المقبل! موضوع سريع للغاية. وماذا عن بيت أوساكا؟"
- "لا أدرى. ما زلنا نفكر. إن الذهاب إلى طوكيو أمر لم أفكر فيه حتى فى أحلامى".

إن الأخت الكبيرة التى من عاداتها دائمًا الحديث طويلاً عبر الهاتف، وتقطع المكالمة ثم تعاود الاتصال والثرثرة مرة أخرى ومرة تليها، هى منذ ميلادها لم تبتعد ولو لمرة واحدة عن أرض "أوساكا"، وبعدما صارت فى السابعة والثلاثين من عمرها صار لا بد لها أن تفعل.

استمرت شكواها على مَرّ ثلاثين دقيقة أخرى فى المكالمة بها ألم لا ينتهى.

بالنسبة إلى الأخت الكبيرة كل الأقرباء وزملاء زوجها بالعمل وغيرهم الكثير من الناس الذين يهنئون بالترقية ليس فيهم واحد -حتى واحد- يتفهم إحساسها. إن تجاهلتهم سيقولون عنها قديمة الطراز وعفا عليها الزمن والنهاية هى هى ذاتها لا أحد يشد أزرها حقًا ويتبسم فى وجهها مجاملاً.

بالنسبة إلى هؤلاء كلهم هذا ليس انتقالاً إلى بلد أجنبى بعيد مثلاً أو حتى إلى مناطق ريفية نائية، بل إنه عمل بقلب "طوكيو" التى هى مقاطعة إمبراطورية غنية عن التعريف، فما الذى يمكن أن يكون محزنًا فى ذلك؟

إنها حين فكرت وبحثت فى مكنون نفسها وجدت أنها بكل حال من الأحوال حزينة، حزينة حتى على فراق مناطق "أوساكا" التى اعتادت سكناها، وبانهمار دموعها صار الأمر مضحكًا حتى بالنسبة إلى الأطفال.

حتى حين أخبرت "ساتشيقو" وذهبت إليها وهى لا تزال متشككة، "ساتشيقو" أيضًا لم يسعها إدراك مشاعر أختها الكبيرة.

أختهن الكبيرة هى التى سرعان ما صارت بديلاً لأمهن ترعى أخواتها الصغيرات وأبيهن، وبموت والدهن وبعدما صارت أخواتها فى سن الرشد وجاءها عريسها صرن كأبنائها، وتمحور دورها مع زوجها حول استعادة أملاك الأسرة التى تتهاوى.

بين الأخوات الأربع هى الأكثر تحملاً للمشاق، أو بالأصح هى أكثرهن تلقيًا للتعليم القديم، وهى الابنة الحبيسة للعقلية الأصيلة القديمة، وتتمسك بها للآن، ولهذا فليس من الغريب أنها حتى هذا الحين مع زوجها الذى يعد من الطبقة الوسطى، وبعدما صارت فى السابعة والثلاثين من عمرها، لم ترَ "طوكيو" ولو لمرة واحدة فى حياتها.

الشائع فى "أوساكا" أن بنات العائلات لا يخرجن للتجوال فى رحلات مثل بنات "طوكيو"، وحتى أختيها الصغيرتين اللتين بعد "ساتشيقو" نادرًا ما تذهبان للتنزه شرق "كيوتو"، لكن أخواتها الثلاث لديهن تجربة الذهاب إلى "طوكيو" لمرة أو مرتين، فقد كانت لديهن فرصة الذهاب مع الرحلات المدرسية.

لكن الأخت الكبيرة سريعًا ما جعلتها الظروف مسئولة عن شئون الأسرة، لذلك لم يسعها الوقت لتذهب فى رحلات وغير هذا.

من ضمن الأسباب أيضًا أنها كانت على قناعة بأنه ليست هناك أراضٍ أجمل من "أوساكا"، ففى الفنون لديهم ممثل الكابوكى الشهير "جانچيروو"، وفى المطاعم والأكلات لديهم "هارى بان" أشهر وأقدم

مطعم. ولأنها لم يسبق لها الذهاب إلى أماكن لم تعرفها من قبل، فإنها كانت حتى لو سنحت لها فرصة لتفعل كانت تقدمها لأخواتها الصغيرات وتفضل المكوث بالبيت، مقتصرًا دورها على الرد على الهاتف فى أثناء غيابهن.

أما بيت العائلة فى "أويه هون" الذى تسكنه حاليًا فهو الآخر على طراز "أوساكا" الأصيل. بمجرد العبور من بوابة السور العالى تجد منزلاً قائمًا بذاته، واجهته بها النوافذ ذات الإطارات المتشابكة والحديقة ممتدة من المدخل وحتى البوابة الخلفية. فقط الضوء الخافت فى وقت الظهيرة يمتد لداخل الغرف من بين أشجار وزهور الحديقة التى إضاءتها بأعمدة من خشب الصنوبر اللامع. إنه تحفة معمارية.

الأخوات جميعهن لا يعلمن متى تم بناؤه، وفى الغالب بناه الأجداد منذ عشرات السنوات ليكون مقرًا إضافيًا أو لما بعد التقاعد، واستعاره فرع من العائلة والأقرباء، لكن أباهن فى سنته الأخيرة استعاده ونقلهن جميعًا للعيش به اتباعًا لأحدث صيحة حينها بفصل مقر الإقامة عن المتاجر، فقد كان جميعهم حتى ذاك الحين يقطن بمتاجرهم برصيف الميناء، لذلك فهن لم يسكنَّه لفترة طويلة إلى ذاك الحد، وإنما فى طفولتهن كان يسكنه بعض أقربائهن ولم يدخلنه سوى مرات معدودة، وبه لفظ أبوهن أنفاسه الأخيرة، ما يجعله له ذكرى خاصة لديهن.

بهذا، فمشاعر حبها لبلدتها مسقط رأسها "أوساكا" مرفق بها الكثير من المشاعر الجياشة نحو هذا البيت، الذى يشغل حيزًا لدى "ساتشيقو" أيضًا.

فى الحقيقة حتى بالنسبة إلى "ساتشيقو" التى تستغرب من العقلية القديمة لأختها الكبيرة، فإنها بمجرد سماعها لذاك الخبر فجأة عبر

الهاتف انقبض قلبها على الفور، وأول ما فكرت فيه هو هل لن يمكننا الذهاب إلى ذاك البيت أبدًا؟

بلغ مسامع "يوكيقو" و"تائيقو" الكثير من الثرثرات الخبيثة، مثل: "ليس هناك أسوأ من ذاك المنزل، فإضاءة الشمس به غير صحية"، "أنا لا أدرى كيف هو شعور تلك الأخوات ليسكنَّ مثل ذاك المنزل"، "إنى لو مكثت فى ذاك البيت لأكثر من ثلاثة أيام سأمرض"، لكن أن يختفى منزل أوساكا تمامًا فهذا شيء بالنسبة إلى "ساتشيقو" أيضًا يعنى اقتلاع جذورهن من محل الميلاد، لذلك انتابها نوع من الشعور بالوحدة المريرة.

فى النهاية، خلاصة القول هى أن أخاهن بالقانون رب بيت العائلة ترك تجارة العائلة والإرث وأصبح موظف بنك، ومنذ ذاك الحين وهو يجب عليه اغتنام الفرص بتنفيذ أوامر نقله للفرع الإقليمى، مما يعنى أن الأخت الكبيرة عليها ترك بيتها الحالى فى أى وقت، لكن الأمر كان شأنًا مهملاً لم يتطرق إليه أحد من قبل حتى بالتفكير، ولا الأخت الكبيرة ذاتها ولا "ساتشيقو" أو باقى الأخوات ولا مرة من قبل.

مرة وحيدة قبل عام 89 حين أُرسل إلى فرع "فوكو أوكا"، لكن "تاتسو أوو" حينها ناشدهم بأنه لديه أسباب عائلية تحول دون تركه لبلدة "أوساكا"، فسمحوا له وفقًا لرغبته حينها بأن يظل بمنصبه الحالى دون زيادة لراتبه، ومن بعدها وهم فى البنك يراعون حالته الاجتماعية ويقولون عنه سليل العائلة العريقة، واستقرت الحال على إقرارهم بأنه هو فقط لا يتم نقله. بالطبع ليست هناك موافقة رسمية على ذلك، وإنما بطريقة أو بأخرى ترسخ بأذهانهم أنهم يمكنهم الاستقرار فى "أوساكا" دائمًا وللأبد، لذلك هذه المرة وقع عليهم الخبر كصاعقة من السماء.

لكن هناك شيئًا ما فى هذه المرة، هل السبب هو أن سياسة التنقلات بالمناصب العليا للبنك تغيرت، أم أن السبب هو أن "تاتسو أوو" ذاته يرغب فى الترقى لمنصب أعلى حتى لو كان عليه أن يبتعد عن "أوساكا" هذه المرة؟ على حد هذا القول يصبح الوضع هو أن رفاق "تاتسو أوو" يمضون قدمًا فى التدرج الوظيفى فى حين أنه هو ثابت بمكانه بلا حراك، وهو خائب الآمال بعض الشىء، وزاد عدد أطفاله مع ازدياد متطلبات المعيشة. وبسبب حركات التغيير فى الاقتصاد العالمى فالإرث من أبيه بالتبنى صار لا يمكن الاعتماد عليه كالسابق.

تشعر "ساتشيقو" أيضًا بأن إحساس أختها بالرحيل وأراضى موطنها تطاردها هو إحساس يرثى له، وفراقها للبيت يشعرها بالضياع، لذلك ظلت تذهب إليها فى زيارات سريعة كلما استطاعت لتشد من أزرها كل يومين أو ثلاثة.

حادثتها أختها الكبيرة بالهاتف لتخبرها أنها لا تدرى متى سيمكنها المجىء إلى "أوساكا" والعودة مرة أخرى، وأن عائلة "أوطو يان" ستستأجر المنزل بإيجار زهيد فى أثناء غيابهم، وبما أنه لم يتبقَّ الكثير من الوقت على شهر أغسطس فلا بد لها من إعداد الحقائب، وهى ستوجد يوميًّا بالمخزن فمنذ وفاة والدهن وكل المتعلقات والمفروشات المنزلية تتكدس به.

كانت "تسوروقو" كلما بدأت العمل بمكان ما تجد الأمر لا يجدى نفعًا، فالأمتعة تتراكم فى أكوام كالجبال هنا وهناك، وكلما حدقت إليها أصابها الذهول. بالطبع بين كل تلك الأمتعة هناك أشياء لا تحتاج إليها وربما تريدها "ساتشيقو"، لذلك طلبت الأخت الكبيرة منها المجىء وإلقاء نظرة، وكان هذا ما جاء بمكالمتها.

أما عن عائلة "أوطو يان"، فاسمهم بالكامل "كاناى أوطو يان"، الأب رجل عجوز يستخدم بيتًا له فى "هاماديرا" لقضاء الإجازات، والآن تزوج ابنه وتوظف بمتجر "تاكاشيما" ببحر الشمال فأصبح هو وحده بلا أعباء، لكن أولاً وأخيرًا العلاقة تظل بالزيارات المنتظمة، لذلك أقرباؤه هم من يتولون رعايته.

خرجت "ساتشيقو" مساء اليوم المشرق الذى تلقت به المكالمة الهاتفية الثانية من أختها، وذهبت لترى، ومن منتصف الحديقة كان يسعها أن تشاهد باب المخزن المفتوح على مصراعيه.

- "أختى".

ودخلت من الباب المفتوح وهى تنادى عليها، وكانت أختها بالطابق الثانى بذلك اليوم الرطب الحار فقد ابتدأ الفصل المطير، وكانت تمكث فى الرائحة العفنة منهمكة فى الأشياء التى ترتبها وتغطيها، والأمتعة تحيطها من كل جانب وتدوِّن كل ما بالصناديق المتكدسة البالية التى أمامها، وبجوارها صندوق ملابس مستطيل كبير مفتوح غطاؤه ويمتلئ إلى آخره بصناديق صغيرة مغلقة.

أخذت الأخت الكبيرة أحد تلك الصناديق بحرص وفكت ربطته. كان به إناء مخبوزات فخارى وقنينة الخمر "الساكى" من الخزف اليابانى، تفحصتهما واحدة واعادتهما مكانهما كما كانا، وقسمت الأشياء إلى جزء ستحمله معها وجزء ستتركه كما هو وجزء ستتخلص منه، لكن "ساتشيقو" سألتها:

- "أختى. هل تحتاجين إليها؟"

- "مممممممم، مممممم"، وأشارت لها بيدها بجدية وهى شاردة الذهن.

رأت "ساتشيقو" دون قصد حجر حبر ظاهرًا بداخل صندوق مع أختها، وتبادر إلى مخيلتها على الفور مشهد والدها حين اشتراه. إن والدها كان شخصًا يهوى جمع كل قيِّم لا يختلف عليه اثنان من الأنتيكات من اللوحات والمخطوطات، لكن أحيانًا من حوله كانوا يجعلونه يتمسك بأشياء حمقاء كهذا الحجر الذى اشتراه بمئات من الينات حين أخبره أحدهم أنه موجود بمتجر للتحف.

استحضرت "ساتشيقو" الموقف وبمخيلة كالأطفال ظلت تفكر هل لهذا الحجر أن يكون باهظ السعر هكذا، وهل لوالدها أن يشترى مثله دون أن يكون خطاطًا أو فنانًا؟! لكنها سرعان ما شعرت بالسخف لأنه بالتأكيد اشترى مع هذا الحجر اثنين آخرين ليختم الأسهم. إنه بعد شرائه لهذا بعدة أيام أراد إهداء هدية لصديق مقرب إليه فى احتفاله بعامه الستين، وكان شخصًا يكتب الأشعار الصينية وحاصلاً على دكتوراه فى الطب، وبالفعل اختار عبارات التهنئة التى يريد نقشها على الحجر، ولكن للأسف كانت بالحجر شوائب تحول دون النقش عليه، فاستعاد ما دفعه فيه من نقَّاش الأختام الذى ابتاعه منه، لكن لأنه شيء تطلب مالاً باهظًا فلم يرمِه، ولمدة طويلة فيما بعد ظلوا يلحظونه بالقرب فى مكان ما.

- "أختى، هذا، هل هو الحجر الدامى؟"
- "مممم".
- "هذا ليس هو".
-
- "حسنًا يا أختى".
-

كانت الأخت الكبيرة تضع على ركبتيها صندوقًا مكتوبًا عليه: "صندوق أوراق وأدوات مكتبية، مشغولات معبد قودای چی"، وكان يستحيل فتح غطائه القاسى المتشابك بأصابعها، واستحوذت عليها رغبة فتحه خصوصًا وهى لم يرِد إلى مسامعها أى شىء من تلك الكلمات من قبل.

لم يكن بالغريب على "ساتشيقو" أن ترى أختها هكذا، فهى تعمل بمثل هذه الأجواء وتقف بحيز ليس به مكان لموطئ قدم ومنهكة إلى حد يجعلها لا تسمع أحدًا. إنها ربة منزل حازمة يعجب بها كل من يسمع عنها، لكنها فى الحقيقة ليست شخصية صارمة إلى ذاك الحد، فبمجرد وقوع أى حادث بأى وقت فإنها تتفاجأ ثم تفقد وعيها، وبعد مرور بعض الوقت تبدأ فى مواصلة عملها بحالة من العصبية الشديدة، إن رأيتها فى موقف كهذا فى النهاية ستظنها زوجة مثابرة نشيطة لا تبخل ببذل كل قطرة دم، لكن ذلك فى الحقيقة تحفيز دون أن تدرى ماذا تفعل وتصبح كأنها تتحرك بحلم.

- "ألا تظنين أن أختك الكبيرة غريبة الأطوار؟ كنت أحادثك بالأمس فى الهاتف ويختنق صوتى بالبكاء، فأنا مهما كنت أتحدث وأذرف الدمع فلا أحد يشاطرنى، ومن عاداتى أن أخبرك أن تأتينى لأتحدث إليكِ، واليوم حين رأيتكِ قادمة وتدخلين المخزن شعرت كأنى بحلم وأرتب الأغراض ولم يسعنى الرد عليكِ وأنتِ تناديننى أختى".

حين عادت "ساتشيقو" فى المساء أشاعت بين أخواتها ما دار من حديث بينها وبين أختها الكبيرة.

- "أختى الكبيرة، أهى من تتحدثين عنها حقًا!"

- "إنها حتى حين رأيتها، وحتى الآن كلما هدأت قليلاً سرعان ما تعود للبكاء مرة أخرى".

فى منتصف اليوم التالى جاءت مكالمة لـ"يوكيقو" من أختها الكبيرة تريد منها المجىء، فخرجت وهى لا تدرى بأى حالة ستراها هذه المرة، ولكنها مكثت معها أسبوعًا.

- "ها قد انتهينا من ترتيب معظم الأمتعة، لكنكِ ما زلتِ بمزاج عصبى"، قالتها "يوكيقو" وضحكت.

لقد قالت لها هذه الكلمات لأن أختها الكبيرة نادتها، ثم علمت أن والدى زوجها سيأتيان من "ناجويا" فى زيارة لتودعيهم فعادت وطلبت منها الرحيل، وبالفعل وصل والداه مساء اليوم التالى الذى كان يوم سبت وعادا أدراجهما فى وقت متأخر من ليل الأحد، وسريعًا ما جاء اليوم الخامس والسادس من الشهر. كانت الأخت الكبيرة فى أثناء ذلك تذهب إلى غرفة المكتب يوميًّا لتخط مخطوطات فنية. كان لديها شعور بأنه يجب عليها توجيه رسائل الشكر لكل بيت وكل مكان وُجدت به، بدايةً من بيت عائلة زوجها فى "ناجويا" ومرورًا ببيوت أقربائها، وكانت تستمتع بذلك وهى وحدها بعيدًا عن الناس.

كانت تلك مهمة كبيرة بالنسبة إليها، وفكرت فى أن تكتب أنها بمضجعها أخت بالقانون لـ"تاتسو أوو"، وهى زوجة الأخ الكبير رب العائلة، وهى المرأة الماهرة فى فن الخط، لذلك فهى لا تنهزم.

هذا أشعرها بالتوتر أكثر وأكثر. إنها عادةً حين تنوى كتابة خطاب لأخوات زوجها الكبيرات فى "ناجويا" تأتى بقاموس ونماذج لعبارات يمينًا ويسارًا على المكتب، وتبحث جيدًا كى لا تكون أى مخطوطة على نمط الخط الصينى المختصر الذى تصعب قراءته على من لا يعتاده، وتحرص أيضًا على انتقاء الكلمات، وبكثير من المرات تكتب مسودة أولاً، وعلى هذه الحال قد تستغرق كتابة الجواب الواحد يومًا بكامله، لكنها هذه المرة تكتب نحو خمسة أو ستة خطابات دون أن تستهون بإعداد المسودات أو تكتبها بطريقة سهلة، وأمضت

يومها فى التدريب، وظلت تسأل "ساتشيقو": "أجيد هكذا؟ أم أعيده لمرة أخرى؟"، وتناقشت معها بعدما جعلتها ترى المسودة. إنها اليوم منذ أن خرجت "يوكيقو" إلى أن عادت وهى لم تكتب سوى نسخة واحدة على هذه الحال.

- "حسنًا، على أى حال أختى الكبيرة حين تذهبين إلى منزل سيادة المدير التنفيذى لإلقاء التحية، عليكِ إلقاء خطبتك من الذاكرة وستجدين الموضوع سهلاً كأنكِ تناجين ذاتك".
- "لا يمكننى فعل ذلك، فالحديث الذى سأقوله كتبته فجأة وأنا أحاول تمالك نفسى كى لا تنهمر دموعى الحزينة، لكن لا داعى للقلق من الآن فأنا استعددت بقدر استطاعتى، وقد أذهب إلى طوكيو سريعًا فى أول يوم بالشهر دون القيام بهذه الزيارة. سيتفاجأ الأقرباء، ولكنى آسفة".
- "حقًّا إنكِ تفضلين العيش هكذا".

ولبعض من الوقت قامت الأخوات الثلاث بوضع أختهن الكبيرة على لوح التقطيع وانهلن عليها بمثل تلك العبارات واستمررن فى حديثهن الضاحك.

الفصل الثانى والعشرون

كان "تاتسو أوو" يتردد على المتاجر فى "مارو أوتشى" منذ اليوم الأول بشهر يوليو، فهو بادر بالذهاب من أواخر شهر يونيو ويتطفل على منزل أقربائه فى منطقة "أزابو"، ويبحث بنفسه عن منزل للإيجار فى متناول يده، ويبحث له الآخرون أيضًا، وبعدما وجد واحدًا فى حى "أووموري" أرسل لعائلته خطابًا بأنه استقر رأيه على ذلك. وعليه، بعدما انتهت احتفالات "چيزو" فى شهر أغسطس، استقلت عائلته قطار المساء فى يوم الأحد التاسع من الشهر، وكان "تاتسو أوو" قد عاد إلى "أوساكا" قبل يوم أى السبت. جاء أقرباؤه وأصدقاؤه المقربون لتوديعه رسميًا بالمحطة حين رحيله ذاك المساء.

كانت الأخت الكبيرة "تسوروقو" منذ بداية شهر أغسطس وهى يوميًا تزور بيتًا أو اثنين من معارف وأقارب زوجها لإلقاء التحية، إلى أن انتهى بها المطاف حيث لا بد لها أن تفعل، وذهبت إلى البيت الفرعى فى "أشيّيا" للمبيت لبضعة أيام عند "ساتشيقو"، هذا بجانب زيارة الوداع الرسمية. إنهن كن مشغولات الفكر دائمًا بالترتيبات الفائقة لكل شيء، أو بالأحرى قول إنهن يعملن بكل ما بهن من

قـوة وبـلا راحـة بسـلوك أشـبه أن يكـون غريـب الأطـوار، وإنمـا وفقًـا لطبعهـن وخصوصيتهـن هـن الأربـع التـى لم يجدنهـا منـذ أمـد طويـل، وكـن يتمهلـن آسـفات عـلى مـا تبقـى لهـن مـن وقـت بإقليـم "كانسـاى"، وأردن أن يتناسـين كل شيء وكل أحـد، وظللـن منتظـرات انـصراف السـيدة "أوطـو يـان" ليرتديـن الملابـس الخفيفـة، وتركـن عـبء الصغـيرات الثـلاث للمربيـة التـى اصطحبتهـن بالفعـل.

لكـن فى الحقيقـة لا بـد مـن التفكـير هنـا، تـرى كـم مـن عـدد سـنين تطلبـه الأمـر لتجتمـع أربعتهـن هكـذا تحـت سـقف واحـد ويمضـين وقتهن بالثرثـرة دون قيـد ودون حـدود؟!

إن "تسـوروقو" لم تذهـب إلى بيـت "ساتشـيقو" فى "أشـيّيا" إلا لمـرات معـدودة، وإن ذهبـت لتراهـم لا تمكـث لأكـثر مـن سـاعتين فى فاصـل بـين مهامهـا المنزليـة.

أمـا عـن "ساتشـيقو" فهـى حتـى إن ذهبـت لزيـارة بيـت "أويـه هـون" يلتـف حولهـا الصغـار جميعهـم ولا يدعـون أى مجـال لتبـادل الأحاديـث حيـث لا هـدوء عـلى الإطـلاق، مـع أنـه لـو سـنحت لهـما فرصـة عـلى الأقـل لتبـادل الأحاديـث، خصوصًـا أن لـكل منهـما حيـاة زوجيـة، لـكان مـن الأفضـل، لذلـك هـذه المـرة كان اسـتمتاعهما هـما الاثنتـين عـلى وجـه الخصـوص وتحدثهـما فى مثـل تلـك الأحاديـث وسـماع كل منهـما للأخـرى فى مواضيـع متراكمـة منـذ عـشرات السـنوات منـذ أن كانتـا فتاتـين.

لكنهـن الآن بعدمـا جـاء هـذا اليـوم واجتمعـن للمبيـت معًـا، فـإن الأخـت الكبـيرة بـدلاً مـن ذاك الحديـث نادتهـن لتنـال قـدرًا مـن التدليـك قبـل كل شيء، وبـدت كأنهـا حـل بهـا فجـأة تعـب عـشرات السـنوات، وظلـت مـن الظهـيرة بغرفـة النـوم بالطابـق الثـانى وهـى فى حالـة مـن السـعادة لكونهـا تسـتلقى كـما يحلـو لهـا.

وعلى الرغم من أن "ساتشيقو" كانت تنوى أن تدعو أختها الكبيرة إلى متجر طعام صينى ببلدة "نان كين" وإلى فندق "أورينتال" لأنها لا تدرى الأماكن فى "كوبيه" جيدًا، فإنها فى ذاك الحين بدلاً من أن تصطحبها فى هذه الجولة استلقت ومددت رجليها واسترخت دون أن يلحظها أحد، وبسبب الحر القائظ اكتفين بوجبة خفيفة من الأرز مع الشاى دون أن يجعلن "ساتشيقو" تقدم لهن أى وجبة ليتناولنها، لكن فى اليوم الثالث ودون الخوض فى حوار حول ما سيقمن به وأمضين وقتهن فى التجوال.

بعدما عادت "تسوروقو" بعدة أيام ولم يتبقَّ على مغادرتها سوى يومين أو ثلاثة، جاءتهن للزيارة على حين غرة امرأة عجوز، وهى الجدة "طومى ناجا". إنها الأخت الصغيرة للمرحوم أبيهن. كانت "ساتشيقو" حتى ذاك الحين وهى لم تلتقِ الجدة من قبل، فظلت تخمن ما الذى جاء بها وجعلها تخرج من بيتها فى يوم حر كهذا. على الأرجح كانت تدرى "ساتشيقو" تمامًا بذاك الشأن الذى أتى بها.

وكما ظنت بالضبط المشكلة تتعلق بـ"يوكيقو" و"تائيقو". باختصار إن كانت إلى الآن كلتا الأختين تتردد على البيت الرئيس بـ"أوساكا" ذهابًا وإيابًا بلا أى قيود، فمن الآن فصاعدًا لا يمكن أن يستمر الوضع هكذا. فلأنهما فى الأصل مكانهما بيت العائلة فلا بد لهما من الذهاب معهم إلى "طوكيو".

بالنسبة إلى "يوكيقو"، فهى لا يلزمها أى ترتيبات خاصة للانتقال، فمن الغد تعود إلى بيت العائلة بـ"أويه هون" وتظل معهم، أما عن "تائيقو" فبسبب عملها قد تتأخر على نحو أو آخر من أجل تسوية شئونها وما باليد حيلة، لكن لن يزيد الأمر عن شهرين بالتأكيد، ولا تجعلوها تتوقف عن مزاولة عملها ولا مانع من أن تنخرط فى العمل وتصنيع الدمى هناك بـ"طوكيو". بالتأكيد ستجد هناك تسهيلات

للعمل من الكثير، حتى إن أخاها أيضًا لديه معارفه الخاصة من عمله، فإن كانت هى مجتهدة بالفعل فليسمح لها بتخصيص غرفة لعملها أيضًا بـ"طوكيو".

قالت الجدة كلامًا كله على هذه الشاكلة، وإنما فى الحقيقة المشكلة كانت أن "ساتشيقو" كل همها هو ضرورة خوض نقاش حول ما إن كانت تنوى المبيت أم لا، لكنها لم ترد أن تتفوه بكلمات صارمة هكذا إن كانت قد جاءت فى إجازة للاستجمام، لذلك لم تنطق بأى كلمة وتركتها تقول كل ما تريد رغم تعبها، وانتظرت حتى قالت الجدة إنها جاءت اليوم لتتصرف "ساتشيقو" بذاك الشأن.

على أى حال كان متوقعًا تصعيد الأمر ووصول كلام الجدة إلى بيت العائلة بعد ذهابهم إلى "طوكيو"، لذلك لم تتناقش مع أختيها المعنيتين قط، لكن كلتيهما كتمت بداخلها شعورًا بالإحباط ليس بهيِّن.

أما لاحقًا، فقد كانت كل من "تائيقو" و"يوكيقو" على علم بأن أختهما الكبيرة غارقة فى تجهيزات الانتقال، لذلك عادتا إلى بيت بلدة "أويه هون" دون كثير من القول فقد كان لا بد لهما من مساعدة أختهما، وأيضًا كان ذهابهما هربًا نوعًا ما.

أمضت "يوكيقو" أسبوعًا فقط، لكن "تائيقو" سريعًا ما بدأت تذكر مشاغل عملها الكثيرة، وأغلقت على نفسها غرفة عملها مثلما الحال بـ"أشيبا"، ففى الأيام السابقة عاودت المبيت لليلة واحدة فقط فى أثناء وجود أختهما الكبيرة، ولم تعُد إطلاقًا جهة "أوساكا" مرة أخرى.

لأنها الأهم لها على الإطلاق ألا تأخذ خطوة أولى تثير تلك المشكلة. هى بالطبع ترغب فى توضيح النوايا بكونهما يريدان المكوث فى "أوساكا"، لكن كلمات الجدة تدل على أن الحديث دار هنا فقط، أما عن كراهية "يوكيقو" للعودة إلى بيت العائلة، فأليس من الأفضل تسوية الأمر مع "تاتسو أوو"؟

قطعًا هو شخص ليس كما يظنون، فهو ليس لديه أى مشاعر سيئة حيال أى من الأختين. إنه فقط الأشخاص الذين أصلهم من "ناجويا" طريقة تفكيرهم غاية فى الانضباط، وبمثل هذه الحالة وكونهما تفضلان البقاء فى "أوساكا" دون الذهاب إلى بيت العائلة، سيكون بالنسبة إليه الأمر متعلقًا بالكرامة وصعب أن يذكره أحد، فالوضع سيئ من حيث المظهر العام، وإن تجرأ أحد وطرحه عليه فلن يسمح، وبعدها سيكون على "تسوروقو" أن تعانى ويلات هذا المأزق.

بهذا، فالمطلوب من "ساتشيقو" هو الاقتحام. إن كلتا الأختين ستستمعان لما تقوله، وإنما ألن تكون مهمة إقناعهما صعبة حتى لو كانت حيل "ساتشيقو" ماهرة؟

الورطة هى أن الكل سيسىء فهمها، فإن لم يعودا إلى بيت العائلة سيظنون أنها هى السبب وراء ذلك، أليس كذلك؟

لقد صارت زوجة بالغة ولديها القدر الكافى من الحنكة، وإنما كل هذا الكلام الكريه فى النهاية بمَ سيجدى؟ إنها لم تعد طفلة يسحبونها من يدها ولا بد لها من خوض النقاش، فهى أكثر أحد له تأثير وبدلاً من أن يتحدث أى أحد آخر.

تساءلت الجدة:

- "اليوم هل يوكيقو وأختكن الصغيرة هنا بالبيت؟" وقالتها بأسلوب قديم بكلمات رصيف الميناء، فانجرفت "ساتشيقو" بالتيار وأجابتها بالأسلوب القديم نفسه:
- "إن تائيقو مشغولة للغاية، نادرًا ما تعود".
- "إذًا، يوكيقو هنا. فلتنادِها".

اختفت "يوكيقو" على الفور بمجرد سماعها لصوت الجدة على البوابة. فى الغالب فعلت كالأطفال وهربت لغرفة بالدور الثانى، وحينما صعدت "ساتشيقو" لترى بالفعل وجدتها بغرفة المعيشةكما توقعت.

كانت جالسة بفراش الصغيرة تلقى برأسها ومستغرقة فى التفكير، ورأتها أختها من بين فتحات ستارة الخيزران وقالت لها:

- "يوكيقو ماذا بكِ، ما الأمر؟"
- "..."
- "لقد جاءت الجدة".

حسب التقويم، فإنه قد بدأ الخريف، ولكن منذ بضعة أيام عاد الحر مرة أخرى. منذ السبت الماضى والجو مثقل بحرارة لا تتغير، وعلى غير المعتاد تجلس "يوكيقو" بهذه الغرفة سيئة التهوية وهى بملابس حريرية من قطعة واحدة من خامة "كريب چورچيت". إنها تعلم أن جسدها النحيل لا تناسبه الملابس الغربية لذلك بالصيف بوجه عام عادةً ما ترتدى الكيمونو الصيفى وتعقد حزامه، لكن فى الأيام شديدة الحرارة لا يمكنها الاحتمال، وفى منتصف اليوم وحتى المساء ترتدى مثل تلك الملابس الغربية أمام أفراد أسرتها فقط وتتجنب أن يراها "تينوسوكيه"، لكن حدث أن رآها مرة للحظة من قبيل الصدفة، وحينها تنبه لكون الجو شديد الحرارة.

يشف الرداء الحريرى بقماش "الكريب چورچيت" ذو اللون الأزرق عما تحته من تجاويف بعظام كتفها، فهى نحيلة إلى حد يرثى له، وحين ترى ذراعها وكتفها النحيلة مع بياض بشرتها تعتريك قشعريرة من البرودة وفجأة تتصبب عرقًا، وحتى إن كنت لا تعرفها ففى النهاية حين تحدق إليها ستجد نوعًا من الانتعاش بالتأكيد.

- "إن أختنا سترحل فى الغد، وتريدنا أن نجعلكما تغادران معها معًا. هكذا قالت".

التزمت "يوكيقو" الصمت وظلت معلقة رأسها وذراعاها تتدليان على جانبها بفتور كأنها دمية عارية من الفلكلور اليابانى، ثم أنزلت قدميها الحافيتين على كرة مطاطية كبيرة يلعبون بها كرة القدم وعلى دمية لـ"اتسوقو" متدحرجة تحت الفراش، فأدارت الكرة ببطن قدمها كما تفعل حين تتحمس للعب أحيانًا، ووطئت برجليها موضعًا آخر.

- "ماذا عن تائيقو؟"

- "للتو قالت إن لديها مشاغل عملها وبالطبع لن يمكنها المغادرة. ولكن ماذا عن رأى أخينا الكبير!"

- "..."

- "إنها جاءت لتقنعنى أن هناك أفضل لكما، وفى النهاية هى تظننى أحتجزك هنا يا يوكيقو. بكل حال من الأحوال إن وضعتِ نفسكِ مكانى ستجدين الوضع مزريًا".

ظنت "ساتشيقو" أنها تعاملت مع "يوكيقو" بلطف، فى حين أن كل اللوم عليها لأنها تستغل "يوكيقو" بدلاً من أن تجلب معلمة لأسرتها، وهى تتحدى ذلك بقوة.

ما يأخذه الناس عليها هو أنه كيف للأخت الكبيرة ببيت العائلة أن تربى وحدها أطفالها جميعهم، فى حين أن الأخت التى بالبيت الفرعى لديها طفلة واحدة ولا تتحمل متاعبها وتستعين بمساعدة غيرها.

إلى أى مدى تفكر "يوكيقو" على هذا النحو؟

حتى لو هناك عرفان بجميل أختها الصغيرة، إلا أنها بداخل قلبها كأم تشعر كأنها انجرح كبرياؤها. إذًا هى الآن تستفيد من "يوكيقو"

ولكنها حتى لو لم تكن موجودة عندها فـ"ساتشيقو" ذاتها لا تنوى تحمل عبء تربية الصغيرة وتهذيبها.

إن رأيت "يوكيقو" وهى تعود مبكرًا بالمساء من أجل الصغيرة، ستدرك على الفور أن "ساتشيقو" شخص لا يمكن الاعتماد عليه.

بالنسبة إلى الصغيرة "اتسوقو" أيضًا إن لم تكن "يوكيقو" موجودة لظلت وحيدة. إنها ليست بالطفلة غير المطيعة، وإنما يبدو جليًّا أنها ستعانى من الوحدة من الآن فصاعدًا. "يوكيقو" أيضًا لديها مخاوفها من إصرار وبكاء الصغيرة دائمًا.

إن "ساتشيقو" بالتأكيد تريد راحة أختهن التى تأخر زواجها، ولكنها فى الوقت نفسه لا يمكنها تصعيد الأمر لدرجة أن تعصى أخاها الكبير، لذلك هناك طريقة قد تجدى نفعًا وهى أن تذهب إلى بيت العائلة بعدهم ثم تصطحبهم ليعودوا معها، وحينها تحاول إقناع أخيها وتنفذ أوامره. بهذا، حتى إن عادت دون "يوكيقو" فستكون قد أدت ما عليها ولا غبار عليها بعد، ولن ينظر إليها الناس و"يوكيقو" النظرة المليئة بالتساؤلات.

- "هيا فى الحال التقِ الجدة طومى ناجا وعودى".

أصغت لها "يوكيقو" دون أن تنطق بكلمة، لكن بعدما أفصحت "ساتشيقو" عن نواياها لم يصبح لديها أى أفكار سوى اتباع ما نصحتها به، وبتفهمها للوضع صار الموقف كئيبًا، فقد قالت لها:

- "حتى إن ذهبت إلى طوكيو فقد تأتين وتظلين بالجوار. لقد دار حوار مؤخرًا على أن السيدة چينبا ستأتينا لأنها لديها حديث ما، فإن كان الأمر لترتيب مقابلة زواج فبالتأكيد لا داعى لذهابك وليبقَ الوضع كما هو عليه، وإن لم تسِر الأمور على ما يرام فستكون فرصة لإنهاء الوضع".

- "مممممممم".

- "إذًا فلتعودى فى الغد إلى بيت العائلة يا يوكيقو ولا تخلفى موعدًا. هيا، فلتقابلى الجدة دون غضاضة".

جهزت "يوكيقو" حالها واستبدلت الكيمونو الصيفى بملابسها الحريرية، وسبقتها "ساتشيقو" ونزلت إلى غرفة الاستقبال مرة أخرى.

- "ها هى يوكيقو ستنزل. هى على علم الآن وتفهمت الوضع فلا تتحدثى معها فى أى شىء أبدًا".

شعرت الجدة بالرضا تمامًا، وفى أثناء هذا عاد "تينوسوكيه"، وطلب من الجدة أن تتمهل حتى لتناول طعام العشاء، لكنها فضلت أن تسرع وكانت آسفة لعدم مقابلتها للأخت الصغيرة وأوصت "ساتشيقو" أن تبلغها السلام بعدما انتظرتها لمزيد من الوقت ثم انصرفت.

لكن مساء ذاك اليوم المشرق خرجت "ساتشيقو" و"يوكيقو" بعدما سلمتا على الصغيرة، على أن تخرجا وتعودا بعد قليل، وإنما كان مع "يوكيقو" بعض الأغراض الخاصة بإقامتها فى "أشيبّا" من ملابس أنيقة وأخرى مريحة، وبعض الأشياء الخاصة من ملابس داخلية وملابس خفيفة تعد ضرورية بالنسبة إلى هؤلاء الأخوات الثلاث، ولفافة صغيرة من قماش الكريب بها رواية واحدة، وحملتها "أوهارو" التى ستوصلهما إلى محطة "هانكيوو" ومن بعدها ستخف أعباؤها بعدم رؤيتهما ليومين تقريبًا.

بالأمس الصغيرة أيضًا فور رؤيتها للجدة "طومى ناجا" ذهبت للهو عند عائلة STOLZ، وفى المساء جاؤوهم للمرة الأولى ليعرضوا المساعدة إلى أن تذهب "ساتشيقو" وتعود، فقد أخبرتهم الصغيرة بالأمر.

وكما توقعت "ساتشيقو"، انتهى كل شىء دون حاجة إلى ملاحقتهم.

فى يوم المغادرة استقلت عائلة "تاتسو أوو" قطار الثامنة والنصف مساءً من محطة "أوساكا"، الزوجان ومعهما ستة أطفال أكبرهم فى الرابعة عشرة من العمر و"يوكيقو"، أى تسعة أفراد من العائلة ومعهم خادمة ومربية أطفال، فيصير جميعهم 11 شخصًا.

كان لا بد لـ"ساتشيقو" أن تذهب لتوديعهم، لكنها بذهابها ستنخرط الأخت الكبيرة فى البكاء فور أن تراها وستنضم إليها "ساتشيقو" بالتأكيد، لذلك امتنع "تينوسوكيه" عن الذهاب مع زوجته وذهب وحده، لكنه سرعان ما خرج من غرفة الانتظار إلى ساحة الاستقبال واختلط بمئات الحشود المجتمعة لوداعهم بمن فيهم فنانة تحظى برعاية العائلة، وفتاة "جيشا" متقاعدة، وصاحبة فندق يابانى، وغيرهم، وكما توقع، دون أى سلطة كسالف عهدهم أخلّت أسرة رفيعة الشأن ذات نسب للعائلات العريقة مكانها بموطنها الأصلى.

أما عن "تائيقو"، فهى لم تطل بوجهها على بيت العائلة حتى اليوم الأخير لتتملص هربًا، وفى النهاية قبيل رحيلهم هرولت للمحطة وبغاية السهولة فقط ألقت التحية على أختها وأخيها العالقين بالزحام، لكن بعودتها وفى أثناء سيرها من الرصيف إلى حاجز التذاكر:

- "عذرًا. ألستِ أنتِ ابنة عائلة ماكى أوكا؟"

وناداها من خلفها ذاك الصوت، والتفتت لترى امرأة عجوزًا تدعى "ساكا إيه" ذات صيت واسع بمدينة "شينماتشى"، ومخضرمة بالمسرح.

- "نعم. أنا تائيقو".
- "حضرتك يا تائيقو أيهن؟"
- "أنا الابنة الأخيرة".
- "الابنة الصغيرة! لقد كبرتِ للغاية، كنتِ للتو تخرجت فى مدرسة البنات".

مكتبة
t.me/soramnqraa

- "حقًّا!"

واعتلت الضحكة وجهها. إنها فى كل مرة تراها تظنها الابنة الصغيرة ذات الاثنى عشر عامًا، التى تخرجت للتو فى مدرسة البنات. إنها اعتادت التلاعب فى مثل هذه المواقف.

هذه العجوز منذ أن كان أبوهن فى عز مجده وهى عجوز بصحة جيدة، وكانت تأتيهم ببيت رصيف الميناء لإلقاء التحية، وكان المألوف عند "تائيقو" وهى طفلة لم تبلغ العاشرة بعد أن تخبر كل أفراد العائلة بمجىء هذه العجوز: "السيدة ساكا إيه، السيدة ساكا إيه".

كان هذا منذ سبعة عشر عامًا تقريبًا. إنها الآن لم تعد صغيرة إلى هذا الحد إن خمنت بالتقريب سنها آنذاك وأضافت إليها السنين منذ ذاك الحين، والمثير للدهشة أنها فى تلك الليلة كانت ترتدى قبعة وملابس تجعلها غاية فى الأنوثة، ومع ذلك تعرفت عليها.

- "كم من العمر تبلغين الآن؟"
- "لم أعد صغيرة لذاك الحد".
- "وهل تتذكرينني؟"
- "نعم. أعرفك، إنكِ السيدة ساكا إيه. تغيرتِ قليلاً عن ذاك الحين".
- "التغير هو الحقيقة التى لا مفر منها، لقد صرت جدة الآن. وأنتِ؟ لمَ لم تذهبى إلى طوكيو؟"
- "إنى فى الوقت الحالى أقيم مع أختى الوسطى فى أشيبا".
- "حسنًا لقد ذهبت الأخت الكبيرة وأخوكِ رب العائلة، وستظلان وحدكما. يا للوحدة".

خرجت "تائيقو" من حاجز التذاكر وتركت "ساكا إيه"، وعلى الفور بعد عدة خطوات:

- "ألستِ أنتِ تائيقو؟"

ومرة أخرى ينادى عليها ويستوقفها أحد، لكن هذه المرة كان رجلاً أنيقًا.

- "يا للزمن. أنا كاى هارا، جئت هنا من أجل السيد ماكى أوكا فقد تمت ترقيته".

إنه رفيق "تاتسو أوو" من أيام الجامعة، وتوظَّف فى إحدى شركات "ميتسوبيشى" بمدينة "قوورواى باشى" فى "أوساكا"، ومنذ أن انضم "تاتسو أوو" إلى عائلة "ماكى أوكا" وهو عزب ولا يزال وباستمرار يأتى للتنزه، لذلك تعتاده أخوات "تسوروقو"، لكنه تزوج فيما بعد ونُقل إلى فرع لندن ومكث فى إنجلترا نحو ست سنوات، ثم استدعوه منذ قرابة الثلاثة أشهر إلى مقر الشركة الرئيس فى "أوساكا"، وسمعت "تائيقو" شائعات حول عودته من الخارج مؤخرًا لكنها لم تلتقِه منذ تسع سنوات تقريبًا.

- "لقد لاحظتك منذ قليل أختى الصغيرة".

قالها مباشرةً "كاى هارا" وهو يستوقفها مناديًا إياها بـ"أختى الصغيرة" كما كان يفعل بسالف عهده.

- "مر وقت طويل حقًّا. متى آخر مرة رأيتك فيها؟!"

- "ها أنت مرة ثانية. مبروك عودتك بسلام".

- "آه شكرًا. فى الحقيقة رأيتك الآن على رصيف المحطة وقلت بلا شك إنها أختى الصغيرة. ما زلتِ تبدين صغيرة".

- "مم مممم". وضحكت "تائيقو" مراوغة بالضبط كما فعلت منذ قليل.

- "إذًا يوكيقو هى من رافقتهم وركبت معهم القطار".

- "بالضبط".

- "لقد ألقيت التحية عليها. إن اثنتيكما حقًّا فى ريعان الشباب. آسف على ما قلت ولكنى وقتما أراكِ أتذكر أيام رصيف الميناء باستمرار، وهذه المرة حين عدت كنت متأكدًا من أن يوكيقو تزوجت وبالطبع وأنتِ ربما كذلك، وظننت أنكما بالفعل أصبحتما زوجتين أو أمَّين رائعتين، لكن حين سمعت من السيد ماكى أوكا أنكما ما زلتما آنستين! فما هذا؟ إنى ابتعدت عن اليابان نحو ست سنوات بكاملها أراها كأنها حلم طويل. إنه من السيئ أن أذكر ذلك ولكنى أشعر كم هو الأمر غريب، خصوصًا أنى بهذه الليلة حين رأيتكما أنتِ أختى الصغيرة ويوكيقو أصابنى الذهول مرتين، فكلتاكما لا يبدو عليها السن مطلقًا حتى إنى شككت فى عينَى".

- "مم. مممم".

- "كلا، حقًّا وليس مجاملة. إذًا أليس غريبًا ألا تتزوجى وأنتِ فى غاية الشباب هكذا؟"

قالها وهو يتفحصها من رأسها وحتى أخمص قدميها، ومن قبعتها حتى حذائها فى شغف.

- "حسنًا، وساتشيقو الليلة؟!"

- "أختى ممتنعة عن كل شيء وتظل تبكى لفرقة الأختين التى لم نعتَدها".

- "ماذا؟ أهذا هو السبب؟ إنى حين ألقيت عليها التحية كانت تترقرق عيناها بالدموع، ولكن لِمَ؟ فالمكان لا بأس به للآن".

- "تقصد أما زال هناك من يبكى لمجرد الذهاب إلى طوكيو! ها نحن ذا. لقد أضحكناك".
- "كلا الأمر ليس كذلك، فأنا مثلاً بعد طول أمد تمكنت من رؤية فتيات يابانيات بمكان ما.. كم كنت أفتقد ذلك. أختى، أتبقين فى إقليم كانساى من أجل عملك؟"
- "نعم إنى أمكث هنا وفقًا لمهام عملى".
- "سمعت أنكِ فنانة، سمعت عنكِ، إنه لشىء عظيم".
- "أبدو حمقاء. الأمر يختلف عنه فى إنجلترا".

وتذكرت "تائيقو" أن "كاى هارا" يحب الويسكى، وشعرت بأنه سيرغب فى قضاء مزيد من الوقت معًا هذه الليلة. على أى حال لا بأس من احتساء الشاى بأى مكان بالجوار لكن..

وسرعان ما تراجعت "تائيقو" عن الفكرة وأسرعت باتجاه محطة "هانكيوو".

الفصل الثالث والعشرون

عزيزتى..

منـذ ذاك الحـين وأنـا مشـغولة للغايـة. يوميًّـا لا أجـد متسـعًا مـن الوقـت لأكتـب لـكِ أو أتواصـل معـكِ. أسـتميحك عـذرًا.

بمساء رحيلنا، وفور أن انطلق القطار انهمرت كل الدموع الحبيسة بعينَى أختى، ثم بعد فترة وجيزة ارتفعت حرارة الصغير "هيديو" وآلمه بطنه وظل يتردد ذهابًا ومجيئًا طوال الليل على المرحاض، ولم يمكننا أنا أو أختى حتى أن نغفو قليلاً.

الأسوأ من ذلك كله أن البيت المستأجر فى بلدة "أووموري" فجأة لظروف ما، مالكه لغى العقد، ولم يعرفوا بذلك إلا قبيل المغادرة بيوم وكان فات الأوان وما باليد حيلة. بطريقة ما ذهبنا للمبيت لدى السيد "تانيدا" ونحن حتى الآن ما زلنا هنا. أرجوك أن تتفهمى مدى الورطة التى نحن بها هنا بمنزل السيد "تانيدا" بسبب إزعاج 11 شخصًا جميعهم جاؤوا فجأة!

سريعًا ما جاء الطبيب إلى "هيديو" وقال إنه يعانى من نزلة معوية، ولم يتحسن سوى بالأمس.

أما عن المنزل، فقد طلبنا من كثيرين هنا ونسعى فى كل اتجاه، وهم أيضًا يبحثون من أجلنا بأسرع وقت ممكن، وأخيرًا وجدوا لنا واحدًا فى "دوجنزاكا" فى حى "شيبويا". ذاك البيت المستأجر بناؤه حديث. الدور الأرضى به أربع غرف والثانى به ثلاث غرف وبلا أى حديقة. إيجاره 55 ينًّا لكننا لم نرَه بعد. أظنه ضيق ولن يتسع لسكن أسرة كبيرة مثلنا، لكنى حين أفكر فى مدى إزعاجنا للسيد "تانيدا" أجد أنه أولى بنا استئجاره. فى النهاية قررنا الانتقال الأحد المقبل حتى لو سنستبدله فيما بعد.

العنوان: مدينة "أووادا" حى "شيبويا"، وسيعمل الهاتف من الشهر المقبل.

يتردد أخى على بناية "مارو نو أوتشى" ومن حسن الحظ ذلك سيعود بالنفع على "تارو أو"، فهو طريق مدرسته الإعدادية المقبلة نفسه، ما يجعل موقع البيت لا بأس به.

وإلى أن أوافيكِ بأخبارنا، فأول شىء سلامى لأختى والصغيرة "اتسو" وأخى "تينوسوكيه".

8 سبتمبر

أختى الكبيرة "ساتشيقو"..

منذ الصباح ونحن نشعر بالرياح فى "طوكيو"، لقد حلَّ الخريف بالتمام، كيف هى الحال عندك؟

لطفًا فلتنتبهى لصحتك،

ولتهتمى بنفسك.

فى صباح اليوم الذى استلمت فيه "ساتشيقو" هذا الخطاب، تغير الجو، وشعروا بالنسمات المنعشة للخريف بإقليم "كانساى" طوال الليل، وبعدما ذهبت "اتسوقو" إلى المدرسة، توجهت "ساتشيقو" نحو زوجها واتخذت مقعدًا إلى طاولة الطعام، ووقع ناظرها على عناوين الأخبار:

"تشن قواتنا الجوية غارات موجهة من الناقلات البحرية على إقليم الشانتو بالصين ومدينة تشاوزو"، وحينها كانت تفوح من المطبخ رائحة القهوة المغلية وتعبئ أركان المكان، وفجأة..

- "ماذا؟ الخريف!"

قالها "تينوسوكيه" ورفع عينيه عن الصحيفة.

- "هذا الصباح تأتى رائحة القهوة بشدة على غير العادة، أليس كذلك؟"

- "مممم".

وفتح "تينوسوكيه" صفحات الجريدة وانغمس فى القراءة، وجاءت "أوهارو" بالقهوة ومعها خطاب "يوكيقو" على حافة الصينية.

بعدما توقفت "أوهارو" جاء بخاطرها أنه تجاوزنا اليوم العاشر من الشهر وهمَّت بفعل شيء ما، فأسرعت "ساتشيقو" والتقطت المظروف وقطعته ولاحقت عيناها السطور التى بدت أنها كُتبت فى عجالة بين كثير من المشاغل، وعلى الفور تخيلت كيف يتلاقى وجها أختيها الكبيرة والصغيرة سريعًا.

أما عن "تانيدا" الذى فى "أزابو"، فـ"ساتشيقو" تعلم أن صهره الأكبر منه مباشرةً موظف بوزارة التجارة والتصنيع، وقد التقت مرة واحدة بأخته منذ أكثر من عشر سنوات بحفل زفاف، حتى إنها أوشكت

على نسيان ملامحها. ترى أختها الكبيرة أيضًا كذلك لا تلتقى بها إلى ذاك الحد؟

إن علاقته بصهره متطفلة للغاية، ترى ما الوضع الآن وهو قد أتاهم ليقيم عندهم؟ وإنما هو يعد فردًا من أفراد العائلة، و"يوكيقو" والأخت الكبيرة غريبتان بأرض لا تعرفانها، علاوة على أنهم أقرباؤهم من "ناجويا"، ترى إلى أى مدى الوضع غير مريح وهم بورطة الإقامة ببيت أناس أعلى منهم؟! والأكثر والأكثر هو مجيئهم ومعهم مريض واستدعاؤهم لطبيب.

- "هل هذا خطاب من يوكيقو؟"

تساءل "تينوسوكيه" بعدما ابتعدت عيناه عن الجريدة أخيرًا، وأمسك بكوب قهوته.

- "كانت تراودنى الهواجس وأفكر لمَ لم تراسلنى كل هذا الوقت، لا بد أن هناك حدثًا جللاً".

- "وما هو؟"

- "ها هو.. تفضل اقرأ".

وبثلاث كلمات فقط أجابت "ساتشيقو" زوجها، وأعطته الخطاب.

بعد ذلك بنحو ستة أيام أو أكثر وصلتهم متأخرةً بطاقة شكر على مجيئهم للوداع بذاك اليوم، مع إخطار بتغيير العنوان بأحرف مطبوعة فقط من "يوكيقو" بلا أى جديد من الأنباء.

ذهب "شوكيتشى" ابن عائلة "أوطويان" إلى العاصمة منذ ليلة الأحد ليزور "تاتسو أوو" ويساعده بالنقل وعاد فى صباح الاثنين، وها هو قد جاء لزيارة "ساتشيقو" ليتبادلا أطراف الحديث عن الأحوال بـ"طوكيو" و"أشيبا".

بالأمس، الأحد، استطاعوا الانتهاء من النقل بسلام.

إن أبنية المنازل المستأجرة بـ"طوكيو" متواضعة للغاية بالنسبة إلى مثيلتها فى "أوساكا"، وعلى غير المعتاد كل التركيبات التى بها رديئة، فمثلاً الباب الجرار من أرخص الأنواع وأسوئها، والمساحات هناك يستخدمون لها وحدة قياس "إيدوما"[1] وليس "كيووما"[2] كالمتبع بإقليم "كانساى"، فالطابق السفى تتراوح مساحات القطعة به ما بين 4م²، 7م²، 8م²، 11م²، والطابق الثانى المساحات ما بين 14م²، 8 م²، 5م²، ما يعنى أن الإقامة فقيرة للغاية، وما عندنا مساحته 14م² بالتقريب هو عندهم 11م²، وما عندنا 11م² لن يعادل سوى 8م² بوحدة قياسهم.

أما عن المزايا هناك، فالمبانى جديدة وتعطى إحساسًا بالبهجة، وهى بالجنوب لذلك فالشمس هناك أفضل والبيوت صحية عن البيوت المعتمة فى مدينة "أويه هون"، وإن لم تكن هناك حدائق خاصة بالمنازل إلا أن الكثير من الحدائق العامة والقصور الفارهة بالجوار، وطبيعة المنطقة راقية وهادئة.

بمجرد الخروج إلى "دوجين زاكا" تجد شوارع مليئة بالمحلات التجارية للتسوق، وهناك أيضًا العديد من دور السينما، لذلك فالأطفال لديهم شغف بكل شىء هناك، وعلى العكس فهم فرحون بذهابهم إلى "طوكيو". "هيديو" أيضًا لا بد له من الذهاب إلى مدرسة ابتدائية قريبة هذا الأسبوع بعدما يستعيد عافيته.

وعلى هذا النحو دار حديثهما.

- "وكيف حال أهل طوكيو؟"

---

(1) وحدة قياس = 182 سم تقريبًا.

(2) وحدة قياس = 190 سم تقريبًا.

- "بصحة جيدة. حين مرض الصغير هيديو قامت ابنة عائلتكم الكريمة بتمريضه عن فهم وعلى نحو أفضل من الممرضة. كريمتكم جديرة بالثناء".

- "إنها كانت تعتنى بصغيرتى اتسوقو هكذا حين تمرض، وكنت متأكدة من أنها ستقدم يد العون لأختى الكبيرة بالطبع".

- "المؤسف حقًّا هو ذاك البيت، فعلى حد قولك لن تكون هناك غرفة مخصصة ليوكيقو، فبهذا الوضع الغرفة الـ8م^2 ستكون غرفة استذكار الأبناء، ولن تصبح غرفة نوم لها. لا بد لرب الأسرة من أن يسرع باستبدال منزل آخر واسع بهذا المنزل. مؤسف ألا يحدد غرفة ليوكيقو".

كان ذاك الذى يدعى "شوكيتشى" شخصًا ثرثارًا، ولكنه استطرد بصوت خافت مضيفًا:

- "رب الأسرة سيفرح فرحًا عظيمًا إن عادت ابنتكم يوكيقو، فهذه المرة يمكنك جعلها تهرب على ما أظن وهذا من منطلق أنكِ حريصة على إرضائها قبلما تتأذى مشاعرها بشدة كما تعرفين".

بهذا صارت "ساتشيقو" على علم ويمكنها تخيل الوضع العام بـ"طوكيو"، لكن ما زالت لم تأتِها أى خطابات أخرى من "يوكيقو".

"يوكيقو" ليست بالشخص المولع بكتابة الخطابات مثل الأخت الكبيرة بل يبدو أنها تكره الكتابة، وفوق ذلك كله ليست لديها غرفة مخصصة لها، أى لن يصفو بالها لكتابة أى شىء، وهذا ما فكرت فيه "ساتشيقو".

- "صغيرتى إتسو، هيا فلنكتب رسالة ليوكيقو".

قالتها وجعلتها تُخرج بطاقات مصورة بعرائس "تائيقو" وتتهجى عبارات بسيطة منها، ولكن حتى ذاك لم يأتِها رد عليه.

بعد اليوم العشرين بالشهر، وبليلة اكتمال القمر:

- "ماذا إن كتبتِ لها هذه الليلة للمرة الأخيرة؟"

قالها "تينوسوكيه"، ووافقوا جميعهم، وبعد العشاء وبالقرب من التراس الذى يمنحهم الفرصة لمشاهدة القمر اجتمع الأربعة، كلٌ من "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" و"اتسوقو" و"تائيقو".

جهزت "أوهارو" الحبر، وفتح "تينوسوكيه" ورقة مطوية وكتب بيتًا من أغنية، وكتبت كلاً من "ساتشيقو" و"اتسوقو" أيضًا أشعارًا على القافية نفسها، لكن "تائيقو" غير بارعة فى ذلك فأخذت ترسم بالحبر مشهدًا من الطبيعة للقمر المعلق فى السماء بين أشجار الصنوبر.

أغصان الصنوبر بالحديقة تنتظر مرور الغيوم
لتمسك بالقمر من بين النجوم
تينوسوكيه
البدر فى تمامه
له هالة تكفى عشاقه
ساتشيقو
قمر تراه أختى من طوكيو
اتسوقو

وبعدما رسمت "تائيقو" صورتها بالحبر أكمل "تينوسوكيه" وصحح كلمات "ساتشيقو" وابنته، وفى النهاية نادى "أوهارو" وقال لها أن تكتب هى أيضًا، فأمسكت بالريشة على الفور وعلى نحو غير متوقع:

للمرة الأولى لا يسعنى أن أرى القمر بدرًا بين الغيوم

أخذت "ساتشيقو" زهرة من أعشاب الحديقة اللامعة تحت ضوء القمر وقطفتها لتضعها بين طيَّات الخطاب.

الفصل الرابع والعشرون

جاء الرد على الخطاب الأخير سريعًا كما كانت آمال "ساتشيقو"، التى ظلت تعيد قراءته من أعماق قلبها وتطيل النظر إلى القمر من شرفة الطابق الثانى، وقرأت كلمات أثارت بكاءها مثل:

تذكرت بالعام الماضى بمنزل "أشيبا" حين كنت أشاهد القمر كأنه بالأمس القريب.

لكن بعد ذلك توقفت الخطابات لفترة من الوقت.

منذ رحيل "يوكيقو" و"أوهارو" صارت تنام على سرير أسفل سرير الصغيرة، لكن بعد أسبوعين صارت "اتسوقو" تكره وجود "أوهارو"، فاستبدلوا "أوهانا" بها، وبعد أسبوعين أيضًا صارت تكرهها هى الأخرى، واستبدلوا بها "أوأكى" التى تعمل بالأسفل.

كانت "اتسوقو" بخلاف كل الأطفال يصعب خلودها إلى النوم، وتنشط حماستها للثرثرة قبل النوم بنحو نصف ساعة وكانت هذه عادتها، لكن كل من رافقتها من هؤلاء الفتيات لم تستطِع مجاراتها فى هذا النصف ساعة، وكنَّ يغططن فى النوم قبلها دائمًا، لكن بدا أنه

لدى الصغيرة سبب ما يؤرقها ويزعجها إلى حد كونها لا تستطيع النوم مطلقًا، فتنزل فى أثناء الليل إلى غرفة والديها وتفتح ستائرها بفظاظة وتصيح:

- "أمى لا يمكننى النوم". وتعلو صرخاتها وبكاؤها.
- "أوهارو تزعجنى. تغط فى النوم سريعًا وتشخر خاااخاااا خووخو. أكرههاا! أمقتهاا! سأقتلها".
- "اتسوقو، غضبك هكذا سيجعلك على العكس لا تستطيعين النوم أكثر. مستحيل أن تنامى ولا تظنى أنه سيحدث. انظرى، ها أنتِ لا يمكنكِ النوم أكثر وأكثر كل مدى، حسنًا إذًا إن لم تنامى الآن لن يمكنكِ الاستيقاظ مبكرة. هيا كى لا تتأخرى على المدرسة مرة أخرى. ماذا بكِ؟ ما هذا الصراخ؟ اهدئى!"

ووبختها "ساتشيقو" واصطحبتها إلى فراشها وغالبها النعاس، لكن مهما فعلت لم تستطِع النوم، فعادت الصغيرة للصراخ والبكاء.

- "لا يمكننى النوم، لا يمكننى النوم".

استشاطت أمها غضبًا وعادت لتوبيخها مرة أخرى، وهنا تعالت صيحات الصغيرة بصوت عالٍ أكثر وأكثر، واستيقظت الخادمة من هذه الضوضاء ولم تستطِع النوم، وهكذا استمرت الحال.

منذ ذاك الحين و"ساتشيقو" دائمًا مشغولة ومرتبكة، وفى تلك الأثناء أيضًا كانت تتهرب من الحقنة، لقد بدأ موسم "نقص فيتامين B"، وإن كان لا أحد من أفراد العائلة بدت عليه أعراض مرض الـ"برى برى".

لكن هل يكون هذا هو سبب ما أصاب الصغيرة "اتسوقو"؟

حين فكرت "ساتشيقو" فى ذلك وضعت يدها على قلب "اتسوقو" وتفحصتها ورأت نبض وريدها ووجدته ضعيفًا، وفى اليوم التالى أعطتها حقنة "بيتاكسين" بعدما اضطرت إلى إيلامها وإمساكها بالقوة. استمرت

الحال هكذا فى الأيام الأربعة أو الخمسة التالية، إلى أن استعادت الصغيرة نشاطها وانضبطت ضربات قلبها وتحسنت حالة اضطراب جسدها، إنما الأرق ازداد حدة حتى إن "ساتشيقو" تناقشت مع الطبيب "كوشيدا" عبر الهاتف ليأتى ليتفحصها، فهى جربت أن تعطيها ملعقة من دواء شراب "أداريـن"، لكن ملعقة واحدة كانت عديمة التأثير، وإن زادت الجرعة فسيمتد تأثير الدواء مسببًا النوم لفترات طويلة، ولأنها تنام بالنهار بقدر لا بأس به، فعندما يحين وقت النوم تظل مستيقظة وتنظر إلى الساعة بجوار فراشها وتبكى، واليوم أيضًا تأخرت على مدرستها، وصارت دائمًا ما تقع بمواقف محرجة لتأخرها ما يجعلها تواصل صراخها ولا تريد الذهاب إلى المدرسة.

وعلى هذا المنوال، إن استيقظت الصغيرة دون تأخير واستطاعت النوم بالليلة الماضية قليلاً يشتعل غضبها وتريد النوم أكثر وتنغمس تحت الغطاء حتى رأسها، ثم تفتح عينيها لاحقًا لتجد نفسها تأخرت أيضًا لمرة أخرى فتبدأ فى البكاء.

أما عن الخادمات، فقد كانت مشاعرها تتأرجح بشدة حيالهن ما بين الحب والكراهية، وحين تكرههن تندفع بقول عبارات مبالغ فيها مثل "سأقتلها" أو "اقتلوها"، وتعيدها مرارًا وتكرارًا.

الأهم من ذلك كله أن الصغيرة فى مرحلة نمو، ومع ذلك فشهيتها للطعام ليست كذى قبل، وهذا الوضع كل مدى يزداد سوءًا يومًا بعد يوم ولا تأكل سوى قدر ضئيل بكل وجبة، وتفضِّل الأطباق الجانبية مثل "شيوقومبو" وقطع الطوفو المجمدة والمجففة، وغيرها من الأشياء التى تشبه طعام المسنين، ويستحيل عليها أن تقْدم على الطعام التقليدى، ووقت الطعام تأتى بالقطة "سوزو" التى تحبها وتضعها عند قدميها وتعطيها مختلف أنواع الطعام حتى المأكولات الدسمة، فبدلاً من أن تأكلها تعطى القطة معظمها. لهذا يتشددون بالنظافة على

نحو غريب. إنها فى أثناء الطعام تلامس القطة، ويتوقف الذباب، وتلامس أكمام الخدم، فيجعلونها تضع عصى طعامها فى الماء المغلى لعدة مرات فى أثناء الطعام، وصار الخدم يتفهمون الأمر ويحضرون مع تجهيزات الطاولة من البداية قنينة فخارية للماء المغلى.

خوفهم من الذباب غير عادى، فإن وقفت ذبابة على أى من الأطعمة أو حتى رأوها تطير بالقرب لا يأكلونه، خوفًا من أن تكون وُجدت عليه ويصرون على سؤال من حولهم إن كان متأكدًا من أنها لم تقف بمكان آخر. إن سقط شىء من عصى الطعام حتى إن سقط على مفرش المنضدة المغسول لا يأكلونه لأنه اتسخ!

فى مرة خرجت "ساتشيقو" مصطحبة طفلتها للتجوال بشارع "ميزو دورو"، وإذا بها ترى فأرًا نافقًا على جانب الطريق، وبمجرد اقترابهما منه ارتعبت الصغيرة وقالت لها بصوت خافت بعدما تمسكت بأمها واحتضنتها فى هلع:

- "أمى، ماذا إن دست عليه؟ هل ستصل الديدان إلى ملبسى؟"

اندهشت "ساتشيقو" ودون حاجة إلى النظر إلى عينَى الصغيرة ابتعدتا عن الفأر تمامًا حتى لا تراودها مجرد الفكرة، فلا داعى لوقوع أى خطأ.

إنها لا تزال طفلة فى الصف الثانى الابتدائى، فهل كانت ستعانى من انهيار عصبى إن خاضت التجربة مثلاً!

إن "ساتشيقو" دائمًا ما توبخها بالكلام دون أن تلقى بالاً، لكنها لاحظت مدى جدية الأمر منذ واقعة الفأر هذه.

ها قد جاء رأى الطبيب "كوشيدا" ليؤكد أن الانهيار العصبى للأطفال قطعًا ليس مستبعدًا. للأسف ربما ذلك هو تشخيص حالة

الصغيرة "اتسوقو"، وإن كان هو لا يمكنه أن يتفحصها، ولكن سيقدمهم لطبيب مختص حاصل على الدكتوراه ليتولى المسألة، فهو يقتصر عمله فقط على العناية الطبية بالأمراض العضوية مثل الـ"برى برى"، لذلك قال لهم إنه من الأفضل أن يباشرها الطبيب المختص الدكتور "تسوچى" فى حى "إيشى نوميا"، وعليهم أن يسرعوا بطلبه عبر الهاتف ليأتيهم فى زيارة منزلية.

فى النهاية جاء الدكتور "تسوچى" بالمساء، وبعد فحصه الطبى لـ"اتسوقو" تحدث معها وسألها أسئلة عدة، وجاء تشخيصه أنه "انهيار عصبى".

كانت تعليماته أولاً أن يتمموا علاج الـ"برى برى" كليًا، وجرعة الدواء ستحفز شهية الطعام، وإن كانت ستعانى من عدم توازن بنظامها الغذائى. ثانيًا بالمدرسة، فإنه من الأفضل أن يجعلوها تغادر مبكرًا وتذهب متأخرة وفقًا لحالتها المزاجية، لكن إن توقفت عن المدرسة تمامًا فسيستحيل أن تتحسن حالتها الصحية، وذلك لأن توجيهها نحو شىء واحد بعينه موجود بعقلها لن يدع لها مجالاً لنسج كثير من الأوهام.

أخيرًا، عليهم ألا يثيروا غضبها حتى إن كان هناك ما لا تفهمه فلا داعى لتوبيخها من البداية، وليخبروها بتفسير واضح.

هكذا ظهر أثر غياب "يوكيقو" على الصغيرة "اتسوقو".

ليس بالضرورة أن يكون صعبًا على "ساتشيقو" أن تصدر حكمًا، لكنها لا تريد أن ينجرف فكرها بهذا التيار، فالآن من يتحمل المسئولية عليه أن تنحرق يداه دون أن يدرى ماذا يجب عليه فعله.

إنها كلما صادفت موقفًا تصبح كأنها ستبكى. لو كانت "يوكيقو" بطول صبرها فى الموقف نفسه لجعلت الصغيرة تسمع وتوافق، ومع ذلك ظلت تفكر مرارًا وتكرارًا.

ظاهريًا الوضع مختلف وله أسبابه، فالشخص المعنى لا يعترض على أى شىء من "يوكيقو". حتى إن لم يستعيدوها فإن فقط أخبروها بوضع "اتسوقو" بالتأكيد ستأتيهم على الفور دون حتى انتظار للإذن من أخيهن، لكن طلبها لطوق النجاة والاستسلام دون حتى أن يمر شهران هو أمر ليس بيدها ولا يتماشى مع عنادها، ومهما كان قلقها ستقول فلننتظر قليلاً ونرى الوضع، وماذا عساى أن أفعل! ستنقضى الأيام يوم تلو الآخر كما ترغب بالضبط.

أما عن "تينوسوكيه"، فهو ضد عودة "يوكيقو" من أجلهم، فطريقة التربية التى لا تسمح بتناول أى شىء لمجرد سقوطه على مفرش المنضدة وتعقيم عصى الطعام بالماء المغلى مرات عدة، وغيرها من أشياء على ذاك النهج الذى تسلكه "يوكيقو" و"ساتشيقو"، فهذا بوجه عام لا يروقه حتى إن كانوا يطبقونه على أنفسهم، فهو بعدما صارت لديه طفلة رقيقة مرهفة الحس يريد أن يقوِّم تلك العادات، لذلك فلا بد أولاً من أن يتوقف الكبار عما يفعلونه.

إنه رغم المخاطر يجعل الصغيرة تأكل من حيث توقفت ذبابة مثلاً، ليثبت لها فعليًا أنها لن تمرض هكذا إلا نادرًا، على الرغم من أنهم دائمًا ما يقولون لها بحزم "التعقيم"، وهكذا تصبح المشكلة هى عدم احترامها لما يقال من تعليمات. "ساتشيقو" لا تنفذ أيًا من آراء "تينوسوكيه"، ودائمًا ما تنبه الصغيرة قائلة لها: "أهم شىء هو أن تجعلى حياتك منضبطة".

بالنسبة إلى "ساتشيقو" فإن شخصًا مثل زوجها قوى المناعة وصحته جيدة لن يدرك أبدًا شعور أمثالهم من المرهفين الذين تسهل إصابتهم بالأمراض.

وبالنسبة إلى "تينوسوكيه" فإن احتمالية المرض بسبب العدوى لأن الجراثيم علقت بعصى الطعام أمر نسبته واحد فى الألف، والهلع

بهذه الطريقة يضعف مناعتها كل مدى. من ناحيته هو يقول إن اللطف أهم للطفلة من القواعد، فى حين إنه من ناحيتها هى تقول إن هذا خطأ وذاك الأسلوب فى التفكير نمطه قديم، فلا بد للأسرة كلها من الانضباط فى مواعيد الطعام والترفيه، وغير مسموح إطلاقًا بأى أفعال طائشة أو دون توجيه. إن قالت له إنه شخص همجى وتفكيره ليس به أى معايير للنظافة الصحية، يقول لها بدوره إن طريقة حضرتكم فى التعقيم ليس بها ولا حتى القدر الأدنى من المنطق، تميتون الجراثيم العالقة بعصى الطعام بالماء المغلى وأنتم أصلاً لا تدرون مصدر الطعام نفسه أو إن كان لامس القاذورات قبلما يُحمَل ويُقدَّم لحضراتكم. سيادتكم مخطئون باتباعكم الأفكار الغريبة فى النظافة، ألا يأكل الروس المحار النيئ بلا أدنى مبالاة؟

وغيره من كلام من ذاك القبيل.

عادةً ما يتبع "تينوسوكيه" سياسة عدم التدخل، ويتخذ موقفًا عامًا بالابتعاد وترك مسألة تربية الطفلة خصوصًا لأمها، لكن مؤخرًا، بعدما اندلعت الحرب اليابانية الصينية[1]، وفى فترات تأدية مهام الجبهة الداخلية، صار لا بد للزوجين أن يفكرا معًا فى تنشئة الطفلة على الحماسة والوطنية، ما أشعرهما بالقلق.

•

حدث فى مرة ما أن وجد "تينوسوكيه" الصغيرة تلعب مع "أوهانا" ومعها إبرة لحقنة مستخدمة، وفجأة وجدها تمسك بذراع الدمية المحشوة بالقش ذات الشكل الأجنبى لتعطيها حقنة!

ففكر لمَ لها أن تلعب ألعابًا كريهة غير طبيعية كهذه؟ وشعر أن هذا مثال من أمثلة كثيرة لمساوئ التعليم الصحى.

منذ ذاك الحين وهو يفكر فى وجوب أن يصحح كل شىء برمته بطريقة أو بأخرى.

---

(1) 1937 - 1945.

لكنه فقط على يقين بأن أهم شخص لدى "اتسوقو" هو "يوكيقو"، التى هى بالتأكيد تدعم أسلوب زوجته، وإن تدخل أى تدخل أخرق سيخاطر بحدوث زوبعة بالعائلة، لذلك من هذا المنطلق غياب "يوكيقو" هو الفرصة التى طالما انتظرها "تينوسوكيه".

هكذا فإن "تينوسوكيه" أيضًا يشعر سرًا بالشفقة حيال موقف "يوكيقو"، وإنما تربية ابنته أهم. إنه كان يجب عليه دائمًا التفكير فى الصدمة النفسية التى ستتلقاها "يوكيقو"، فإنه ليس من السهل مطلقًا إبعادها عن الصغيرة دون الإساءة لها أو التسبب فى الإزعاج. هذه المرة أخيرًا جاء الحل من تلقاء نفسه، وبغياب "يوكيقو" يصبح أمر زوجته سهلاً، وهذا ما دار بخلده.

وعليه، قال "تينوسوكيه" لزوجته إنه مثلها تمامًا يشعر بالشفقة حيال "يوكيقو"، وإن كانت هى ترغب فى العودة ولن تمانع، لكنه لا يمكن استدعاؤها لترجع من أجل "اتسوقو"، بالطبع هى تعتاد التعامل مع الصغيرة وإن جاءت ستكون قدمت لهما يد العون هذه الفترة، وإنما السبب الخفى لحالة الانهيار العصبى تلك يكمن فى أسلوب تربيتها هى وأختها، لذلك فمن الأفضل نزع تأثير "يوكيقو" فى الصغيرة الآن واستغلال هذه الفرصة حتى لو بتحمل الصعاب، وشيئًا فشيئًا ستستجيب "اتسوقو" مع تغيير أسلوب التربية الحالى لكيلا تأتينا "يوكيقو".

وهكذا سيطر على "ساتشيقو".

بدأ شهر نوفمبر، واقتضت مهام عمل "تينوسوكيه" ذهابه لبضعة أيام إلى "طوكيو"، وحينها زار بيت العائلة فى "شيبويا" للمرة الأولى، ووجد الأطفال قد اعتادوا الحياة الجديدة تمامًا ويستخدمون لكنة

طوكيو بطلاقة، لدرجة أنهم يفرِّقون فى استخدام المفردات بين الأسرة والمدرسة، و"يوكيقو" وزوجة "تاتسو أوو" بحالة جيدة. على الرغم من أن المبيت بمكان ضيق شىء غير مريح فإنهم جميعهم طلبوا منه البقاء معهم، وبالفعل قام "تينوسوكيه" بالمبيت لليلة واحدة ببيت أخيه بالقانون، لكن بالطبع لضيق المكان حجز "تينوسوكيه" بفندق بحى "تسوكى چى"، وفى الصباح الباكر خرج "تاتسو أوو" وأبناؤه، وذهبت "يوكيقو" لترتيب الطابق الثانى، وفى أثناء هذا قالت الأخت الكبيره "تسوروقو" لـ"تينوسوكيه":

- "ها هى يوكيقو بدأت تهدأ وتتعامل مع الأمر، إنه ما من سبيل آخر".

قالتها "تسوروقو"، وجاء فى حديثها أن "يوكيقو" تساعدها بأعمال المنزل وتحسنت حالتها بعدما انتقلوا لبيتهم، وهى تساعدها أيضًا بمشكلات الأطفال. هى قطعًا لم يتغير سلوكها نحوهم وإنما كانت من حين إلى آخر تبقى وحدها بغرفة بالطابق الثانى ولا تنزل ولا يراها أحد لبعض الوقت، فتطلعت إليها أختها الكبيرة لترى ما بها لتجدها جالسة أمام مكتب "ترو أو" شاردة الذهن ويدها على وجنتها، وأحيانًا تجدها تبكى. كان ذلك أوائل الشهر، أما مؤخرًا فقد بدأت تعتاد الوضع تدريجيًّا. إنها بذاك الحين حتى بعدما نزلت ظلت لبقية اليوم لم تنطق بكلمة، ولكن ما لأختها أن تفعل لها! لكن "يوكيقو" صارت حتى أمام الناس لا تستطيع إخفاء دموعها التى انهمرت فجأة.

أضافت "تسوروقو" أنها هى وزوجها أيضًا يحرصان كل الحرص ويراعيان للغاية معاملتهما لها، وهى لا تظن أن هناك أى سبب ما قد جرح مشاعرها. فى النهاية فكرا فى أن ذلك من اشتياقها لحياتها بإقليم "كانساى"، وتوصلا إلى أن ذلك ليس إلا حالة تشبه الشعور بالغربة والحنين، فرأيا أن أسلم حل هو تشتيت انتباهها كى لا تكتئب، فقالت

لها أن تواصل مرة أخرى تدريباتها لتعليم فنون الخط والإتيكيت، لكنها لم تبالِ تمامًا.

على قول "تسورقو" فإن "يوكيقو" نفذت كلام الجدة "طومى ناجا"، وجاءت معهم رغم صعوبة الأمر عليها، والكل فرح جدًّا بذلك، وإنما الأمر بالنسبة إلى "يوكيقو" صعب لأقصى درجة، ولو لم يكن كريهًا أيضًا ويؤلمها لما وصلت بها الحال إلى البكاء، وإنهم لهم تقاليدهم الخاصة ولكن لِمَ لا بد لها أن تكرههم لذاك الحد؟ وهنا انهمرت دموعها.

حتى إن كان هناك عتب، فقد صار الحل الوحيد لحالتها المقلقة للغاية بعدما صارت بائسة ووضعها يرثى له، فإن كانت تفضل أوساكا فلتفعل ما يروقها، ولقد فكرت في شيء وهو أن ينتهى هذا الوضع ويدعوها تبقى في "أشييا"، وإن كان "تاتسو أوو" لن يسمح، فلأن المكان ضيق الآن وإلى أن ينتقلوا إلى بيت أوسع سيفعل، وإن لم يكن فعلى الأقل يدعوها تذهب ولو لعشرة أيام ليجعلوها تستريح وتسترد عافيتها.

رغم كل شيء، لا يصح ألّا تبدى أعذارًا مناسبة لكن بكل شكل من الأشكال الحالة التى عليها "يوكيقو" الآن مؤسفة وأختها لا تتحمل رؤيتها هكذا، ورب العائلة لا يمكنه أن يفعل بها ذلك.

استفاضت "تسوروقو" بحديثها من قبيل النقاش، لكن "تينوسوكيه" اكتفى بإلقاء التحية، فإذا كان الأخ والأخت الكبيرة أيضًا في ورطة فهذا لا يعنى مطلقًا أن "ساتشيقو" تقع على عاتقها أى مسئولية، وبالطبع لم يتطرق بالحديث ولا بكلمة واحدة إلى مرض طفلته. لكن بعدما عاد دار حوار بينه وبين زوجته عن "طوكيو"، فعندما سألته "ساتشيقو" عن حال "يوكيقو" في هذه الآونة، ولم يخفِ عنها شيئًا مما قالته الأخت الكبيرة.

- "أنا لم أتخيل أن يوكيقو ستكره طوكيو لذاك الحد".
- "في النهاية، هل قالت لك إنها تكره وجودها مع أخيها الكبير؟"
- "كلا. لا أدرى".
- "حسنًا. أهى تريد أن تلتقى اتسوقو؟ "
- "إن كان هذا أو ذاك، فالأسباب متعددة والحقيقة واحدة، ففى الأصل يوكيقو شخص لا يتماشى مع أجواء طوكيو".

تذكرت "ساتشيقو" كم كانت "يوكيقو" تتحمل منذ صغرها، ومهما واجهت من صعاب لا تنطق بكلمة بل فقط تظل تبكى وتنهمر دموعها، وشعرت كأنها ترى أمام عينيها هيئة أختها الصغيرة عند المكتب تذرف الدمع الآن.

الفصل الخامس والعشرون

كان علاج الانهيار العصبى لدى "اتسوقو" له نظام غذائى علاجى لا بد أن يُتبع كمهدئ بخلاف دواء "بروميد البوتاسيوم"، عليها تناول الأطعمة المليئة بالزيوت حتى لو من ضمنها الأطعمة الصينية التى تفضلها، ومع اتباعها للتغذية السليمة، وبالتعافى من الـ"برى برى" بحلول الشتاء، مع تغاضى مدرسيها عن واجباتها الدراسية، واهتمامهم باستعادة صحتها، كل هذا جعلها تتحسن حتى إن لم تأتِ هذه الأشياء الكثيرة بثمارها المرجوة.

بهذا لم تعد هناك حاجة تتطلب الغوث واستدعاء قارب النجاة، وإنما منذ سمعت "ساتشيقو" بحديث "طوكيو" وهى لا تهدأ رغبتها فى رؤية "يوكيقو" بأى طريقة، وحين تفكر في ما آل إليه الوضع تجد أنه فى اليوم الذى أتت فيه الجدة لتتجادل معهم كانت هى ذاتها أول من اتخذ موقفًا قاسيًا حيال "يوكيقو"، فما كان لها أن تضغط عليها بشكلٍ آمرٍ هكذا لترحل، فى حين إنها أعطت "تائيقو" متسعًا من الوقت لشهرين أو ثلاثة. كان من الأفضل لو كان لديها قليل من الإنسانية وتوسطت بإعطائها هى الأخرى متسعًا من الوقت. إنها لم

تدع لها حتى مجرد مجال فقط لتودع بقاياها على مهل، وهكذا أيضًا عنادها المستمر حتى مع غياب "يوكيقو" ظهرت أماراته بقوة وعلى نحو غريب خصوصًا بذاك اليوم.

بمثل تلك المواقف، ومع كل شيء لم تنطق "يوكيقو" بنصف كلمة تعبر عن استيائها، بل تفهمت الوضع برصانة وبدت في منتهى الوداعة إلى حد مؤسف.

والآن صارت "ساتشيقو" تفهم لمَ كانت "يوكيقو" متأنقة الملبس وتبدو بحالة جيدة وغير عابئة بشيء كأنها ذاهبة في رحلة، وبعدما اختلقت الأعذار لتقدمها لها مباشرةً قالت "يوكيقو" كلماتها بحالة من الصفاء الذهني غير المتوقع.

إن "يوكيقو" كانت في أمسّ الحاجة إلى كلمات "ساتشيقو" في ذاك الحين، وإنما بمجرد وصولها إلى "طوكيو" صارت كأنها اكتفت بهذا القدر، خصوصًا أن "ساتشيقو" لم تتقدم بفعل أي شيء من أجلها، بل تركتها تذهب بمفردها، ولم تجعل من شأن "تائيقو" أي مشكلة، وحتى الآن هي تبقى للعيش في إقليم "كانساي"، ورأت "يوكيقو" كم ستصير حمقاء إن ظلت وحدها، وربما هذا ما جعلها تلتزم الصمت.

والآن، ترى "ساتشيقو" ستسوى الأوضاع؟ وماذا سيقول زوجها بعدما صار شعور الأخت الكبيرة هكذا ولا مانع لدى رب الأسرة؟

أم أنه صارت مسموحة الآن مناشدتها للرجوع في غضون الأيام العشرة المقبلة بعدما تستقر حالة "اتسوقو" وبعدما انقضت أربعة أشهر بكاملها؟

فكرت "ساتشيقو" في أن تخوض النقاش مع زوجها بعد ما يحل الربيع، لكن لحسن الحظ بالأيام الأولى من العام الجديد جاءها خطاب من السيدة "جينبا" التي لم تسمع أي شيء عن أخبارها منذ ذاك الحين. كانت تسألها عن حال الشخص الذي سبق أن أرسلت

صورته فى العام الماضى، وفى ما يتعلق بهذا الحديث تقول إنها انتظرت الرد طويلاً ولم يصلها أى شىء منهم، فهل الأخت الصغيرة لا يروقها الأمر؟ إن لم يكن هناك نصيب، فهى تريد استعادة تلك الصورة بعد إذنهم وإن لم يكن فيها إزعاج، وعلى أى حال إن تبدل إحساسها فلم يفُت الأوان، وهى لا تدرى إن كانوا بالفعل بحثوا فى أمره أم لا، لكن بوجه عام وفقًا للمعلومات المكتوبة خلف الصورة هناك شىء واحد أغفلت كتابته وإن كان لا يستحق الذكر، وإنما تود أن تخبرهم به ألا وهو أن ذاك الشخص ليس لديه أى مدخرات ويعيش براتبه الشهرى فقط، وهذا ما ودت إرفاقه مع ما سبق، وبناءً عليه هى تعلم أن ذلك لن يلقى استحسان أختكم، ولكن هذا الشخص يبحث جديًا عن ابنة لعائلة كريمة تكون بجمالها وهو ينتظر مهما طال انتظاره. إنه متحمس للغاية كما يقول السيد "هامادا"، وهو يصر على أن تتفضلوا بلقائه ولو لمرة واحدة، وهذا ما صرح بقوله لها وللسيد "هامادا" أيضًا.

هذه العبارات كانت بالنسبة إلى "ساتشيقو" بمثابة سفينة عبور للضفة الأخرى.

أرفقت "ساتشيقو" هذا الخطاب مع صورة ذاك الشخص المدعو "نومورا مينو كيتشى"، وأرسلت إليهم تسألهم عن رأيهم، وأن السيدة "چينبا" بالطبع ستريد إجراء مقابلة سريعًا، لكن بسبب ما سبق أن حدث مع "يوكيقو" فهل سيفضلون التحرى عنه قبل المقابلة؟ إن كان ذاك هو الأفضل، فهل يسرعون بالبحث بأكبر قدر ممكن؟ إنها تستشير أختها وأخاها الكبير أولاً.

بعد ستة أيام تقريبًا جاءت لـ"ساتشيقو" رسالة طويلة وغريبة للغاية من الأخت الكبيرة ردًّا عليها.

عزيزتي

تهانئي بمناسبة العام الجديد وإن كانت متأخرة. أتمنى لكم جميعًا عامًا سعيدًا. إنها المرة الأولى لنا بهذه الأرض ولقد أمضينا هذه المناسبة بين أشجار الصنوبر بلا أي شعور بمذاقها. إن "طوكيو" الشتاء بها بالذات قارس البرودة كما سمعت، وإنما الملحوظ هنا منذ اليوم الأول هو أنه لم يمر ولا يوم دون هبوب رياح منذ أن دخل الشتاء، والبرودة حقًّا لم أرَ مثلها في حياتي، فمثلاً هذا الصباح تجمدت منشفة اليدين وأصبحت كالعصا، ولها صوت طقطقة. لم يمر عليَّ مثل هذا الشيء من قبل في أوساكا. بـ"طوكيو" هنا بالمدينة القديمة يعد أفضل حالاً نوعًا ما، ولكن هذه المنطقة تقترب من المناطق السكنية التي بالمرتفعات ما يجعلها أكثر برودة على ما يبدو، وبفضل ذلك كل من بالبيت يصابون بنزلات البرد بالدور، حتى وصل إلى الخادمات وصارت كل واحدة منهن طريحة الفراش، لكن أنا و"يوكيقو" اقتصر الأمر معنا على الرشح فقط.

هنا الغبار أقل مقارنةً بـ"أوساكا" والجو أنقى في الحقيقة وبالدليل، فحواف الملابس لا تتسخ. إني هنا أرتدي الكيمونو نفسه لعشرة أيام وأستبدله وهو لم يتسخ بعد، وأخوكِ الكبير كان دائمًا بـ"أوساكا" يتسخ قميصه الأبيض بثالث يوم، أما هنا فحتى اليوم الرابع يظل نظيفًا.

أما بخصوص عرض زواج "يوكيقو" فأظن أنه من الواجب عليَّ شكرك على قلقك الدائم بشأنها. إني على الفور جعلت أخاكِ يرى الخطاب والصورة وتناقشنا، لكن أخاكِ الكبير تغيرت حاله مؤخرًا ولا أذكر له ما يزعجه، وعلى الأرجح الأمر متروك لكِ كما أشعر.

هـذا الشـخص إن كان خريـج كليـة زراعـة وفى الأربعـين مـن عمـره ويعمـل كتقنـى مصايـد أسـماك، فليـس هنـاك أى فرصـة لازديـاد دخلـه الشـهرى كـما ذكـرتِ سـابقًا، وترقيتـه الوظيفيـة توقفـت إلى هـذا الحـد عـلى مـا أظـن، ولأنـه يعيـش دون أى دخـل إضـافى مـن أى مدخـرات مـا فيبـدو أن حياتـه ليسـت مرفهـة، ولكـن إن كان الشـخص المعنـى يوافـق فلـن يعـترض أخـوكِ الكبـير، وإن كان يرغـب هـو فى الاسـتمرار فـلا مانـع مـن أن تختـارى وقتًـا مـا مناسـبًا للمقابلـة، عـلى أن تكـون بعـد ترتيـب وبحـث مفصَّـل. إنمـا إن كانـت رغبـة الطـرف الآخـر ملحـة فهـل لنـا أن نـسرع بالمقابلـة عـلى أن يكـون البحـث الدقيـق فيـما بعـد؟

أظن أن هذا ما سألك إياه زوجك.

أنـا و"يوكيقـو" كلانـا يصعـب عليـه تحديـد مـا يجـب فعلـه. ولكنـى أفكـر فى اختـلاق أى فرصـة لإرسـال "يوكيقـو" إليكـم وتحدثـت إليهـا بالأمـس، لكـن لأن الدفـع نقـدًا فهـى وافقـت عـلى الفـور بشـأن مقابلـة الـزواج مـا دام سـيمكنها الذهـاب إلى إقليـم "كانسـاى"، وخرجـت منـذ الصبـاح الباكـر وقـد دبَّ فيهـا النشـاط وتعافـت فجـأة، حتـى إنى قـد أصابنـى الذهـول.

عـلى أى حـال متـى تفضلتـم وحددتـم موعدًا مؤكـدًا سـتغادر "يوكيقو"، ولتعُـد فى غضـون أربعـة أو خمسـة أيـام مـن انتهـاء المقابلـة، وليسـت هنـاك مشـكلة إن امتـد بقاؤهـا لأكـثر مـن ذلـك، سـأمهِّد بالقـول لأخيهـا الكبـير.

لقـد أطلـت عليـكِ بكتابتـى، فهـذا أول خطـاب منـى منـذ مجيئـى إلى "طوكيـو"، والآن أيضًـا أشـعر بالـبرودة كأن يـدى تجمـدت وهـى ممسـكة بالريشـة، وكأن ظهـرى ينصـب عليـه المـاء البـارد.

الجـو دافـئ فى "أشـيبا" لكنـى أرجـوكِ بشـدة أن تعتنـى بصحتـك كى لا تصيبـك نـزلات الـبرد مـن فضلـك.

سلامى لـ"تينوسوكيه"

18 يناير

تسوروقو

إلى ساتشيقو

بالنسبة إلى "ساتشيقو" التى لا تعرف "طوكيو"، فإنها مهما قيل لها "شيبويا" وبجوار "دوجن زاكا" فإن إحساسها الفعلى لا يتحرك، لذلك تبادرت لمخيلتها البيئة المختلفة للمناطق المحيطة بـ"أوساكا" مثل القرى والبلاد والمناطق السكنية بضواحى المدينة التى تراها من نافذة قطار "ياماتيه"، ومشهد البيوت عن بُعد مترامية بين التضاريس متوغلة بين بساتين الأشجار، والتلال، والوديان، وخلف هذا كله يلمع لون السماء المحملة بالبرودة.

لم يكن أمامها سوى التخيل على طريقتها، لكن حين قرأت عبارات مثل: "تجمدت يدى الممسكة بالريشة"، "وكأن الماء البارد ينصب على ظهرى"، تذكرت عهدها بـ"أوساكا" والشتاء ببيت العائلة ذى الطراز القديم، تذكرت كل شىء، إنهم بالكاد استخدموا المدفأة.

أما ببيت "أويه هون" فإنهم يوقدون المدفأة الكهربية بغرفة الصالون، وركبوا الموقد الكهربى أيضًا لكن فعليًّا لا يستخدمونه إلا نادرًا فقط فى حالة مجىء ضيوف أو بالأيام شديدة البرودة، وعادةً ما يستخدمون المدفأة اليابانية التقليدية "هيباتشى".

كانت "ساتشيقو" حين تذهب إلى أختها الكبيرة ببناير، أول العام، وتجلس قبالتها كانت دائمًا ما ينتابها شعور كأن الماء البارد ينصب على ظهرها، وكل مرة تعود مصابة بنزلة برد، وما جعل أختها الكبيرة تذكر ذلك هو أنهم كانوا ببيت العائلة فى "أوساكا" ينشرون أجهزة

التدفئة بكل مكان فى أواخر العشرينات من عصر "تايشو"[1]، حتى إن أباهم أيضًا الذى يتبع الرفاهية فى كل شىء كان للمرة الأولى يشغل الموقد الجاز بغرفة المعيشة بالعام الذى قبيل وفاته، لكنهم فعليًا لم

يستخدموه للتدفئة كثيرًا، فجميعهم فى طفولتهم نشأ على استخدام المدفأة التقليدية مهما كانت بعض الأيام شديدة البرودة. لكنهم بعد زواج "ساتشيقو" و"تينوسوكيه" بعدة سنوات، وبعدما انتقلوا إلى بيت "أشيبا" بدؤوا يستخدمون المدفأة المدمجة ببناية المنزل، وصاروا لا يمكنهم الاستغناء عنها، فدونها يصبح الشتاء لا يحتمل، وهم شعروا بأنه سيكون من الغريب فى هذه الآونة إن استخدموا ما اعتادوه وهم صغار كالمدفأة التقليدية وغيره. بالضبط مثلما تفعل الأخت الكبيرة الآن بعدما ذهبت إلى "طوكيو" وما زالت تبدو على النمط القديم الذى عفا عليه الزمن.

"يوكيقو" تحتمل لأقصى درجة فهى ذات القلب المتحمل التى إن كانت هى بهذا الوضع لأصابها على الفور التهاب رئوى أو ما شابه ذلك.

أما عن تحديد موعد مقابلة الزواج، فقد كان السيد "هامادا" هو الوسيط بين السيدة "چينبا" والسيد "نومورا"، وعلى الرغم من أنه تلقى الاتصال لترتيب الأمر فإنه استغرق وقتًا. كان من الواضح أن رغبة ذاك الشخص هى إتمام اللقاء قبيل انتهاء الشتاء قدر الإمكان، وبالفعل كانت نية عائلة "ماكى أوكا" إرسال "يوكيقو" مباشرةً يوم 29 من ذاك الشهر "يناير". لكن "ساتشيقو" تذكرت أنها وقعت فى خطأ ما فى أثناء مكالمة هاتفية سابقة، فأسرعت إلى غرفة المكتب المنفصلة بالمنزل وطلبت من زوجها إجراء مكالمة من أجلها، لكن فى مساء يوم 30 جاءتها بطاقة من أختها الكبيرة التى أساءت فهمها لتخبرها

(1) عصر تايشو من 1912 الى 1926.

بأن طفليها الصغيرين أصيبا بنزلة برد فجأة، والطفلة "قوميقو" التى لم تبلغ الرابعة من عمرها بعد تفاقمت حالة الالتهاب الرئوى لديها، وهى تثير ضجة عارمة ولا بد من إحضار ممرضة، لكن نظرًا إلى ضيق البيت فلا مكان لتنام فيه، وهى تدرى منذ مرض ابنها "هيديوو" أنها يمكنها الاعتماد على "يوكيقو" بدلاً من استئجار شخص متخصص لهذه المهمة، لذلك لم تأتِ بممرضة وقالت لها: "نريدك أن تستميحى عذرًا السيدة چينبا بطريقتك لتنتظر قليلاً". فى الوقت ذاته كان القصد هو إخبارها بمرض صغيرتها وإصابتها بالالتهاب الرئوى.

بعد أكثر من أسبوع وجدت "ساتشيقو" أن الوضع لا يزال غير مستقر، فأخبرت السيدة "چينبا" بالأسباب وأنهم سيؤجلون الموضوع الآن وأنه لا داعى لقلق الطرف الآخر.

ما زالت الحال يرثى لها بالنسبة إلى "يوكيقو" التى يتمحور دورها دائمًا فى استخدامها كبديل لممرضة. وهنا، وفى تلك الأثناء التى تأجل بها اللقاء بدأت ترتيبات البحث، وأحرزوا تقدمًا ووصلهم تقرير من وكالة المباحث والتحريات، وطبقًا لما ورد به، فإن السيد "نومورا" يشغل منصب مسئول كبير من الفئة الثالثة، وراتبه السنوى فى حدود 3600 ين بخلاف بعض الحوافز، أى نحو 350 ينًا بالشهر. والده كان يزاول أعمال الفندقة ببلدته مسقط رأسه "هيميجى" وإنما الآن لم تتبقَّ لديه أى عقارات. بالنسبة إلى أقاربه، فأخته الصغيرة متزوجة بصيدلى يدعى "أووتا بوه"، ولديه عمان ببلدتهم "هيميجى" أحدهما يعمل بتجارة التحف بجانب كونه معلمًا للطقوس اليابانية التقليدية، والآخر كاتب قضائى بالسجل المدنى. غير ذلك فإن السيد "هامادا چووكيتشى" رئيس شركة قطارات إقليم كانساى هو ابن عمه، وهو الوحيد فخر العائلة وحامى حماها (وهو أيضًا ما تسميه السيدة چينبا "الراعى"، فقد صنع جميلاً بزوجها وجعله يعمل حارسًا لديه طوال فترة الدراسة).

هذا ما ورد ذكره وانتهى به التقرير، إضافة إلى نتيجة التحرى عن مرض زوجته السابقة التى توفيت عام 1935، والذى لم يكن أى شىء سوى نزلة برد، وقطعًا سبب وفاة الطفلين أيضًا ليس مرضًا وراثيًا وهذا أمر مؤكَّد.

أما عن هيئته وشخصيته، فلقد طلب "تينوسوكيه" العون من جهتين أو ثلاث، ولم يتوصل إلى عيوب أخرى سوى عادة غريبة لديه هى أنه يهمهم متحدثًا لذاته من حين إلى آخر وعلى حين غرة بكلام غير مفهوم تمامًا، بحسب ما ذكر زملاؤه الذى يعملون معه بمكتب محافظة "هيوجو"، ويبدو أنه حين ينغمس فى هذه الحالة يظن أنه ما من أحد بالجوار يسمعه على الإطلاق، لكن حتى إن كان هذا هو ظنه فالجميع من حوله يمكنه سماعه، والآن لا يوجد أحد من بين زملائه لا يعرف حالته وجميعهم يعلم أنه أصيب بها بعدما ماتت زوجته وأبناؤه.

زملاؤه يقولون عنه "الأب قائل الغرائب" ويضحكون، فمثلاً فى مرة كان أحد زملائه بالمرحاض العام للهيئة وسمع شخصًا جاء ودخل المرحاض المجاور وكان هو "نومورا"، وسمعه يقول: "ألو هل أنت السيد نومورا؟" وسمعه يعيد السؤال نفسه مرات عدة بل ويجيب على نفسه قائلاً: "كلا أنا لست فلانًا". زميله هذا يؤكد أنه لم يختلط عليه الأمر وذاك الصوت كان صوت "نومورا" نفسه. ظن ذاك الشخص أن "نومورا" لا يدرى بوجود أحد بالمرحاض المجاور، فحبس أنفاسه وأصبح الوضع مثيرًا للشفقة، لكنه استمر طويلاً وسئم الانتظار وخرج هو أولاً وانصرف خلسة دون أن يريه وجهه.

من المؤسف أيضًا أن السيد "نومورا" حينها تنبه لخروج أحد من جواره ولكنه لم يتذكر مطلقًا من هو، وفى النهاية خرج ليزاول مهام عمله على نحو طبيعى كأن شيئًا لم يكن.

هذه الحالة لا يمكن التعبير عنها إلا بمصطلح "ليس بكامل قواه العقلية"، وإن كانت هذه ليست بجريمة، وإنما إن سمع بها أحد سيتفاجأ ويشعر بالغرابة.

لقد خرج وهو غير عابئ بشيء، وكلامه غير مفهوم!

ولا يمكن وضع احتمال أنه كان معه أحد مثلاً.

أى أحد سيسمع بذلك لا بد له أن يطلق صيحات الاندهاش بأعلى صوت، وأى أحد مكان ذاك الشخص الذى أخفى حاله لا بد أن يصاب بالذهول ويظن أنه أمام مجنون.

كل هذا يؤكد أنها عادة لا تتسبب فى مشكلات أو إزعاج للآخرين، بل ولا يمكن حتى أن تصل إلى حد السلوك الاجتماعى، لكن قطعًا من الأفضل لها أن تظل دون زواج عوضًا عن اختيار شخص بهذا الوضع، والأكثر من هذا وذاك هو أن وجهه يبدو عليه الكبر وبالتأكيد يتجاوز السادسة والأربعين من عمره بكثير، إنه يبدو كعجوز، بل كمسن اجتاز الخمسين، وهذا هو أصعب شيء فكرت فيه "ساتشيقو".

هى تكاد تكون متأكده من أنه لن يروق "يوكيقو"، وواضح من البداية أن حظها غير موفَّق هذه المرة، ما يعنى أن هذه المرة مخيبة للآمال وغير مشجعة بالمرة، لكن بما أن هذا هو السبب الظاهرى لاستدعاء "يوكيقو" فلا مفر من المقابلة.

على هذا النحو كان الشعور الحقيقى للزوجين "ساتشيقو" و"تينوسوكيه".

على أى حال، لا يبدو أن الأمر وصل إلى نهايته ما داما لم يخبراها بأى عيوب.

وبهذا حسم الزوجان نقاشهما بألا يفصحا بقول أى شيء لـ"يوكيقو" عن واقعة حالته الغريبة تلك.

الفصل السادس والعشرون

عادت "اتسوقو" من المدرسة وساعدتها أمها و"أوهارو" لتزيين الغرفة غربية الطراز، ورص عرائس الـ"هينا"[1] على الأرفف المتدرجة، فهم ينتظرون مجيء "يوكيقو" وجاءتهم برقية.

عمومًا موسم مهرجان الـ"هينا" تتأخر احتفالاته بإقليم "كانساى" شهرًا. ما زال الوقت مبكرًا، لكنهم منذ 45 يومًا تقريبًا جاءتهم الأخبار بمجيء "يوكيقو"، وبذاك الحين كانت "تائيقو" تستعد بصنع الدمى للصغيرة وقدمت لها دمية "كيكوچورو" الخاصة بمعبد "دوچى چى" من أجل هذه المناسبة، وتذكرت "ساتشيقو" فجأة:

- "اتسوقو، دعينا نزين بهذه الدمية أيضًا مع عرائس الهينا". هكذا قالت "ساتشيقو" ثم أضافت:
- "عرائس الهينا أريدها فى استقبال أختك الكبيرة".
- "ماذا! أمى أليس مهرجان الهينا الشهر المقبل؟"

---

(1) "مهرجان الـ"هينا" يقام فى اليابان لتنمو النباتات بصحة جيدة، وتُستخدم عرائس ودمى الـ"هينا" للتزيين مع ورود الكرز والخوخ.

وقالت "تائيقو":

- "ما زال زهر الخوخ لم يتفتح بعد".

وقالت الصغيرة:

- "ألا تقولين إن البنات يتأخر زواجهن إن خرجن لمهرجان الهينا بعد انتهاء موسمه؟"

- "بالضبط، وأنا طفلة كانت أمي دائمًا ما تقول لي ذلك، وإن انقضى موسم المهرجان لا يمكننا الإسراع وإعداد العرائس، وإنما لا بد من الاستعداد مبكرًا والتزيين، وخطأ أن تتم الاستعدادات بعد فوات الأوان".

- "ممم، حقًّا! لم أكن أعرف".

- "سأتذكر هذا جيدًا. ألا يناسب هذا القول أختي أيضًا؟"

في الماضي كان مهرجان "هينا" بهذا البيت يعني أن يجعلوا متجر "ماروهيرا"[1] بـ"كيوتو" يصنع للصغيرة العرائس في بداية الاحتفالات، ثم بعد انتقالهم إلى بيت "أشيبا" صارت غرفة الصالون التي يستخدمونها للمّ شمل العائلة أنسب غرفة للتزيين، وإن كانت هناك الغرفة غربية الطراز إلا أن الاحتفال بمهرجان "هينا" يجمعهم كل عام بتلك الغرفة. وكي ترحِّب "ساتشيقو" بـ"يوكيقو" التي ستأتيهم بعد غياب نصف عام، أعدت الزينة لتظل شهرًا ويسارعوا بالاحتفال بدايةً من موسم المهرجانات وفقًا للتقويم الشمسي.

دار حوار حول أن "يوكيقو" قد تمكث شهرًا، فهذا الاقتراح قائم وها هو اليوم الثالث من مارس يبدؤون في الإعدادات.

- "مهلاً اتسوقو، افعلي كما قالت والدتك".

---

(1) متجر للعرائس مر على تأسيسه أكثر من 250 سنة، وهو من أقدم الأماكن بمدينة "كيوتو".

- "هيا، سنقوم بذلك اليوم بالتمام، وستأتى أختى مع بداية موسم الاحتفالات". فقالت "أوهارو":

- "يا لها من علامة لحسن الحظ".

فقالت الصغيرة:

- "وهل هى هذه المرة ستصير عروسًا؟"

أجابتها "أوهاروا":

- "اتسوقو لا تقولى مثل ذاك القول أمام أختك أبدًا".

- "ممم، فهمت. مثل ذاك القول، حاضر. حسنًا، وأنتِ أوهارو إن لم تنتبهى سيحدث معكِ كما حدث سابقًا".

- "أفهم، وهل تعلمين لمَ؟ كله بفضلك".

- "ماذا!.... حسنًا. هيا إنى أريد أن أهاتف أختى تائيقو"، وقالتها الصغيرة بصوت تملؤه الحماسة:

- "هيا بنا لنطلبها".

- "اتسوقو، اطلبيها بنفسك".

- "مممم".

وهنا انطلقت الصغيرة نحو سماعة الهاتف لتطلب شقة "شوطوو".

- "مم، حسنًا، بالتأكيد إنه اليوم، فلتعودى إلى البيت سريعًا. أختى، ليس بقطار تسوبامى، ولا بالقطار السريع كاموميه، ستذهب أوهارو لاستقبالها بأوساكا".

وبينما "ساتشيقو" تضع التاج الذهبى ذا الزخارف المعلقة على رأس الدمية التى تمثل الإمبراطورة، وصل إلى مسامعها صوت صياح

الصغيرة عاليًا، فنادتها ونهرتها فى غضب حين رأتها ممسكة بسماعة الهاتف.

- "اتسو، هيا قولى لها إن كان لديها متسع من الوقت فلتذهب لتستقبل أختك".

- "حسنًا، أمى تقول لكِ إن كان لديكِ متسع من الوقت فلتذهبى لاستقبال أختى. ممم، مممم، أوساكا، فى تمام التاسعة. ستذهبين؟ لا داعى لذهاب أوهارو إذًا؟"

كان المغزى من كلمات "ساتشيقو" أن تذهب لاستقبال "يوكيقو" بمحطة "أوساكا" هى تفهمه جيدًا، ففى العام الماضى حين جاءت الجدة "طومى ناجا" لتجعل "يوكيقو" تغادر، ثم تلحقها "تائيقو" ثلاثة أشهر على الأكثر لتذهب هى الأخرى إلى طوكيو، بيت العائلة تغاضى عن الأمر منذ ذاك الحين فلم يكن الموضوع بهذه السهولة، واستمر الوضع كما هو عليه (على الرغم من أنهم لم يفعلوا مع يوكيقو بالمثل)، وبهذا تصبح "يوكيقو" فقط هى الماهرة فى سحب البطاقات الخاسرة ولديها شعور بالظلم، ما يعنى أنه من الواجب حتمًا الذهاب لاستقبالها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- "هل أتصل بوالدى أيضًا؟"

- "كلا. لا داعى، إنه بالفعل فى طريق العودة الآن".

عاد "تينوسوكيه" إلى المنزل بالمساء، وكان هو أيضًا قد افتقد "يوكيقو" بشدة، فقد مرت ستة أشهر كاملة وأكثر منذ رحيلها. كان يلوم ذاته على عدم رغبته فى عودتها، وتنبه للعديد من الأمور الدقيقة مثل هل ستفضل الدخول للاغتسال فور وصولها، وهل وجبة القطار كانت كافية لها للعشاء؟ قطعًا لن تنام، ترى هل سترغب

فى أكل شىء ما؟ وجعلهم يحضرون ثلاث زجاجات من خمر العنب الأبيض الذى تحبه ومسح الغبار عن واحدة ليرى تاريخها.

نصح الجميع الصغيرة "اتسوقو" بالتمهل للغد للقاء "يوكيقو"، لكنها ظلت فى انتظارها ولا تصغى، وبعدما اقتربت الساعة من التاسعة والنصف اصطحبتها "أوهارو" للطابق الثانى، وسرعان ما رن جرس البوابة الأمامية وسمعت صوت وقع أقدام الكلاب وهى تجرى إلى هناك.

- "إنها أختى". قالتها ونزلت مرة أخرى.
- "أهلاً".
- "أهلاً وسهلاً".
- "عودًا سالمًا".

قفز "جونى" فى فرح، واستوقفته "يوكيقو" وهى أمام المدخل ومن بعدها "تائيقو" وهى تحمل حقائب السفر، وحين اصطفت كلتاهما جنبًا إلى جنب فى حماسة فى ذاك الوقت، ظهرت آثار تعب السفر على وجه "يوكيقو"، وكان الإنهاك ملحوظًا.

- "أين تضعين الهدايا؟" قالتها الصغيرة مسرعة وفتحت الحقيبة بنفسها وبدأت البحث بداخلها، وعلى الفور وجدت صندوقًا لمحرمة ومجموعة من الأوراق الملونة والمزركشة بأشكال للزخرفة.
- "اتسوقو مؤخرًا تقوم بجمع المحارم".
- "مممم، شكرًا".
- "ما زالت هناك واحدة أخرى، انظرى فى الأسفل".
- "وجدتها، وجدتها، إنها هذه".

وأمسكت "اتسوقو" بصندوق ملفوف بأوراق متجر "أوا" بحى "جينزا" ووجدت بداخله "زورى" مطليًا باللون الأحمر.

- "حسنًا صار لدىَّ حقًا صندل من طوكيو".

أخذته "ساتشيقو" بيدها لتراه وقالت:

- "حسنًا فلتحرصى عليه جيدًا وتنتعليه الشهر المقبل فى موسم رؤية الزهور".
- "كثير من الشكر أختى".
- "عفوًا. هل هى الهدايا التى طال انتظارك لها اتسوقو؟"
- "بالتأكيد. إنها رائعة. هيا خذيها كلها معكِ لغرفتك".
- "إنى الليلة مع أختى".
- "أعلم، أعلم". قالتها "ساتشيقو" وأضافت:
- "أختك الآن ستذهب للاغتسال. اذهبى أنتِ أولاً للنوم مع أوهارو".
- "حسنًا. فلتأتى سريعًا أختى".

اقتربت الساعة من الثانية عشرة حين انتهت "يوكيقو" من حمامها، ولبعض الوقت مكثت الأخوات الثلاث مع "تينوسوكيه" بالقرب من المدفأة بغرفة المعيشة.

تعالى صوت الحطب فى النيران، وتلاقت وجوههم بعد طول غياب حول منضدة صغيرة عليها خمر العنب الأبيض والجبن.

- "يا للدفء هنا! بمجرد نزولى بمحطة أشيبا على الفور شعرت بالفرق بين هنا وطوكيو".

- "هـا نحـن عـلى مشـارف احتفـالات ميزوتـورى[1] واقـترب الربيـع.. لكـن هـل الاختـلاف إلى ذاك الحـد! لم أكـن أدرى".

- "الفـرق شاسـع، وأكـثر شيء هـو أن الهـواء حـين يلامسـك لا تجدينه رقيقًـا مثـل هنـا. هنـاك بالـذات البرد قـارس، منـذ يومـين أو ثلاثـة ذهبـت للتسـوق بمتجـر تـاكاشى ياما، وبمجـرد خروجـى لطريـق العـودة نحـو خـط الـترام السـطحى هبَّـت الريـاح وعصفـت بـكل مـا كنـت أحملـه، وكنـت كلـما لاحقـت شـيئًا للإمسـاك بـه تدحـرج أكـثر كأنـه إلى مـا لا نهايـة، وبصعوبـة تمكنت من الإمسـاك بالأشـياء كافـة، حينهـا أطـراف ملابـسى هـى الأخـرى طـارت وانقلبـت لأعلى فأصبحـت بإحـدى يـدى أضغـط عليهـا أيضًـا بشـدة. هنـا لا يوجـد أى مـن ريـاح طوكيـو العاصفـة".

- "لكنـى بالعـام المـاضى حـين أزعجتكـم بمجيئـى إلى شـيبويا كيـف كان للأطفـال أن يحفظـوا كلـمات المنطقـة بهـذه السرعـة. فى ذاك الوقـت كنـا بشـهر نوفمـبر ولم يكـن قـد مـرَّ عـلى ذهابكـم إلى طوكيـو سـوى شـهرين أو ثلاثـة، وعـلى الرغـم مـن ذلـك كل الأطفـال ببيـت العائلـة يسـتخدمون لكنـة طوكيـو بطلاقـة، حتـى الأطفـال الصغـار كانـوا بارعـين".

- "هـذا لا أمـل فيـه بسـن أختـى الكبـيرة". قالتهـا "ساتشـيقو" تعليقًـا عـلى عبـارة زوجهـا السـابقة.

- "ليـس كذلـك، أختـى الكبـيرة لا يروقهـا حفـظ تلـك الكلـمات. كنـا مـرة بالحافلـة وبـدأت الحديـث بلكنـة أوسـاكا، ويـا للورطـة، تطلـع بوجههـا كل الـركاب لكـن أختـى الكبـيرة اسـتمرت فى حديثها عـلى نحـو طبيعـى مهـما حدَّقـوا إليهـا. ذاك حقًّـا مـا يجعـل قلبهـا

(1) * ميزوتـورى هـو مهرجـان سـنوى واحتفـال بـوذى يقـام فى محافظـة "نـارا"، فى معبـد "طـود اى چـى" فى 13 مـارس ويعنـى "طقـوس سـحب الميـاه المقدسـة" وهـو احتفـال لتطهـير النـاس مـن الخطايـا ولدخـول ربيـع عـام جديـد، وبمجـرد اكتـمال مراسـمه يبـدأ تفتـح زهـرة الكـرز.

عظيمًا. حينها كل من أنصت إليها قال: لكنة أوساكا ليست بالشيء السيئ حقًّا".

وقلدت "يوكيقو" النطق بلهجة "طوكيو" بمهارة وهى تقول: "لكنة أوساكا ليست بالشئ السيئ حقًّا"، وعلق "تينوسوكيه" قائلاً:

- "هكذا هن السيدات الناضجات. كانت هناك امرأة جيشا أعرفها تتجاوز الأربعين من عمرها، ولكنها إن ذهبت إلى طوكيو واستقلت القطار تتعمد استخدام لكنة أوساكا وتقول بصوت عالٍ: دعونى أنزل، وبالتأكيد الكل يتوقف لها".
- "وماذا عن تارو أو؟ ألا يعترض على استخدام أمه للكنة أوساكا وهما يسيران معًا؟"
- "لا أدرى إن كان الأطفال كذلك أم لا".
- "ترى ماذا سيكون شعور أختى الكبيرة حينها!" قالتها "تائيقو".
- "مم. الأمر مختلف عنه فى أوساكا، هناك مهما حدث لا أحد يقول شيئًا ويبدون كأنه لا أحد يبالى، فوق ذلك كله فطوكيو بها كل امرأة تقدِّر كيانها وشخصيتها ولا يتمسكن بالموضة بقدر ما يفضلن ارتداء الأنسب لهن، وهنا أظنهن أفضل حالاً من أوساكا".

كانت "يوكيقو" تثرثر بمرح لا مثيل له كالمتوقع بالضبط، وإنما ربما بسبب الخمر. بتلك الحالة هى لا تعبِّر صراحةً، ولكنها كانت بالتأكيد حالة من السعادة لاستطاعتها العودة إلى أراضى إقليم "كانساى" الذى أمضت به ما يزيد على نصف عمرها.

هكذا فى غرفة المعيشة ببيت "أشيبا"، "ساتشيقو" وأختاها الصغيرتان سهرن الليل معًا محتضنات فرحتهن بلا شيء يعكر صفوها.

- "هيا ألن ننام!"

قالها "تينوسوكيه" فى حين كان الحديث يتخذ مسارًا حيويًّا، فنهض ليلقى ببعض من الحطب فى نيران المدفأة.

- "إنى أريد أن تصطحبنى أنا أيضًا فى مرة إلى طوكيو، لكن البيت فى شيبويا ضيق للغاية، متى ستبدلونه؟"
- "حسنًا، وإنما هم لا يبحثون عن منزل أو ما شابه".
- "إذًا، هل ستنوى الذهاب؟"
- "ليس كذلك، وإنما فى العام الماضى هم قالوا إن كان المنزل ضيقًا فلا يهم سنستبدله، وفى هذا العام أصبحوا لا يقولون ذلك. فماذا إذًا؟! يبدو أن أخى الكبير وأختى أيضًا قد تبدل تفكيرهما". وهكذا قالت "يوكيقو" وصارت تروى لهم على نحو غير متوقع.
- "هذا ما لاحظته، أن أيًّا منهما لم يقُل شيئًا بوضوح، وإنما فى الأصل الدافع لقرارهما الذهاب إلى طوكيو والابتعاد عن أراضى أوساكا وهى كارهة للبعاد لذاك الحد هو رغبته فى النجاح فى مجاله، وأيضًا السبب الذى أدى إلى رغبته تلك فى الترقى هو أن ميراث الأب الحاضن لأسرة من ثمانية أفراد لن يكفى لإطعامهم، وإن اعتبرناه يبالغ قليلاً إلا أنه بدأ يشعر بصعوبات المعيشة فذهب الآن إلى طوكيو، والشكوى من ضيق البيت حين يستقرون به شيئًا فشيئًا سيعتادونه وتتلاشى شكواهم، أليس ذلك ما مهد له؟!

والأدهى من ذلك أنه أغراه الإيجار الزهيد للمنزل الذى هو 55 ينًّا. فماذا لأخى الكبير ولأختى أن يفعلا! فمثل ذاك البيت إيجاره رخيص للغاية وقالاها صراحةً دون تقديم أعذار لأحد، ووقتما قال لنا عن هذا الموضوع كانت نواياه البقاء بأى مكان رخيص يتمكن من اصطياده.

إنما لو كان لا يزال بأوساكا لكان لا بد له من الأخذ فى الاعتبار اسم العائلة ومكانتها الاجتماعية، لكن فى طوكيو إن قلت عائلة ماكى أوكا فلا أحد يدرى، وبدلاً من التباهى غير المجدى فمن الأولى أن يكون هدفه زيادة مدخراته، وعلى هذا النحو فليس من الغريب إطلاقًا أن يتحول ويعتنق مذهب المنفعة.

الدليل على ذلك أن أخى الكبير صار الآن مدير فرع وزاد راتبه، فإن قلنا فقط بناءً على ما يدخل جيبه من بدلات ستجده بخيلاً للغاية بكل شىء مقارنةً بعهده بأوساكا. أختى الكبيرة أيضًا تتبنى مبادئه تلك وصارت مقتصدة إلى حد مثير للدهشة، إنها يومًا بيوم ترى بعينها مشتريات المطبخ وتقتصد منها، والأكثر أنها تدفع تكلفة وجبات لستة أطفال، لذلك سواء بتفكير أو دون تشترى نوعًا واحدًا من الخضراوات، أى أن الوضع مختلف اختلافًا مريعًا، وإن حكيت لكم بكل تواضع فدعونى أقول إن قائمة الطعام للطبق اليومى اختلفت عن أيام أوساكا، الحساء والأرز بالكارى، حساء اللحم والخضر الميسوشيرو، بالطبع صار هو طبقًا واحدًا بقليل من المكونات، وهذا حل بارع لتمتلئ بطون الجميع شبعًا.

وعلى هذه الحال، اللحم البقرى فى أكلة مثل سوكى ياكى لا نأكله إلا نادرًا، بالكاد قطعة أو قطعتين من قصاصات اللحم تطفو، وتطعمنا إياها. على الرغم من ذلك، فمن حين إلى آخر بعدما ينتهى الصغار من طعامهم تعد قائمة طعام مختلفة للكبار فقط ليتشاركوا مع والدهم ويستمتعوا بالعشاء، ومهما كان سمك المرجان سيئًا بطوكيو، فإن إعداد اللحوم الحمراء وتناولها لا يكون إلا فى ذاك الوقت. وفى الواقع حينها بدلاً من أن تقول إن هذا من أجل أخى الكبير تعتبره من أجلى".

بـدا مـن كلام "يوكيقـو" أنهـم دائمًـا مـا يجعلونهـا تنضـم إلى الأطفـال بمـا أنهـا تبـدو مثـيرة للشـفقة!

- "إن كنـت مـكان أختـى الكبـيرة بالتأكيـد لـن أفعـل مثلهـا. انظـروا جيـدًا، هـذا كلـه بنـاءً عـلى تغييرهـا لبيتهـا".

- "ممـم.. بالضبـط. بعدمـا ذهبـت إلى طوكيـو تغـيرت شـخصيتها تمامًـا".

- "إذًا ملاحظات يوكيقو فى محلها". قالها "تينوسوكيه".

- "وفرصـة هجرتـه إلى طوكيـو هـى إعـمال لمبـدأ التوفـير والادخـار تخليًـا عـن غـروره. يسـتحيل أن يكـون تفكـير أخـى الكبـير صـار هكـذا. إن اسـتمع أى أحـد لمثـل ذاك الحديـث، سـيقول ألا يفعـل هـذا الرجـل أى شىء يُشـكر عليـه؟! إنمـا مهـما كان فـماذا عـن مثـل ذاك البيـت الضيـق! إن فكـرت بتـأنٍّ أجـدنى لا يمكننـى فعـل ذلـك أبـدًا".

- "مـن الواضـح أن كلـه صحيـح، فحتـى الآن يوكيقـو ليسـت لديهـا غرفـة، وهـذا غـير لائـق بالمـرة، ومـن الغريـب أنـه يضـع نفسـه فى موضـع تقديـم الأعـذار للنـاس".

- "إذًا، مـا سـيقوله النـاس ليـس إلا أنـه تغيـير تمامًـا وعـلى حـين غـرة. كان أولى بـه أن يصنـع لنفسـه مظهـرًا لائقًـا ولـو بالقليـل".

- "إذًا الآن صار لا يمكننى الذهاب إلى ذاك البيت الضيق؟"

قالتها "تائيقو" متسائلة بغاية الحماسة عما يخصها.

- "بالضبط. إن جئتِ لن تجدى أى مكان للنوم".

- "إذًا يبدو أن الحال على ما يرام حتى الآن بالنسبة إلىَّ".

- "على أى حال، هم الآن وعلى ما يبدو ساهون عن شأنكِ أختى الصغيرة".

- "هيا هيا فلنذهب للنوم".

ودقت الساعة التى فوق رف المدفأة مشيرة عقاربها إلى الساعة الثانية والنصف، ونهض "تينوسوكيه" واقفًا مندهشًا.

- "يوكيقو لا بد أنكِ تعبتِ اليوم".

- "هناك أحاديث عن مقابلة الزواج، وإنما فلندعها للغد". واستمرت "يوكيقو" فى سماع مثل تلك الكلمات من "ساتشيقو" وهى تسبقها للدور الثانى، لكن حين دخلت غرفة النوم وجدت الصغيرة وضعت منضدة مكان الوسادة وعليها كل الهدايا من ذى قبل وصولاً إلى صندوق الصندل الذى حصلت عليه اليوم، كلها مصفوفة، وهى قد غلبها النوم، فنظرت إلى وجهها الملائكى وهى نائمة على وميض ضوء المصباح المعلق، وغمرتها السعادة لعودتها إلى هذا البيت.

وبين سرير "اتسوقو" وفراش نوم "يوكيقو" سقطت "أوهارو" غارقة فى سبات عميق، فهزتها لبضع مرات لتوقظها وتنزل تكمل نومها بالأسفل.

- "أوهارو، أوهارو".

الفصل السابع والعشرون

مقابلة الزواج، تحدد موعدها ومكانها.

قالت السيدة "چينبا" إن يوم 8 من الشهر يوم مناسب، فلنجعل اللقاء فى هذا اليوم، وأخبروا "يوكيقو" برغبتهم تلك، لكن وقع حادث غير متوقع فى مساء يوم 5 من الشهر، ما اضطرهم إلى التأجيل.

فى صباح ذاك اليوم كان لا بد لـ"ساتشيقو" أن تذهب إلى سيدة تعمل بمنتجع صحى للاستجمام بفترات النقاهة، وكانت بالفعل حجزت موعدًا واتفقت مع ثلاث من صديقاتها ليذهبن معًا، وعلى الرغم من أن الذهاب بالقطار لا بأس به فإنهن استقللن الحافلة وعبرن محطة "روڤّوو" وصولاً إلى "أريما"، وفى العودة استقللن قطار "شينيوو"، لكن فى تلك الليلة بعدما ذهبت إلى فراشها للنوم فجأة انتابها ألم ورأت نزيفًا، واستدعوا الطبيب "كوشيدا" ليأتيهم بزيارة منزلية وفاجأهم بأنه إجهاض، واستدعى طبيبًا مختصًا على الفور، ووفقًا لفحصه الطبى سيستمر النزيف للصباح التالى. لازمها "تينوسوكيه" بغرفة المشفى، وظل منذ بداية ألمها يمكث رافعًا مسند سريره ويجلس بجوار الوسادة، وفى اليوم التالى بعدما استقرت حالتها وتوقف النزيف بالكاد أراح مسند

مقعده فقط، وحتى بعدما بدأت تتماثل للشفاء استمر فى إجازة من عمله ملازمًا لزوجته. كان يجلس ناظرًا إلى الأسفل ويضع كلتا يديه حتى المرفقين بالقرب من صحن المدفأة، وراحتَى يديه إحداهما فوق الأخرى فوق ألسنة اللهب، وظل على هذا الوضع طوال اليوم دون أدنى حراك، فقط من حين إلى آخر يتبادل النظرات مع زوجته وقتما يشعر بها ترفع ناظرها إليه وعيناها تترقرقان بالدموع.

- "أحسن الآن؟" قالها سائلاً إياها بوجه هادئ وأضاف:
- "هل هناك ما يمكننى فعله لكِ؟"
- "أنت، تسامحنى أليس كذلك؟"
- "ماذا!"
- "أنا لم أنتبه".
- "وذاك ما حدث، إنى على العكس كنت أريد ذلك مستقبلاً".

بمجرد أن قال ذلك "تينوسوكيه" انهمرت الدموع الحبيسة بعينَى زوجته وغمرت وجنتيها.

- "إذًا يا للأسف".
- "هذا الحديث ليس وقته قطعًا. سيمكننا فيما بعد".

ظل الزوجان اليوم بطوله يعيدان الحوار نفسه لمرات عدة، وكان "تينوسوكيه" يتمعن فى وجه زوجته الشاحب بعدما فقدت الكثير من الدماء، وهو لا يستطيع أن يخفى شعور الإحباط الذى اعتلى وجهه.

الحقيقة الصادمة هى أن "ساتشيقو" كانت فى شهرها الثانى من الحمل ولم يأتِها أى هاجس، فهى بكل حال من الأحوال منذ ولادة طفلتها منذ قرابة العشر سنوات قال لها الأطباء إنها لن تتمكن من الإنجاب فيما بعد دون إجراء عملية، فبالتأكيد هى لم تلقِ بالاً للأسف.

لكنها تدرى بما يرغب فيه زوجها فيما بعد، وحتى إن كانت هى ذاتها لا ترغب فى كثير من الأطفال مثل أختها الكبيرة، لكنها تشعر بأن طفلتها وحيدة، فكانت تأمل أن يكون هناك حمل ويتم، وكان بنيتها أن تذهب للاستشارة، لذلك حين اصطحبت رفيقاتها بالأمس راودها هذا الإحساس فجأة لكنها لم ترِد أن تبالغ وتأخذ الموضوع على محمل الأهمية.

كم تبدو حمقاء والشعور بالاستنكار يجتاحها إلى أبعد مدى، وهذا جعل كل من حولها يخطط للترفيه عنها، وراح تفكيرهم فى الاتجاه المعاكس تمامًا، لكنها كانت لديها أسبابها لتتجاهلهم، ولا يمكن لومها ففعلتها تدعو للحسرة، وقالتها لطبيبها "كوشيدا" ولنفسها "لما ركبت الحافلة، لما ذهبت لمثل ذاك الموعد"، وتذرف دموع الندم وما باليد حيلة. زوجها كان قد تقبل حقيقة كون ذاك الجسد لا يمكنه أن يحمل بأحشائه طفلاً، لكن دون أى محاولات منهما جاءهما البرهان على قدرتها على الإنجاب، لذلك قال لها إنه ليس حزينًا بل سعيد لأنه صار لديه الأمل مجددًا بالمستقبل.

لكن على الرغم من قوله هذا الكلام ليريحها، فإنها أيضًا أدركت كم أن زوجها بداخله بائس بشدة، ومهما أعطاها من عطف ومعاملة طيبة كانت تظل فى منتهى الندم لأنها غلطتها حتى لو لم يقل، فالخطأ ليس بهيِّن ولا يمكن إنكاره.

فى اليوم الثانى بدأ زوجها أيضًا يتعايش، ويستعيد عافيته، وخرج بموعده المألوف للعمل، ومكثت "ساتشيقو" ممددة فى فراشها بالدور الثانى، وكلما فكرت فى أن الأسى لن يجدى نفعًا سرعان ما تتهاوى ولا يمكنها تجنب أفكارها الأولى. إنها كانت منذ قريب قد اشتاقت لـ"يوكيقو" وتريد لقاءها، أما الآن فهى لا تقوى على رؤيتها أو رؤية الخادمات وطفلتها الوحيدة، وكلما مكثت وحدها فاضت عيناها بالدموع.

لـو لم تكـن فعلـت فعلتهـا تلـك غـير المقصـودة لـكان لهـا أن تضـع حملهـا فى شـهر نوفمـبر، وصـار مثـل هـذا الوقـت فى العـام المقبـل طفلهـا يسـتطيع الضحـك. لا بـد أنـه بهـذه المـرة كان صبيًـا، أليـس كذلـك؟ وبالطبـع سـيفرح زوجهـا. تـرى "اتسـوقو" كانـت سـتفرح أيضًـا؟

إنهـا كانـت لا تلقـى بـالاً عـلى الإطـلاق، ولكنهـا كانـت عـلى وشـك أن تتراجـع. ذاك الوقـت كان نذيـر شـؤم، ومـع ذلـك فلـماذا لم تمتنـع عـن ركـوب الحافلـة؟ ولمـاذا لم تعتـذر عـلى الفـور بـأى حجـة؟ فمهـما قالـت لـكان مـن الأفضـل لهـا أن تذهـب بمفردهـا لاحقًـا. كان يمكنهـا إيجـاد العديـد والعديـد مـن الأعـذار، فلـما لم تفعـل؟! مهـما كان ندمهـا فسـيظل هـذا هـو الـشىء الوحيـد الـذى لـن تكتفـى مـن ندمهـا عليـه.

وإن كان كـما يقـول زوجهـا إنـه مـن حسـن الحـظ معرفتهـما أنهـا يمكنهـا الإنجـاب فيـما بعـد، وإنمـا إن لم يكـن، فمهـما مـرت عليهـا السـنون لـن تنـسى أبـدًا بـل سـتظل تفكـر لـو كان طفلهـا عـلى قيـد الحيـاة الآن لأصبـح كـذا وبسـن كـذا، وفى الغالـب هـذا النـدم صعـب الشـفاء منـه وسـيظل يلاحقهـا مـدى الحيـاة.

عـادت "ساتشـيقو" تلـوم ذاتهـا بقـوة، واسـتمرت فى الاعتـذار عـلى مـا ارتكبتـه مـن جـرم، فطفلهـا الفقيـد لـن تعوضـه هـى وزوجهـا مهـما كان، وانهمـرت دموعهـا مـن جديـد مـرارًا وتكـرارًا.

أمـا بالنسـبة إلى السـيدة "چينبـا"، فالـضرورة تقتـضى رفـض المـضى قدمًـا فى الموضـوع، لكـن "تينوسـوكيه" قـال بمـا أننـا لا نعرفهـم البتـة فإنـه أولى بهـم الآن أن يراسـل هـو السـيدة "چينبـا" نيابـةً عـن "ساتشـيقو"، فهـى التـى تتـولى مسـئولية الاتفـاق بـين الطرفـين ومـا زال الشـخص المعنـى لم يظهـر بعـد، وعـلى الفـور فى مسـاء اليـوم نفسـه 6 مـن الشـهر كتـب لهـا أنـه بالتأكيـد يصعـب عليهـم طلـب التأجيـل، ولكـن لسـوء الحـظ زوجتـه مصابـة بنزلـة بـرد وحرارتهـا مرتفعـة، وإن كان الأمـر يبـدو أنانيًـا

للغاية وإنما يستميحهم عذرًا أن يتأجل الموعد إلى يوم 8، وهو يرسل تلك العبارات سالفة الذكر لتبدو الأمور منطقية، وبالطبع هذه هى الأسباب فقط وليس هناك أى شىء آخر، لذلك يرجوهم ألا يسيئوا فهمهم بخصوص هذه الجزئية، ونزلات البرد ليست بالمرض العضال، فإن تكرموا وانتظروهم إلى الأسبوع المقبل سيكون من الأفضل.

أرسل "تينوسوكيه" الخطاب بالبريد السريع.

لكن كيف تلقاه الطرف الآخر؟

فى مساء اليوم السابع أتت السيدة "چينبا" فى زيارة مفاجئة لتطمئن على "ساتشيقو" وأيضًا تسألها، ودخلت وقالت لـ"تينوسوكيه":

- "عذرًا إن كنت سآخذ من وقت السيدة زوجتك قليلاً ولكنى أود مقابلتها".

اصطحبها "تينوسوكيه" للغرفة التى ترقد بها زوجته، وحين رأتها "چينبا" وهى طريحة الفراش فعلاً هدأ بالها، ما يعنى أنها تفهمت الموقف، لكنها أيضًا بمجرد أن رأت وجه صديقتها التى وثقت بها أظهرت لها "ساتشيقو" شعورًا بقوة صداقتهما، فسألتها "چينبا" عن حقيقة مرضها، ولأن هناك فى هذه اللحظة حديثًا منتظرًا، ظلت "ساتشيقو" تعطى المقدمات وتقول:

- "وجدت أنه من الأفضل أن أكتب لكِ خطابًا فإنكِ مختفية منذ فترة طويلة".

ثم قصت عليها باختصار ما حدث مساء اليوم الخامس من الشهر، فاستمعت لها وهى تروى وقلبها يعتصره الألم، وأضافت "ساتشيقو" أنها أفصحت بالقول لها هى فقط، وبالتأكيد هى عليها أن تجد أى شىء ما لتخبره للطرف الآخر ما عدا الحقيقة بأى حال من الأحوال، وترجتها "ساتشيقو" ألا تشعر بالأسف حيالها، ومن

الأفضل أن يمهلوهم بعض الوقت، فبعد أسبوع قد تكون تحسنت وتستطيع الخروج وهذا على حد قول الطبيب، وحينها فليحددوا موعدًا جديدًا لمرة أخرى، وبهذا، أنهت "ساتشيقو" حديثها وهى تؤكد عليها ألا تخبر حتى زوجها بمثل هذا الحديث المؤسف، وفور ما وجدت "چينبا" أن "ساتشيقو" اغرورقت عيناها بالدموع سارعت بتغيير مجرى الحديث قائلة:

- "حسنًا بعد أسبوع، ترى سيكون أى يوم بالشهر؟ 15؟"

فى الصباح الباكر وصلت رسالة بالبريد السريع تقول بها السيدة "چينبا":

"قبلما آتى لزيارتك تناقشت فى الترتيبات مع الطرف الآخر، وعلمت أنه سيكون فى عطلة الاعتكاف بالمعابد[1] من يوم 18 حتى 24 من الشهر الحالى، وتجنبًا لهذه الفترة فهل بالفعل سيكون يوم 15 مناسبًا؟ أى بعد ثمانية أيام. إن كان غير مناسب فلنجعلها فى أى موعد آخر بالشهر المقبل. لكن ما زال هناك متسع من الوقت حتى يوم 15، نحو أسبوع، ألن يمكنك؟ بالحقيقة السيد هامادا يرجو ذلك أيضًا ويطلبه. هذه ليست أنانية منا، هذا فقط إن كان الطبيب قال تحسنت حالتك ولا داعى حتى لتتناقشى مع زوجك الآن ولا تضغطى على نفسك للخروج ولو بالقليل، الغرض هو أن أبلغكم بالموافقة على أى حال، غير أنى أدعم بشدة المضى قدمًا فى الموضوع فيما بعد، حتى إن جاء يوم 14 وكان لا يزال لديكِ نزيف ولو بالقليل من حين إلى آخر فلا داعى لتنهضى وتتحركى كثيرًا".

منذ البداية و"تينوسوكيه" يسألها ما إن كانت على ما يرام لتحديد ذاك الموعد، فهو يفكر إن كان لا يزال هناك خطر عليها، فمن حسن

---

(1) عطلة "هى جن" عطلة بوذية تحتفل بها الطوائف البوذية اليابانية على وجه الخصوص فى الربيع والخريف، ويعتكفون لتقديم الخدمات بالمعابد البوذية.

الحظ أن السيدة "چينبا" تدرك حقيقة الوضع، ما يعنى أنه لا مانع من الحديث معها عن أمر تغيب "ساتشيقو" عن اللقاء ويذهب هو بمفرده مع "يوكيقو" للمقابلة، وهذا ما تبادر لذهنه، فموقفهم لا تمكن مقابلته بالإهمال، وإنما الصعب فى هذه الفكرة هو أنه إذا تغيبت "ساتشيقو" فلن يكون هناك أحد ليقدم كلا الطرفين للآخر.

"يوكيقو" داهمها القلق، فلا بأس من كون أختها لن تفعل شيئًا دون استطاعتها من أجلها، وإنما إذا طلبوا التأجيل مرة أخرى فبهذه الحالة قد يُلغى كل شىء، وشطح تفكيرها إلى أنه فى ذاك الحين سيقولون فى الأصل ليس من نصيبها، ولمرة أخرى "ساتشيقو" ستتذكر فجأة بهذه الأجواء شعورها بالشفقة حيال أختهم الصغيرة المنسية بسبب أحزانهم.

إلى ذاك الحد كانت مقابلات زواج الصالونات التقليدية بالنسبة إلى "يوكيقو" كوقائع حادث أليم لا يمكن لملمة توابعه بسهولة، والغريب أن هذا أيضًا ما توقعته بهذه المرة. ليته يخيب ظنها، وإنما ها هو من البداية يتوالى ظهور العقبات، بدايةً بمرض ابنة أختها الكبيرة بمنزل العائلة، وحين ظنت أن الأمر انتهى وقعت الحادثة البائسة لإجهاض أختها، لذلك تملكهم كلهم شعور غريب لا يمكن ردعه بأن القدر الذى يربطهم يسحبهم ويغمسهم بداخل حظ أختهم الصغيرة، لكن على غير المتوقع فـ"تائيقو" لا يبدو عليها ولا تبالى بأى شىء، فقط تزداد براءتها كلما تقابلت وجوههم.

فى هذه الحال، حين خرج "تينوسوكيه" ذاهبًا إلى عمله فى صباح يوم 14 كان يميل لأن يجعل "ساتشيقو" تتغيب عن الموعد، وكانت هى ذاتها كلما غلبتها رغبتها فى التغيب، عادت فى قرارها وظلت فى حيرة دون أن تحسم أمرًا، لكن فى نحو الساعة الثالثة جاءتها مكالمة هاتفية من السيدة "چينبا" تسألها عن أحوالها من بعد

تلك الواقعة وكانت تحاول أن تستشف الوضع، فأجابتها "ساتشيقو" بأنها تحسنت بنسبة كبيرة، فتابعت السيدة "چينبا" حديثها لتخبرها بأن السيد "نومورا" يلاحقها متسائلاً إن كان موعد الغد مناسبًا، فهو اتخذ قراره بأن يجتمعوا فى الخامسة مساءً بفندق "أورينتال أوتيل"، فقط يجتمعون بالفندق ويحتسون الشاى ثم يذهبون لتناول العشاء بمطعم ما لم يقرره بعد، ومع أن هذه مقابلة زواج وإنما فلتكن دون تكلُّف وكمجرد لقاء لعدة أشخاص، وعليه فبعد اللقاء بالفندق وتبادل الحوار فليذهبوا إلى مكان ما يستحسن لو قررتموه مسبقًا، وهو يقول إن السيدة "چينبا" وزوجها هما نيابةً عن السيد "هامادا"، وبهذا يصبحون ستة أشخاص، ثلاثة من كل طرف.

فى اللحظة الأخيرة و"ساتشيقو" تستمع لذاك الحديث اتخذت قرارها، وقالت لها حسنًا هذا عظيم، وإنما فلتخبرهم بأنهم ما زالوا غير متأكدين ولا داعى لكل هذا، وفى الحقيقة هى بالكاد تعافت وإنما فى الغد ستكون المرة الأولى التى تخرج بها ونزيفها لم يتوقف بالكامل بعد. وأضافت "ساتشيقو":

- "أنا يصعب علىَّ قول ذلك حقًّا، إنما أنتِ لديكِ مهاراتك الخاصة لتتعاملى مع الموقف، فأنا حقًّا لن يسعنى المشى، وحتى لو لمسافات قصيرة علىَّ أن أستقل سيارة أجرة. إن أخذتِ هذا بعين الاعتبار فلا اعتراض، وهذه الجزئية فقط أؤكدها عليكِ مسبقًا".

حين جاءت هذه المكالمة لم تكن "يوكيقو" بالبيت وذهبت إلى صالون تجميل "إيتانى" لتهندم شعرها للقاء الغد، وحين عادت واستمعت لما دار من حديث وعرفت بالتفاصيل الأخرى ظهر استنكارها للمكان. "فندق أورينتال".

إنها فى السابق حين التقت "سيجوشى" كان أيضًا فى المكان نفسه، وهذا إن لم يكن نذير شؤم فماذا إذًا إن تذكرها النادل أو المضيفات

وغيرهم فى ذاك الحين! هل سينظرون إليها بعين العروس التى جاءت مرة أخرى لمقابلة زواج! بالطبع هذا وضع مسىء وغير مقبول. لكنه لم يرِد بتفكير "ساتشيقو" أدنى اعتراض من ذاك القبيل حين استمعت لعرضهم من البداية، ولكنها أدركت فور بدء الحديث أن "يوكيقو" سيصعب إرضاؤها لقبول ذلك، فدخلت غرفة مكتب زوجها لتهاتف السيدة "چينبا" وشرحت لها الأسباب كما هى بالضبط، وطلبت منها إعادة النظر فقط فى "أورينتال أوتيل".

بعد ساعتين جاءتها مكالمة هاتفية من الطرف الآخر، فقد تحاوروا مع سيد "نومورا" وقال إن كان ليس لهم أن يذهبوا إلى ذاك الفندق فهو لم يفكر فى مكان آخر مناسب، وليذهبوا مباشرةً إلى مطعم ويلتقوا هناك. أما عن تحديد المطعم فهنا القرار متروك لهم بلا أى مشكلة، وإن كان لديهم أى مقترحات فهو بانتظارها، وعليه فإن كانت الأمور ستسير وفقًا لطريقتهم فلا بأس، فلقد كان المقصد فقط إيجاد مكان لنجتمع أولاً، ولتخبروا الآنسة "يوكيقو" أن اختيار فندق "أورينتال أوتيل" كان من أجلها، فهو يفضله للغاية وإن لم يكن كذلك بالنسبة إليها فبالطبع لن يدع شيئًا يزعجها هكذا.

تناقشت "ساتشيقو" مع زوجها بعدما عاد إلى البيت، والنتيجة أنه بالطبع يفضل احترام مشاعر "يوكيقو"، فهو لا يريد أن يصعِّب الأمر عليها.

وقال: "فلنبحث عن حل وسط، ولنفكر جيدًا، ودعونا نلتقِ مرة أخرى فى الصباح".

كانت هذه تحيته فور عودته، وبصباح اليوم 15 جاءتهم المكالمة الهاتفية لسؤالهم: "ماذا عن فندق طووا أوتيل؟"

على هذا استقر الحديث أخيرًا.

الفصل الثامن والعشرون

كان يـوم اللقـاء يومًـا بـاردًا بعدمـا انتهـت احتفـالات "ميـزو تـورى"، وإن كانـت ليسـت هنـاك ريـاح وإنمـا ندف الثلـوج عالقـة بالسـماء الغائمة.

فور أن استيقظ "تينوسوكيه" سأل زوجته:

- "هل توقف النزيف؟"

فهـذا أول شيء يهتـم لـه ويعـيره انتباهًـا، وفى المسـاء عـاد مبكـرًا وسـألها مـرة أخرى:

- "كيـف حالـك؟ والنزيـف؟ إن كنـتِ لسـتِ فى مـزاج جيـد فلنعتـذر، ولا بـأس سـأذهب أنـا بمفـردى نيابـةً عنـكِ".

كانـت "ساتشـيقو" بـكل مـرة يسـألها تجيبـه بأنهـا عـلى مـا يـرام ولا بـأس بالخـروج لقليـل مـن الوقـت، لكنهـا فى الحقيقـة منـذ مسـاء البارحـة بعدمـا تحركـت للعديـد مـن المـرات لتتحـدث بالهاتـف تـأذّت بعـض الـشيء، واليـوم زاد قـدر نزيفهـا ولا تـزال لا يمكنهـا الاغتسـال وتكتفـى بغسـيل وجههـا ومؤخـرة عنقهـا فقـط، وحـين جلسـت أمـام مرآتهـا رأت كـم تظهـر آثـار الأنيميـا أيضًـا عـلى لـون وجههـا، وشـعرت بـأن الإنهـاك

يتغلب عليها، لكنها حاولت أن تجعل الأمور تبدو طبيعية قدر الإمكان بحضورها لتلك المقابلة الخاصة بأختها الأصغر، لكن من قبل حين حدث وتنبهت لها السيدة "إيتانى" بمدخل الفندق وسألت "ساتشيقو":

- "هل أنتِ بخير؟ الوهن يبدو عليكِ".

بمدخل الفندق كانت تترقب وصولهم السيدة "چينبا"، واقتربت فور رؤيتهم يدخلون وهم يحيطون بـ"يوكيقو" من الجانبين، وقالت لـ"ساتشيقو":

- "دعينى أقدم لكِ زوجى"، قالتها وأشارت إلى "سنتاروو" الذى كان يقف ممشوق القوام بهيئة أنيقة تفصله عنهم خطوات، ونادت عليه فقال:
- "مرحبًا. زوجتى عادةً ما تتسبب لكم فى الإزعاج".
- "إطلاقًا إطلاقًا، مرحبًا بك. بهذه المرة أيضًا واجب علينا شكر زوجتك لاهتمامها الفائق وبالذات اليوم، فقد كنَّا فى غاية الأنانية بطلباتنا. نعتذر بشدة".
- "حسنًا يا ساتشيقو". قالتها السيدة "چينبا" بصوت خافت.
- "انظرى هناك، إنه السيد نومورا، سأقدمكم له لكنى لم ألتقِ مديرًا من قبل إلا لمرة أو مرتين، لذلك لا أعتاد الموقف والوضع غريب علىَّ إلى حد ما، لهذا إن رغبتم فى السؤال عن أى شىء اسألوه مباشرةً فأنا لا أدرى".

وظل السيد "چينبا" بالجوار ساكنًا يستمع لثرثرتها مع الزوجين وانتظار انتهاء هذا الحديث الهامس.

- "حسنًا، تفضلوا من هنا". وانحنى بخفة مشيرًا لهم بإحدى يديه كأنه يدفعهم ليتحركوا.

وقبلما يقدمهم بعضهم لبعض تذكرت "ساتشيقو" وأختها السيد الأنيق الذى اتخذ مقعدًا بساحة الاستقبال للفندق وحده. كان ينفث دخان سيجارته ثم يضعها بالمرمدة، وبحركة متهورة أخذ يطفئها ساحقًا ما بها من لهب ونهض واقفًا. كانت بنية جسده قوية على نحو لا يصدق وتبدو عليه الصرامة والحزم، وإنما ما كانت تخشاه "ساتشيقو" أن يكون عجوزًا كما بدا بالصورة أو تكون هيئته كرجل طاعن بالسن. أول شيء لم تدركه من الصورة هو شعره، إنه ليس بأصلع وإنما أكثر من نصف شعره يكسوه الشيب، وخفيف من الجانبين، مجعد، أشعث، ويبدو متسخًا بشدة، ووجهه كثير التجاعيد. للوهلة الأولى تظنه فى الرابعة أو الخامسة والخمسين من العمر. إنه فى الحقيقة سنه لا تزيد على سن "تينوسوكيه" إلا بعامين، وعلى الرغم من ذلك فإن السيد "نومورا" يبدو أكبر منه بعشر سنوات.

الأكثر من ذلك أن "يوكيقو" تبدو فى الواقع أصغر من 28 سنة، بالكاد فى الرابعة أو الخامسة والعشرين من العمر، لذلك فالفرق بينهما كما لو كان أبًا وابنته، والأخت الصغيرة بهذا الموقف تحظى بشعبية كبيرة، الطلب عليها كثير، ومرغوبة بشدة.

لكن "ساتشيقو" شعرت كم أن وضع أختها لا يصل إلى نهاية مطلقًا.

بعدما انتهى الأشخاص الستة من التعرف بعضهم إلى بعض، التفوا حول مائدة الشاى وخاضوا أحاديث لكنها لم تكن فى مسار الدردشة اللطيفة، بل من حين إلى آخر كان يسود الصمت. "نومورا" شخص تشعر كأنه بمكان ما بعيد يصعب الوصول إليه وهو لديه أسبابه، على الرغم من أن الزوجين "چينبا" قاما بدور المساعد فإنهما كانا فى منتهى التحفظ معه، وكانت الأجواء قاسية.

ربما كان الزوجان "چينبا" يريان أنه ابن أخ السيد "هامادا" ولى نعمتهما، لذلك فمن الوقاحة أن يتعاملا معه على نحو طبيعى، وعادةً فى مثل تلك الأوقات يصل بهما الارتباك إلى حد يجعلهما يلزمان الصمت، وإن كان فى متناول أيديهما الجهة الأخرى الزوجان "تينوسوكيه"، لكن اليوم "ساتشيقو" ليست فى كامل لياقتها وهذا أيضًا أثَّر بالسلب فى "تينوسوكيه" وجعله كئيبًا نوعًا ما.

- "السيد نومورا، عملك بمكتب المحافظة ما طبيعته؟"

توالت الأسئلة تدريجيًّا على ذاك النحو، وبدأ الحديث حول التوجيهات المتعلقة بزيادة إنتاج أسماك السلمون تحت حماية محافظة "هيوجو"، وحول بأى منطقة يوجد السمك الألذ مذاقًا، وحول هذا النوع من الأسماك بمدينة "تاتسونو" و"تاكينو"، وهكذا دار الحكى.

فى تلك الأثناء قامت السيدة "چينبا" وقالت:

- "عفوًا".

وسحبت "ساتشيقو" معها وتوارت الاثنتان عن الأنظار ووقفتا تتحدثان، ثم عادت "چينبا" بجوار السيد "نومورا" وهمست بأذنه ثم أسرعت إلى غرفة الهاتف ومرة أخرى نادت "ساتشيقو"، وبدا أنها منشغلة بأمر ما، ثم عادت السيدتان إلى مقعديهما، وفى المرة التالية قامت "ساتشيقو" ونادت على زوجها ووقفت تتحدث معه:

- "ماذا هناك؟"

- "إنه بخصوص مكان المطعم، أتعرف متجر الطعام الصينى بيكين روه فى منطقة ياماتيه؟"

- "كلا لا أعرفه".

- "السيد نومورا يذهب إليه دائمًا لذلك يرغب فى أن نكمل لقاءنا هناك. إنه لا بأس بالطعام الصينى ولكن اليوم ستسوء حالتى إن مكثت هكذا على مقعد، وأريد مطعمًا يابانيًا بحصر تاتامى، وهناك مطعم أو اثنان تقريبًا على الطراز اليابانى ويقدمان الطعام الصينى، ويديرهما أشخاص صينيون، والآن السيدة چينبا حجزت لنا فى أحدهما، أليس هكذا أفضل؟"
- "إن كان من الأفضل لكِ فأى مكان مهما كان بالنسبة إلىَّ سيكون جيدًا. أنتِ لا تقفى وترهقى نفسكِ على هذا النحو. فلتجلسى بمكانك قليلاً".
- "حسنًا إنها فقط نادتنى".

وذهبت "ساتشيقو" إلى المرحاض وتغيبت نحو 20 دقيقة، وفى النهاية عادت ووجهها يفتقد للدموية كأنه أزرق، ومرة أخرى قالت "چينبا":

- "عفوًا".

ونادت عليها، لكن "تينوسوكيه" قال لها:

- "كلا سأذهب أنا".

ونهض ذاهبًا بالفعل إلى السيدة "چينبا" وقال لها:

- "عفوًا، إن حالتها الجسدية لم تتحسن بعد لذا إن كان هناك أى خطب فلتتفضلى وتخبرينى به".
- "حسنًا، فى الحقيقة لقد جاءت سيارتان الأولى للسيد نومورا ويوكيقو وأنا، والأخرى لحضرتك وزوجتك وزوجى، ما رأيك؟"
- "إذًا هذه رغبة السيد نومورا؟"

- " كلا ليس كذلك، وإنما فقط ماذا بها إن جعلنا الأمور تسير على ذاك النحو؟ فهذا ما خطر ببالى".

- "إذًا.."

تطلب الأمر مجهودًا أكثر لكيلا يظهر على ملامحه رفضه الشديد بكل حال من الأحوال.

أما "ساتشيقو"، فهى اليوم تتحمل صعابًا جسدية بحضورها ونستمر فى مواجهة المخاطر، وهذا ملحوظ من الأمس، وعلى الرغم من أن التلميحات تكررت منذ حين فإن السيدة "چينبا" ظلت تسألها ولم تنطق بكلمة واحدة تؤازرها أو تبدى تعاطفها، والأهم من ذلك كله أن "تينوسوكيه" غير راضٍ.

وها هى اليوم أكثر إصرارًا وعن قصد تتجاهل ذلك، لكن مهما كان فأولى بها أن تُظهر بعضًا من التعاطف حيال "ساتشيقو" لكنها بالغت فى عدم مبالاتها، أو لعله رد فعل من "چينبا" لاعتبارها سلوكهم أنانيًا، فبهذا التفكير هى تظنهم بمنتهى الأنانية حقًا، فحتى الآن التأجيل لعديد من مرات من طرفهم، وعليه فهى ترى أن طرفها تحمل للآن التأجيل كثيرًا لذلك فهم عليهم الآن تقديم التضحية ما داموا قد وصلوا إلى هذه النقطة، وهذا منطقى وفى الغالب هذا كان شعورها، ولا داعى لذكر أن هذا كله ليس لأحد سوى الأخت الأصغر، فالسيدة "چينبا" تتعامل بلطف حيال "يوكيقو" فقط، ومن أجلها هى أيضًا تتحمل "ساتشيقو" عناءها الجسدى.

إنهم جميعهم بلا خلاف يحسنون لها صنيعًا، أليس هذا ما يظنونه؟

وهنا على ما يبدو شعر "تينوسوكيه" بالغيرة، لكنه كان يظن أن هذه السيدة هى مثل "إيتانى" بالضبط، وفكر فى أن الابنة المتورطة

بتأخر زواجها لا بد أن يكون الجميع فى عونها، وهو مثلاً ألا يليق به أن يشعر بأنه يسدى إليها معروفًا؟!

حسب كلام "ساتشيقو" فإن زوج السيدة "چينبا" هو رئيس قسم الطاقة بشركة القطارات بإقليم "كانساى" التى يرأسها السيد "هامادا تاكيكيتشى"، لذلك فهو عليه أن يلبى رغبات السيد "نومورا" كلها بكل جد ولاءً لمديره، ما يعنى أنه لن يهمه شىء بخلاف ذلك، ولعلّ هذه هى الفرصة الأولى، لذلك ففكرة أن يستقل "نومورا" و"يوكيقو" عربة واحدة هى من منطلق الولاء، أليس كذلك؟ ولا يبدو أنها من مقتبس أفكار "نومورا"، ومهما كان فبهذا الموقف يشعر"تينوسوكيه" بأنهم جعلوا منه الأحمق الذى لا يكترث.

- "حسنًا، هل هذا على ما يرام إن لم ترفض الآنسة يوكيقو؟"
- "كلا ويؤسفنى قول إن الأمر مرفوض حتى لو وافقت يوكيقو، فإننا لو تركنا الأمور تأخذ نصابها الصحيح فتلك الفرصة ستأتى كثيرًا فى المستقبل بالتأكيد".
- "هاهاههه". وضحكت السيدة "چينبا" وتنبهت للون عينَى "تينوسوكيه" وابتسمت ابتسامة مجبرة عليها، واتسع أنفها كجراد البحر.
- "إذًا وماذا بعد؟ إن جعلنا الأمور تسير هكذا، فما تفضله يوكيقو وإن كان ضد الأعراف ولا يمكن البوح به وإنما هو على العكس نتيجته هى الأفضل، أليس كذلك؟ حسنًا، فقط خطرت لى الفكرة وقلت أخبركم بها، فماذا إذًا؟"

لكن هذا أثار حنق "تينوسوكيه"، وليس هذا فقط بل أيضًا كان المتجر الذى يدعى "بيكين رو" هو بالمرتفعات التى جهة الجبال بمحطة "موطوماتشى" على خط القطار العام، وهو متأكد من أن السيارة لا بد لها أن تسير بمحازاة شريط القطار ولا بأس ولا داعى

للقلق، إنها ستظل تحت ناظره وأمام البوابة سيصيرون جنبًا إلى جنب معًا، وهناك من "موطوماتشى" إلى "كوبيه" سيتخذون الطريق المتجه شمالاً لخطوط السكة الحديد العلوية، لكن حين وصلوا جميعًا إلى المكان المنشود كان هناك درج صخرى لا بد أن يصعدوه للمدخل ومن بعده أيضًا سلم للطابق الثانى.

تأنى "تينوسوكيه" ليعتنى بزوجته ويصعدا معًا على مهل، وحين وصلا إلى الطابق الثانى كان "نومورا" يقف بالردهة متطلعًا نحو البحر ولم ينتبه لوجودهما، ثم بعد برهة قال بصوت مفعم بالبهجة:

- " كيف الحال سيد ماكى أوكا؟ أتريد أن تلقى نظرة من هنا؟"

وهنا اصطف واقفًا بجواره السيد "چينبا" وقاطعهما معلنًا عن وجوده وهو يقول:

- "إذًا، لقد أحسنت اختيار المكان".

- "حين تلقى نظرة على مدن الموانى من هنا سيراودك شعور غريب كأنك عدت إلى ناجاساكى".

- "بالضبط، بالضبط. حقًا شعور ناجاساكى".

- "إنى دائمًا ما أتردد على مطعم صينى فى مدينة نانكين، وإنما لم أكن أدرى بهذا المكان فى كوبيه".

- "هنا قريب من مكتب المحافظة، لذا فأنا آتيه باستمرار، طعامه لذيذ أيضًا".

- "حسنًا هيا بنا. وإن قلنا الشعور غريب، أليست هذه المبانى التى تشبه المبانى الموجودة بمدن الصين تغيرت بشدة؟ إن المطاعم الصينية التى يديرها صينيون الكثير منها ردىء لكن التصميم المعمارى فى نحت النوافذ والدرابزين وزخارف الغرف مميز بشكل يثير الاهتمام".

كانت "ساتشيقو" تقف رغمًا عنها ولكنها لاحظت شيئًا ما فقالت:

- "يبدو أنه دخلت الميناء بارجة من أسطول حربي".

- "ترى أسطول أي بلدة؟"

وتبادلوا أطراف الحديث على ذاك النحو، لكن السيدة "چينبا" ذهبت إلى منسق الاستقبال بالأسفل للتناقش بشأن ما وعادت لهم بالأعلى مرة أخرى ووجهها يبدو عليه الإحراج.

- "ساتشيقو، أنا بغاية الأسف، الصالة يابانية الطراز ليس بها أي مكان شاغر، ونود أن تتحملي البقاء بالصالة الصينية. لقد عرفت ذلك حين أجريت اتصالي الهاتفي سابقًا وظننت أنه قد نجد مكانًا عندما نصل، على أي حال النادل هنا صيني وأنا أكدت عليه عدة مرات أن يخبرنا فور أن يجد مكانًا".

لقد رأى "تينوسوكيه" وهو يصعد للطابق الثاني التجهيزات بالصالة الصينية التي قبالة الردهة واستغرب الأمر، لكن إن كان النادل أخطأ السمع فليس بالضرورة أن يقع اللوم على السيدة "چينبا"، وإن كانت خرجت لمكالمتهم فذاك النادل لا يمكن الاعتماد عليه، فأي حيطة أكثر من هذا كان لهم أن يقوموا بها حيال "ساتشيقو"؟ إنه لم يظن أن ذلك وقع من عدم مبالاتهم مثلاً. علاوة على ذلك، فحتى السيد "چينبا" والسيد "نومورا" لم يطلبا منهم تقديم أي مبررات لتغيير مكان اللقاء، بل وامتدحا هذا المكان بشدة.

- "حسنًا إذًا، هل ستتحملين هذا المكان؟".

وسألتها "چينبا"، وقبل أن تمهلها لتجيب أمسكت بيد "ساتشيقو" بكلتا يديها بقوة وقالت كما لو كانت طفلاً يلح على شيء ما:

- "حسنًا حسنًا، هنا ليست صالة بحصير تاتامي وإنما لا بأس بها. هيا أخبريني أنه جيد ولا مانع".

شعرت "ساتشيقو" بأن زوجها قبلاً منها لا يروقه ما يحدث، فمالت نحوه:

- "أنت.. ألن تصطحب مرة اتسوقو ابنتنا الصغيرة إلى هنا؟"

- "ممم لا أدرى، أيفرح الأطفال إذا رأوا مراكب الميناء؟"

قالها "تينوسوكيه" بوجه تعتليه نظرة متجهمة.

التفوا جميعهم حول منضدة دائرية و"ساتشيقو" قبالة "نومورا"، وبدأ العشاء بالمقبلات مع خبز الشاوزينج الصينى والخمور اليابانية، وبمناسبة الحديث عن الصين وأستراليا وألمانيا، أمسك السيد "چينبا" بالصحف اليومية وكان العنوان الرئيس هو دخول هتلر "ڤيينا"، واستقالة رئيس وزراء أستراليا، لكن جانب عائلة "ماكى أوكا" كانوا يرتشفون القليل من حين إلى آخر فى حين "نومورا" و"چينبا" يتشاركان النقاش، وحاولت "ساتشيقو" قدر المستطاع أن تُظهر لهم أنهم غير مهتمين. إنها بذهابها إلى فندق "طووا أوتيل" ومجيئها إلى المطعم ثم البحث عن مكان وصولاً إلى مائدتهم، بلا شك كل هذا تسبب فى حركة جسدها فجأة فزاد نزيفها بعد الخروج للعشاء بذاك المساء، وفوق ذلك كله، حدث كما توقعت تمامًا وبجلوسها على مقاعد المطعم ذات الظهر العالى والقاسى ساءت حالتها، وبتحملها لكل تلك المتاعب راودها القلق حيال ما ترتكب من أخطاء وما باليد حيلة.

كلما فكر "تينوسوكيه" فى الأمر تأجج غضبه، لكنه يدرك جيدًا أن زوجته تبذل قصارى جهدها، وإن كان هو لا يروقه الوضع فهى تتحمل أكثر منه، وفى النهاية هو أيضًا عليه أن يبذل الجهد فقط لفتح حديث حتى إن استعان بطاقة الخمر.

- "هيا هيا سيدة ساتشيقو تفضلى".

قالتها السيدة "چينبا" بعدما ملأت كئوس الرجال بالخمر، وبعدها توجهت إليها بالقنينة.

- "أنا اليوم لا يمكننى الشرب وإنما يوكيقو لا مانع من القليل".

- "إذًا، يوكيقو، تفضلى".

أضافت "ساتشيقو" بلورات السكر إلى كأسها وارتشفت القليل من نبيذ "شاوشينغ" الصينى، لكنها هى وأخواتها بمثل تلك الأجواء لا يبتهجن، فـ"نومورا" قبالتها يحدق إليها ولا يرفع عينيه عنها، والأكثر أنه كان يغمرها بسيل من النظرات ولا يحول ناظره إلا حين تبدى الاستياء، ويضم كتفيه أكثر وأكثر ويضيق المسافة بينهما كما لو كان عروس "هينا" ورقية، لكنه ثمل وبدأ الثرثرة، ونتيجة لأن "يوكيقو" أيضًا أمامه فبدا مُثارًا، وصلة قرابته بالسيد "هامادا" تجعله شديد الفخر، وتحدث لعدة مرات بذاك الاسم، والسيد "چينبا" أيضًا يعيد بعده القول "رئيس الشركة"، ولبعض الوقت صار الحديث السائد عن "هامادا"، ويلمِّح ضمنيًّا إلى كيف هى رعاية السيد "هامادا" لابن أخيه "نومورا"، وما دعا "تينوسوكيه" للاندهاش هو أن "نومورا" كان يتحرى بدقة عن الشئون كافة الخاصة بعائلة "ماكى أوكا" من حين إلى آخر دون أن يلحظ أحد، مثل حادثة الصحف لـ"تائيقو"، والأخ والأخت الكبيرة ببيت العائلة ووالدهم المتوفى، والأخوات جميعًا وبالطبع "يوكيقو" ذاتها، وبدأ يسأل عن عديد من التفاصيل قائلاً لهم تفضلوا بالسؤال أيضًا عن أى شىء تتشككون به، وفى ما بين تلك الأسئلة والأجوبة كان يستفسر منهم كى يعرف عن "يوكيقو" أكثر وأكثر.

ربما بفضل "هامادا" جمع كل ما طالته يداه من البحث، لكن طريقة كلام "نومورا" توحى بأنه سأل "إيتانى" بالتأكيد ولا شىء سوى ذلك. إنه يعلم حتى بشأن الأشعة السينية التى أجرتها "يوكيقو"، وأسباب إلغاء عرض زواجها من "سيجوشى"، وبالتأكيد أرسل أحدًا إلى

مكان معلمة البيانو السابقة "مدام تسوكوموطو" والطبيب "كوشيدا"، وصالون تجميل "إيتانى".

(وإن كان الأمر كذلك، فإيتانى حين يجىء إليها للاستفسار عن عروس فمن هذه الناحية لن تمانع أبدًا، وستتحدث بالتأكيد عن كونها فى وقت سابق أخبرت ساتشيقو بموضوع ما بخصوص عروض الزواج، وهنا لا بد من إضافة أن ساتشيقو كانت مطمئنة بخصوص تلك البقعة التى بوجه يوكيقو، فقد اختفت تمامًا منذ عودتها هذه المرة من طوكيو، لكن بكل حال من الأحوال هى لا تظن أنها تحدثت إلى ذاك الحد مع إيتانى). وما دام "تينوسوكيه" وافق أن يحمل على عاتقه هذه المهمة فهو يدرك أن ذاك الشخص الذى يدعى "نومورا" فى غاية التوتر، ويشعر بأنه ليس بالغريب أن تكون لديه عادة التحدث مع نفسه بالطبع. أخذًا فى الاعتبار أنهم بهذا الوضع منذ البداية وهم لا يعلمون ما يخفيه فى جعبته مطلقًا، وبعد إمعان التفكير لاتخاذ القرار بشأن هذه العلاقة، ففى مثل تلك الحالة سيتفاءلون خيرًا أكثر وأكثر وتأخذهم الحماسة كما لو كانوا أناس آخرون غير هؤلاء الذين تلقَّوا انطباعًا صعبًا حين التقوا بفندق "طووا أوتيل"، وحين يتساءل متدخلاً فى أدق التفاصيل.

أما شعور "تينوسوكيه" الحقيقى فهو أنه يسعده أن ينهى هذا اللقاء بأسرع وقت ممكن، ولكن ما حدث أعاده إلى الشعور الأولى نفسه، فالزوجان "چينبا" اللذان سيعودان إلى "أوساكا" كانا سيقلان معهما عائلة "تينوسوكيه" إلى مدينة "أشيبا"، وبعدها سيواصلان إلى "هانكيوو"، لكنهم حين خرجوا لم يجدوا سوى عربة واحدة والأخرى انصرفت. ولأن بيت السيد "نومورا" فى "أويا"، أى بالاتجاه نفسه وإن كان فى الضواحى، فقد طلبوا منه أن يقلهم معه. بالنسبة إلى "تينوسوكيه" فلا فرق يذكر فى المسافة بين العودة مباشرةً من الطريق الدولى السريع أو العودة من طريق "أويا" بالضواحى، ولكن طريق الضواحى

سيئ وملىء بالمنحدرات وهو يدرى أن الرجرجة به عنيفة، والتفكير كثيراً أثار غضبه مرة أخرى، وفى كل مرة تنحرف السيارة يتوتر ويفكر كيف هو شعور زوجته الآن، ولأن الثلاثة رجال اصطفوا فى المقعد الأمامى فهو حتى لا يمكنه الحراك والالتفاف للخلف ليتطلع إليها.

باقترابهم من "أويا" فجأة قال لهم "نومورا":

- "ألا تتفضلون لأقدم لكم القليل من القهوة؟"

وتحمس بشدة فى الحقيقة ولم يقبل بسماع أى أعذار.

كان البيت فوضويًا ولكنه يطل على منظر رائع لـ"برج بكين"، وكان يفتخر بأن الميناء أمام ناظره مباشرةً وهو جالس بالغرفة يابانية الطراز ذات الحصير، ثم نهض واقفًا ودعاهم ليتفضلوا ليروا أسلوب معيشته، وأيّده بتلهف الزوجان "چينبا"، وراقهما الأمر ونهضا. بدا أن ببيت السيد "نومورا" فقط امرأة عجوز وطفلة لذلك فهم لن يتسببوا فى الإزعاج لأحد، وانتهازًا لهذه الفرصة سألهم عن رأيهم بتصميم المنزل، لكن "تينوسوكيه" أيضًا لم يحاول أن يسأل "يوكيقو"، فهو لا يرغب فى أى سلوك يفسد الموقف، ومهما كان فهو لا يدرى ما سيؤول إليه الحديث وكيف ستخوض الحوار، على الرغم من أنه بكل الأحوال لا يروقه الزوجان "چينبا".

إنهما يفتقدان الذوق لكن غرضهما المساعدة بالتأكيد.

أما مثل ذاك الخنوع فهو دفين بأعماقهما منذ البداية لذلك فليتحملوهما قليلاً، وهذا هو المبرر الذى قالته "ساتشيقو" أولاً وانصاع لها زوجها، وتغاضى عن استيائه من الطريق المؤدى إلى بيت السيد "نومورا" الذى كان سيئًا، ضيقًا، ومليئًا بالمنحدرات الخطرة، ولكن السيد "نومورا" على غير العادة فى غاية المرح والسرور كأنه طفل صغير.

أسرع "نومورا" بفتح الباب الجرار الخارجى لغرفة حصير التاتامى ليستطيعوا رؤية البحر ثم ليتفضلوا ويروا غرفة المكتب، وبعدها اصطحبهم فى جولة بباقى الغرف بالمنزل والمطبخ.

كان منزلاً متواضعًا من طابق واحد مستأجر، وليست به سوى ست غرف. دعاهم "نومورا" إلى غرفة الشاى ليريهم المنظر المطلة عليه، ويريهم أيضًا صور زوجته السابقة وطفليه التى يزين بها النصب البوذى. حين مرَّ الزوجان من غرفة التاتامى قالا له كم أن المنظر رائع بما فيه مشهد "برج بكين" كنوع من الإطراء العابر. كانت هذه الغرفة ذات الحصير مبنية بجدران صخرية عالية، وبوصولك إلى نهايتها حيث مشهد البحر تشعر كأن جسدك معلق بالخارج على شفا الهاوية، وشخص مثل "تينوسوكيه" سيواتيه شعور سيئ كأنه يشارف على السقوط، وعليه فهذا البيت خطر السكنى من وجهة نظره.

خرج "تينوسوكيه" وأسرته وركبوا السيارة مرة أخرى و"نومورا" يسرع بمناداتهم ليشربوا القهوة، ولحق بهم الزوجان "چينبا" فى هرولة وقالا:

- "السيد نومورا مزاجه جيد جدًّا هذا المساء".

وأضافت السيدة "چينبا" لتطرق الحديد وهو ساخن:

- "حقًّا إن السيد نومورا لم أرَه من قبل يتحدث هكذا. بالتأكيد ذلك لأنه بجوار فتاة شابة وجميلة.

سيدة ساتشيقو ها نحن ذا نعلم شعور السيد نومورا ولا نحتاج إلى سؤاله، أما أنتم فقد كان بتفكيركم مثلاً أنه يعيبه كونه ليست لديه أملاك، ومع ذلك فقرابته بالسيد هامادا تجعله لا يتورط فى حياته فى أى شىء مهما كان، فهذه الجزئية ألا يضمنها لكم السيد هامادا بوضوح!"

- " كلا، شكرًا. جزيل الشكر حقًّا لكل ما قدمتموه. سنتناقش فى الأمر ونسأل بيت العائلة عن رأيهم".

وأجابها "تينوسوكيه" بقول قاطع لكنه سرعان ما عاد أدراجه، وقبيل نزولهم من السيارة شعر بقليل من الأسف حيال الزوجين "چينبا" فكرر اعتذاره لمرات عدة قائلاً:

- "عذرًا، بالغ أسفنا لما بدر منَّا هذا المساء".

الفصل التاسع والعشرون

تركتهم ليوم، وفى صباح اليوم 17 جاءت لزيارتهم بـ"أشيبا" السيدة "چينبا"، وكانت "ساتشيقو" ما زالت مستلقية بفراشها بعد كل المشاق التى تحملتها أول أمس، وبمجرد أن سمعتها شعرت بأنها هذه المرة ملزمة بلقائها، وكما توقعت بالضبط، تحدثت إليها قرابة الثلاثين دقيقة وأسرعت بالعودة إلى موضع وسادتها.

باختصار، جاءت لتخبرهم أن السيد "نومورا" يرغب فى الموضوع بشدة، وأنهم رأوا مستوى معيشته وبيته ويعرفون وضعه، لكن هذا لأنه عزب وإنما يمكنه إيجاد مكان آخر أفضل ومهيَّأ لاستقبال زوجة والانتقال على الفور، خصوصًا إن كانت "يوكيقو" هى التى ستشرفه بالوجود. إنه يريد أن يقدم لها حبه الخالص. إنه ليس رجلاً غنيًّا ولكنه يمكنه ألا يجعلها تشعر بأنها ينقصها شىء.

هذا ما قيل، وفى الحقيقة هذا ما يراه السيد "هامادا" أيضًا، لذلك فهى تريدهم أن يبذلوا قصارى جهدهم ليتموا الموافقة على أى نحو، وقالت بإلحاح:

- "إنه حتى إن كان ليست لديه مدخرات تفى من تشاركه حياته، لكن إن فكرتم فى الأمر أريدكم أن تتركوا هذه المهمة لى وأنا سأضمن لكم فعليًا وإن كنت أورط حالى، وإنما انظروا إلىَّ أنا مثلاً! فالسيد هامادا لا يجعلنا نواجه أيًا من متاعب الحياة نهائيًا، وأنا أبوح لكم بهذا، فما بالكم بقريبه! بالتأكيد بالمثل. أليس هذا كفيلاً بكسب ثقتكم؟

السيد نومورا مظهره لا بأس به، وإن كان وجهه عابسًا لكنه طيب ورقيق المشاعر، وواضح أن زوجته السابقة كانت أهم شىء لديه. يشاع عنه أن طريقته فى تمريضها قبيل وفاتها تجعل أى أحد لا يتمالك نفسه من البكاء، وحاليًا وبتلك الليلة ألم تروا بأنفسكم كيف يزيِّن المكان بصورها؟ وحديثه عن كونه لا يوفيها حقها لا ينتهى، وبالنسبة إلى أى امرأة فالحصول على حب زوجها هو أكثر شىء يسعدها. فلتفكروا بجدية، وتخبرونى بردكم بأسرع وقت ممكن".

إن "ساتشيقو" وهى تعد ردَّها بالرفض كان الأمر حينها معتمدًا عليها هى وزوجها فقط، دون الأخذ فى الاعتبار "يوكيقو" ذاتها تقبل أم ترفض، وهى لم تنزعج من هذه الطريقة، لكن ماذا عن بيت العائلة ودوره الضرورى؟

إنهم هنا نيابةً عنه فقط، لذلك تحرَّوا البحث عن هوية "نومورا"، ما يعنى أن بيت العائلة الأصلى على علم بكل شىء.

"يوكيقو" لم تظن السوء بهم، فهى تلقى كل اللوم وكل المسئولية على بيت العائلة فى الأساس كما تلقى عليهم التحية كلما دخلت عليهم، لكن هذه المرة "ساتشيقو" لم تسنح لها الفرصة لتستكشف

رأى "يوكيقو" فى الحال فهى لم تستطِع تجاوز آلامها، وكان لا بد لها من الراحة التامة تنفيذًا لتعليمات الطبيب.

بعد خمسة أيام من المقابلة وفى الصباح، تصادف وجود الأختين فقط وحدهما بغرفة المشفى، فانتهزت "ساتشيقو" الفرصة:

- "يوكيقو، ما رأيك بذاك الشخص؟" وحاولت جذبها للحوار، فقالت "يوكيقو":

- "مممم".

ولم تتبعها بإضافة أى كلمة أخرى، فاستطردت "ساتشيقو" وألقت على مسامعها رأى السيدة "چينبا" الذى جاءت به أول أمس حين زارتهم فى الصباح.

- "هذا هو الحديث الذى دار معها، لكن أنتِ تبدين غاية فى الشباب وذلك الشخص يبدو طاعنًا فى السن بشدة، فماذا بخصوص هذا الشأن؟"

سألتها "ساتشيقو" وهى ترقب تعابير وجهها، وأضافت:

- "لكن على الرغم من ذلك فأنا أظن أن شخصًا مثله سينفذ لكِ كل ما ترغبين فيه مهما كان، وسيجعلك تعيشين كما تحبين".

وتركتها مع مثل تلك الكلمات.

"ساتشيقو" تدرى أن قولها "سيجعلك تعيشين كما ترغبين" ستفهم "يوكيقو" المقصد منه دون حاجة إلى سؤال. إنها ستأتى "أشيبا" للتنزه وقتما تريد، وإن كان يصعب ذلك لو كانت عروسًا بأى مكان آخر. فذاك الذى يبدو كجد لهم فى الغالب سيرضى بكل ما يريدونه، ومثل تلك الراحة فقط هى ما لن تجدها مع سواه.

إن كانت "يوكيقو" ستتزوج وفقًا لمثل هذا الفكر، ألن يكون هذا هو الشخص المرجو؟

لكن إن كان الأمر أن ذاك الجد لا بأس به بالنسبة إليهم، فهل سيقولون له تفضل عندنا؟ أم إن حدث فسيقول لهم: "لا أقدر على الخروج"؟

إنه شأن خاص بـ"يوكيقو"، فهى ستتقيد بحب ذلك العجوز وإن كانت ستعيش فى راحة، وأمر آخر لا يمكن إغفاله، فإذا تمكنت من إنجاب أطفال حينها ستواجه الأكثر والأكثر.

إن كان هو يطلب بإلحاح الأخت الأصغر المتورطة بتأخر زواجها، فمشكور له تفكيره فيها، وإنما إن كانت كارهة للأمر فلا داعى له.

كل هذا دار بخلد "ساتشيقو"، لذلك قالت لها:

- "أحقًا ستفكرين؟ أيروق لكِ مثل ذاك الحديث؟ أنا لا أدرى".

وصار هذا هو الوضع شيئًا فشيئًا، وأحجمت عن التوضيح أكثر، وحينها قالت:

- "لكن إن كنتِ مترددة بعض الشىء فاعلمى أنه غير مناسب".

وضحكت "يوكيقو" فى مراوغة لتفادى الإجابة، وانتهى الحديث دون أن يستقر على نهاية.

وصل إلى "طوكيو" خطاب بيوم مشرق خطَّت سطوره القصيرة "ساتشيقو" وهى مستلقية بفراشها لتخبر أختها الكبيرة فقط بإتمام مقابلة الزواج، وإطلاقًا لم يأتِها رد.

أمضت "ساتشيقو" إجازة الاحتفالات البوذية "هى جن" ما بين النوم والاستيقاظ، لكن بصباح أحد الأيام كان لون السماء ساحرًا وبدا أنه حلَّ الربيع على حين غرة، وأشعة الشمس تغمر أركان غرفة المشفى واصلة إلى الوسادات المفروشة على الأرض عند الشرفة، وفجأة

رأت "يوكيقو" تنزل من التراس بالدور الأرضى إلى العشب، وعلى الفور نادتها لكنها تذكرت أنها خرجت لترسل الصغيرة "اتسوقو" للمدرسة وستبقى بالحديقة لبعض الوقت للاسترخاء.

ورأتها فى صمت من خلف الباب الجرار الزجاجى وهى تلف حول أحواض الزهور ثم شاطئ البحيرة وتلمس أغصان الـ"ليلك" والـ"قوديمارى"، وانحنت نحو أشجار الياسمين المقلمة على شكل دائرى، ولأنها تطل من الطابق الثانى فاستطاعت أن تراها وهى تربِّت على وجنتى قطة لا يظهر منها إلا عنقها المنحنى إلى أعلى. إنما لم تستطِع أن تميز ملامح "يوكيقو" فى ذاك الحين، ولكن بالنسبة إلى "ساتشيقو" فهى يمكنها أن تقرأ بوضوح ما تفكر فيه بأعماقها. لعلّ "يوكيقو" الآن تخبئ هواجسها باقتراب اليوم الذى سيعيدونها به إلى "طوكيو" وتصعب عليها مفارقة الربيع بالحدائق، لو كان الأمر بيدها لمكثت حتى ترى بعينيها تفتح الزهور وتتمكن من جمعها، هذا كل ما تمنته.

هذا لا يعنى أن أختها الكبيرة بـ"طوكيو" تسأل عن موعد عودتها، لكن "ساتشيقو" تفهم جيدًا وترى بعينَى "يوكيقو" أيضًا ما تخفيه بحنايا قلبها.

ترى ستعود اليوم أم فى الغد؟

إنها تريد قضاء أطول وقت ممكن هنا.

"ساتشيقو" تعلم كل ما تفضله أختها الكتوم دون حاجة إلى النظر إليها، ولو كانت يمكنها المشى والخروج لاصطحبتها كل يوم إلى السينما والشاى. هذا ما تبادر إلى خاطرها، وإنما "يوكيقو" لا يمكنها أن تنتظر، ففى هذه الآونة كلما سنحت لها الفرصة دعت "تائيقو" للخروج والذهاب إلى "كوبيه"، ودون أن تقول شيئًا تجول فى "موطو ماتشى" وغيرها ولا ترغب فى العودة كأنها لم تكتفِ بعد، وبأى وقت تهاتف

"تائيقو" بشقة "شووطو" قبل أن تلتقى بها لتتفق معها، وعلى الأرجح هى تستمتع بالخروج فى مرح ولا يشغل بالها مطلقًا عرض الزواج.

"تائيقو" بالطبع أولاً وأخيراً "يوكيقو" هى من تجعلها تخرج، وبسبب انشغالها بالعمل هذه الأيام لم تستطِع أن تجعل أختها تشاركها باستمرار فى أهم مواعيدها فى المساء، ما استوجب الاستياء، لكن وقت أن جاءت "تائيقو" إلى البيت أخبرت "ساتشيقو" بشىء ما:

- "هناك شىء غريب حدث بالأمس"، واسترسلت فى الحكى.
- "مساء الأمس كنت أسير مع كى أن بموطوماتشى، ونحن نبتاع الحلويات الغربية من متجر سوزوران فجأة بدا عليها الارتباك وقالت: أختى الصغيرة! ماذا عساى أن أفعل! لقد جاء إلى هنا!

سألتها: جاء إلى هنا! من الذى جاء؟

توترت وقالت: ماذا جاء به إلى هنا؟

وأنا لا أدرى ما الأمر، ولكن بداخل صالة المشروبات كان هناك رجل عجوز وأنيق لا أظننى رأيته من قبل، وإنما فى ذاك الحين وقف وأسرع خطاه وجاء لأختى يوكيقو وألقى التحية بأدب ثم قال: على أى حال إن لم يكن لديكِ مانع تفضلى ولو لبضع دقائق لاحتساء الشاى.

ارتبكت يوكيقو أكثر وأكثر واحمر وجهها خجلاً. إنه.. إنه..

وظلت فى حالة تأتأة هكذا والرجل الأنيق واقف يكرر طلبه لعدة مرات. فى النهاية استسلم فى الغالب وانحنى بأدب مرة أخرى وقال: أنا فى غاية الأسف.

وعلى الفور قالت لى يوكيقو: أختى، أسرعى، أسرعى.

وجعلتنى أحشر الحلوى فى فمى وطارت للخارج سريعًا، وحين سألتها: من هو؟، أجابتنى: إنه مَن قابلته من قبل.

أخيرًا فهمت أنه إذًا ذاك الشخص المدعو نومورا الذى التقت به بمقابلة الزواج. لماذا يوكيقو لم تعجِّل بردها على الرغم من أنه من الأفضل لها أن ترفض، بل ظلت تتململ.. إنه.. إنه. إن ما فعلته يوكيقو بذاك الحين عديم الجدوى، إنها مهما بلغت من العمر ستظل بجواره كأنها ابنته ذات السبعة عشر عامًا".

ظلَّت "ساتشيقو" تصغى منتظرة أن تعرف عمَّ سألتها "تائيقو" وكيف ستفكر "يوكيقو" فى شأن ذاك الشخص، وإلى أى مدى الأمر كريه بالنسبة إليها، ثم بمنتصف الحديث سألتها عن رأيها، فقالت "تائيقو" إن عروض الزواج شأن متروك للأختين الكبيرة والوسطى، وإنما هى نفسها لن ترغب فى الذهاب إلى أى مكان، وعن ذاك الشخص تحديدًا لن تذهب للعيش معه أبدًا، وأكدت رأيها قائلة:

- "أنا كما هو أنا حقًّا، سأعطيكم رفضى، وتفضلوا هذا فقط كل ما لدى".

قالت الأخت الصغيرة كل ما رغبت فى قوله للأخت الوسطى وأجابتها عما طلبته، وكان هذا هو قول "تائيقو".

"تائيقو" أيضًا بمجرد أن رأت "نومورا" وللمرة الأولى وقبل أن تستمع له كانت فى اندهاش من كونه طاعنًا فى السن إلى ذاك الحد، وشعرت بأنه من المنطقى أيضًا أن تقول لـ"يوكيقو" كم كريه هذا الأمر، وظنت أنه بلا خلاف ذاك هو السبب وراء استياء "يوكيقو" من الموضوع، لكن كون "يوكيقو" لا تعبِّر ولا يظهر عليها أى شىء يفصح عن رفضها، والأكثر بذهابها إلى بيته بتلك الأمسية التى نم بها اللقاء، ورؤيتها لصور أطفاله وزوجته المتوفاة التى يزين بها النصب البوذى، كل هذا أولى أن يجعلها ترفض بشدة.

كل هذا يعنى أنه حتى لو صارت "يوكيقو" عروسًا فهذا بمثابة إقرار بكونها رقم 2. أليس هذا بالضرورة ما شعر به وجعله يريها تلك الصور؟

والآن هو عزب لذلك يبقى على هذه الأشياء سرًّا، وها هى مشاعر قلبه مفهومة، فهو يصلى من أجل أرواحهم التى فارقته.

ذاك الشخص لم يسارع بإخفاء الصور أو حتى وضعها بأى مكان بعيد عن ناظرها، على الرغم من أنه هو من دعاها لرؤية البيت، فماذا يعنى بهذا وهو يرشدها إلى مكان النصب وما يزينه!

إنها إذا نظرت إلى ذلك الموقف فقط فلن يمكنها كامرأة مرهفة الحس أن تستوعب ذلك أبدًا، ولذلك ستحبه وتكرهه أكثر من أى شىء.

بعدما امتنعت "ساتشيقو" هى الأخرى عن المراسلة لفترة ولم يجدِ الأمر نفعًا شعرت بأنها بمأزق، فنصحت "يوكيقو" شيئًا فشيئًا بأن تعود لبعض الوقت ثم ترجع ثانيةً.

فى هذا، وفى اليوم الثالث من أبريل، وفى يوم الاحتفالات الموسمية، كانت "اتسوقو" تدعو صديقاتها بالمدرسة وتعد لهن حفل شاى كما جرت العادة كل عام، وكانت "يوكيقو" تعد بنفسها الشطائر والفطائر كعادتها هى أيضًا.

لقد قالت "يوكيقو" إنها ستعود إلى "طوكيو" بعد انتهاء احتفالات الموسم، وإنما بعد الانتهاء من الاحتفالات بأيام سيحين وقت مشاهدة أشجار الكرز ليلاً بإقليم "كى أون".

وهذا ما آلت إليه الحال.

- "أختى، فلتعودى بعد مشاهدة الزهور، لا تذهبى قبل ذلك، حسنًا أختى؟"

قالتها الصغيرة "اتسوقو" وظلت تكررها، لكن هذه المرة "تينوسوكيه" هو من تحمس لبقاء "يوكيقو".

بعد نحو ثلاثة أيام استطاعت "ساتشيقو" أن تمشى وتخرج أخيرًا، وفى ذاك اليوم بعدما انتهت من طعامها ارتدت ثيابها وقالت لـ"يوكيقو":

- "إننى سأذهب إلى السيدة چينبا لأخبرها برفضنا وأعود".
- "ممم".
- "ذاك الحديث لأنى مؤخرًا سألت أختك الصغيرة".
- "مممم".

وكما ظنت "ساتشيقو" بالضبط، بعدما تم الرفض دار الحديث مع بيت العائلة وكانت الإشارات ضمنية إلى متى ستعود "يوكيقو"، لكن مع "يوكيقو" كان الحديث وديًا دون السؤال عن تفاصيل، ولم تسأل "يوكيقو" أيضًا.

بعد ذلك وقرب نهاية ذاك الفصل من السنة، جاءهم مظروف من "چينبا" به فاتورة مطعم "بكين رو"، وتقول لهم أن يتفضلوا ويتحملوا نصف المبلغ، فأرسلوا لها الأموال المطلوبة، وبهذا انتهى عرض الزواج نهاية قاطعة.

مرت قرابة الشهر على وجود "يوكيقو"، ومهما كتبوا من أخبارهم لا يأتيهم أى رد من بيت العائلة مطلقًا. لكن "يوكيقو" أيضًا ستندم على مغادرتها إن لم ترَ زهور "كيوتو" التى يطول انتظارها، ومن المزعج تغيُّب الشخص الأهم دورًا بالحدث كل عام.

فى الحقيقة "تينوسوكيه" لديه أسبابه الأقوى من ذاك كله، فزوجته بهذه الآونة ومنذ الإجهاض وهى مجروحة المشاعر على نحو غريب، وكلما مكث الزوجان وحدهما من حين إلى آخر تبدأ الحديث عن جنينها الذى لم يؤذن له أن يولد وتزعجه ببكائها، فربما إن ذهبت لمشاهدة الزهور مع أختيها تشتت انتباهها وتناست قليلاً، وهذا كان دافعه الخفى.

تقرر الذهاب إلى "كيوتو" بيومى السبت والأحد الموافقين 9، 10 من الشهر، لكن حتى ذاك الحين و"يوكيقو" مذبذبة ولا تميل إلى شىء بوضوح أو تقرر هل ستعود أم ستبقى.

فى النهاية بعدما أشرق صباح يوم السبت دخلن جميعهن غرفة الزينة، وبعدما انتهين من وضع مساحيق التجميل على وجوههن فتحت "يوكيقو" حقيبة ملابسها التى جاءت بها من "طوكيو"، وأخرجت من أعماقها علبة ورقية وفكت رباطها وظهر بداخلها رداء جديد أعدته لرؤية الزهور وفقًا لما كانت ترغب بالضبط.

- "ماذا! عزيزتى كى أن، أكنتِ قد جلبتِ معكِ رداءكِ!"

والتفتت إليها "تائيقو" بعدما كانت خلف "ساتشيقو" تربط لها حزام الكيمونو.

خرجت "يوكيقو" من الغرفة وعادت متعجبة مما يقولون.

- "يوكيقو دائمًا فى صمت. كنا نظنك شخصًا لا يمكنه تدبير حاله". قالتها "ساتشيقو".

- "انظروا، انظروا، لو كان لديكِ زوج الآن لنفَّذ كل ما تأمرين به".

فى "كيوتـو"، وبزحـام الطريـق لرؤيـة الزهـور، كان "تينوسـوكيه" كلـما صـادف شـخصًا يحتضـن طفلـه يشـعر بزوجتـه يراودهـا الإحسـاس نفسـه وترقرقـت عيناهـا بالدمـع، مـا يعنـى أن الزوجـين هـذا العـام لا داعـى ليمكثـان ويلحقـان بهـم فيـما بعـد، بـل فى مسـاء يـوم الأحـد عـادوا كلهـم معًـا، وبعدهـا ببضعـة أيـام، وفى منتصـف شـهر أبريـل غـادرت "يوكيقـو" إلى "طوكيـو".

مكتبة
t.me/soramnqraa

نبذة عن المؤلف

جونيتشيرو تانيزاكي

جونيتشيرو تانيزاكى (باليابانية:谷崎 潤一郎 تانيزاكى جونيتشيرو)، (24 يوليو 1886- 30 يوليو 1965)، روائى ياباني وقد يكون أشهر روائى ياباني بعد ناتسومى سوسيكي. تمثل أعماله ديناميكية الحياة العائلية اليابانية فى سياق التغيُّرات السريعة فى المجتمع الياباني فى القرن العشرين، كما تمثل البحث عن هوية ثقافية يابانية فى العالم الحديث. حصل على وسام الثقافة عام 1949.

صنفه النقاد إلى جانب ميشيما يوكيو، وكاواباتا ياسوناري، كأكبر كاتب عرفته اليابان فى القرن العشرين، نشر روايته الأولى "وشم" عام 1910 -وسنه 24 سنة- وبدت منطبعة بتيار الأدب الحديث والمتأنق جماليًا. خسر منزله بعد أن دمره زلزال طوكيو المأساوى واضطر إلى الانتقال إلى "كيوتو"، وهناك انقلبت حياته وأفكاره رأسًا على عقب عندما صدمته مدينة "كيوتو" التى جسدت التقاليد والأصالة مقابل

حداثة "طوكيو"، ليكتشف أن الأدب الحديث الذى كان يعتقده ابتكارًا أوروبيًّا خالصًا إنما يجد معادله فى الأدب اليابانى العريق.

الجوائز:

- صاحب الاستحقاق الثقافى 1951
- وسام الثقافة 1949
- جائزة أساهى 1948

نبذة عن الرواية

أربع أخوات. لكل منهن حكايتها.

حب وزواج وعلاقات أسرية تتأرجح بين منفعة ومصلحة أو احتواء وعطف بخلاف الغيرة أحيانًا والضجر أحيانًا أخرى. الأخوات الأربع تختلف طبائعهن وطموحاتهن وتطلعاتهن، وفي النهاية كلهن مقيدات بأعراف المجتمع والتقاليد، ولكل واحدة منهن طريقة تعبيرها الخاصة، تجد المندفعة وتجد المتكتمة مثلاً.

إن كان الكاتب يستعرض في الرواية مختلف أنواع الشخصيات النسائية وبالمثل أيضًا عن الجانب الذكوري، فستجد في الرواية الزوج مرهف الحس المحب لزوجته، والزوج العملي المهتم بوضعه الوظيفي على حساب من حوله، والأب الطيب المرفّه، ومختلف شخصيات العرسان الذين يتقدمون لخطبة الأخت الصغرى "يوكيقو".

الرواية صدرت في ثلاثة أجزاء بدايةً من عام 1943 إلى عام 1948 رصدًا لحياة أسرة غنية بـ"أوساكا" في عام 1936، وتركز على حياتهم الاجتماعية ومحاولتهم إيجاد زوج مناسب لأختهم "يوكيقو" دون تنازل

عـن مسـتواهم الاجتماعـى، مـا يعرضهـم لكثـير مـن المواقـف المحرجـة والمشـكلات.

اسـم القصـة مسـتوحى مـن الأشـعار اليابانيـة الكلاسـيكية وصـورة تسـاقط أزهـار الكـرز بالربيـع المبكـر التـى دائمًـا مـا تُنسـج حولها الأشـعار، وذلـك كنايـة عـن الـلادوام.

صـارت الروايـة فيلـمًا سـينمائيًا للمـرة الأولى 1950، ثـم أعيـد إخراجـه مـرة أخـرى فى عـام 1959 وصـدر للمـرة الأخـيرة كفيلـم فى عـام 1983.

أيضًـا تحولـت القصـة إلى مسلسـل تلفزيـونىّ لكثـير مـن المـرات، أولاهـا عـام 1957 ثـم 1959 و1966 وأخـيرًا عـام 1980.

كلمة من المترجم

هذه الرواية ترجمة مباشرة من اليابانية إلى العربية للمرة الأولى للأديب "تانيزاكى جون إيتشيرو"، فالكثير من أعماله مترجم إلى الإنجليزية، ونادر فى عالمنا العربى أن تُترجَم الأعمال اليابانية من الأصل وليس من الإنجليزية. المعروف أن الترجمة من غير النص الأصلى تفتقر إلى الدقة عادةً وتجعل العمل عرضة للتحريف، وعليه فقد عملت جاهدة للمحافظة على روح النص ونقل إيحاءات الألفاظ والمقاصد المستترة بين السطور كما هى ليستشعرها القارئ.

هنا يجب التنويه إلى أن قارئ الأدب المترجم ليس بأى قارئ، فهو يتميز بسعة الأفق وشغفه بالثقافات المختلفة والبعيدة عن عالمه، وبقدرته على تقبل الآخر من منطلق التطلع والتعرف إلى كل جديد وغريب. بالنسبة إلى هذا النوع من القراء، فها هو قد وجد ضالته بهذه الرواية. إنها باب مفتوح على مصراعيه لإلقاء نظرة على المجتمع اليابانى.

الرواية تدور أحداثها حول أربع أخوات لكل منهن ظروفها وسماتها المختلفة عن بقية الأخوات، ويسرد الكاتب ببراعة وسلاسة

مواقف حياتية تثير فضول القارئ خصوصًا فى بلادنا العربية، فستجدك ترسم بمخيلتك أشكال البيوت والشوارع والناس وترى عاداتهم وتقاليدهم وتقارنها بحالنا، وتارة سيثير دهشتك مدى التشابه وتارة أخرى ستتعجب من مدى الغرابة بالنسبة إلينا، وعليه ستزداد فضولاً حيال كيف صار شكل المجتمع اليابانى الآن والحياة، وكيف تغيرنا نحن.

إن الكاتب أبدع فى ربط الأحداث ونسج خيوطها، فتجده مرة يتعرض لنواحٍ سياسية وأثرها الملموس فى حياة العامة، ومرة يسرد عادات وتقاليد وموروثات خاصة بالزواج والعمل والحب وهى تتأرجح بين الاستمرار وبدء الزوال، ويسترسل ويعرض مختلف طبقات المجتمع وطبيعة العلاقات الإنسانية، ومن بين السطور ستستشف استحسانه أو رفضه. فى النهاية ستجد أنك لديك صورة متكاملة الأركان ومتناسقة الألوان للمجتمع اليابانى وهو على أعتاب الحرب العالمية.

لقد أبدع المؤلف إلى حد صعَّب علىَّ مهمتى التى بذلت فيها قصارى جهدى، وأرجو من الله التوفيق.

آية حسن شاكر

アーヤ . ハッサン

مكتبة
t.me/soramnqraa

谷崎 潤一郎

تانيزاكي جون إيتشيرو

الجزء الثاني " الأخوات ماكي أوكا"

細雪 رقائق الثلج

الترجمة عن اليابانية آية حسن

小説
رواية

مكتبة 1674

telegram @soramnqraa

رقائق الثلج

الجزء الثاني
الأخوات ماي أوكا

أمّا "ساتشيقو" فهي تقضي أوقاتها وحيدةً بغرفتها في النُّزُل، وانتابها شعور بالإحباط لاغترابها، وبالليلة الماضية لم يغمض لها جَفنٌ طوال الليل، وكان هذا هو حالها طوال الأسبوع، وأصبح وضعها بائِسًا. لكن بتلك الليلة أيضًا لأوَّل مرَّة ومنذ عدة سنوات تنام هي وأختها جنبًا إلى جنب. "ساتشيقو" منذ أيام سكناهم ببيت رصيف الميناء، وإلى أن أصبحت شابَّةً بمقتبل العمر، وبآخر ليلة قبل زفافها- وهي تشارك أختها نفس الغرفة، ووقتما كانت بمدرسة البنات كانت الأخت الكبيرة فقط المخصَّص لها غرفة وحدها، وهي والأختان الصغيرتان بغرفة بالطابق الثاني. لم تنفصل "تائيقو" عن أختيها أبدًا، و"يوكيقو" دائمًا ما كانت تسعى لمكانٍ بينها وبين "ساتشيقو". كانت غرفتهم ضيِّقةً وبها اثنان من الأَسِرَّة لثلاثتهم. "يوكيقو" هي التي لا تتقلَّب أثناء نومها، وحتى بالليالي الحارة تتدثَّر بعناية وكعادتها تنام بهدوءٍ دون أن تفسد هيئتها ولو بالقليل.

الغلاف عمر مصطفى

ISBN 978-977-313-858-5

9 789773 138585

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

رقائق الثـــلج

الجزء الثاني

"الأخوات ماكي أوكا"

مكتبة 1675

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa

عنوان الكتاب: رقائق الثـــلج
الجزء الثاني.. الأخوات ماكي أوكا
المؤلف: تانيزاكي جون إيتشيرو
ترجمة: آية حسن شاكر

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 002 02 28432157

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ١٣٧٢٩/ ٢٠٢١
الترقيم الدولي: 978-977-313-858-5
جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2021

رواية

مكتبة
t.me/soramnqraa

رقائق الثـــلج

الجزء الثاني

"الأخوات ماكي أوكا"

تانيزاكي جون إيتشيرو

ترجمة: آية حسن شاكر

الطبعة الأولى 2021

مكتبة
t.me/soramnqraa

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

جون إيتشيرو، تانيزاكي
رقائق الثلج/ تانيزاكي جون إيتشيرو؛ الترجمة عن اليابانية: آية حسن شاكر.-ط1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2021
م ج 2، 364 ص؛ 14.5×21.5 سم
تدمك 978-977-313-858-5
1 - القصص اليابانية
أ-حسن، آية (مترجم)
ب- العنوان
883
رقم الإيداع 2021/13729

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الأول

عانت "ساتشيقو" العامَ الماضي من مرض "اليرقان"؛ لذلك أصبح من عادتها بين الحين والآخر أن تتفحَّص لونَ بياض عينها بالمرآة، وبعد مرور عام، ها هي أزهار الـ "هيرادو" بالحديقة قد انقضى طَوْرُ تَفَتُّحها، وحلَّ أوان ذبولها.

وبينما هي تجلس مثل كل عام على كرسي من خشب البتولا الأبيض بالتراس في ظِلٍّ من الشمس التي حَجَبَت أشعَّتَها الستائرُ المعلَّقة- أطالت النظر لمشهد الأشجار والزهور بغسق يوم من أيام الصيف المبكِّر، لكنها على حين غِرَّة تذكَّرَت أنه بمثل هذه الآونة بالضبط العامَ الماضي اكتشف زوجُها اصفرارَ لون عينها، بعدما نزلت إليه بالحديقة وهو يلتقط أوراق الزهور الذابلة آنذاك، واحدةً تِلوَ الأخرى. إنه يكره هذه المَهمَّة؛ لذلك قبيل عودة زوجها من عمله بساعة تقريبا سبقته للحديقة لتنظِّفها؛ لترى السعادة بعينيه، وتفعل كما يرغب بالضبط، وبعد انهماكها بالعمل لقرابة نصف ساعة سَمِعَت

بالخلف صوت خطوات أقدام بالقبقاب، فبَدَت على ملامحها أمارات انتهاء العمل إلى هذا الحدِّ، وأطلَّت الخادمة "أوهارو" بوجهها، وجاءتها من على الدَّرَج الضَّخريِّ مُمسِكَةً بيدها ببطاقة تعريف، وقالت:

"هذا الشخص تفضَّل بقول إنه يريد مقابلتك سيدتي".

رأت "ساتشيقو" البطاقة ووجدتها للسيد "أوكوباتا".

أكان ذاك بربيع العام الماضي؟!

لقد زارها هذا الفتى مَرَّةً، وإنما... وإنما هذا لا يعني أبدًا السماح له بالتردُّد عليهم ذهابًا وإيابًا ببساطة.

إنها تكاد لا تنطق اسمه هذا أمام الفتيات، ولكن "أوهارو" بطريقتها القاطعة بقول الاسم تؤكِّد -بلا شَكٍّ- أن هذا الفتى هو الذي ورد ذِكرُ علاقته بـ "تائيقو" بحادثة الجريدة.

"سآتي على الفور؛ فلتصطحبيه لغرفة الصالون".

ولأنها عَلق بيدها رحيق الزهور ذهَبَت أوَّلًا للمرحاض لغسيلها، ثم خرجت متوجِّهةً للطابق الثاني بعدما تأكَّدَت من زينة وجهها.

"عفوًا، جعَلتُكَ تنتظر، تفضَّل...".

معروف من أول نظرة أنه "صُنِع في انجلترا"؛ هذا المعطف الصوفي، بلَونه الفاتح المقارب للأبيض، والذي كان يرتديه "أوكوباتا"، على بنطالٍ بلون رماديٍّ داكن من خامة "الفلانيلا"[1] الناعمة.

بمجرَّد أن دخلت "ساتشيقو" ورأى هيئتها بدا عليه الاضطراب، ونهض فورًا من مقعده بحركة فجائيَّة مُبالَغٍ فيها وهو في حالة من الحذر. إنه أكبر عُمرًا من "تائيقو" بثلاث أو أربع سنوات، أي أنه الآن في الحادية والثلاثين من عمره تقريبًا. وبالرغم من أنه باللقاء السابق

(1) نسيج ناعم ذو دقة عالية مصنوع في الأصل من الغزل الصوفي.

ظلَّت نظراتها له على أنه فتى لا يزال بالفترة الصبيانيَّة، إلَّا أنه خلال هذه السنة أو هاتين السنتين تغيَّرَت بنيَتُه الجسدية تدريجيًّا، وأصبح بهيئة رجلٍ أنيق.

"لقد مَرَّ وَقتٌ طويل... ولم آتِ للزيارة ولا لمرَّةٍ واحدة، وإنَّما أظنُّني ليس مسموحًا لي بذلك... ولقد جِئتُ أمام المنزل عِدَّةَ مرَّاتٍ، ولكن لم يَسَعني طلب الدخول...".

"يا للأسف، ولماذا لم تقترب وتتفضَّل؟".

"لم تُواتِني الجراءة"- وارتسمت على وجه "أوكوباتا" ابتسامةٌ باهِتةٌ وكأنه غير عابئ وفي عجلة من أمره. إنه لا يدري ما تظنُّه "ساتشيقو" به، وكيف اختلف بمشاعرها حياله شيءٌ ما بعد زيارته السابقة؛ فزوجها في الفترة الأخيرة كثيرًا ما يلقي على مسامعها أن "أوكوباتا" لم يَعُد بعد ذاك الفتى البريء؛ فلقد وصلته الأقاويلُ بأن ذاك الفتى يتَّخِذ من موافقتهم فرصة لتطأ قَدَمُه عالَمَ المتعة، وذاك هو المنطلق الذي سمع منه الشائعات حوله، حيث يُقال إن "أوكوباتا" لا يتردَّد على مدينة "صو إيه مون"[1] باستمرارٍ، ولكنه على علاقة بفتاةٍ معروفة، وسألها زوجها: "تُرى، هل لا تزال أختك بحياته وهو يرغب بالزواج بها بعدما يأتي "يوكيقو" نصيبها؟ وعن إن كان لا يزال باقِيًا على عهده ذاك. ألم تخبري أختك بأن هناك الكثيرين يلاحظونها! ذاك الفتى يقول كلامًا معسولًا، ويذهب، وإن كان سَئِم الانتظار ويصعب قبولنا لعرضه بالزواج وليس لهذه الاعتبارات أي قيمة لديه إذن فهو كاذبٌ، ويتظاهر برفع راية "المُحِب المُخلِص" وقتَ الضَّرورة، وهو ليس إلَّا أحمق. حتى وإن كُنَّا إلى الآن نتعاطف معه في الخفاء إلى أن يُصحِّح

(1) そうえもん宗右衛門町 مدينة بجنوب محافظة أوساكا تشتهر بكونها مدينة للهو للطبقة الراقية.

الوضع، فهذا لا يعني سوى أن كليهما عليه تَحمُّل المشقَّة ليُصبِحا مع بعضهما البعض مُستَقبَلًا...".

وهذا ما قاله "تينوسوكيه" لزوجته وجعل قلبها ينتابه القلق؛ فحاولت "ساتشيقو" سؤال أختها الصغيرة "تائيقو" بطريق غير مباشر، وأجابتها بأن "أوكوباتا" هو وأسرته كلهم لديهم شعور بالأُلفَة مع ذاك المكان منذ عهد أبيهم، فأخوه الكبير وعمه -مَثَلًا- يُحبَّان الذهاب لِلَّهو بمقهى هناك؛ وعليه فهو ليس كما يدَّعون، علاوة على أن وضعه بالفعل تمامًا كما يظنُّه "تينوسوكيه" فمشكلة زواجهما ليست بالشيء الهيِّن لذلك؛ فمجرَّد تَرَدُّده على ذاك المكان هو شيء ليس بالغريب إلى ذاك الحَدِّ، خاصَّةً وأنه شابٌّ، وأضافت:

"وإن كان لأول مرَّة أسمع عن علاقة حميمة له مع فتاة جيشا، ولكن ربما ذلك ليحدَّ من الشائعات، وإن لم يكن لديكم دليل قاطع فأنا لا يمكنني أن أصدِّق. إنه فقط بعد تلك النكبة لا يمكن تحاشي لَومِه على تهوُّره، وهذا هو السبب في سوء التفاهُم، وسأُحذِّره ليتوقَّف عن الذهاب للَّهو بالمقاهي بعد الآن، أمَّا عن نفسي فلأنكم تطالبونني بكل شيء؛ فإن كنتِ تريدين منِّي الانتهاء من الأمر فسأفعل بالتأكيد، وبهذا لن تنجرفي في تيَّار سوء الظَّنِّ بـ "أوكوباتا"، خاصَّةً وأنت على عِلمٍ بكل شيء من ذي قبل؛ ولهذا ليس بالغريب التزامك بالصمت هكذا".

وبالفعل اعتَلَت وجه "ساتشيقو" علاماتُ الانهزام. لو كان "تينوسوكيه يدري أن ثقة أخته الصغيرة بـ "أوكوباتا" إلى ذاك الحدِّ لما هاجمها أبدًا بهذا الشكل بلا داعٍ، وإن كان ذلك من منطلق الخوف عليها، فلماذا يتجاهلون في كل فرصة سؤال الفتاتين عن أمورهما.

ربما بسبب تحذيرهم لـ "تائيقو" كاد صوت الشَّائعات يختفي من حولهم بالحَيِّ، وشعرت "ساتشيقو" بالسعادة الحقيقية من أعماق

قلبها حين أخبرها زوجُها أنه بليلةٍ ما منذ أسبوعين فقط، وقرابة الساعة العاشرة أثناء ذهابه لمحطة "أوساكا" لتوصيل أحد عملائه من مدينة "أوميدا"، وأمام ضوء مصابيح السيارة- لمحت أَعيُنُه صُدفَةً "أوكوباتا" وهو يسير مُحتَضِنًا فتاة تبدو كنادِلَةٍ بمقهى، تَجرُّ أقدامها في ثُمالَة، وفي الآونة الأخيرة لاحظه وهو يُلاحِق مُتعَتَه متخفِّيًا.

حين سمعت "ساتشيقو" بحديث زوجها بتلك الليلة تنبَّهَت كي لا تخبر أختها الصغيرة بشيء، وما زالت لم تتحدَّث معها بهذا الشأن، وبمواجهتها لهذا الفتى الآن أصبحت تتخيَّل وجهه وكلامه، وهو بكل شكل من الأشكال يحطِّم مصداقيته لديهم؛ وها هي الآن توافق زوجها في كل كلماته: "ذاك الشاب ليس حَسَنَ النِّيَّة".

"... ماذا عن "يوكيقو"... ها.. ها... إنها تُقلِق الكثيرين، بالطبع لديَّ الكثير لأقوله، وإنما...".

ساتشيقو تدري أن "أوكوباتا" يريد دائمًا بتلميحاته عن أحاديث زواج "يوكيقو" تَعجيلَ الأمور من ناحيته هو أيضًا، لكن بهذا الوضع؛ فَبِمَ ستجيبه!

في المرة السابقة أجابته ببساطَةٍ، وبطريقتها المعتادة: "لقد سألت قبل ذلك!".

وبكل مرة لا يحصل منها على أيِّ وَعدٍ يُذكر، لكن بهذه المرة إن كانت ظنون زوجها غيَّرَتها فعلًا عن ذي قبل فلا يزال هناك الكثير من التحذيرات التي لا بُدَّ لها من قَولِها. إنهم ليس لديهم النِّيَّة لعرقلة زواج اثنتيهما إن كانا بالفعل يتمسَّكان بحبِّهما وعطوفين على بعضهما البعض، وإنما هي لا تريد أن تفكِّر هكذا وتهيَّأت بداخلها لذلك؛ وعليه فمن الضروري لها أن تلقي التَّحيَّة فقط تَجَنُّبًا لسوء الفهم، ثم فاجأها "أوكوباتا" وهو يعتدل في جلسته ويطفئ سيجارتة بالمرمدة نَقرًا بإبهامه ويقول:

"إنني في الحقيقة جِئتُكِ اليومَ أختي الكبيرة أترجَّاك في أمر "يوكيقو"، وعذرًا لِمَا أتسبَّب لك به من عَطلة...".

وبدأ كلامه مُناديًا إيَّاها بـ"أختي الكبيرة" كما اعتاد أن يفعل دائِمًا.

"حسنًا وما الأمر؟".

"... أختي الكبيرة، أعلم أنك بالطَّبع على دراية بكل شيء، وإنما "تائيقو" تتردَّد مُؤخَّرًا على مدرسة "تاماكي طوكوقو" لحياكة الملابس الغربية لتتعلَّم التفصيل. إن كان هذا أمرًا لا بأس به لكنها بسببه أصبَحَت لا تعير انتباهًا لعملها بتصنيع العرائس، وإن كانت حقًّا تبدو مشغولةً في الفترة الأخيرة، إلَّا أنها لا تعمل، ولقد سألتها فيمَ تُفكِّر؟ وحينها قالت: "إنني أصبحتُ كارِهةً تمامًا لكل ما له علاقة بتصنيع الدُّمى، ولديَّ حماس شديد لتَعَلُّم حياكة الملابس الغربيَّة، ويصبح هذا هو تخصُّصي مُستقبلًا، أمَّا الآن فقد تلقَّيتُ الكثير من الطلبات للعرائس، بجانب وجود العديد من التلاميذ؛ مِمَّا يجعلني لا أستطيع أن أتوقَّف في الحال، لكني سأترك التلاميذ تدريجيًّا بعد تأسيسهم، وسأسلك مسار حياكة الملابس الغربية. الأهم من ذلك أن أختي الكبيرة توافقني الرَّأيَ، وستسمح لي بالذهاب لفرنسا لعامٍ أو قرابة ذلك؛ لأكمل الدراسة، ولن أعود حتى أحصل على الشهادة"".

"ماذا! أهكذا قالت أختي الصغيرة!".

كانت "ساتشيقو" قد سمعت بموضوع دراستها لحياكة الملابس الغربية وتوقُّفها لبعض الوقت عن تصنيع الدُّمى، لكن كل ما يقوله "أوكوباتا" الآن هو جديدٌ على مسامعها بالكامل.

"حسنًا. أنا ليس لي الحق بالتدخُّل في شأنها، ولكن "تائيقو" بكل الأسف تفعل هذا بكامل إرادتها؛ فعملها المشهود له من كل الناس أنه فَنٌّ فَريدٌ من نوعه ها هي الآن تريد أن توقِفَه، وفوق ذلك كله أنها لو قالت فقط سأتوقَّف لَتَفهَّمتُ الأمر، ولكنِّي لا أفهم أبدًا شأن

حياكة الملابس الغربية، وحتى وإن كان من أسبابها أنها مهما كانت مهارتها في تصنيع العرائس تتفوّق على أحدث الصيحات- فعاجِلًا أم آجِلًا سيملُّ النَّاسُ، ومَن يشترون الآن لن تجدهم فيما بعد، ومن العَمليِّ أن تتَّخِذ من حياكة الملابس الغربية مِهنَةً؛ فمهما مرَّ من زمن لن يَضعُفَ الطَّلَبُ عليها، فلماذا ابنةُ عائلتكم تفعل ذاك؟ ولماذا لا بُدَّ لها أن تجني أموالًا؟ أليس من الأفضل لفتاةٍ ستتزوَّج عن قريب أن تُخطِّط لحياتها الشخصية؟ حتى وإن كنتُ أنا شخصًا لا نَفعَ منه، فأنا لن أقيدها أبدًا فيما تحتاجه من مالٍ، ولا أريدها كالسيِّدات العامِلات. انظري... إن أختَكِ الصغيرة غاية في المهارة، وأنا أتفهَّم شعورها إن أصبحت بلا أيِّ عمل، ولكن أن يصبح هدفها هو جَنيُ المال وذاك كل مبتغاها! وكيف لها أن تظَلَّ منتجاتها مُتميِّزة، وسمعتها جَيِّدة، واسمها مُرتَبِطًا بالفَنِّ كما هو وضعها حاليًا؟! إن كان عليَّ تصنيع الدُّمى فهذا شيء ليس مُخجِلًا حين يسألونني عنه، بل هو أمر جيِّد بالنسبة لها، سواء كانت مُتزوِّجة أو عزباء أو... إنما تفصيل الأزياء الغربية أنا أريدها أن تتوقَّف عنه الآن، وبالتأكيد ليس أنا فقط، بل بيت العائلة الرئيسي، وهنا قَطعًا لا تخالفونني الرأي؛ لذا جِئتُ لأعرض عليكم الأمر ونتشاور...".

بالماضي كان "أوكوباتا" فتى يتحدَّث عن الأشياء ببطء ومَلَلٍ، وإنما بذاك الموقف كان مُستاءً ويظهر سخاؤه كسَليلٍ لعائلة ثَريَّة، وبدا مُتحفِّزًا، ووتيرة كلماته مُتسارِعَة على غير المعتاد.

"إذن، تفضَّلي واسأليها، وإن كنَّا وصلنا لمثل هذا القول منك فربما ذلك لأنَّكِ بعيدة كلَّ البُعد عنها، لكن إن كان هذا تفكيرها بالفعل فلن يبقى سوى حَلٍّ واحد، وخُذي رأي الأخت الكبيرة... ألن يُمكِنَكم رَدعها لتتخلَّى عن الفكرة؟! وأنا بخصوص السفر للخارج ما زلتُ لا أدري إذا كنتُ سأسافر لفرنسا أم لا، ولكنِّي إن ذهبت لدراسة شيء جديرٍ بالاهتمام ففور ذهابي سأجعلها تأتي إليَّ".

إنه يأمل ذلك في أمنياته، وعلى الأغلب "ساتشيقو" رأَفَت بحاله وهو مُقتَنِع بإمكانية حصوله على نقاشٍ جادٍّ وتقديمٍ لائق أمام "تينوسوكيه" إن سارت الأمور على هواه، ويبدو أنه جاء عن عَمدٍ مُستَهدِفًا هذا التوقيت خصِّيصًا، لكن سواء بهذا أو بذاك فالخوض في موضوعه ليس بالأمر السهل على الإطلاق، ومجيئه هو لاستكشاف الأحوال، لكن "ساتشيقو" تتغاضى عن جوهر الموضوع قدر الإمكان، وتتعامل مع الأمر، وهي مشكورة؛ تنتبه لشؤون أختَيْها الصَّغيرَتَيْن، ومن مكانتها هذه تبذل قصارى جهدها لتتصرَّف بشكل مختلف.

في ذاك الحين بدا أن زوجها قد عاد وبلغ مسامِعَها صَوتُ وَقعِ أقدامه؛ فارتَبَكَت وقفزت من مكانها:

"عذرًا لقد جاء "أوكوباتا"".

وهرعت نحو الباب، وقالت كلماتها تلك بمجرَّد أن انفتح

"ولِمَ؟".

فاقتَرَبَت منه زوجته وهمست له في أذنه باختصار:

"حسنًا، إن كان الأمر هكذا فلا داعي إذن ليُقابِلَني، أليس كذلك؟".

"أنا لم أقصد ذلك، بل اذهب لِتقول أيَّ شيء".

ومكث "أوكوباتا" لحاله أكثر من 30 دقيقة دون أن يأتيه "تينوسوكيه"، وبالنهاية جاءه لإلقاء التحية بأدَبٍ، وقال:

"عُذرًا، لم أسألك ماذا تُحبُّ أن تشرب".

فهذا فقط ما أرسلته "ساتشيقو" لقوله، ولم يُبدِ زوجها -عن قَصدٍ- أيَّ أعذارٍ لعدم رغبته في مُقابَلَتِه.

الفصل الثاني

حتى وإن كان من المُرضي أَخذُ حديث "أوكوباتا" على مَحمل الجدِّ، ولكنه أيضًا -على حَدِّ قَولِه- "تائيقو" مشغولة للغاية مؤخَّرًا، فهي تخرج في الصباح تقريبًا في نفس موعد "تينوسوكيه"، والصغيرة "إتسوقو"، وهي أكثرهم تأخيراً في العودة، ودائمًا ما تتناول عشاءها بالخارج مرَّةً كُلَّ ثلاثة أيام؛ ولهذا لم تسنح الفرصة لـ "ساتشيقو" لتتحدَّث إليها بنفس الليلة، وفي صباح اليوم التالي بعدما خرج زوجها وابنتها وهَمَّت "تائيقو" تتبعهما للخروج هي الأخرى، فاستوقفتها:

"عُذرًا. انتظري قليلًا... أختي الصغيرة، هناك ما أريد سؤالك عنه".

واصطحبتها لغرفة المعيشة.

لم تُنكِر "تائيقو" أيًّا مِمَّا قاله "أوكوباتا" عن رغبتها في استبدال عملها بتصنيع الدُّمى بحياكة الملابس الغربيَّة، وتفكيرها في الذهاب لفرنسا للدراسة والتدريب حتى ولو لفترة قصيرة، وبإلحاح "ساتشيقو"

عليها بالسؤال كان لديها أسبابها المُقنِعَة؛ فـ "تائيقو" تُدرِك جيِّدًا عواقب ما فَكَّرَت به: إنها سَئِمَت من تصنيع الدُّمى لأنها أصبحت بالِغةً بما يكفي، وأَوْلَى بها أن تبتغي شيئًا ما ذا قيمة في المجتمع عِوَضًا عن عملها الطفولي هذا كالفتيات الصغيرات، وفوق ذلك تستغلُّ موهبتها وما تُحبُّه، وبعدما تتميَّز بما اكتسبته من تقنية ستصبح رائِدةً في مجال حياكة الملابس الغربية، خاصَّةً وأن لديها الموهبة منذ الصِّغَر، وأيضًا أصبَحَت ماهِرةً في استخدام ماكينات الخياطة، حتى إنها بالرجوع للمجلَّات الأجنبية مثل "Vogue" و"Jardin des modes"- تحيك ملابس أختها "ساتشيقو" والصغيرة "إتسوقو"، بخلاف ملابسها هي بالطبع؛ وعليه فمهما كان ما ستتعلَّمه فهي لن تبدأ أبدًا من أساسيات المبتدئين، وسريعًا ما ستُحرِز تَقَدُّمًا؛ وبهذا فهي تمتلك الثقة الكافية لبناء مستقبلها بيدها. لقد ضحكت على رأي "أوكوباتا" بأنَّ تصنيع الدُّمى يُعتَبر فنًّا، وإنما حياكة الملابس الغربية هي مهنة سيِّئة. إنها لا ترغب في لقبٍ كاذِبٍ مثل "فنَّانة"، ومهما ظُنَّ أن حياكة الملابس الغربية سِلعةٌ رديئة فهي لا تبالي. إنها عامَّةً تتحدَّث بمثل هذا القول حين تجدهم ليسوا على دراية كافية بشؤونها، وهي لم تَعُد بَعدُ في سِنٍّ تجعلها تفرح بتصنيع دُمًى تلهو بها الأطفال. أليس حينها ما سيدعو للخجل هو ألَّا تعمل عملًا أكثرَ صِلَةً بالحياة الواقعية؟

هكذا قالت "تائيقو" وشعرت "ساتشيقو" بأنها ليس لديها مُتَّسَع لتعترض ولو بكلمة واحدة، ولكن حتى وإن كان هذا الكلام صحيحًا فهي تظنُّ أنه ربما أهدافها الرائعة تلك وراءها إحساسٌ دَفينٌ بالاشمئزاز من ذاك الشاب المدعو "أوكوباتا"، أليس كذلك؟!

إن "تائيقو" لا يمكنها أن تعترف بخطئها في علاقتها بـ "أوكوباتا" بهذه السهولة، خاصَّةً بعدما تغنَّت بعلاقتهما الصُّحُف، حتى وإن كانت هذه هي رغبة أخَويْها وأخواتها الكبار وكل الناس من حولها أيضًا.

هي لن تقول إنها نادمة على ما حدث رغم أنها في الواقع تريد أن تُنهي علاقتها معه، وإحساسها الحقيقي هو أنها تريد إلغاء وعدها بالزواج المنتَظَر فور أن تسنح الفرصة... أليس كذلك؟

بهذه الحالة فإن رغبتها لِتَعلُّم الحياكة ليست إلَّا طريقة لا بديل عنها لتستقلَّ بذاتها، وهي تريد أن تستعدَّ لذاك الوقت، و"أوكوباتا" لا يدري شيئًا عن نواياها الدفينة، ولم يفهم أبدًا لماذا تريد جني المال وتريد أن تصبح زَوجةً عامِلَة، وإنما "ساتشيقو" ترجَمَت الأمر على الفور، وتفهَّمَت مقصدها؛ لذا ستوافقها الرأي بالذهاب لفرنسا، فحتى وإن كانت ترغب في تَعلُّم حياكة الملابس الغربية، إلَّا أن هدفها الأول هو اتِّخاذ موضوع السفر لأوروبا عِلَّةً للانفصال عن "أوكوباتا"؛ وعليه فإن أسوأ شيء في مجيء "أوكوباتا" هو حاجتها لتقديم الأعذار، وإصرارها على الذهاب بمفردها.

بالواقع تَخمينُ "ساتشيقو" لم يُصِب سوى نصف الحقيقة، وما زال بعيدًا عن نصفها الآخر.

إن "تائيقو" إذا صرَفَت نظر عن "أوكوباتا" من تلقاء نفسها وبدون إقناع من أحد فسيكون هذا أقصى ما تطمح إليه "ساتشيقو"؛ فهي من نفسها مُقتَنِعَة بالانفصال عند هذا الحدِّ، وبالطبع هذا هو الوقت المناسب لتطلب منها "ساتشيقو" -بشكلٍ غير مباشر، ودون جَرحٍ لمشاعرها- أن تبتعد قليلًا.

لكن هل هذه هي مشاعرها الحقيقية، أم أنها فقط لن تُظهِرَ أبدًا إقرارها بالهزيمة؟

إن "تائيقو" التي تجمع شتات كلماتها وهي تبدو وكأنها لا تُلقي بالًا بالتأكيد- هي الآن قلبها لم يَتخَلَّ عن "أوكوباتا"، وربما قرارها في المستقبل القريب الزواج منه.

إذا أخبرتها "تائيقو" أنها اليوم تدري أكثر من أي أحدٍ أن ذاك المدعو "أوكوباتا"، سَليلَ العائلة المعروفة برصيف الميناء القديم، هو حَقًّا رَجُلٌ مُمِلٌّ ولا يستحقّ، وليس لهم أن يقلقوا حيال ذاك الأمر بعد الآن، والأكثر هو أنها حينما وقعت بغرام "أوكوباتا" منذ حوالي ثماني سنوات كانت لا تزال فتاةً طائشة، ولم تكن تدري أنه إنسانٌ تافِهٌ هكذا.

ألا ينهدم كلُّ الحُبِّ بمجرَّد قولها إنه تافِهٌ وعلاقتهما الآن فقط لِوَعدِها له؟!

لكنها على الأقل ليس لها أن تندم أو تكره أوَّلَ حَبيبٍ لها لأسباب تتعلَّق بالمنفعة، وإذا كان حُبُّها لشخصٍ تافِهٍ مثله هو قَدَرٌ محتوم؛ فما يُقلق بزواجهما فقط هو مشاكل الحياة اليوميَّة.

إنه يريد أن يدير فِعليًّا أعمال عائلته الناشئة من مؤسَّسات الأوراق المالية، وإن تَمَّ الزواج سيريد أن يحصل على ممتلكاته الخاصة والعقارات من أخيه الأكبر، فمثل ذاك الشخص سيُفكِّر بالمعالم من هذا المنطلق السطحي، ولن ينتابه أيُّ قَلَقٍ على الإطلاق.

في الحقيقة "أوكوباتا" حتى يومنا هذا لا يعيش حياة تتناسب مع وضعه المادي أبدا؛ ففاتورة المقاهي شهريًّا ومدفوعات محلات الملابس والمتاجر العامَّة هي بمبالغ طائلة، ويتوسَّل لأمِّه دائِمًا لتقرضه المال. لكن هذا فقط بحياة أُمِّه، فإن أصابها مكروهٌ لن يبقى بهذا البَذَخ، ومهما كانت ممتلكات عائلته؛ فهو الابن الثالث، وحين تصبح كل الأملاك تحت تصرُّف أخيه الكبير لن يكن نصيبه يُذكَر، خاصَّةً وإن كان أخوه هذا لا يوافق على الزواج.

في هذه الحالة إن أخذ كلُّ واحد نصيبه بالتساوي، وسواء طالت يداه الأسهم أو خدعوه، فهو بكلِّ الأحوال شخصٌ يسهل الإيقاع به،

وبدون حتى أن يأتي اليوم الذي سيأخذ به كلُّ أخٍ نصيبَه ويتخلَّوا عن بعضهم البعض.

أي أن هذا الوضع المُقلِق هو قائِمٌ بالفعل، ووقتما يحدث ذلك فعليها ألَّا تعتمد على شخصيَّةٍ مثله في أيٍّ من شؤون الحياة؛ لكي لا تجعل الناس يتشدَّقون بالنميمة قائلين: "أرأيتم ما حدث له!"، بل على العكس، عليها ألَّا تجعله أبدًا بأي وقتٍ مسؤولًا عن قُوتِها.

عليها أن تجد لنفسها وظيفة، ومن البداية لا تعتمد على راتب "أوكوباتا"، وهنا يكمن دافعها الوحيد للاستقلال بذاتها من خلال عملها بحياكة الملابس الغربية. أَضِف إلى ذلك أن "ساتشيقو" اتَّضح لها من حديث أختها أنها قطعًا لن تنتقل لبيت العائلة الرئيسي بطوكيو، فهذا أمرٌ بديهي؛ ففوق ذلك كله لا يبدو أبدًا أن الأخ والأخت الكبيرة لديهما أي نِيَّة لاستدعائها، في حين أن "يوكيقو" تبقى لحالها هناك رغمًا عنها، وشأنها ليس بإرادتها. هذا ما قالته "يوكيقو" منذ وقت مضى، فاليوم حتى لو استدعى بيتُ العائِلَة الرئيسيُّ "تائيقو" فعلى الأغلب لن تنصاع. إنها منذ أن انتقل أخوهم بالقانون إلى طوكيو وهي يَرِد إلى مسامعها أنها سيكون لها غرفة مستقلَّة، ويمكنها أن تتَّخِذ لها مخزنًا أيضًا، وبما أنها لها دخلٌ شهريٌّ من عملها فيُستَحسَن أن يُنقِصوا ممَّا تتلقَّاه شهريًّا من نصيبها من المال، فيومًا بعد الآخر سيكبر الأطفال السِّتَّة الذين بالبيت الرئيسي، ولا بُدَّ من الاعتناء بشأن "يوكيقو" أكثر، بخلاف الكثير من النَّفَقات، وبالتأكيد فإن الكُلَّ يرغب في تخفيف أعباء الأخ والأخت الكبيرة؛ لذلك بهذه الأجواء سيكون من الأَوْلَى لها أن ترفض بالكامل كلَّ ما يأتها من تحويلاتٍ لأنها فقط تريد من أخيها وأختها الكبيرة أن يستمعا لها، وفي العام المقبل إذا سمحا لها بالذهاب للدراسة في فرنسا سيعطيانها جزءًا أو كل المبلغ الذي أودعه والدهم لنفقات زواجها كتكاليف سَفَرِها للخارج، هذا المبلغ تحت وصاية أخيها الكبير ليحفظه لها، وهي لا تدري حتى مقداره. بكل

الأحوال هي لا بُدَّ لها أن يتوفَّر معها كل ما يكفيها لتكاليف الإقامة في باريس لستَّة أشهر، وربما لعامٍ، بما فيها ثمن التذكرة ذهابًا وعودة بَحرًا؛ لذلك فهي تريد أن تستلم كلَّ أموالها لديهم بأي طريقة مُمكِنَة، وستصرف كل ذاك المبلغ وتبذل كل ما في استطاعتها من أجل السفر للخارج، ولن تشتكي حتى لو لم يتبقَّ معها شيءٌ لنفقات زواجها.

لذلك فما تُخطِّط له وتُفكِّر به لم تُفصح عنه حتى الآن، وهي تريد من أختها الوسطى "ساتشيقو" أن تخبر بيت العائلة الرئيسي في الوقت المناسب لتنال رضاهم، وإن كان هذا ما ترغب به؛ فرُبَّما عليها الذهاب لطوكيو لمرَّةٍ واحدة.

هكذا هي لم تُبالِ بما قاله "أوكوباتا" عن تَحمُّله لنفقات سفرها للخارج. إنه عادَةً ما يقول أنا سأدفع المال إذا كُنَّا سنسافر سويًّا، لكن هل هو الآن لديه المقدرة فِعلًا؟ إنها غالِبًا تعرف أكثر منه نِيَّتَه الذَّهابَ باكيًا لأمِّه يتوسَّلها لتدفع، لكن لأنه لم يُتِمَّ الزَّواجَ بَعدُ فـ "تائيقو" تكره أن يُقدِّم لها ذاك الجميل، وحتى وإن كان بعد الزواج فهي لا تريد أن تطال يدها أيًّا من ممتلكاته، بل وتريده هو أيضًا ألَّا يفعل، وترغب في الذهاب بمفردها مُستَقِلَّةً بأموالها مهما كلَّفها الأمر. وبالنسبة له، فلينتظرها بهدوء حتى تعود من سفرها، وعليه ألَّا يأتي لقول كلامٍ مُزعِج كهذا لأختها الوسطى بعد الآن؛ فإن كان يأتي مرارًا وتكرارًا لِنَقل الأحاديث؛ أَمَلًا منه في جعلها تُوافِق، فها هي ذا تريده ألَّا يُقلِق نفسه بشؤونها من الأساس، وهذا ما قالته.

"أوكوباتا" يقول إن كان تفكير ابنتكم الصغيرة إلى ذاك الحَدِّ فلا داعي للمُزايَدَة بالنُّصح، وبالنسبة لـ "ساتشيقو" فهي ترى أن عليهم فقط التأكُّدَ من جدِّيَّة قرارها ومدى إصرارها عليه، وإذا كان الأمر بكل احتمالاته على ما يُرام فلا بأس من عرضه على بيت العائلة وبذل قصارى جهدها لإقناعهم، وبهذا ستهدأ المشكلة، على الأقل الآن.

في تلك الأثناء استمرّت "تائيقو" مُنشَغِلَةً بحياتها، وكما قال "أوكوباتا" إنها مُؤخَّرًا فقَدت شغفها بتصنيع العرائس مهما أنكَرَت ذلك، وللأسف تقول إنها لا ترغب حقًا في المزيد من التصنيع، ولكن طالما عليه الطلب فستستمر قليلًا؛ فهي تريد أن تزيد من مُدَّخَراتها، غير أن تكاليف المعيشة ترتفع، ولعديدٍ من الأسباب فإنها تعمل بهذه الآونة بكَدٍّ أكثرَ من ذي قبل، وإن كانت ستتوقَّف عن هذا العمل عاجِلًا أو آجِلًا على حَدِّ قولها فهي تسعى جاهِدَةً لتجهيز أكبر قَدرٍ مُمكِن من المنتجات.

في ذلك الوقت أيضًا لم تكن "تائيقو" تتردَّد بانتظام على مدرسة حياكة الملابس الغربية للآنسة "تاماكي طوكوقو"، والتي تقع في منطقة "نويوري" ببلدة "موطوياما"، بل كانت مستمرَّةً في أنشطة التدريب على رقص القُرى الجبلية. لم يكن تَعَلُّم هذه الرقصات بالأمر السهل أو من قبيل الهواية. إنها تريد أن تقف مُتفرِّدَةً بحالها في هذا المجال أيضًا كمُعلِّمة، وتحصل على شهادة الاعتماد لمزاوَلَة الأداء مُستَقبَلًا.

هكذا بدا طموحها الجامح.

كانت "تائيقو" تتردَّد مرَّةً أسبوعيًّا على ساحة التدريب التي قيل عنها إنها الأكثر عَراقَةً فيما بين القلائل الآخرين الذين يُنسبون لهذا النَّمط من الرقص -"رقص القرى الجبلية" في "أوساكا"-، والذي يشتهر بالاسم الرائج: "ساجي"鷺 踊 وتقدِّمه الابنة الكبرى لـ "إيتشي جاوا ساجي جورو"[1] راقصة الجيل الرابع من رقصات القرى الجبليَّة.

لكن ساحة التدريب تلك هي بالطابق الثاني لبيت "جيشا" بطريقٍ ضيِّق في بلدة "تاتاميا" بقلب الجزيرة.

---

(1) إيتشي جاوا ساجي جورو 市川團十郎 いちかわだんじゅうろう: ممثِّل شهير للفَنِّ المسرحي "الكابوكي" في عصر إيدو.

على أيَّة حال؛ فبسبب أن المكان هكذا فأغلب مَن يأتيه هُنَّ فَتَيات الليل ومساعداتهن... مهما كانت تصنيفاتهن، فبذاك البيت تكاد أعداد الآنسات لا تُذكر.

كانت "تائيقو" عادة ما تأتي وبيدها حقيبة صغيرة بها تحمل فيها الزِّيَّ الياباني التقليديَّ ومروحة اليد، وبرُكنٍ من الساحة تستبدل زيَّها الغَربيَّ الطراز بالملابس اليابانية، وبينما هي في انتظار دورها تختلط بجموع فتيات الجيشا والراقصات، وتشاهد التدريبات، وتتبادل الحديث مع الفتيات الودودة القَسَمات، ولم يكن بالغريب حينها أن تتذكَّر عُمرَها الحقيقي؛ فالكل -بدايةً من المعلِّمة- يظنُّون أنها ببداية العشرينات، واستمتعت "تائيقو" بتَمَلُّقِهم لها وهم يقولون كم هي فتاة لَبِقَة وهادئة رابطة الجأش.

كان كل مَن يأتي لذاك المكان -سواء من المتمرِّسين أو الهُواة- يستنكر بشدَّة تيَّارَ رقصات طوكيو الذي اجتاح رقص الفلكلور بـ "كيوتو" و"أوساكا"؛ وبهذا يظلُّ هناك الكثير مِمَّن لديهم تَوقٌ عجيب لرقص القرى الجبلية، من منطلق رغبتهم في إظهار الفن الأصيل التقليدي لأراضيهم للعالَم أجمع، والذي أصبح في طريقه للاندثار، وتجد على وجه الخصوص المؤيِّدين المتحمِّسين ينظِّمون ما يُطلَق عليه "اجتماعات مَحلِّيَّة"، ويجتمعون شهريًّا ببيت أرملةٍ لمحامٍ يُدعَى "كامي سوجي"، وأصبحوا مِثالًا يُحتذى به.

كانت "تائيقو" تحضر هذه اللقاءات أيضًا؛ فهي شخصية قيادية، حتى لو كان الأمر مجرَّدَ رقصاتٍ مُعتادة. ذات مرَّة اصطحب "تينوسوكيه" زوجته وابنته "إتسوقو" و"يوكيقو" لمشاهدة أداء "تائيقو" بالرقصات، والتي كان من الطبيعي أن تجمعها بالأشخاص المتواجدين باللقاء علاقَةُ أُلفَةٍ؛ لأن مثل هذه العلاقات هي التي طلبها منها المنسِّقون المسؤولون.

في آخر شهر أبريل من ذاك العام توجَّهَت إليهم بحديثها، طالِبةً أن يعيروها بيت "أشيبا" من أجل ذاك الملتقى في شهر يونيه؛ ففي الواقع كل التجمُّعات المحلية توقَّفَت منذ شهر يوليو بالعام الماضي بسبب الأحداث الراهنة، واكتفوا باللقاءات الدراسية البسيطة؛ لذلك لن يعترض أحدٌ إن التزموا بالانضباط بهذه المناسبة، علاوة على أن هناك مشاكل في تكرار اللقاء كل مرَّة بمنزل أرملة السيد "كامي سوچي"؛ ولهذا جاءت الآراء المقترحة بتغيُّر المكان، ولو لمرَّة.

بما أن هذه هي الطريقة التي تُفضِّلها "ساتشيقو" وأخواتها؛ فوافقوا بالفعل على إتاحة غرفة لهذا اللقاء، ولن يكون لديهم مشكلة في التجهيزات مثلما يحدث ببيت السيد "كامي سوچي" غير المُعَدِّ على أكمل وجه. لكن بَعضٌ منها -كمنصَّة المسرح- هم في حاجة لنقلها من "أوساكا" إلى "أشيبا"، ومن ناحية أُسرة "ماكي أوكا" فهم سيُفرِّغون محتويات الغرفة غربية الطراز التي بالطابق السُّفليِّ من الأثاث، ويجلس الحضور على سجَّاد غرفة الصالون وكأنه مقاعِدُ المشاهدين، ويضعون بجانبه ما لديهم من حصير التاتامي الكبير الموجود بغرفة الملابس والزِّينة بالطَّابق الثاني.

كان اللقاء بيوم 5 يونيه، والذي يوافق أوَّلَ يومٍ أحد بالشَّهر، من الساعة الواحدة مساء إلى الساعة الخامسة، وكانت "تائيقو" ستُقدِّم رقصة الـ "يوكي".

كان هذا ما تَمَّ الاتفاق عليه لذلك بمجرَّد بداية شهر مايو كثَّفَت "تائيقو" من تدريباتها، وتَردَّدَت على مكان التدريب لمرَّتين أو ثلاثٍ أسبوعيًّا، وخصِّيصًا من يوم 20 في الشهر داوَمَت مُعلِّمتها على المجيء لها يوميًّا ببيت "أشيبا" لتدريبها.

إن مُعلِّمتها -التي ستَبلُغ هذا العام الثامِنةَ والخمسين من العُمر- هي بطبيعتها ضعيفة الصِّحَّة، وتُعاني من مرضٍ كُلَويٍّ مُزمِن؛ فأصبح

مجيئها هذا طوال أيام الأسبوع بمثابة جميل استثنائيٍّ لم يسبق له مثيل، ووجودها أصبح سَببًا لتوطيد علاقتها بالمساعدات والمتدرِّبات، وجعلها تختلط معهم وتتحمَّس وتجتهد، ومن حُسن صنيعها أيضًا أنها كانت تأتيها بالأيام الحارَّة بأوَّل الصيف من جنوب أوساكا بقطار خَطٍّ "هانكيوو"، وبالرغم من أنه ما مِن أحدٍ يقبل أن يذهب لإعطاء الدروس المنزلية لمُراجَعَة الاستعدادات اللازمة لرقص القرى الجبلية، إلَّا أنها تتفهَّم كون هذا مرفوضًا عادةً بالتفكير التقليدي المتحفِّظ.

لكن بعد ذلك، وبانقطاع علاقة "تائيقو" بساحة التدريب، ظَلَّت ترغب في مزيد من التعلُّم؛ لذلك إنْ كانت المعلِّمة ستتولى تدريبها فمن الأفضل تكثيف الدروس حتى ذاك التوقيت، بجانب توجيه ما يلزم من نصائح.

كان جدول مواعيد المعلِّمة "أوساكو" يختلف يومًا عن الآخر، وفي الغالب بكل يوم تُحدِّد موعد اليوم التالي، لكنها لم تلتزم بالدِّقَّة الكاملة، فأحيانًا كانت تنتظرها "تائيقو" حتى الساعتين، وأحيانًا لا يسعها المجيء بسبب سوء الأحوال الجوِّيَّة. كانت "تائيقو" تعود للمنزل في عَجَلةٍ من أمرها وسط كل مشغولياتها لتنتظرها، ثم بعد حينٍ اعتادت الوضعَ وطلبت منها أن تخبرها بالهاتف، وأحيانًا أخرى كانت تأتي مُسرِعَةً من "شوكوجاوا"، وتجد الصغيرة ما زالت في منتصف تدريباتها.

لكن بالواقع لم يكن الخروج شيئًا بهذه السهولة للمُعلِّمة "أوساكو"، بحالتها الصحية السيئة تلك.

في البداية كانت تأخذ استراحةً قصيرة بغرفة الصالون، وخلالها تتبادل الحديث مع "ساتشيقو" لبضع دقائق، وبلُطفٍ في آخر مرَّة قاموا بالتمرينات في مجلس غرفة الطعام بعدما أبعدوا المنضدة والمقاعد جانبًا، ودَندَنَت "أوساكو" بالأغاني لِتُريها مثالًا، ولكن حينها

بدا عليها الإنهاك وتلاحَقَت أنفاسها، وقالت إنها منذ الليلة السابقة وهي تشعر بالألم الكُلَويِّ مرّةً أخرى. كان وجهها مُنتَفِخًا ولونه شاحِبًا، لكنها -على العكس- أرادت أن تستعيد عافيتها، وقالت:

"الرَّقص يحافظ على جسدي".

لم تكن تتألَّم من المرض إلى ذاك الحَدِّ، ولكن تُرى هل كان هذا حَقًّا أم أنه من تَواضُعِها؟

إنها كانت تقول: "أنا لا أجيد التعبير بالكلام"، وهي في الحقيقة ثرثارة للغاية، وماهرة في التقليد والتمثيل، وبالدردشة كانت "ساتشيقو" وأخواتها يَستَعجِبن منها بشدَّة. ربما ذلك يرجع إلى أن جَدَّها مُمثِّل مسرح الكابوكي "إيتشي جاوا دانجورو"؛ فوَرِثَت منه الموهبة.

لهذا تجد ملامح وجه المعلِّمة "أوساكو" دقيقةً، ووجهها بيضاويًّا، وطول قامتها مُميَّزًا، وإذا ألقيت نظرة عن كثب ستلاحظ نَسَبها لفنَّاني عصر "ميجي". هؤلاء الذين عاشوا قديمًا، الحواجب الدقيقة الخفيفة، الأسنان المصبوغة بالسَّواد، أيًّا كان ما تشبههم به فذلك الوجه الكبير يظلُّ به قدرات متنوِّعة لا حصر لها. إنها حين تُقلِّد ملامح وتعبيرات شخصية ما تشعر وكأنها ارتدت وجه الشخصية وطوَّعت ملامحها بإتقانٍ تام.

عادت الصغيرة من المدرسة كانت ترتدي الزِّيَّ الياباني الذي لا ترتديه سوى بوقت مشاهدة تَفَتُّح الزهور كل عام. كانت ترتدي جوربًا يابانيًّا[1] كبيرًا للغاية لا يتناسب مع مقاس قَدَميها، وتتزيَّن

(1) 袋足びた: "تابي" جورب ياباني ذو أصبع منفصلة.

بمروحة يد على طراز القرى الجبليَّة مُزَركَشَة بأشكال الورود السَّاميَّة الأربعة[1].

"حلَّ شهر الربيع، وفي "مورو" حشود الزهور

فيما بين المسرحيات والاحتفالات والطبول

فتتلاقى الوجوه والعيون"...

كانت تُعلِّمها رقصة أغنية "Tokaebisu +日戎" والتي مَطلَعُها هو الأبيات السابقة، ولأن ساعات النهار أصبحت الآن أطولَ فَقَد انتهت الصغيرة "إتسوقو" و"تائيقو" لا تزال في تدريبات رقصة "يوكي 雪".

الصغيرة انتهت في حين أن "تائيقو" مهما مَرَّ عليها من وقت وهي تتدرَّب تَظلُّ الحديقة مستضيئة، وزهور "الهيرادو" التي تأخَّر أوانها بدت فجأة وكأنها تحترق والعشب يشعُّ خُضرَة.

أطفال عائلة Stolz بالجوار... "روزماري" و"فريتز" أصبحا مؤخَّرًا -وبكل يومٍ تقريبًا- ينتظران عودة "إتسوقو"، ويأتيان لِلَّعِب بغرفة الصالون، لكنهما كانا يتسلَّلان لِلَّهو مع رفيقتهما بهذه الغرفة التي يُفضِّلونها، وينظران بشكل غريب من التراس، وظَلَّا يُحدِّقان إلى رقص "إتسوقو" وتائيقو" وحركات أيديهم، وبالنهاية جاء أخوهم الثالث "بيتر" ليشاهد هو أيضًا.

بذاك اليوم صعد "فريتز" لمكان التمرين وهو ينادي مُقلِّداً صوت عائلة "ساتشيقو"، وكأن أحدًا منهم ينادي:

"المعلِّمة "أوساكو"... المعلِّمة "أوساكو"".

---

(1) 子君四ちゃん: "شيكون شي" تشير إلى أربع نباتات تُستَخدَم في الفنون الصينية، وهي: البرقوق، الأقحوان، الأوركيد والخيزران، حيث الاعتقاد بإشاراتهم إلى: الاستقامة، النقاء، التواضُع والمثابرة على الظروف القاسية. تمَّ استخدامهم في الصين في عهد أسرة سونغ (960 - 1279)، ثم تداولَت الفكرة في اليابان وكوريا أن هذه النباتات تُمثِّل الفصول الأربعة: البرقوق في الشتاء، الأوركيد في الربيع، الخيزران في الصيف، والأقحوان في الخريف.

وأجابَته "أوساكو" على نحوٍ طريفٍ وهي تطيل نبرةَ صوتها:

"نعم"...

ومهما طال الأمد تَظلُّ تُجيب بجدِّيَّة: "نعم، نعم"، وتلعب وكأنها طفلةٌ صغيرة مع الطفلة ذات العيون الزرقاء.

الفصل الثالث

"أختي الصغيرة، هل أسمح لفتى مَتجَر التصوير بالدخول؟ هيَّا قولي".

كانت "تائيقو" بالوقت الترفيهي لمجلس اليوم ستقدِّم الرقصة الافتتاحية على أغنية "اومورو نو هانازاكاري"[1]، وصعد المُصوِّر لغرفة ملابِسهنَّ بالدور الثاني وهي على حالها بثيابها وزينتها.

"تفضَّل".

وحين انتهت من ارتدائها لملابس رقصة "يوكي" أمسكت بيدها اليُمنى العمود حتى لا تتعثَّر، ووَقَفَت وطَلَبَت من خادمتها "أوهارو" أن تُلبسها الجورب، ودون أن تُحرِّك رقَبَتها وهي تعقص شعرها على

(1) تَتفتَّح الزهور في "أومورو" بثالث شهرٍ قَمريٍّ.
弥生(やよい)は御室(おむろ)の花盛(はなざか)り .

النَّمط التقليدي الشائع بعصر "إيدو"[1] "تسوبوشي شيمادا"[2]، وتتوجَّه بناظِرَيْها فقط هنا وهناك.

تعرَّفَت "تائيقو" على عَمَّة شابَّة ترتدي دائمًا الملابس الغربية منذ عشرة أيام من أجل الاستعدادات وارتداء الزي الياباني وهَندَمَة شَعرها على النمط الياباني التقليدي هذا، وكما كان مُتوقَّعًا عَلِقَت بها كُلُّ الأنظار في ذهولٍ واندهاش من طريقة استبدالها لملابسها.

في الحقيقة الملابس التي ارتدتها كانت من ثلاث طبقات: الطبقة السُّفليَّة هي التي استخدمتها الأخت الكبيرة التي بالبيت الرئيسي "تسوروقو" قديمًا في حفل زفافها.

اليوم، حتى وإن كان القليل من الناس مُجتَمِعين، إلَّا أنَّه بدونها لَمَا سارت الأمور على ما يرام، وطالما فكَّرَت "تائيقو" في ملابس جديدة، وبنقاشها مع "ساتشيقو" تذكَّرَت أن هذه الملابس لأختهم الكبيرة موجودة في مخزن بيت بلدة "أويهون"، فاستعارتها. إنها من إحدى مجموعات الملابس التي عمل والدهم وهو في أزهى أوقاته على أن تُصبَغ خصِّيصًا لها، وأتى بثلاثة رسَّامين ليرسموا زخارِفَ بأشهر معالم اليابان على الطبقات الثلاثة المُلحَقَة بالرِّداء.

كانت الطَّبَقة الأولى مرسوم عليها جزيرة "إتسوكوشيما 嚴島" على خلفيَّةٍ سوداء، والطبقة التي تليها عليها جزيرة "ماتسوشيما 松島" على خلفيَّة حمراء، والطبقة الأخيرة للمَمَرِّ الرَّملي "أمانوهاشيدا 天橋立"[3] على خلفية بيضاء.

---

(1) عصر إيدو 江戸時代 من 1603 إلى 1850.

(2) تسوبوشي شيمادا 田島ヶ潰 نوع من تسريحات الشَّعر الشائعة في عصر إيدو، وارتبطت بفتيات الجيشا والمُعلِّمات، ويُشتَقُّ منها عديد من قَصَّات الشَّعر.

(3) مَمرٌ رمليٌّ بطول 3.6كم بخليج ميازو شمال مقاطعة كيوتو. تُغطِّيه حوالي 7000 شجرة

منذ حوالي سبعة عشر عامًا -أي في أواخر عصر "تايشوو"- حين تزوَّجَت الأخت الكبيرة وهي لم تُمرِّر يدها على مجموعات الملابس تلك سوى لمرة واحدة؛ لذلك فهي حقًّا تبدو كالجديدة تمامًا، ولا تزال برَونَقِها، لكن "تائيقو" بارتدائها لإحداها، والتي عليها منظر الممرِّ الرَّمليِّ بريشة الفنان[1] "كاناموري كانيو 金森觀陽، وبربطها لحزامٍ من السَّتان الأسود لم تَعُد تبدو كالابنة الصغيرة كالمعتاد، بل بَدَت كامرأةٍ ناضِجَة، وبإقامتها لمثل ذلك الحفل الياباني الخالص أصبحت تُشبِه "ساتشيقو" كثيرًا: وجنتاها الممتلئتان، وهيئتها الكاملة، يُدعِّمهما حضورها الأخَّاذُ الذي لا يظهر في ملابسها الغربية.

"... سيدي المصوِّر".

قالتها الصغيرة "إتسوقو" وهي تقف على منتصف السَّلَّم لشابٍّ في أواخر العشرينات من العمر يُحدِّق في "تائيقو" وهي تُطِلُّ من رَدهَة الطابق الثاني.

"حسنًا. تفضَّل بالدُّخول".

"صغيرتي "اتسو"، كريهٌ قَولُكِ "سيِّدي المصوِّر"... قولي: "السيِّد إيتاكورا"".

قالتها "تائيقو" غيرَ عابِئةٍ وهي تعتذر له وتدعوه للدخول.

"الأخت الصغيرة، اثبتي هكذا".

صنوبر، وهو ثالث المواقع السياحية في اليابان، وتمَّ اختياره ضمن أفضل 100 موقع في العالم للينابيع والأنهار من قِبَل مُنظَّمات البيئة الدولية.

(1) رسَّام ياباني في أوائل عصر ميجي، وُلِد في عام 1884 وتوفي في 1932.

وعلى الفور اتَّكأ على رُكبَتَيْه، ووجَّه نحوها الكاميرا التي من طراز LEICA، وواحدة تلو الأخرى من الأمام ومن الخلف ومن اليمين واليسار، التقط هكذا بضع صُوَر.

بمكان التَّجمُّع بالدَّور السفلي بعد فقرة "إتسوقو" قدَّموا أيضًا بضع أغاني شهيرة، واختُتم اللقاء بعد خامس أغنية "إيدو مياچيه ﾐﾖﾗﾅ"، وبوقت الاستراحة بدؤوا بضيافة الحضور بالشاي وأطباق الـ "سوشي"، وبغرفة الصالون التي كانت بمثابة صالَةَ مقاعد المشاهدين تَواجَدَ قرابة الثلاثين شخصًا، حيث إنهم -عن عَمدٍ- لم يدعوا سوى أقارب مُقدِّمي الرقصات، ولكن كان بينهم أيضًا "روزماري" و"فريتز"، اللذان احتلَّا موقِعَيْهما بالصف الأول. كان كل منهما يجلس القُرفصاء حينًا، وعلى ركبتيه حينًا آخر، أو على وسادات الجلوس التي على الأرض؛ ليُشاهِدَا الرقصة الافتتاحية لـ "إتسوقو".

بالخارج، بالتِّراس، تواجَدَت أيضًا أمُّ الطِّفلَين Hilda Stolz؛ فهي سَمِعَت من الأطفال عن هذه المناسبة، ورغبت بشدَّة في الحضور، وقبل فقرة "إتسوقو" الافتتاحية جاءت من جهة الحديقة، وعرَّفها بهم ابنُها "فريتز"، بعدها طلبوا منها التَّفضُّل بالدخول، لكنَّها فضَّلَت البقاء بالتراس، فجلبوا لها كرسيًّا من الخوص، وجلست هناك لتشاهد منصَّة العرض.

""فريتز"، اليوم فلتلتَزِمْ الصَّمتَ تمامًا".

قالتها المعلِّمة "أوساكو" للصَّبيِّ من خلف الحاجز المتحرِّك الذهبي الذي كان على منصَّة العرض. كانت ترتدي كيمونو مُطرَّزً ومُزَركَشَ الأطراف، ياقته بيضاء.

"حقًّا! من أيِّ بَلَدٍ أنتم يا أطفال؟".

تَساءَلَت السيدة الأرملة "كاميسوچي"، والتي كانت بمجلس المشاهدين؛ فأجابتها المعلِّمة:

"إنهم أصدقاء الصغيرة، وهم من ألمانيا. هم أصدقائي المقرَّبون أيضًا، عادةً ما ينادونني "أوّشوهان أوّشوهان"".

"حقًّا! لا يستطيعون نُطقَ اليابانية هكذا! ومع ذلك جاؤوا بشغف للمشاهدة!".

"الأكثر من ذلك هو سلوكهم في الجلوس بهدوء...".

قالتها إحدى الحضور.

"حسنًا إذن، أيتها الطفلة الألمانية، وأنتِ، ما اسمُكِ؟... هل هكذا لن تُؤلِمَكما أرجُلُكم؟ فلتمدِّدوها... لا بأس...".

حينها لم تسعف الذاكرة المعلِّمةَ "أوساكو" بأسماء الطِّفلَيْن "روزماري" و"فريتز"، لتتدخَّل مُنقِذَةً الموقف.

بالرغم ممَّا قيل للطفلين إلَّا أنهما مهما يحدث يتخطَّيان الأمر ويلتزمان الصمت، وتعتلي وجهيهما نظراتٌ صارِمة بهذا اليوم على وجه الخصوص.

"سيِّدتي، تفضَّلي طعامَكِ".

قالها "تينوسوكيه" للسَّيِّدة Stolz حين وجدها تَضَعُ طبقَ الـ "سوشي" على رُكبَتَيْها ولا يمكنها استخدام عِصيِّ الطَّعام.

"أنت لا يُمكِنُكِ أكل ذلك، إن كان لا يروقك اتركيه من فضلك".

قالها "تينوسوكيه".

"هلا، أليس هناك أي شيء آخر يمكن للسيدة Stolz تناوُله؟".

قالها "تينوسوكيه للخادمة "أوهانا" التي كانت تتجوَّل بين الحضور لتقديم الشاي.

"أليس من الأفضل "كيك" أو أي شيء آخر؟ إنها ستأتيك به وتأخذ "السوشي" هذا".

"كلَّا، أنا سآكل...".

قالتها السَّيِّدة Stolz ورفضت أن تأخذ "أوهانا" طَبَقَها.

"أهذا صحيح؟ هل ستأكلينه سيدتي؟".

"نعم سآكل. إني أحبُّه...".

"حسنًا، طالما تحبينه... يا "أوهانا"،أحضِري ملعقةً".

بدا أن السيدة Stolz تُحبُّ الـ "سوشي" حقًّا، وفور ما أخذت من "أوهانا" الملعقة التَهَمَت طبقها بالكامل دون أن تُبقي حتى الفتات.

كانت الفقرة القادمة بعد الاستراحة هي رقصة"يوكي"، التي ستقدمها "تائيقو"، وكان "تينوسوكيه" منذ البداية لا يُلقي بالًا، ويتجوَّل، ويَطلع وينزل السُّلَّم لِعدَّة مرَّات، وكلَّما ظَنَّ أن عليه أن يُرحِّب بالضيوف في الدَّور السُّفليِّ عاوَدَ مرَّةً أخرى وصعد لهم، ودون أن يدخل غرفة ملابسهنَّ.

"هيَّا، لقد حان وقتي".

"إذن ها أنتِ ذا أتمَمتِ استعداداتِكِ".

جلس بالغرفة الواسعة كلٌّ من المصوِّر و"إتسوقو" و"ساتشيقو" حول "تائيقو"، والتي هي أيضًا بدورها كانت تجلس على كرسي، وخشية أن تتَّسِخ ملابسها فرشت على ركبتيها فوطة مائدة، وكانت تزمُّ شَفَتَيْها حتى بدا فمها وكأنه حرف "O"، وتُدخِل به القليل من الأرز المطهو، و"أوهارو" تُمسِكُ لها فنجان الشاي، وبعد كل مرَّة تأكل فيها تأخذ رشفةً من الشاي.

"أنت. كيف هكذا؟".

"أنا للتَّوِّ أكَلتُ بالأسفل... أنتِ يا أختي، هل تستطيعين الأكل هكذا؟ "إن فَرَغَت المعِدَةُ خارت القوى" هكذا يُقال. ألن تؤلمك مَعِدَتُك إن شعرت بالجوع وأنتِ تُقدِّمين الرَّقصات؟".

"فعلًا، ويُقال أيضًا إن هؤلاء الذين يأكلون جيِّدًا بوجبة الغداء يسقطون أرضًا وهم يتمايلون ويدورون بالرقصات. يقول كبار مُمثِّلي المسرح بفن "الكابوكي" لا تأكل شيء مُطلَقًا، والرقص لا يختلف عن التمثيل المسرحي؛ لذلك إن لم آكل كان أفضل".

"أخي... هيَّا... ألن تُجرِّب أن تأكل هكذا. تُدخل القليل لفمك دون أن تلمس شفتيك وتبدو وكأنَّكَ أكَلتَ الكثيرَ".

"أنا منذ البداية مُعجَبٌ بطريقة أكلك الـ "سوشي"".

قالها "إيتاكورا".

"ولِمَ"؟

"لِمَ؟! تفتحين فمك هكذا كهوَّة واسِعَة، وتضعين السَّمَك والكعك، ثم تزمِّين شفتيك بشدَّة هكذا وتأكلين الكثير!".

"ماذا! أتنظر للناس من حيث أفواههم!".

"فعلًا، هذا حقيقي يا أختي"، ورفعت الصغيرة صوتها بالضحكات.

"لقد استَطَعتُ تعلُّمَ أن آكل ولا آكل في نفس الوقت".

"مِن مَن؟".

"المعلِّمة "أوساكو" تُعلِّم كُلَّ مَن يأتيها من فتيات الجيشا... فتيات الجيشا إن وضعن أحمر الشِّفاه يأخذن حذرهنَّ، ولا حتى يُبلِّلن شفاهَهنَّ باللُّعاب، وإن أكلن شيئًا عليهنَّ وضعه بداخل أفواههن بعِصِيٍّ الطعام دون أن يلمس الشفاه. هُنَّ من أوَّل بدايتهن يتدرَّبن على طريقة أكل "الطوفو المجفَّف"، وإن قُلتَ لِمَ الـ "طوفو المجفَّف"

تحديـدًا؟ فهـذا لأنـه يحتـاج لتدريـبٍ كي تشـفط حِساءَه دون أن يسـقط عـلى أحمـر الشِّـفاه".

"لم أكن أعلم أمرًا عظيمًا كهذا من قبل".

وتدخَّل "تينوسوكيه" ليسأله:

"جئتَ يا "إيتاكورا" اليوم للمشاهدة أليس كذلك؟".

"... للمشاهدة، ولكن لالتقاط الصور أيضًا".

"وهل صور اليوم أيضًا ستجعل منها بطاقاتٍ بريديَّة؟".

" كلَّا، لا يمكنني. الأخت الصغيرة نادِرًا ما تظهر لتؤدِّي الرقصات وتُصفِّف شَعرَها لأعلى بالشكل التقليدي الياباني، وأظنُّها تريد فقط الصور التذكاريَّة".

وردَّت "تائيقو":

"وهذه هي مَهمَّته اليوم".

إن "إيتاكورا" يملك متجرًا للتَّصوير ويديره للدعاية والتصوير الفني، ويعلِّق عليه يافطة "إيتاكورا للتصوير"، وهو شمال محطَّة "تاناكا" لخطوط النقل السريع "هانشين". هذا الرجل في الأصل كان عامِلًا حرفيًّا بمتجر عائلة "أوكوباتا"، وقبل أن يُنهي دراسته الإعدادية سافر لأمريكا ودرس تقنيات التصوير في "لوس أنجلوس" لِستِّ سنواتٍ تقريبًا ثم عاد. في الحقيقة تدور حوله الشائعات بأنه لم تسنح له الفرصة ليصبح مُصوِّر أفلامٍ بـ "هوليوود"، وفور عودته من الخارج أراد أن يفتح مَقرًّا لعمله الحالي، وحينها قدَّمه "أوكوباتا" لـ "تائيقو" لأنها كانت تبحث عن مُصوِّر مناسب من أجل الدعاية لمنتجاتها، وأراد "أوكوباتا" أيضًا أن يُسدي إليه صَنيعًا؛ حيث إن العلاقة بينهما كانت برعاية الابن الأكبر لعائلة "أوكوباتا" له، وتقديم يد العون، وكثيرًا ما أقرضه المال أيضًا.

وعليه، فمنذ ذاك الحين وكل صور منتجات "تائيقو" التي بمنشورات الدعاية، والتي أيضًا على البطاقات البريدية المصوَّرة- هي كلها من انتقاء وتصوير "إيتاكورا"، وبمجهوده الخاص؛ وبهذا فهو يتلقَّى طلبات الشغل الخاص بـ "تائيقو"، إضافة إلى الإعلانات، ولأن "أوكوباتا" على عِلمٍ بهذه العلاقة فأسلوبه مع "تائيقو" و"إيتاكورا" بالمثل -وعلى حدٍّ سَواء- فهو من البداية يعتبرها علاقةً بين رَبِّ العَمَل والأجير.

بالطَّبع علاقة "إيتاكورا" بـ "تينوسوكيه" والعائلة جاءت من علاقته بـ "تائيقو"، وتعلمه بأمريكا وتجوُّله في مختلف الأماكن بكل وقت فراغ، إضافة لِكَونه رَجُلًا لَبِقًا- كل هذا جعله الآن يتداخل مع هذه الأسرة دون أن يدري أحدٌ لِمَ، حتى فيما بين الخادمات أيضًا انتشر سِحرُه فهو مثلما يفعل الآن يمازح الخادمة "أوهارو" ويسألها:

"سيدتي هل لك أن تصبحي زوجتي؟".

وقاطَعه "تينوسوكيه" قائِلًا:

"حتى وإن كانت هذه مَهمَّتك إلَّا إنه أنا أيضًا ألتقط الصُّوَر. أليس كذلك؟... هيا فلتلتقط واحدة. أختي الصغيرة، ادخلي في المنتصف واصطفُّوا جميعكم".

"كيف نصطفُّ؟".

"أنت مع السيدات. من فَضلِكِ، اصطفُّوا جميعكم خلف مقعد الأخت الصغيرة... حسنًا... هكذا، بعد ذلك ابنتي. هيَّا "إتسوقو" قفي جهةَ اليمين".

""أوهاروا" هيَّا ادخلي بالصورة معنا"، قالتها "ساتشيقو".

"حسنًا إذن... "أوهارو" تعالي بجهة اليسار...".

"ليت الأخت الكبيرة بطوكيو كانت معنا"، قالتها الصغيرة فجأةً ورَدَّت "ساتشيقو":

"حقًّا... إن أخبرناها لاحِقًا ستحزن".

"لماذا يا أمي لم تخبريها لتأتي؟ ألَا تعلمين بشأن اليوم منذ شهر مضى؟".

" لم أفكِّر هكذا، بل قُلتُ إنها للتَّوِّ عادت لبيتها بالشهر الماضي...".

نظر "إيتاكورا" في عدسة آلة التصوير، ولاحظ أن عينَيْ "ساتشيقو" ترقرقتا بالدموع فجأة، فتراجع بوجهه مندهشًا.زوجها "تينوسوكيه" أيضًا انتبه لذلك في نفس الوقت، ولكن لماذا تبدَّلَت تعبيرات وجه زوجته على حين غِرَّة!

إنها منذ إجهاضها بشهر مارس وهي أصبحت من عادتها بكل مناسبة أن تَنهَمِر دموعها وتتذكَّر جنينها الذي لم يكتمل. أحيانًا تُفاجِئهم بالأمر، وإنما الآن يبدو أنه ليس كذلك، وهو ليس لديه أدنى فكرة!

تُرى، هل كلَّما رأت مظهر "تائيقو" اليوم بردائها وزينتها وهي تجلس على المقعد اجتاحتها مشاعِرُ عميقةٌ وتذكَّرَت الأخت الكبيرة، وهي بيومٍ بعيدٍ منذ زمن ارتدت هذه الملابس ورفعت شعرها لأعلى بنفس الطريقة؟

إن لم يكن هذا ولا ذاك؛ تُرَى، هَل انتابها الحُزنُ حين أمعَنَت التفكير بأن "تائيقو" تتألَّق كما لو كانت عروسًا بليلة زفافها؟ تُرى، متى يأتي هذا اليوم حقًّا ولا يزال لا بُدَّ لـ "يوكيقو" أن تسبقها؟

ظنَّ "تينوسوكيه" أنه ربما كل هذا يدور بخلد زوجته.

على أيَّة حال، فيما بين كل مَن رغب برؤية طَلَّة "تائيقو" اليوم هو شخص آخر، وعلى غير المُتَوقَّع هو "تينوسوكيه"؛ فذاك الرجل يشعر بالأسف من أعماق قلبه.

لكـن إن كان الوضـع هكـذا فمجـيء "إيتاكـورا" لالتقـاط الصـور، ألـن يكـون مـن تدبـير "أوكوباتـا"؟!

وهكذا تبدَّلَت ظنونه دون أن يدري.

""ساطوو""...

نـادت "تائيقـو" عـلى فتـاة جيشـا تبـدو في أوائـل الثلاثينـات مـن العمـر تسـتعدُّ للخـروج بعدهـا عـلى أغنيـة "تشـا أونـدو"((1)*)، وكانـت تقـف بالزاويـة قُبالـةَ الغرفـة أمـام المـرآة الكبـيرة.

"عفوًا، لي طلبٌ عندك".

"ماذا".

"حسنًا، أَيُمكِنُك أن تتفضَّلي معي بتلك الغرفة هناك؟".

فيـما بـين الأربـع أو خمـس راقصـات المتواجـدات اليـوم سـيِّداتٌ شـهيرات يعملـن كمُدرِّبـات رقـصٍ مُعتَمَـدات، ويشـارك أيضًـا اثنـان مـن فتيـات الجيشـا، و"سـاطوو" هـي راقصـة مـن بلـدة "صـو إيـه مـون"، وتحظـى بمَـوَدَّةٍ خاصَّـة مـن المعلِّمـة "أوسـاكو" كمقدِّمـة لرقصـات القـرى الجبليـة.

سألتها "تائيقو":

"لم أرقـص مـن قبـل مُمسِـكَةً بطـرف ردائي، ولا أدري إن كان جيِّـدًا هكـذا؟ إننـي قَلِقَـة للغايـة. هـل تُعلِّمينـني طريقـة مَسـكِه؟".

أجابتها "ساطوو" في همس:

"هذا يعتمد على التَّمايُل في الرقص، هيَّا تمايلي قليلًا قليلًا...".

---

(1) 茶温度: اسم لأغنية شعبية.

قالتها وهي تأخذها قُبالَةَ الرَّدهَة.

بالأسفل اصطفَّ الجميع ليستطيعوا المشاهدة، وكان صوت ضَبطِ نغمات الآلات الموسيقية مسموعًا مثل آلة "قوكيو"[1] و"شاميسن"[2].

ظلَّت "تائيقو" مع "ساطوو" 20 دقيقة بأكملها، وهما تقفان بجوار الباب الجرَّار لغرفة المعيشة، لكن جاءها "إيتاكورا" قائلًا:

"أنتِ. هيَّا فلتُسرعي"، ووقف في انتظارها.

"حسنًا. أنا مُستعدَّة"، قالتها وفتحت الباب وأضافت:

""إيتاكورا"، هيَّا، أمسك هذا الطَّرف".

وجعلته يمسك بطرف الكيمونو، ونزَلَت السُّلَّم ونزل بعدها كلٌّ من "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" والصغيرة "إتسوقو" مع بعضهما البعض، وبمجرَّد أن بدأت الفقرة دخل "تينوسوكيه" بين مقاعد المشاهدين في هدوء، وربَّت على كتف طفل من الأطفال الألمان الذين يشاهدون "تائيقو" على منصَّة الرقص بكل تركيز.

""فريتز" ذاك الشخص هناك، أنا لا أدري مَن هو".

امتعض وجه "فريتز" بشدَّة، والتَفَت بوجهه ليُبيِّن له ذلك، وعلى الفور عاد مُتبَّنًا ناظريه على منصَّة الرقص مرَّةً أخرى.

---

(1) 胡弓 こきゅう: آلة عزفٍ يابانيَّة تقليديَّة بثلاثة أو أربعة أوتار، ويُعزَف عليها بالقوس، وهي ذات صوت وشكل مُميَّز.

(2) 三味線 しゃみせん: آلة عزف تقليدية بثلاثة أوتار، وهي في الأصل آلة صينيَّة.

الفصل الرَّابع

إنه صباح اليوم الخامس من شهر يوليو، وبالضبط بعد شهرٍ بالتمام من الملتقى لتلك الرقصات. بشكلٍ عام، تتزايد كمية هطول الأمطار بهذه السنة منذ شهر مايو مُقارَنةً بالسنين الماضية، وبمجرَّد بدء الفصل المطير والأمطار لا تتوقَّف، وأيضًا منذ حلول هذا الشهر والأمطار تستمرُّ باليومين، لكن منذ فجر اليوم الخامس تزايَدَت شِدَّتُها على حين غرَّة، وأصبح المشهد غائِمًا، لا يسعك رؤية الأمطار الغزيرة تتوقَّف أبدًا.

بعد قرابة اثنتي عشرة ساعةً سجَّل إقليم "أوساكا وقوبيه" وضعًا كارثيًّا لم يتوقَّعه أحد، حيث كان الفيضان هائِلًا. حتى ببيت "أشيبا" كان الوضع ليس أحسن حالًا.

جرت العادة أن تخرج "أوهارو" قرابة السابعة لتذهب بالصغيرة للمدرسة، وبالفعل أخذت استعداداتها للمطر قَدرَ الإمكان، واتَّخذَت طريقها وسط العاصفة الرعدية المطيرة.

كانت مدرسة "إتسوقو" هي ثالث بناية تقريبًا بعد عبور طريق "هانشين" الدولي السريع، وجنوبًا بعد خَطِّ السكة الحديد، وبمكانٍ قريب من ضفَّة نهر "أشيبا"، وعادة ما كانت تعبر "أوهاروا" للجهة المقابلة بأمانٍ وتتركها لتكمل طريقها وتعاود هي، لكن بذاك اليوم بسبب الأمطار الغزيرة أوصلتها "أوهارو" حتى المدرسة وعادت للبيت والساعة تجاوزت الثامنة والنصف.

أثناء عودتها نزلت الأمطار بغزارة، وهرول شباب المجموعات الأمنية للتحذير من المياه؛ فالتفت في طريقها وخرجت عند ضفَّة النهر وعاوَدَت أدراجَها بعدما رأت كمَّ المياه المتزايدة بالنهر. كان الوضع رهيبًا بمنطقة جسر"ناريهيرا باشي".

روت "أوهارو" أن المياه كانت تتدفَّق بشكلٍ مُرعِب وتكاد تطال الجسر، لكن ومع ذلك لم يكن هناك أيَّة تنبُّؤات بالوضع رغم خطورته.

بعدما عادت "أوهارو" ببضع دقائق همَّت "تائيقو" تستعدُّ للخروج، وانتعلت حذاء مطاطيًّا، وارتدت معطفَ مَطرٍ من الحرير المشمَّع بلون الزُّمرُّد.

رغم أن "ساتشيقو" استوقفتها قائِلةً: "هل ستخرجين بذاك الوقت العصيب؟!"، إلَّا أنها كانت بذاك الصباح لن تتوجَّه إلى "شوكوجاوا" كالمعتاد، بل كان يوم الذهاب إلى مدرسة الحياكة التي في "موتوياما".

لم تتوقَّف "تائيقو"، بل مازَحَتها قائِلةً:

"الخروج بالمطر مُمتع، حتى وإن كان غزيرًا إلى ذاك الحَدِّ".

فقط "تينوسوكيه" هو مَن انتظر متريِّثًا، وبينما هو يبحث عن أشياء بمكتبه متردِّدًا، بلغ مسامِعَه الصَّوتُ المزعج لصافرة الإنذار.

بـذاك الوقـت كانـت شِـدّة الأمطـار بلغـت ذروتهـا، وحـين نظـر "تينوسـوكيه" أدرك أن مكانهـم هـو الأكـثر انخفاضًـا، ومـع تجمُّـع ميـاه الأمطـار بالرُّكـن الجنـوبي الشرقـي لحديقـة مكتبـه أصبـح أسـفل شـجرة المشـمش أشـبهَ ببِركَـةٍ مسـاحتها 7م2.

لكنـه لم يُقِـرَّ بَعـدُ أن الوضـع أصبـح غريبًـا، ففـوق ذلـك كلـه المـكان لا يبتعـد كثـيرًا عـن الضفَّـة الغربيـة لنهـر "أشـيًا"، وهـذا أيضًـا لم يجعلـه يستشـعر أن الخطـر بـات وشـيكًا.

لكـن بمـا أن مدرسـة الصغـيرة أقـرب للنهـر منهـم؛ فـماذا إذا انكـسر السَّـدُّ؟ أي منطقـة سـتتهدَّم أوَّلًا؟

تُرى، هل تلك المدرسة الابتدائية بخير حال؟

وهـذا أول مـا تبـادر لذهنـه، لكنـه لم يرغـب في إثـارة قلـق زوجتـه دون داعٍ؛ لذلـك هـدَّأ مـن روعـه، وعـن عَمـدٍ خـرج مـن غرفتـه المنفصلـة هـذه بعـد قليـل مـن الوقـت، وبمجـرَّد أن خطـا خَمسَـةَ أو سِـتَّةَ خطـوات مـن بيتـه أصبـح مُبتَـلًّا بالكامـل.

تسـاءَلَت "ساتشـيقو" عـن سـبب صافـرة الإنـذار، وظنَّـت أنـه بالتأكيـد هنـاك خَطـبٌ مـا هـي لا تدريـه، وأرادت أن تخـرج لـترى مـا يحـدث بالجـوار، ومـا إن ارتـدت معطـف المطـر فـوق رداء الكيمونـو مـن نـوع "ساتسوماجاسـوري"[1]، واتَّجَهـت للبـاب حتـى امتقـع لـون وجـه "أوهارو"، لقـد كان المعطـف مُلطَّخًـا بالوحـل بعدمـا جـاءت مُسرِعَـةً مـن البـاب الخلفـي.

رأت "ساتشـيقو" وَضـعَ الميـاه المتزايـدة. تنبَّهَـت لكـون الإنـذار يـأتي مـن جهـة المدرسـة الابتدائيـة، ودون أن تـدري هرعـت لتلـك الجهـة.

---

(1) نـوع مـن الملابـس يُصنَـع بمنطقـة "ساتسـوما"، وهـي مقاطعـة قديمـة تقـع في محافظـة كاجوشـيما الحاليـة، والتـي تشـتهر بمنسـوجاتها القطنيـة عاليـة الجـودة والنقـوش المميَّـزة.

كانت المياه للتَّوِّ وصَلَت للناحية الشرقية من المنزل وتأتي من منطقة التلال الجبلية مُتَّجِهَةً نحو البحر وتتدفَّق بكل قوَّة وسرعة من الشمال للجنوب. في البداية كانت تنغمس في الماء حتى ساقيها في محاولتها لمواصلة السير جهة الشرق وسط تلك المياه، ثم بعد بضع خطوات غمرت المياهُ رُكبَتَيْها وأوشكت أن تغطِّي ساقيها بالكامل، وصاح بها شخصٌ من أعلى سطح أحد البيوت، وكان يرمقها بنظرات شديدة الغضب ويصرخ بها:

"إلى أين ستذهبين؟ كعادة كلِّ النساء... أفعالكن غير منطقية".

توجَّهَت ساتشيقو بناظرها تبحث عمَّن هُم بزيٍّ مجموعات الأمن والحراسة، ولكن بدا ذاك الوجه مألوفًا بالنسبة لها. إنه الشاب "يا أوتسونيه"، وحين همَّت بسؤاله ما إن كان هو تنبَّهَت لوجود "أوهارو"أمامها، وواصل صياحه:

"هل هذا جنون! أَبِوَسطِ هذه المياه! حتى الرجال لا يمكنهم الخوض أكثر من ذلك؛ فالحَدَث جَلَلٌ قُربَ النهر. لقد تهدَّمَت بيوتٌ ومات أشخاص".

وحاول الشاب أن يلقي على مسامعها المزيد، وقال:

"يبدو أن هناك انهيارًا أرضيًّا جهة فيضان نهر "أشيّا جاوا" و"قووزاجاوا"، ومن جهة الجسر بشمال خَطِّ سكة حديد "هانكيوو" تتدفَّق المياه جارِفَةً البيوت، والصخور والرمال، والأشجار، وكلها تلو بعضها البعض تتكدَّس كالجبال؛ لأن السدَّ يعوق التيار، وبسبب فيضان الأنهار على الضفاف والطُّرق فالوحل يدور في دوَّاماتٍ يصل عُمقُها لثلاثة أمتار في بعض المناطق، والكثير من البيوت يطلب سُكَّانُها الإنقاذ من على الأسطح".

كانت "أوهارو" أكثر ما تقلق بشأنه هو المدرسة الابتدائية؛ لذلك مهما حدث بتلك المنطقة ومهما كانت لا تدري ما آلت إليه الأوضاع

ستذهب، لكن بوجهٍ عام إن كانت أعالي الطريق السريع تضرَّرَت بشكل بالغ فربما بالأسفل قُرب النهر ليس كذلك، والأهم أنه إذا كان الدمار هائِلًا جهة الضفة الشرقية فربما الجهة الغربية ليست إلى ذلك الحدِّ، وربما المدرسة الابتدائية بخير حال.

إن هذا مُجرَّد كلام انفعالي لذلك من الأفضل أن تحاول الذهاب للمدرسة من طريق ما ملتفٍّ، لكن ليس هناك أي طريق لم تُغرِقه المياه بعد مهما التفَّت، وإنما كلما اتَّجَهت شرقًا كلَّما زاد عمق المياه، ولو اقتصر الأمر على العمق فقط لهانت؛ فالمياه تتدفَّق بسرعة، والخطورة ما إذا انزلقت قدمها هنا، حينها ستصطدم بكلِّ ما جلبه الفيضان مُتدفِّقًا من أعلى من أحجار وجذوع أشجار، والأسوأ هو انجرافها حتى البحر. حتى وإن تمسَّكَت بحبال الإنقاذ من مجموعات الأمن تحسُّبًا لخطر الموت وغيَّرَت طريقها، فهيئتها كامرأة ستعوقها، وما باليد حيلة، فمن البداية عليها أن تعود أدراجها. هكذا ظنَّت "أوهارو".

عادت "أوهارو"...

وكلهم عادوا أدراجهم...

على الفور حاول "تينوسوكيه" الاتِّصال بالمدرسة هاتفيًّا، لكنَّه وجد أن الاتصالات مقطوعة، فقال لـ "ساتشيقو":

"إذن سأذهب أنا".

لكن"ساتشيقو" لا تتذكَّر بِماذا أجابته، فقط حين همَّ بالخروج انهمرت الدموع المتجمِّعة بأعيُنِها كلِّها فجأةً، ولحظتها احتضنها زوجها بشدَّة، وهذا كل ما تَذكُره.

استبدل "تينوسوكيه" ملابسه اليابانية بأسوأ ملابس غربيَّة لديه، وانتعل حذاءه البوط المطاطيَّ طويل الرقبة، واعتمر قبعته المضادَّة للماء على معطف المطر وخرج، لكنه بعدما سار عدَّة خطوات ونظر للخلف وجد "أوهارو" وهي تهرول إليه. إنها منذ قليل عادت للمنزل كفأر مُبلَّل مُغطًّى كله بالوحل، لكنها بهذه المرة ترتدي زيَّها برباط الأكمام[1]، وحول خصرها حزام أحمر يشدُّ حاشية ثيابها.

صاح بها "تينوسوكيه":

"لماذا تأتي إليَّ. عودي للمنزل".

لكنها لاحَقَته وقالت له إنه لن يتمكَّن من الذهاب للمدرسة من هذا الطريق، بل عليه التوجُّه جنوبًا مباشرة دون الذهاب جهة الشرق، وتبع "تينوسوكيه" كلامها حتى وصل للطريق السريع.

خاض طريقه جهةَ الجنوب قدر الإمكان، وحين أصبح على مقربة بنايتَيْن من خط سكة حديد "هانشين" اعتبر حاله نجح في الوصول دون أن تطيح به المياه الهائلة المتدفِّقة، لكنه كي يصل للمدرسة يجب عليه أن يقطع الطريق شرقًا.

لحسن الحظ كان الماء بهذه المنطقة عمقه لا يتجاوز ارتفاع حذائه المطاطي، وحين عبر خطَّ السكة الحديد ليقترب من الطريق وجد الماء ضحلًا أكثر على غير المتوقَّع. بذاك الوقت تمكَّن أخيرًا من رؤية مبنى المدرسة في طريقه، ورأى الأطفال يطلُّون بوجوههم من نوافذ الطابق الثاني، والمدرسة ليس بها أي شيء غير عادي، وجاء من خلفة صوت مُفعَمٍ بالسعادة يقول يا للفرحة!

والتفت ليجد "أوهارو" لا تزال تتعقبه وهو لم ينتبه لوصولها.

---

(1) 襷 たすき tasuki.

كان تدفُّق المياه لا يزال كما هو سريعًا، فكان عليه أن يخطو كلَّ خطوة بحذر، وبتسرُّب الماء داخل حذائه البوط ثَقُلَت قدماه وأصبح عليه أن يحترس أكثر، أمَّا "أوهارو" الأقصر قامة منه والتي تلطخ رداؤها بالوحل حتى حزامها الأحمر استخدمت مظلَّتها كعُكَّاز، وتَمَسَّكَت بحوائط البيوت وأعمدة الإنارة وهي بالكاد تجرُّ قدميها وتلاحقه طوال الطريق.

كانت "أوهارو" دائِمًا ما تُهَمهِم بأقوال شهيرة من الأفلام مثل: "يا للفرحة!"، "أي نوع من الأشخاص هذا!"، هكذا لحالها، وتبدي اعجابها أحيانًا، وتثير الريبة حينًا آخر، وتصفِّق بيدها، وهذا كله من ضمن عاداتها والتي تَعجَّب "تينوسوكيه" بشدَّة لظهور أحدها وسط الفيضان بكل مخاطره.

لم تستطع "ساتشيقو" أن تظلَّ هكذا لا تُحرِّك ساكِنًا بعد خروج زوجها، وكلَّما هدأ المطر قليلًا خرجت أمام البوَّابة؛ فمرَّ سائق المرآب المقابل لمحطة "أشيبا" وألقى عليها التحية، وكان أول هَمِّها أن تسأله أوَّلًا عن حال المدرسة الابتدائية. أجابها بأن المدرسة على الأغلب بخير حالٍ ولن يغمرها الفيضان لأنها بمكان مرتفع حتى وإن طالت المياه أماكِنَ أخرى بنفس المنطقة، فهي على الأرجح أكثر مكانٍ آمن، ولو أنه لم يذهب بذاته ليرى.

تنفَّسَت الصعداء بسماعها لذلك الحديث، لكن السائق استطرد:

"كل الأقاويل تؤكِّد أن الوضع بنهر "أشيبا" قاسٍ، ولكن فيضان نهر"سومي يوشي" عنيف لأقصى حَدٍّ. توقَّفَت كل خطوط السكك الحديدية، وكل الطرق أيضًا مقطوعة؛ ولذلك لم يتَّضِح لي الوضع بالضبط، وإنما سَألتُ مَن يأتون سيرًا على الأقدام من جهة الغرب، وقالوا إن الطريق حتى محطَّة "ياماموتو" بخَطٍّ سكة حديد "شووسن"

الفيضان بنفس القوَّة، فالسير مُمكِنٌ على خطِّ السكة الحديد، ولم تَطَلَه المياه، لكن كلما توجَّهت غربًا ستجد التيار الموجِلَ يتدفَّق بعُنفٍ في كل مكان مُتَّجِهًا للبحر، أمَّا عند الجبل فالأمواج العاتية تلتفُّ عَكسيًّا، وتطوي بعضها بعضًا، وتجرف كل شيء تحتها. الناس تنجرف وتصرخ طالبة النجدة وتحاول التَّمسُّك بأغصان الأشجار، ولا يمكن فعل أي شيء لهم".

... مثل هذا الحديث جعل القلق يُداهِمها حيالَ أختها "تائيقو"، وما إن كانت بمأمن. إنَّ مدرسة الخياطة التي تتردَّد عليها ببلدة "ياماموطو" هي جهة الشمال قليلًا من محطة الحافلات التي عند مدرسة "بنات قونان" على الطريق الدولي. إنها ثالث بناية تقريبًا من ضفة نهر "سومي يوشي"؛ لذلك فالحديث الذي دار مع السائق الآن يجعلها بكل الأحوال تتخيَّل أختها وهي وسط بحور من تيارات موحِلةٍ جارِفَة.

قال لها السائق أيضًا إن "تائيقو" حين تذهب لمدرسة التفصيل تخرج سَيرًا على الأقدام حتى "تسوچي"[1]، ثم تستقلُّ الحافلة، وعلى حَدِّ هذا القول فهي بالتأكيد تذهب جهة الطريق الدولي. هو لم يمرَّ من هناك، ولكنه ربما بعد وصولها ازداد تدفُّق المياه هكذا وأصبح الوضع مُقلِقًا عمَّا هو عليه بالمدرسة الابتدائية.

هرعت "ساتشيقو" إلى الداخل مرتبكة ولا تدري ماذا عليها أن تقول، وبكل ما بها من قوة نادت على "أوهارو".

لكن "أوهارو" خرجت خلف زوجها وما زالت لم تَعُد بعدُ. انقلبت ملامح وجهها على الفور كطفلة صغيرة وبدأت في البكاء. اندهشت كلتا الخادمتين: "أوهانا" و"أو أوكي"، وحدَّقتا بوجهها الباكي في صمتٍ،

(1) اسم مكان بمدينة" أشيبا"، في محافظة "هيوجو".

فشعرت بالإحراج قليلًا وهربت من غرفة الجلوس للتراس، ثم نزلت بالعشب الأخضر في الحديقة.

أطلَّت السيدة STOLZ برأسها من على السور السِّلكيِّ ونادت عليها ووجهها ممتَقِعٌ لَونه:

"سيدتي، عفوًا... ماذا فعل زوجك؟ ماذا عن مدرسة "إتسوقو"؟".

"زوجي ذهب ليأتي بها، ومدرستها في الغالب لم تتضرَّر. وأنتِ سيدتي... أين زوجك؟".

"زوجي ذهب ليأتي بـ "بيتر" و"رومي" من "قوبيه"، وأنا في غاية القلق".

منذ بدء أحداث الحرب اليابانية الصينية الثانية[1] وكل المناطق التجارية خاوية، وفيما بين الأطفال الثلاثة لعائلة STOLZ لا يزال "فريتز" صغيرًا لا يذهب للمدرسة، بخلاف "بيتر" و"روزماري" اللذين يذهبان للمدرسة الابتدائية الألمانية التابعة للنادي الألماني بمنطقة التلال الجبلية في "قوبيه".

رب عائلة STOLZ هو أيضًا عمله في "قوبيه"؛ لذلك كانت تراه من ذي قبل يخرج مصطحبًا أطفاله الثلاثة، وأحيانًا يخرج وأحيانًا يبقى، ومؤخَّرًا أصبح يخرج بالصباح ومعه طفلان فقط.

وعليه، فبهذا الصباح أيضًا كان الأب متواجِدًا بالبيت، لكنه راوده القلق على أبنائه، وقال إنه سيذهب ليرى الأحوال في "قوبيه"، وللتَّوِّ خرج وهو بالطبع لا يدري أن الفيضان بلغ ذلك الحد، وكان لا يعلم أيضًا أن خطوط القطارات متوقِّفة، ومن حُسن الحَظِّ أنه لم يصل للطريق. هكذا روت لها السيدة STOLZ وهي في غاية القلق. كانت إجادتها لليابانية ليست أفضل حالًا من أبنائها، وبالرغم من انخراطها

(1) الحرب اليابانية الصينية الثانية 1937 - 1945.

في الحديث إلَّا أن الأمر كان صعبًا عليها، وكانت "ساتشيقو" لتجاريها تَمزِج بحديثها كلماتٍ إنجليزيَّةً غير واضحة لتهدِّئ من روعها وتطمئنها وتلهيها قدر الإمكان، فقالت "ساتشيقو":

" إن زوجك بالتأكيد.. بالتأكيد سيعود بأمان. هذه المياه فقط في "أشيبا" و"سومي يوشي"، وليس بالضرورة أن يكون الوضع هكذا في "قوبيه". "بيتر" و"رومي" بخير حال... أنا حقًّا متأكِّدة من ذلك. قطعًا هُم في أمان".

وبعدما أعادت كلماتها مرارًا وتكرارًا وجعلتها تبتهج قليلًا انصرفت قائِلَةً:

"حسنًا، ألقاك لاحقًا".

قالتها وعادت لغرفة الجلوس، ومن البوابة الرئيسية التي كانت مفتوحة بالفعل منذ وقت قليل مضى جاءت "إتسوقو" برفقة "تينوسوكيه" و"أوهارو".

كالمتوَقَّع، المدرسة الابتدائية التي بها الصغيرة كانت بمأمن وبعيدة تمامًا عن منسوب المياه، أمَّا المناطق المحيطة بها فغمرتها المياه بالكامل، وبملاحظتهم لمنسوب المياه لحظةً بلحظة أوقفوا الحصص الدراسية، وجمعوا التلاميذ كلهم بفصول الطابق الثاني، وحرصًا على سلامة الأطفال جعلوا أولياء أمورهم يأتون بأنفسهم، وبالفعل تمَّ تسليم الأطفال واحِدًا تلوَ الآخر لذويه، ولهذا تساءلت "إتسوقو" نفسها عمَّا حدث ببيتهم دون أن يصيبها الرعب، وبإسراع أبيها و"أوهارو" بالمجيء لها أصبحت هي من أوائل التلاميذ الذين غادروا، فمن بعد "تينوسوكيه" تَتابَع أولياء الأمور لأخذ أبنائهم.

أخذ "تينوسوكيه" ابنته وتوجَّه بالشكر للمدرِّسين ومدير المدرسة، واتَّخذ من نفس الطريق الذي جاء منه سبيلًا لعودته، وكان لوجود "أوهارو" فائِدَة؛ أنها فور رؤيتها لـ "إتسوقو" سالِمَةً بردهة المدرسة

تشبَّثَت بها رغم ملابسها المتَسِخة بالوحل، قائِلَة: "فتاتي الصغيرة"، وجعلت الجميع من حولها تصيبهم الدهشة، وبطريق الرجوع اجتازت تيَّارَ المياه وكأنها تحمي "تينوسوكيه".

ارتفع منسوب المياه حوالي سبعة سنتيمترات عن ذي قبل، واشتدَّت قوة المياه؛ فتوجَّب على "تينوسوكيه" حمل ابنته على ظهره في حَيِّزٍ ضَيِّق، وهنا أصبح المشيُ مَهمَّةً عسيرة مع الحِمل، وكلما جاهد لرفع قدمه حاولت "أوهارو" بجسدها أن تُجنِّبَه قوَّة المياه المندفعة بشدَّة، فإذا لم يَبقَ جَنبًا لجنب معها لما استطاع أن يخطو خطوة واحدة في هذا الوضع الخطير؛ ففي الأماكن العميقة كانت المياه من جهة "أوهارو" تُغرِقها حتى خاصرتيها، وهذا لم يكن من السهل أبدًا.

استمرَّت المياه في الاندفاع من الشمال للجنوب، وأصبحت كل الطرق وكأنها تتَّجِه للغرب فقط؛ ممَّا تطلَّب تركيزًا شديدًا لقَطع الطريق من ناحية لأخرى. قدَّمَت فرق الإنقاذ يَدَ العون ومَدَّت الأحبال للتمسُّك بها، وأذاعت التحذيرات، لكن بإحدى المناطق لم يكن هناك أيٌّ من وسائل الإنقاذ تلك؛ فتمسَّك اثنتاهما ببعضهما البعض بشدَّة، واحتاج استخدام مظلَّة "أوهارو" لمزيدٍ من القوة، وبصعوبةٍ تَمكَّنوا من العبور.

بالرغم من كل هذا، فرحت "ساتشيقو" بسلامة ابنتها، ولم يكن لديها مُتَّسعٌ من الوقت لتُقدِّم الشكر لـ "أوهارو"، أو حتى زوجها، بل قطعت الحديث مع زوجها وهي يبدو عليها الانزعاج، وسألته:

"أنت، ماذا عن أختي الصغيرة؟".

وبدأت في البكاء مرَّةً أخرى.

الفصل الخامس

عادةً ما لا يستغرق مشوار "تينوسوكيه"للذهاب إلى المدرسة الابتدائية والعودة أكثر من ثلاثين دقيقة، ولكن بذاك اليوم استغرق ما يزيد عن ساعة. بتلك الأثناء تناقَلَت أنباء عن فيضان نهر "سومي يوشي"، وعن أن التيار الموحِلَ غرب طريق "تاناكا" الدولي أصبح وكأنه نهرٌ عظيم يكتسح كلَّ ما أمامه، وبدا أن الوضع كارثيٌّ في كلٍّ من: "نويوري"، "يوقويا"، و"أوچي"، وجنوب الطريق الدولي حيث سوق "قونان" أيضًا، واختفى ملعب الجولف وأصبح وكأنه امتدادٌ للبحر، والضحايا من كل أنواع الكائنات الحية، والبيوت المتدمِّرة المنجرفة توضِّح أن أعداد الخسائر هائلة...

على هذا المنوال شاعت الأنباء وكان الوضع غامِضًا، وكل ما وصل لمسامع أسرة "ساتشيقو" دلَّ على الإحباط. لكن "تينوسوكيه" لديه تجربة سابقة مع الكوارث بتواجُدِه وقت الزلزال المدمِّر لإقليم

"الكانتو"[1]، وهو يدري أنه في مثل هذه الأحوال تنتشر الشائعات مليئةً بالتهويل، فضرب ذاك المثل ليهدِّئ من روع زوجته "ساتشيقو" بعدما أصبَحَت في حالة بائسة من قلقها على أختها الصغيرة "تائيقو".

إن وصل إلى خَطِّ السكة الحديد سيتمكَّن من الوصول إلى محطة"موطوياما"، ومنها سيمكنه الذهاب إلى أي مكان يريده، وسيتأكَّد بعينيه ما إن كانت قوة المياه كما يُشاع حقًّا، لكن حتى وإن ذهب بنفسه فماذا عساه أن يفعل!

ماذا إذن وهو لديه شعور بأن الوضع ليس كذلك؟ إنه على دراية بأوقات الكوارث، ويعرف أن مُعدَّل وفيات الأشخاص في الكوارث الطبيعية ليس بكثير، وبخلاف المُتوقَّع، والتفكير بالأمر برُمَّته بنظرة شمولية يبيِّن أنه حتى الحالات التي ليست في حاجة ماسَّةٍ للمساعدة عادَةً ما يتمُّ إنقاذها، إذن فلِمَ القلق؟!

الصراخ والنحيب الآن شيء سابِقٌ لأوانه، ومن الأفضل لـ "ساتشيقو" أن تهدأ وتنتظر عودتها مهما تأخَّرَت دون قلق، وهو لن يخوض مغامرة متهوِّرَةً، وأينما رأى استحالة المضيِّ قُدُمًا سيعود أدراجه. هكذا قال "تينوسوكيه"، وجعل زوجته تُعِدُّ له كُرات الأرز بعناية، مع القليل من مشروب "BRANDY"؛ تَحسُّبًا للشعور بالجوع بمشواره، وأخذ بجيبه بضعة أقراص دواء، وتَفادِيًا لخبرته السابقة مع الحذاء البوط طويل الرقبة انتعل حذاءً عاديًّا وبنطالًا، وخرج مرَّةً أخرى.

ربما المسافة حتى "نويوري"أكثر قليلًا من 2.5 ميل ما إذا سار بمحاذاة خط السكة الحديد.

---

(1) إقليم الكانتو يضمُّ طوكيو والمناطق المحيطة بها، وقد وقع بها زلزال مُدمِّر في الأول من سبتمبر عام 1923، وتضرَّر أكثر من 900 ألف شخص، وراح ضحيته 105 ألف شخص، وكان يُعتَبَر أكبر كارثة في تاريخ اليابان، إلى أن وقع زلزال شرق اليابان الكارثي في 11 مارس 2011، والذي كانت خسائره غير مسبوقة.

كان "تينوسوكيه" يُحبُّ المشي ويعرف جيِّدًا مَعالِمَ تلك المنطقة، وكثيرًا ما يَمرُّ أمام البناية التي بها مدرسة التفصيل والتي هي مبتغاه الوحيد الآن. إذا خرج من خط السكة الحديد العام لمحطة"موطوياما" واتَّجَه غربًا عشر بنايات ثم جنوبًا، فعندما يتفرَّع الطريق سيجد "مدرسة بنات قونان" ومدرسة التفصيل بالجوار في الغرب قليلًا، أمَّا إذا اتجه جنوبًا مباشرة من خط السكة الحديد فسيجد المدرسة بعد بناية واحدة، ولو استطاع الوصول لأي مكان بالجوار من على مسار السكة الحديد سيُمكِنه تَقصِّي حجم الدمار الذي لحق بالمنطقة، حتى ولو لم يصل لمدرسة التفصيل بعينها.

بمجرَّد خروج "تينوسوكيه" تَبِعَته"أوهارو" مرَّةً أخرى بتهوُّرٍ كعادتها، لكنه صدَّها، مُعنِّفًا إيَّاها قائلًا:

"بهذه المرَّة حَقًّا يجب ألَّا تذهبي، ومن الأَوْلَى أن تبقي بالبيت مع "ساتشيقو" والصغيرة؛ فكلتاهما لا يمكن الاعتماد عليه"، وشدَّد على طلبه منها بالبقاء، وخرج متَّجِهًا شمالًا نحو خط السكة الحديد.

لم يَرَ مياهًا بين الأبنية على الإطلاق، فقط من جهة الغابة والحقول التي على الجانبين تفيض المياه، لدرجة أن عُمقَها قد يصل لـ 60 أو 90 سم، وبالخروج من الغابة وصولًا إلى "تانابيه" تنحسر المياه وتتبقَّى فقط بشمال خَطِّ السكة الحديد. أما في الجنوب فكان يومًا كسائر الأيام العادية، لكن كلَّما اقترب من محطة "موطوياما" تظهر المياه شيئًا فشيئًا.

ما زال الوضع آمِنًا على قضبان السكة الحديد، ولم يشعر "تينوسوكيه" أثناء سيره بأيٍّ من الصعاب أو المخاطر تحديدًا، وإنما بين الحين والأخر يصادف مجموعةً من طُلَّاب مدرسة "قونان" الثانوية، فيستوقفهم سائِلًا عن الأحوال هناك، ولم يُجِبه أحدهم إجابةً مثل الآخر؛ فمنهم من قال لا يوجد أي شيء، ومن قال إن الوضع كارثيٌّ عند

محطة "موطوياما" وما قبلها، وأيضًا هناك مَن قال له: "إذا مشيت قليلًا ستجد الطريق كلَّه أمامَكَ أصبح كالبحر"، وحين قال إنه يريد الذهاب غربًا جِهَةَ مدرسة "قونان" أجابه أحدهم إن تلك المنطقة هي الأسوأ على الإطلاق، وأنه وقتما خرج من المدرسة كانت المياه مستمرَّةً في التدفُّق والزيادة، ولَعلَّها الآن غمرت خطَّ السكة الحديد وأغرقت جهة الغرب كلها.

بالنهاية وصل "تينوسوكيه" إلى محطَّة "موطوياما" ورأى بنفسه، وبالفعل كانت قوة المياه هائِلَة بهذه المنطقة، وأراد أن يريح قدميه قليلًا ويدخل مبنى المحطة، لكن كل الطرق أمام المبنى كانت غارقة بالمياه، وداخل المحطة أيضًا المياه تغمره أكثر وأكثر بكل لحظة، ويتراكم أمام البوابات أكياس الرمل والحصير وموظَّفو المحطة والطُّلَّاب، واحد تلو الآخر يأخذ دوره ليزيح المياه من الأركان بمقشَّة. إذا اقترب "تينوسوكيه" أكثر سيتوجَّب عليه أن يأخذ دورًا هو الآخر ويأخذ المقشَّة ويقدِّم المساعدة؛ فالتقط أنفاسه وواصل السير مرَّةً أخرى على القضبان، مُعَرِّضًا ذاته لخطر الأمطار التي اشتدَّت قُوَّتها مرة أخرى. كانت المياه موحِلةً مُتعكِّرَة باللون الأصفر، تشبه للغاية نهر "يانج تسي YANGTZE"[1]، ويمتزج صَفارها بأوساخَ سَوداءَ عالِقَةٍ بداخلها كحبوب الفاصوليا.

خطا "تينوسوكيه" بقلب الماء من بين الحين والآخر، ودقَّق بعض الشيء وتذكَّر أنه أثناء سيره كان فيضان نهر"تاناكا" يتدفَّق مُقتَرِبًا من جسر السكة الحديد، وكلما ابتعد تختفي المياه مرَّةً أخرى عن القضبان، لكن منسوب المياه يرتفع أكثر في الجهتين.

---

(1) اسم نهر بالصين.

توقَّف "تينوسوكيه" وأمعن النظر بما يراه؛ لقد قال له أحد الطُّلَّاب إن المنطقة هناك أصبحت كالبحر، وها هو ذا المشهد كذلك بالضبط أمام ناظِرَيْه.

بمثل هذا الموقف كلمة "عظيم" أو "مبهر" لن تفي بالغرض، فالحقيقة أن أول إحساس انتابه هو الافتتانُ والذهول، فالوضع لا يقتصر على كونه يدعو للدهشة فقط؛ فهذه المنطقة بالكامل والتي هي على المنحدر الجنوبي جهة خليج "أوساكا" على أطراف سلسلة جبال "روكُّو"، وغابات الصنوبر، وجداول الأنهار، وما بها من صفوف بيوت ذات أسقف حمراء غربية الطراز وبيوت عتيقة للفلاحين- من منظوره ستكون بمنأى عن أي شيء، وصافية الأجواء؛ لأنها مرتفعة لن تطالها المياه، وإقليم "هانشين"[1] هو دائمًا مكان مُبهِج للتَّمشية، لكن المشهد تبدَّل تمامًا وجعله يتخيَّل كيفما يكون الفيضان العظيم لنهرَيْ "يانج تسي" و"هوانج هو"[2] بالصين مَثَلًا!

الفرق الوحيد بينهما وبين مياه الفيضان هذه فقط أنها تتدفَّق من منحدراتٍ بقلب جبال"روكُّو"؛ مِمَّا جعل الأمواج عاتِيَةً وعليها رغوة ناصعة البياض ويتطاير رذاذها وتأتي متسارِعةً واحدة تلو الأخرى، وتراها كما لو أنها ماء مَغليٌّ، كله هائج فورانه. بالتأكيد حيثما تتوقَّف الأمواج ستجد البحر وليس النهر.

هذا بخلاف الأمواج العالية المُعكَّرة بالسواد التي حين تصل تصبح بحرًا مُوحِلًا، وخط السكة الحديد الذي يقف عليه "تينوسوكيه" يمتدُّ كما لو كان رصيفًا بحريًّا داخِلًا لقلب ذاك البحر الموحِل، وفي حَيِّزٍ

---

(1) إقليم يضمُّ "أوساكا" و"قوبيه".

(2) النهر الأصفر/HOWANG HO هو ثاني أطول نهر بالصين بعد نهر "يانجتزي YANGTZE" وسادس أطول أنهار العالم. طوله 5464 كم.

قريب ضيِّق للغاية يصبح وكأنه يغرق تحت سطح الماء. العوارض الخشبية للقضبان تبدو وكأنها درجات سُلَّم طافية.

فجأة وجد "تينوسوكيه" اثنين من صغار السلطعون يتقافزان بين خطوات قدميه. إنها تهرب فوق القضبان بعدما أغرقت الأنهار الصغيرة كل الكبار منها.

وعلى هذا الحال أصبح ليس هناك أحدٌ سواه يسير على قدميه، وفكَّر أنه ربما عليه أن يلتفَّ عائِدًا، لكنه وجد مَن يشاركه الطريق من طُلَّاب مدرسة "قونان". إنهم بالصباح يحضرون لساعة أو ساعتين فقط، ثم يبدأ ضجيجهم مُعلِنًا انتهاء الحصص، وبرؤيته لهم يفرُّون لمحطة "أوكاموتو" من كارثة الفيضان أيقن أن الوضع مُريبٌ في "هانكيوو"، ثم بمجيئهم إلى محطة"موطوياما" تأكَّد أن كل محاولاته للذهاب لن تجدي نَفعًا؛ فاستراح قليلًا بالمحطَّة.

الكل ساعد في نزح المياه من داخل المحطة في البداية، لكنَّ تَدفُّقَ المياه كان في تزايُدٍ مُستمرٍّ، وكلَّما مرَّ الوقت أصبح وجودهم غيرَ آمن؛ وانقسم المغادرون إلى مجموعتين، مجموعة ستعود إلى "أوساكا" والأخرى ستتوجَّه إلى "قوبيه"، وقرَّروا أن يسيروا على خط السكة الحديد. كل الجموع كانت من صغار الشباب الأصحَّاء؛ فلم يشغلهم ما قد يواجهون من مخاطر، إلى أن عَلِقَ أحدهم بالمياه وارتفع صوته بالصياح على نحوٍ غريب. تعقَّبهم "تينوسوكيه" ليصل لوجهته هو الآخر. كانوا يعبرون بصعوبة قفزًا على العوارض الخشبية الطافية من قضبان السكة الحديد المعطَّلة، وبالأسفل يتدفَّق الفيضان بعُنفٍ وبسرعة تصيب الناظر إليه بالدوار.

اختفى صوت الأمطار والمياه، وأصبح لا يفهم شيئًا ممَّا يدور حوله.

ومن مكانٍ ما تعالت الصيحات؛ فنظر ووجد بالقرب منه قطارًا متوقِّفًا، ومن نوافذه يُطلُّ تلاميذ من نفس المدرسة برؤوسهم ينادون على الجموع المترجِّلة هنا:

"أنتم... إلى أين ذاهبون؟! كل الأماكن التالية غاية في الخطورة. ليس هناك مكانٌ للعبور... الفيضان هائِلٌ لنهر "سومي يوشي"... تعالوا هنا".

صعدوا لعربة القطار، ومن ضمنهم "تينوسوكيه" أيضًا.

كانت عربة للدرجة الثالثة بقطار سريع، وبخلاف مَن بداخلها من تلاميذ "قونان" كان هناك أيضًا العديد من الأشخاص ممَّن يبحثون عن مكانٍ آمِنٍ، حتى إنه من ضمن الجموع أسرةٌ كوريَّة تجمَّعَت مع بعضها البعض، يبدو أن منازلهم انجرفت، وبالكاد لاذوا بالفرار مذعورين، وكان من بينهم مصابون مُلطَّخون بالدِّماء، وامرأة عجوزٌ، معها خادمتها، وعلى الفور بدؤوا بالتضرُّع وتلاوة الصَّلوات لبوذا.

أيضًا كان هناك رَجُلٌ يبدو أنه تاجِرٌ جائل يحمل الأقمشة على ظهره، وضع جانِبًا اللَّفائِفَ الكبيرة للأقمشة والمنسوجات، والَّتي اتَّسَخَت بالوحل، وظَلَّ يُجفِّف ماعَلَّقه حول خصره من ملابس وغزلٍ صوفيٍّ، ويحاول تجفيف جسده.

نَمَت صُحبَة الطلاب بمزيدٍ من الرفاق، وبدؤوا في الثرثرة وهم بخير حال، وأخرج أحدهم حلوى "الكراميل" ووزَّعها على رفاقه، وكان ينتعل حذاء بوط طويل الرقبة، فخلعه، وقَلَبَه، ليخرج الماء المتَّسِخ والرمال التي ملأته عن آخره، ثم خلع جوربه وحدَّق في قَدَمه البيضاء المتلطِّخة، وبعدها أخذ يعصر ملابسة المبتلة بالكامل ويجفِّف جسده العاري، وشعر بالخجل من أن يجلس هكذا فظلَّ واقِفًا مكانه، أمَّا باقي الطُّلَّاب فكانوا يتناوبون الدَّورَ للجلوس بجوار النوافذ وتَفقُّد ما يحدث بالخارج. انهارت أسقف وانجرف حصير البيوت وعروق

خشبية ودرَّاجات وسيارات تلو بعضهم البعض؛ ممَّا أحدث صخبًا، وبتلك الأثناء صاح أحدهم:

"انظروا! كلب هناك".

"ذلك الكلب ألن يساعده أحد؟".

"ماذا! هو ليس ميِّتًا... أليس كذلك؟".

" كلَّا... كلَّا... لا تزال به الروح، انظروا على القضبان تلك...".

كان كلبًا هَجينًا، من فصيلة "TERRIER"، متوسِّط الحجم، ذيله مُتَّسخ بالوحل، يحاول أن يحتمي بعجلات القطار قدر الإمكان من ضربات الأمطار.

نزل إليه حوالي ثلاثة طلَّاب وجلسوا القرفصاء وهم يرتجفون ويحاولون طمأنته، إلى أن سحبوه ورفعوه للعربة. انتفض الكلبُ بمجرَّد دخوله وهزَّ رقبته دافِعًا بكل الماء الذي على جسده، ثم جاء أمام الصبية الذين أنقذوه وجلس في هدوء ورفع عينيه إليهم بنظرات يملؤها الرعب، وكأنه مندهش ممَّا يحدث. جلب له أحدهم "الكراميل"، وقرَّبها من أنفه، لكن الكلب اكتفى فقط بالرَّائحة ولم يحاول تجربة أكلها.

"تينوسوكيه" أيضًا أغرقت الأمطارُ ملابسه وأصبح يشعر بالبرودة؛ فخلع معطف المطر وسُترته واتَّخذ مقعدًا، وأشعل سيجارته بعدما شرب كأسين من الـ "BRANDY". أشارت ساعة يده للواحدة، لكنه لم يشعر بالجوع بعدُ فلم يفتح لفافة طعامه، ومن مقعده وجَّه ناظريه نحو الجبال، واستطاع أن يرى مبنى "مدرسة موطوياما الابتدائية" في أقصى الشمال غارِقًا والنوافذ المصفوفة بالطابق الأول أصبحت كبوَّابات لسَدٍّ عملاق، وكأنها هي التي تتحكَّم بكمية المياه أمامها وتجعل النهر الموحل الهائل يتقدَّم، لكنه ما إن رأى تلك المدرسة هناك حتى

أدرك مَوقِعَ القطار، واتَّضح له أنه متوقِّفٌ شمال شرق "مدرسة بنات قونان"، وبالكاد يبعد 50 مترًا، وبهذا فمدرسة التفصيل التي ينشدها قد يصل إليها خلال بضع دقائق لو كان بيومٍ عاديٍّ.

بتلك الأثناء بدا على الطلاب بداخل عربة القطار أنهم ليسوا على ما يرام كما كانوا من قبل، وبدأ الوجوم يعتلي وجوههم وكأنَّ لا أحد يستوعب ما يحدث.

هكذا أصبح واقعهم، ليس مزاحًا على الإطلاق، وظهر الاستنكار بأعيُنِ الفتية المُفعَمين بالحيويَّة.

أطلَّ "تينوسوكيه" من النافذة ليرى الطريق الذي أتى منه سابقًا برفقة هؤلاء الطلاب، ووجد أن القضيب الحديدي بينهم وبين محطَّة "موطوياما" غمرته المياه بالكامل، وموقع القطار بدا وكأنه جزيرة لا أحد يدري متى سيُدرِكها الطوفان. على أسوأ تقدير ربما تتموَّج الأرض من تحت القطار وتهتز.

كان ارتفاع جسر خَطِّ السكة الحديد بهذه المنطقة حيثما نظر "تينوسوكيه" قرابة المترين، وكل هذه المسافة الآن تنغمر تحت الماء شيئًا فشيئًا. السيل الموحِلُ يضرب بقوَّةٍ مباشرة، والأمواج تتكسَّر على شاطئ البحر، ويتطاير رذاذها، وسرعان ما ستطالهم المياه؛ فارتبكوا وأغلقوا النوافذ. كان السيل الموحِلُ بالخارج يأتي ليصطدم بآخر، ويَصِلَا معًا لذروة الاندفاع وتدور دوَّامةٌ وتعلو رغوة بيضاء.

فجأة بذاك الحين جاء زوج ساعية البريد يجري مُسرِعًا نحو العربة، مُحاوِلًا الهرب، ثم لحق به وقع أقدام حوالي خمسة عشر شخصًا ممَّن تَمَّ إجلاؤهم، لكن على الفور جاء مسؤول الأمن والسلامة بالقطار وقال:

"يا سادة، من فضلكم توجَّهوا للعربة التالية، المياه طالت العربات التي في مقدِّمة القطار".

وأسرع الجميع، منهم مَن يحمل أمتعةً ومَن يحمل ملابس تركها لتَجِفَّ، وآخر يُعلِّق بذراعه حذاءه البوط. الكل يتحرَّك خارِجًا من العربة.

تساءل أحدهم:

"سيدي مسؤول الأمن، هل يمكننا استخدام الأَسِرَّة؟".

إنهم بعربة نوم الدرجة الثالثة، وأجابه:

"لا بأس في هذه الظروف الآن".

استلقى بعض الطلاب على الأسرَّة، لكن بدا أن الأوضاع ما زالت مضطربة، فقاموا مرة أخرى وأطلُّوا من النوافذ مُحدِّقين في الخارج.

كان صوت انهمار المياه مُدَوِّيًا كالرَّعد، ولو كان بداخل العربة وليس خارجها لَصَمَّ الآذان.

اختلط صوت الجدَّة التي كانت تتضرَّع بالدُّعاء بحماسة من ذي قبل مع صوت أطفال العائلات الكورية الذين انخرطوا في البكاء فجأة.

"ارتفعت مياه الفيضان".

قالها أحدهم، واتَّجه الجميع نحو النوافذ الشمالية يطلون منها.

لم تصل المياه بَعدُ للقضبان أسفَلَهم لكنها طالت حوافَّ الرصيف ووصلت لقضبان القطار المجاور.

"سيدي المسؤول، هل سيكون الوضعُ هنا آمِنًا؟".

تساءَلَت سيِّدَةٌ مَظهَرُها يدلُّ على أنها في الثلاثينات من العمر وتبدو من المقيمين في إقليم "هانشين".

"حسنًا... يبدو أنه من الأفضل لو استطعنا الهرب لمكانٍ أكثر أمانًا، ولكن...".

حدَّق "تينوسوكيه" بهدوء بمقطورة جَرٍّ بالدراجة انجرفت داخل دوامة. إنه حين خرج من المنزل لم تكن لديه نِيَّة خَوْض أيَّة مغامرة، وبالرغم من قوله إنه سيعود أدراجه فور مُصادَفَتِه لأيِّ خَطَر إلَّا أنه بمثل هذه الظروف وهو يرى الدراجة تنزلق ببطء لم يسعه التفكير بخطر الموت مَثَلًا؛ فهو ليس فتاةً أو طفلًا، بل بحالة طارئة كهذه يتبقَّى بداخله نوعٌ من الشعور بالالتزام. وعلى وجه الخصوص، شعر بقلقٍ عارمٍ عندما تذَكَّر أن البناية التي بها مدرسة التفصيل التي ترتادها "تائيقو" هي على الأغلب من طابق واحد، وإن كان يظنَّ أن قلق السيدة التي تساءلت عمَّا قليل تفتقر للمنطق، إلَّا أن الهواجس تجتاح قلبه... أليس كذلك!

تراءت لمُخيِّلته هيئة "تائيقو" وهي تقدِّم رقصة "يوكي" منذ شهر مضى، باليوم الخامس من الشهر الماضي تحديدًا. كم كانت جميلةً ومحبوبة بشكل غريب، ورجع بذاكرته إلى الصُّورة التي التقطها للعائلة بذاك اليوم وهي تتوسَّطها، حينها بكت زوجته دون سبب.

ربما هي الآن على سطح البناية تصرخ طالِبَةً النجدة، وبالرغم من أنها على مسافة أقرب ممَّا بين العين وأنفها، ولكن ماذا عساه أن يفعل! وتُرى كم من الوقت عليه أن يبقى هنا؟ وطالما وصل لأقرب نقطة منها وخاض المخاطر كلَّها؛ كيف له أن يعتذر من زوجته إن لم يصطحبها عائِدًا للبيت! وبدا أمام عينيه وميضٌ خاطف لتبدُّل وجه زوجته بتلك اللحظة من وجهٍ تكسوه مشاعر الامتنان إلى وجهٍ باكٍ بائس، وبينما هو مستغرق في تفكيره بالأمر، ويشاهد ما يدور بالخارج في اهتمام، فجأة حدث ما خلع قلبه من موضعه هلَعًا، حيث تراجَعَت المياه من جهة الجنوب على حين غِرَّة، وانكشفت الرِّمال، وعلى العكس بالجهة الأخرى بالشمال تزايَدَت أكثر وأكثرَ، وتجاوَزَت الأمواجُ حتى القُضبانَ المرتفعة، وضربت شريط السكة الحديد.

"من هنا، هيا، المياه انحسرت بهذه الناحية"، وصاح أحد الطُّلَّاب.

"أهذا صحيح! إذن هيَّا... يمكننا الذهاب".

"هيَّا لنذهب لمدرسة بنات "قونان"".

قفز الطلاب مُتسارِعين للأمام، ثم لحق بهم الكثيرون ممَّن يحملون أمتِعَتَهم بأيديهم ولفائف الملابس على ظهورهم، ومن ضمنهم "تينوسوكيه"، لكنه بنفس الوقت الذي نزل به من على رصيف المحطة وهو لاهٍ في حاله أسرَعَت مَوجَةٌ قويَّة فجأة لعربة القطار من جهة الشمال، وكان للماء صوتٌ مُخيف وهو ينهمر على رؤوسهم وكأنه شلَّال، وانخلعت العوارض الخشبية للقضبان من الجوانب. بالكاد استطاع "تينوسوكيه" الهَربَ من تيَّار السيل الموحل، وذهب لمكان جافٍّ مُرتَفِع عن المياه، لكن دون سابق إنذار انغرست قدماه عميقًا في الرمال، وغرق حتى ركبتيه، وانخلعت فردة حذائه وهو يحاول الخلاص، وما إن أفلت قدميه وخطا بضع خطوات حتى وجد مرَّةً أخرى تيَّار مياهٍ مُحتَدِمًا، عَرضُه يقارب السِّتَّ أقدام، والمترجِّلون أمامه يعافرون للعبور وهم على وشك الانجراف.

كانت قوة ذاك التيار لا تُقارَن أبدًا بوقت أن كان يَعبُر حامِلًا ابنته على ظهره من ذي قبل.

راوَدَته الأفكار السيئة بضع مرَّات...

"انجرفتُ ولا محال"...

"لا فائدة"...

بالنهاية وصل للجهة المقابلة وهو لا يزال عالِقًا بالرمال التي تخطَّت خصره، وكادت تبلغ أكتافَه، وبارتباكٍ شديد تشبَّث بعمود الإنارة، وأمسك به وتسلَّقه بيديه وقدميه.

أصبحت البوابة الخلفية لمدرسة بنات "قونان" أمام وجهه، وعلى بُعدِ عشرة أمتار، وليس أمامه اختيارٌ آخر سوى أن يهرع لهناك، لكن بهذه العشرة أمتار لا زال تيَّار السيل جارِفًا، ويبدو بالنظر كم من الصعب عبوره. كانت ضلفتا البوابة مَفتوحَتَيْن على مصرعيهما، والناس بالداخل يمدُّون له شيئًا أشبه بالمجرفة؛ فأمسك بها، ووجد نفسه انسحب للداخل دون أن يدري كيف حدث ذلك.

الفصل السَّادس

بـذاك اليـوم بـدأت تضعـف قـوَّة الأمطـار بعدمـا تجـاوَزَت السـاعة الواحـدةَ ظهـرًا، لكـن بـدون أي مـؤشِّرات تـدلُّ عـلى قِلَّـة منسـوب الميـاه، وأخـيرًا توقَّفَـت تمامًـا بحـين أصبحـت السـاعة الثالثـة، وبـدأت تنقشـع الغيـوم وتظهـر السـماء الصافيـة في بعـض الأماكـن شـيئًا فشـيئًا.

رأت "ساتشـيقو" أن الشـمس في طريقهـا للظهـور فمـرَّت مـن أسـفل السـتارة الخـوص الحاجبـة للشـمس، وخرجـت للـتراس. لم يكـن هنـاك أي أثـر بـأيِّ مـكانٍ لمثـل تلـك الانهيـارات الأرضيـة والمشـهد يسـوده الهـدوء. عـلى عشـب الحديقـة الـذي يُشـعُّ خـضرةً تراقصـت فراشـتان، وفيـما بـين شـجر الصَّنـدل وزهـور الـ "ليـلاك" حَطَّـت حمامـةٌ في بركـة مـاء وسـط النخيـل تبحـث عـن شيء مـا تلتقطـه.

فقـط توقَّفَـت خدمـات الميـاه والغـاز والكهربـاء، وهـذا طبيعـي بالمناطـق المتـضرِّرة، وإنمـا بهـذا البيـت يوجـد بـئر ميـاه بخـلاف خـطٍّ

المياه العمومي، فكانوا لا يعبؤون باستخدام المياه في أغراض أخرى غير الشُّرب.

توقَّعَت "ساتشيقو" عودة زوجها للبيت مُلطَّخًا بالوحل؛ فأعطت أوامرها منذ قليل بتجهيز المغتسل له.

دعت "أوهارو" الصغيرة للخروج معها لمكان البئر لتشاهد المياه بعدما التزمت الصمت لبعض من الوقت بداخل البيت، وتناهت لمسامعها من الباب الخلفي أصوات خَدَم وخادمات الجيران الذين جاؤوا ينتظرون الدَّور لأخذ الماء، وبتوقُّف المحرِّك الكهربي سمعت أيضًا صرير إنزال الدَّلو وقرقرة المياه يقطعه صوت "أو أكي" و"أو هانا" وهما تتبادلان الأحاديث مع نظائرهما حول ما يشاع عن الأضرار الناجمة.

بالساعة الرابعة جاء لزيارتهم السيد "شوكيتشي"، وهو الابن الذي يرعى بيت العائلة بمدينة "أويه هون"، وكان هو أسرع مَن زارهم. هو موظف بمتجر "تاما چيما" بالبحر الجنوبي، وليس لديه شيء بعينه جِهةَ "أوساكا"، ولم يتخيَّل -ولا حتى بأحلامه- الكارثة التي حلَّت بإقليم "هانشين". لقد صدر بالمساء مُلحَقٌ للصحيفة، عرف منه أن الأضرار جسيمة والخراب هائل بضفاف نهرَيْ "أشيبا" و"سومي يوشي"؛ فأخذ إجازة من الفترة المسائية بالمتجر وقفز خارِجًا، ومهما كَلَّفه الأمر فليَكُن ما يكون، وها هو ذا وصل للتَّوِّ. في طريقه غيَّر وسيلة موصلاته بضع مرات. استقلَّ قطار "هانشين"، ثم استبدله وركب قطار خطوط السكة الحديد الوطنية، ثم حافلة، وأمسك بشاحنةٍ مَرَّة، وسيارة أجرة مرة أخرى، ويخوض عابِرًا تارةً ومُترجِّلًا تارة أخرى، وفعل المستحيل ليوصلوه للأماكن التي ليست بها مواصلات. جاءهم وحقيبة ظهره بها مأكولات مغلَّفة بالرمال، وبنطاله مُشمَّر حتى أعلى ركبتيه وحافي القدمين يحمل حذاءه بيده. لقد داهمه القلق حيال

البيت وما قد يكون حلَّ به بعدما رأى الوضع الكارثي بالقرب من جسر "ناريهيرا باشي". ظلَّ مشهد الدمار بمُخيِّلته حتى وصل ووجد الوضع هادِئًا وكأنه أكذوبة فشعر كم يبدو أحمقَ، لكنَّه في البداية ألقى التحية على "ساتشيقو" بسعادة، وبرؤيته لـ "إتسوقو" عبَّر عن امتنانه للغاية لكونها بخير حال، ومازحها قائِلًا لها كم كانت ثرثارة بالماضي... كل كلامه صاحَبَته تعبيرات وجهه؛ فحينها جعل صوته أخنفَ وكأنه يسدُّ أنفه، ثم بدا وكأنه انتبه للأمر وعاد يحادث "ساتشيقو" قائِلًا:

"اجعليني أَقُم لكِ بأي شيء أستطيع فعله".

ثم سألها عن حال زوجها وأختها مِمَّا جعل "ساتشيقو" تروي له بالتفصيل مخاوفها وكل ما حدث منذ الصباح وكل ما استجدَّ أيضًا.

الآن أصبح قلق "ساتشيقو" أكثر بكثير ممَّا كان عليه بالصباح؛ لذلك استمرَّت في سؤاله عن العديد من التفاصيل، فمَثَلًا ما إن كان فيضان نهر "سومي يوشي" يصل من "متحف هاكوتسورو الفني" وحتى مساكن "نومورا"، وما إن كانت الوديان بعُمقها دُفِنَت كلها بالصخور والرمال ولم يتبقَّ لها أثر، وماذا عن الأشجار العملاقة؟ هل أصبحت كالحطب مكشوطة حتى اللحاء؟ والأحجار الضخمة التي بالمئات على جسر نهر "سومي يوشي" وحتى الطريق الدولي؛ هل تراكَمَت كلها فوق بعضها البعض في أكوامٍ وتعوق حركة المرور؟ وبالقرب منها على بُعد 250 مترًا جهةَ الجنوب، وأمام شقة "قونان" حيث المكان مُنخَفِض عن الطريق؛ هل تنجرف الكثير من الجُثَث إلى هناك؟ هل الجُثَث تَصِلُ جميعها مُلتَصِقة بها الرمال والرواسب ومجهولة الملامح بالكامل؟ وماذا عن "قوبيه"؟ هل توغَّل الفيضان لداخل المدينة، وبالمثل تدفَّقَت المياه لقضبان السِّكَك الحديديَّة وهناك غرقى من الرُّكَّاب للاسف؟

بكل هذه الإشاعات إضافات من التهويل والتخمين بلا شك، لكن فوق كل شيء، وما أصاب قلب "ساتشيقو" في مقتل هو بخصوص الوضع أمام شقة "قونان" وجُثَث الضحايا التي تصل وما إلى ذلك؛ فمدرسة التفصيل التي تتردَّد عليها "تائيقو" هي بالضبط بالمنطقة المحاصرة على الطريق الدولي، وعلى مسافة أقل من 50 مترًا قبالة الشقة التي سألت عنها، وسؤالها عن الجُثَث المنجرفة إلى هناك كان بالضبط بسبب ما يُحكى عن وجود كثير من الموتى بمنطقة "نويوري" والتي هي بشمال المدرسة تمامًا.

الظنون البغيضة لدى "ساتشيقو" لا بُدَّ لها أن تؤخذ على محمل اليقين لما جاءت به "أوهارو" من أنباء بعد عودتها مع الصغيرة سويًا. "أوهارو" أيضًا بالمثل لديها نفس الظُّنون؛ لذلك سألت كُلَّ مَن قابلته عن أحوال الدمار في "نويوري"، ولم يَقُل أيُّ أحد سوى أنه بَلَغَهم أن منطقة الضفة الشرقية لنهر "سومي يوشي" هي الأكثر تَضرُّرًا، والمناطق الأخرى كلها بدأت تنحسر عنها المياه ويَقلُّ منسوبها بشكل ملحوظ، وإنما ليس هناك أيَّة دلائل على ذلك. يُقال إن هناك أماكن وصل بها عمق المياه لأكثر من عشر أقدام.

"ساتشيقو" على يقينٍ بأنه ليس من طبيعة زوجها الإقدام على أي فِعلٍ مُتهوِّر، ولقد قال لها قبيل خروجه إنه لن يخوض أي مخاطر؛ لذلك في البداية لم يَنتَبْها قَلقٌ خاصٌّ حياله، وإنما كلما مَرَّ الوقت ثارت مخاوفها بشأنه هو وليس "تائيقو".

"لا داعي للذهاب إلى "نويوري" إن كان الوضع خطيرًا إلى ذاك الحد، وربما هو سيعود أدراجه من منتصف الطريق... لكن لماذا إذن لم يَعُد للبيت حتى الآن؟! فلتنتظر قليلًا...".

وتَظَلُّ تفكِّر: تُرى، هل أخذته خُطاه لمنطقة خَطِرة؟ أم جرفته المياه؟ أم حدث له أي شيء من هذا القبيل؟

ومرَّة أخرى أخذها الفِكرُ.

إن زوجها لن يُغيِّر ما برأسه، وبدلًا من أن يتَّخِذ حذره سيُصمِّم على الوصول لوجهته التي يقصدها بأي حال من الأحوال، وإن كان طريقه لا رجاء فيه فسيقصد آخر، وسيحاول بكل اتجاه، لكنه ربما أيضًا ينتظر انحسار الماء من أي مكان. أليس كذلك؟

إنه حتى لو نجح في إنقاذ "تائيقو" ووصل لحيثما أراد فمن المنطقي أن عودته سَيرًا على الأقدام بوسط الماء ستستغرق وقتًا، وحتى وإن أصبحت الساعة السادسة أو السابعة فليس بغريب.

هكذا ظلَّت "ساتشيقو" تتأرجح بتخيُّلاتها بين أفضل الظنون وأسوئها، ويبدو أن كفَّة السوء غالبًا ما ترجح.

"وإن كان ليس بالضرورة وقوع مكروه ما وإنما إذا بلغ بك القلق ذاك الحدَّ فدعيني أذهب لأرى وآتيك".

هكذا قال "شووكيتشي" وهو لا يدري ما إن كان سينجح في إيجادهم أم لا، ولكنه يحاول أن يُهدِّئ من روعها وله كل الشكر.

... و عليه، أعدَّ حاله على الفور وأوصلته للباب الخلفي قبيل أن تصبح الساعة الخامسة عصرًا.

في هذا البيت تُطلُّ كُلٌّ من البوابة الخلفية والأمامية على طريق مختلف؛ فظلَّت "ساتشيقو" تلف على أقدامها بين البوابتين، واليوم الجرس لا يعمل، فتركت البوابة الأمامية مفتوحة على مصراعيها وأخَذَت تدور وتلتفُّ من البوابة الأمامية وتدخل للحديقة مباشرة.

"سيدتي...".

أطلَّت بوجهها السيدة STOLZ من على السور السلكي بذاك الحين.

"مدرسة "إتسوقو" بخير حال، واطمأننتِ أليس كذلك؟".

"جزيل الشكر. "إتسوقو" بخير، ولكني بغاية القلق على أختي الصغيرة، ولقد ذهب زوجي ليأتي بها، ولكن...".

وحكت لها "ساتشيقو" مثلما قالت لـ "شووكيتشي" من ذي قبل، وبنفس الطريقة، وكأن السيدة STOLZ تفهمها

"ماذا! حقًّا...

أنا أتفهَّم قَلقَكِ. أنا أتعاطف معك".

وعَقَدَت السيدة STOLZ حاجبيها وهي تُتَهتِه متلعثمة.

"جزيل الشكر، وأنت سيدتي ماذا عن زوجك؟".

" أنا زوجي لم يَعُد بَعدُ، وأنا في غاية القلق".

"حسنًا، هل هو حقًّا ذهب إلى "قوبيه"؟".

"بالضبط على ما أظن... لكن "قوبيه" أيضًا بها مياه، "نادا" أيضًا، "روقو" أيضًا، "أووإيشيجاوا" أيضًا. كلهم مياه مياه مياه... زوجي، بيتر، روزماري؛ كيف حالهم وهم أين!... أنا قَلِقَة جدًّا".

إن زوج هذه السيدة؛ رب عائلة STOLZ هو رجل ألماني مُتَّقِد الذكاء، متناسق البنية كالأبطال الواعدين؛ فمهما واجه من كميات مياه لن يبالي، ولم تفكر "ساتشيقو" في "بيتر" و"روزماري"؛ فهما يتردَّدان على مدرسة جهة تلال مرتفعة وبالتأكيد لم تحلَّ بها الكارثة. إنها فقط كل ما يسعها التفكير به الآن ما إذا كان طريق العودة مُغلَقًا أو ما شابه، ولكنها بالطبع لو بمكان زوجته لتصوَّرَت الكثير من الاحتمالات، ومهما حاولت "ساتشيقو" طمأنتها أجابتها:

"كلَّا، أنا سألت بنفسي. المياه في "قوبيه" هائلة، والكثير والكثير ماتوا".

هكذا كلَّما رأت "ساتشيقو" ذاك الوجه الذي تغمره الدموع عجزت عن التفكير بأي شيء، وبالنهاية أصبحت لا تدري ماذا عساها أن تقول.

"بالتأكيد كل شيء بخير".

"ادعي من قلبك لسلامتهم...".

ليس هناك سوى تكرار مثل هذه العبارات المحدَّدة التي لا تُجدي.

واحترق قلب "ساتشيقو" بالكلمات التي تواسي بها السيدة STOLZ، وإنما بتلك الأثناء رأت قبالة البوابة الرئيسية شخصًا مُصابًا، وأسرع "چوني" عَدْوًا لعلَّه زوج أحدهما، لكن... حينها تسارَعَت ضربات قلب "ساتشيقو"، لكنها رأت هيئته بنظرة خاطفة وهو يقترب نحو البوابة. كان رَجُلًا ببذلة رسمية يعتمر قُبَّعة؛ فسألت "أوهارو" التي نزلت بعد حين من التراس للحديقة:

"مَن".

"إنه السيد أوكوباتا".

"حسنًا...".

كادت "ساتشيقو" أن تفقد صوابها، وبمجيء "أوكوباتا" اليوم للزيارة راوَدَها الشَّكُّ ما إن كان ذلك خدعةً أم هذا هو المعتاد منه! وحتى وإن كان كذلك فكيف لها أن تتعامل معه الآن؟

في الحقيقة، هي منذ آخر زيارة له وهي تتعامل بشكل رسميٍّ قدر الإمكان، لدرجة أنها ترغب أن تلتقيه عند البوَّابة وتَدَعه يعود، وهذا ما تظنُّه الأفضل، وهذا أيضًا ما قاله لها زوجها؛ وإنما اليوم على هذا الحال فربما جاء ليطلب منها الانتظار حتى يطمئنَّ على سلامة "تائيقو".

إن كان هكذا فعليها أن تنتبه وتُنحِّي مشاعرها جانبًا وتُنهي الوضع بحسم، لكنها في الواقع اليوم تحديدًا تريده أن ينتظر ويرى وجه

"تائيقـو" وهـي عائـدة بسـلام. تريـد أن تسـعدهما سـويًّا وبـين الأسرة جميعًـا.

"عفـوًا. إنـه يسـأل عـن الأخـت الصغـيرة ومـا إن كانـت قـد عـادت، وطلـب أن أُخـبِرَكِ سـيدتي بمجيئـه".

إن تفاصيـل علاقتـه بـ "تائيقو" بهـا الأسرار التـي يخفونها عـلى أُسَرتَيْهما فيـما عـدا "ساتشـيقو"، وهـو عـلى عِلـمٍ بذلـك، إلَّا أنـه بـدا غـيرَ مُكـتَرِث وهـادئ، مُتناسِـيًا تمامًـا سـلوكه المتوتِّـر المعتـاد منـه، وذاك مـا سـمعته مـن الخادمـة التـي جاءتهـا بنَـصِّ عبارتـه. إنـه اليـوم فقـط يريـد أن تسـمح "ساتشـيقو" بوجـوده، وهكـذا فكَّـر، وإلى ذاك الحـد كان رهانـه خـاسِرًا، وإن كان مـا يـزال يتبقـى لديـه مشـاعر الحـب.

"بالتأكيد، دعيه يتفضَّل".

واسـتغلَّت ذلـك الاسـتغلال الأمثـل وقالـت للسـيدة STOLZ التـي مـا زالـت تطـلُّ برقبتهـا مـن فـوق السـور:

"عُذرًا... جاءني ضيف".

واسـتأذنت معتـذرة بلُطـفٍ وتوجَّهَـت لغرفتهـا بالطابـق الثـاني لتحـاول أن تـداوي أعينهـا التـي تورَّمَـت مـن البـكاء لِعـدَّة مـرَّات منـذ الصبـاح.

بعـد فـترة مـن الانتظـار نزلـت "ساتشـيقو" لغرفـة الصالـون وجعلتهـم يأتونـه بمـشروب الشـعير المـبرَّد في البـئر بعدمـا توقَّفـت الثلاجـة الكهربيـة عـن العمـل، وتأهَّـب "أوكوباتـا" ونهـض مُسـتعدًّا للقائهـا. كان يرتـدي بنطـالًا مـن الصـوف باللـون الأزرق الداكـن يتناسـق بشـدَّة مـع ملابسـه المهندمـة التـي لا تشـوبها شـائبة. بالطبـع كانـت هيئتـه مختلفـة تمامًـا عـن "شـووكيتشي" الـذي وصـل متلطِّخًـا بالوحـل منـذ قليـل، ولكنـه علـم بتشـغيل خـط السـكة الحديدمـن "أوسـاكا" إلى "أوچـي"، فاسـتقلَّه حتـى

"أشـيبا"، ومـن هنـاك فقـط اتَّخَـذ طريقـه الـذي بالـكاد يتجـاوز العـشر بنايـات سـيرًا عـلى الأقـدام.

كان بطريقـه بعـض الأماكـن التـي لم تنحـسر عنهـا الميـاه بعـدُ، ولكـن ليسـت بالوضـع الخطـير، ومـاكان عليـه سـوى أن يُشـمِّر بنطالـه قليـلًا للعبـور، وإن ابتـلَّ حـذاؤه بعـض الـشيء. هكـذا روى لهـا "أوكوباتـا" وأضـاف:

"عُـذرًا، لقـد جئـت للزيـارة مـرة أخـرى أسرع مـن المعتـاد ولكنـي عرفـت مـن الملحـق الإضـافي للجريـدة الـذي صـدر للتَّـوِّ ولم أعلـم مـن قبل. بـكل حـال مـن الأحـوال مـا كان لهـا أن تخـرج باكِـرًا لمدرسـة الحياكـة بيـومٍ كهـذا... أمازالـت بالخـارج؟ إن كان كذلـك لعلـه خـير...".

لقـد دعته"ساتشـيقو" للدخـول وأصرَّت عـلى بقائـه مـن قلقهـا وبدافِـع رغبتهـا في سـماع الدعـوات بسـلامة أختهـا وزوجهـا وهـي تحـترق مـن الانتظـار وليـس بيدهـا أي شيء لتفعلـه، وظَلَّـت تجلـس حينًـا وتقـف حينًـا آخـر، مُحاوِلَـةً أن تخفـي مـا يـدور بخلدهـا، ولكنهـا بصراحـة إذا نحَّـت نواياهـا الطيبـة جانِبًـا ونظـرت للوضـع مباشرة سـتجد أنـه مـن الأفضـل عـدم خلـط الأمـور بالطبـع؛ ولهـذا ظهـر نَدَمُهـا.

"أوكوباتـا" أيضًـا رغبتـه بمعرفـة أي أخبـار عـن "تائيقـو" لم يُغلِّفهـا الكـذب، وبـدا غـيرَ طبيعـيٍّ ونَمَّـت تعبـيرات وجهـه وأسـلوبه في الحديـث عـمَّا يعتريـه مـن قلـق.

لكـن عـلى "ساتشـيقو" أن تتوخَّـى الحـذر... ألـن ينتهـز مثـل هـذه الفرصـة ليتداخـل بـالأسرة!

وعليـه جـاءت إجابتهـا لـه بـأن "تائيقو"خرجـت ولم تكـن الميـاه وصَلَـت إليهـم، لكـن المناطـق المجـاورة لمدرسـة التفصيـل تلـك هـي الأكـثر تـضَرُّرًا؛ لـذا لم تحتمـل أبـدًا ظنونهـا مـا إن كانـت بخـير أم لا؛ فطلبـت مـن زوجهـا أن يتفقَّدهـا، وكان هـو أيضًـا قَلِقًـا بشـدَّة، فقـال إنـه سـيذهب حيثـما

تستطيع قدماه أن تصل، وخرج بحوالي الساعة الحادية عشرة صباحًا، وقبل ساعة جاءها للزيارة "شووكيتشي" والذي وصل من بلدة "أويه هون" ثم خرج هو الآخر ولم يَعُد أيٌّ منهما بعدُ. هذا كل شيء، وهي في غاية القلق.

بذلت "ساتشيقو" قصارى جهدها لتلقي على مسامعه كلامًا روتينيًّا من ذاك القبيل، واستمرَّت في حديثها بلا هوادة، وأضافت:

"بما أنه الأمر هكذا، فعفوًا، لا يمكنني أن أدعك تنتظر أكثر من هذا. تفضَّل...".

وأقرَّت بخطئها عن طيب خاطر، وتَدارَكَت فِعلَتَها وألقت التحية وانصرفت لغرفتها.

بدا أن الضيف سينتظر بعض الوقت؛ لذا لم تنزل من غُرفَتِها مرَّةً أخرى أو تجعلهم يقدِّمون الشاي أو حتى المجلَّات المتنوِّعة حديثة الإصدار ليتسلَّى بقراءتها مَثَلًا، بل تذكَّرَت الصغيرة التي من طبيعتها الفضول، ومن بين الحين والآخر كانت تأتي للرَّدهة:

"صغيرتي إتسو. تعالي هنا"، وجاء صوتها من الطابق الثاني عبر السُّلَّم.

"إتسوقو، ياااااه لخصالك السيئة، حين وجدت ضيفًا لِمَ تختلسين النَّظَر باستمرار لغرفة الصالون؟".

"إني لم أفعل؟".

"لا تكذبي. أُمُّكِ رأتك وتعلم. لا تقومي بأفعال مُخجِلَة كهذه مع الضيوف".

احمَرَّ وجه "إتسوقو" خَجَلًا، ورفعت ناظريها لأعلى، وهمَّت بالانصراف والنزول للأسفل مرَّةً أخرى.

"ابقي هنا ولا تنزلي".

مكتبة
t.me/soramnqraa

"ولِمَ؟".

"ابقي هنا واستذكري دروسك، لديك حصص بالمدرسة غدًا".

ودون سبب يُذكَر دفعت "ساتشيقو" الصغيرة للداخل وجعلتها تأتي بكتبها المدرسية ودفترها، وبعدما أدخلت عيدان البخور الطارد للناموس تحت المكتب خرجت للشُّرفة وأطالت النظر للطريق لعل زوجها يأتي أو أختها.

فجأة تعالى صوت صرخات الفرح قادم من جهة بيت عائلة STOLZ فنظرت على الفور، ووجدت السيد STOLZ يلتفُّ من جهة الحديقة الخلفية إلى البوابة الأمامية ويلوِّح بيده مُناديًا باسم زوجته:

"هيلدا، هيلدا"...

ولحق به "بيتر" و"روزماري".

تعالت الصيحات بالآهات فظنَّت أن زوجته تحتضنه بالتأكيد وتنهال عليه بالقُبلات.

اتَّخذَت الشَّمسُ طريقها للمغيب، لكن ما زالت الحديقة مُستضاءَة بعض الشيء؛ لذا من بين فراغات أوراق شجر الصندل وسور الأشجار الفاصل استطاعت أن ترى مشهد أحضان كالذي تراه بالأفلام الأجنبية، وما إن ابتعد الزوجان من حضن بعضهما البعض حتى قفز الأبناء "بيتر" و"روزماري"، كلٌّ بدوره.

كانت "ساتشيقو" تنحني مُتَّكِئَة على درابزين الشرفة، ثم بهدوءٍ تَوارَت خلف الباب الجرَّار دون أن يلحظها أحد.

فور ما أفلتت "روزماري" يد أمها جاءت السيدة STOLZ وأطلَّت من على السور في سعادة:

"سيدتي".

وأخذت تنادي على "ساتشيقو" بشكلٍ جُنونيٍّ وهي تحملق بأعينها في كل مكان بالحديقة باحِثَةً عنها.

"سيدتي، لقد عاد زوجي، وأيضًا "روزماري" و"بيتر"".

"كل شيء على ما يرام".

قفزت "ساتشيقو" من خلف الباب الجرَّار للشرفة دون تفكيرٍ، وهرعت إليها "إتسوقو" أيضًا التي كانت تستذكر بالغرفة المجاورة بعدما ألقت بقلمها الرصاص.

""بيتر"... "ماري"... عاش أصدقائي".

"عاش، عاش".

ولوَّح الأطفال الثلاثة بأيديهم لأعلى وأسفل، ورفع الزوجان STOLZ أيديهما بدورهما أيضًا.

"سيدتي".

بهذه المرة كانت "ساتشيقو" هي التي تنادي من شرفتها بالطابق الثاني:

"هل ذهب زوجك إلى "قوبيه"؟".

"إن زوجي وهو بطريقه إلى هناك التقى بـ "بيتر" و"روزماري" وعادوا سويًّا".

"إذن لقد التقوا بالطريق. أليس كذلك؟ يا لحُسن الحظ... "بيتر"".

ولأن اللغة اليابانية للسيدة"هيلدا" بطيئة وضعيفة للغاية؛ توجَّهَت "ساتشيقو" بحديثها إلى "بيتر":

"أنت، أين التَقَيتَ بـ "بابا"؟".

"بالغرب من "طوكو إي" على الطريق الدولي".

"حسـنًا، إذن لقـد ذهبتـم مـن "قوبيـه" إلى "طوكـو إي" سـيرًا عـلى الأقـدام".

"كلَّا، ليس كذلك. لقد استقللنا القطار العام من "سانوميا" إلى "نادا"".

"إذن الخطوط الحديدية تعمل حتى "نادا"".

"بالضبـط. لقـد اصطحبـت "رومـي" مـن "نـادا" إلى "طوكـو إي" سـيرًا إلى أن التقينـا بابـا".

"وبالرغـم مـن هـذا التقيتـما بـ "بابـا" عـلى خـير. مـن "طوكـو إي" إلى هنـا... كيـف وَصَلتُـم؟".

"عـبر الطريـق الـدولي، لكننـا مَرَرنـا بأماكـن ليسـت عـلى الطريـق ذاتـه. سِرنـا فـوق خـط السـكة الحديـد حينًـا، وحينًـا آخـر بأماكـن ليـس بهـا طريـق، والأكـثر مـن ذلـك كلـه مـا عنـد المناطـق الجبليـة...".

"صعب للغاية. ألَا تزال هناك أماكن لم تنحسر منها المياه بعد؟".

"ليس كثيرًا... القليل فقط... بأماكن وأماكن...".

حديـث "بيـتر" أيضًـا لم يَـفِ بالغـرض أو يريـح بالهـا؛ فكيـف وصلـوا، وأي الأماكـن لا تـزال بهـا ميـاه، وكيـف هـي الأوضـاع بالطُّـرُق، وغيرهـا كثـير مـن الأشـياء لم تتَّضِـح بعـد.

لكـن برؤيتهـا للصغـيرة "روزمـاري" المفعمـة بالطفولـة وهـي بسـلامٍ، وبوصـول ثلاثتهـم أيضًـا إلى هنـا أصبـح الأمـر لا يسـتدعي التفكـير بالمخاطِر المُفزِعَـة أو الصعوبـات التـي واجهوهـا، حتـى وإن كانت ملابسـهم مُتَّسِـخة بالوحـل إلى ذاك الحـد، إلَّا أن "ساتشـيقو" لا يـزال زوجهـا لم يَعُـد بعـدُ، والشـك بأعماقهـا متأجِّـج.

إن كانت مثل هذه الطفلة الصغيرة استطاعت بالفعل قَطعَ المسافة من "قوبيه" إلى البيت سَيرًا على الأقدام فكان لا بُدَّ لزوجها وأختها أن يعاودا منذ حينٍ مضى، وغيابهما يجعلها تفكر في وقوع خَطبٍ ما لهما، بل وبالتحديد "تائيقو" هي مَن أصابها مكروهٌ، وبالتأكيد زوجها، ومن بعده "شووكيتشي". استغرقا وقت أكثر من المتوقَّع في البحث ومحاولة المساعدة مثلًا، أليس كذلك؟

"وأنتِ سيدتي، كيف حال أختك وزوجك؟ ألم يعودا بعد؟".

"لم يعودا... رجعت أسرتك بالسلامة، كيف حالهم؟ لقد كنتُ قَلِقَةً بشأنهم"...

وبينما "ساتشيقو" تتحدَّث هكذا اختنق صوتها بالبكاء، ولم يَسَعها فِعلُ أيِّ شيء، لكن السيدة STOLZ اختبأ جزءٌ من وجهها خلف أوراق شجر الـ "بولونيا"، وتوالى صوت عطساتها عِدَّة مرَّات.

بذاك الحين صعدت إليها "أوهارو" وربتت على يدها قائلة:

"سيدتي، السيد "أوكوباتا" يقول إنه هو أيضًا سيحاول الذهاب إلى "نوري"، وطلب مني أن أخبر حضرتك سيدتي".

الفصل السابع

همَّت "ساتشيقو" بالنزول، وكان "أوكوباتا" لا يزال واقِفًا عند المدخل يستند على عصا من الخشب مُطَعَّمة بقطع معدنية يشع بريق لونها الذهبي.

"استمعت الآن لذاك الحديث. إن كانت تلك الطفلة الأجنبية قد عادت فلماذا لم تَعُد بعد "تائيقو""".

"هذا ما أفكِّر به بالضبط".

"مهما كان ما حدث فقد تأخَّروا للغاية. سأذهب لأتفقَّد الأحوال هناك وأعود... أو حسبما أجد الظروف".

"جزيل الشكر. لكن لقد حَلَّ الظلام... ألَا تنتظر هنا قليلًا...".

"ما من شيء أفعله بوجودي هنا. سأذهب سريعًا بدلًا من انتظاري".

"حسنًا إذن".

إن "ساتشيقو" بهذا الموقف الآن عليها أن تتوجَّه له بالشكر، فإن كان هناك مَن يهتمُّ بشأن أختها ويرعاها فليس أحدًا سواه؛ لذلك لم تكن بحاجة لإخفاء دموعها عن ذاك الشاب.

"حسنًا إذن، سأذهب. أختي الكبيرة أرجوكِ، لا داعي لقلقك هكذا...".

"شكرًا جزيلًا. من فضلك انتَبِه لحالك"، قالتها "ساتشيقو" وهي تنزل متوجِّهة للمدخل وسألته:

"عفوًا. هل معك كشَّافٌ يدويٌّ؟".

"نعم، معي".

ومن أسفل القبعة الخوص المقلوبة عند المدخل التقط "أوكوباتا"شيئين في ارتباكٍ، ووَضَع أحدهما سريعًا بجيبه. الشيء الآخر كان الكَشَّاف، وإنما ما أدخله بجيبه كان شيئًا لا يختلف عن آلة التصوير من نوع LIECA أو CONTAX، وشعر بالإحراج من حمله لذاك الشيء بهذا الوقت.

بعدما رحل "أوكوباتا" اتَّكَأت "ساتشيقو" على ركيزة البوَّابة وأطالت النظر مُتأمِّلَةً الغَسَقَ، ووقفت لبعض الوقت لعلَّ زوجها يأتي، ثم عادت ودخلت للمنزل وهي تحاول أن تهدِّئ من توتُّرها، وأضاءت الشموع وألقت بجسدها على مقعد.

جاءت "أوهارو" تخبرها بالانتهاء من إعداد الطعام، وتردَّدَت في سؤالها بعدما رأت وجهها ممتقع اللون، ولم ترغب "ساتشيقو" في المُضيِّ نحو مائدة الطعام أبدًا، رغم ملاحظتها لمرور الكثير من الوقت على موعد العشاء، وأخبرت "أوهارو" أنه لا بأس وهي بخير هكذا، ولتذهب وتطعم الصغيرة، إلا أنها هي الأخرى قالت فيما بعد، وفي الحال نزَلَت "أوهارو" من عندها بغرفتها بالطابق الثاني.

كان من الغريب بقاء الصغيرة "إتسوقو" هادِئةً هكذا رغم انتهاء وقت المذاكرة، وهي التي دائِمًا ما تشعر بالوحدة إن مكثت لحالها بالغرفة العلوية. انها عادة في مثل هذه الأوقات ما تستمرُّ في ملاحقة أُمِّها وإزعاجها، ولكنها الآن تعرف ما ستلقاه من توبيخ عنيف فلم تقترب.مكتبة سُر مَن قرأ

ظلَّت "ساتشيقو" على حالها قرابة نصف الساعة دون أن تهدأ. إنها فكَّرَت بشيء ما جعلها تصعد للأعلى، ولم يكن هناك صوتٌ لـ "إتسوقو"، فدخلت غرفتها وأضاءت الشمعدان، وبأسفل إطار فتحات التهوية والإنارة[1]مكثت تتأمَّل الصور الأربع المعُلَّقة واحدة تلو الأخرى كما اعتادت أن تفعل دائمًا.

إنها الصور التي التقطها "إيتاكورا" لأختها وهي تؤدِّي الرقصات بالخامس من الشهر الماضي.

في ذلك اليوم كانت عدسات "إيتاكورا" مُوجَّهةً باستمرار نحوها طوال فترة تقديمها للرقصات، وبالمساء قُبَيلَ خلعها لهذه الملابس طلبت أن تقف وخلفها الحائل القابل للطَّيِّ ذو النقوش الذهبية ليلتقط لها عدَّة صور مرة أخرى بأوضاع مختلفة.

اختارت "تائيقو"بنفسها من بين الكثير من الصُّوَر التي تَمَّ تحميضها الأربع صور هذه لتكبيرها، وهي الصور التي تمَّ التقاطها لاحِقًا بناء على طلبها الخاص، وحين التقطهم "إيتاكورا" تَطلَّب منه الأمرُ مجهودًا كبيرًا بسبب تأثير الإضاءة والصَّخب المحيط، لقد كانت متحمِّسةً للغاية في أدائها للرقصات بشكل مثير للدهشة، وظلَّ "إيتاكورا" مُتذكِّرًا العبارات والتَّمايُلات ليطلبها ذاتها أثناء التقاط الصور.

---

(1) هناك نوع من النجارة موجود بالعمارة اليابانية يُسمَّى: RANMA 欄間، وهو يوفِّر فتحات بين السقف لغرض الإضاءة والتهوية والديكور.

بهذا يمكن اعتبار هذه الصور تُحَفًا فنِّيَّة فريدة من نوعها لـ "إيتاكورا"، و"ساتشيقو" هنا الآن تسترجع بوضوحٍ غريب الكلماتِ والنَّظرات والحركات... وكل ما قالته وفعلته "تائيقو" بعفويَّة بذاك اليوم. لقد أدَّت حينها بالرقصة الافتتاحية رقصة "يوكي 雪"، والتي قدَّمتها بغاية المهارة. لم يكن ذلك شعور أختها فقط، بل مُعلِّمتها "أوساكو" أيضًا أشادت بأدائها، وهذا بالطبع بفضل مجهودها المتفاني الذي قدَّمَته بمجيئها يوميًّا من مسافة بعيدة لتدريبها، وإنما إضافةً لذلك فـ "تائيقو" تتدرَّب على الرقص منذ نعومة أظافرها؛ مِمَّا جعل عضلاتها مَرِنَةً بشكل طبيعي، ولعل هذا ما يجعلها الأفضل، وهذا ما تظنه "ساتشيقو". إن دموعها قريبة ومشاعرها جيَّاشة، وبذاك اليوم حين شاهدت رقص "تائيقو" ورأت مدى براعتها لم تتمالك نفسها من البكاء، ومشاعرها الفيَّاضةحينها تتدفَّق الآن مرة أخرى وهي تشاهد الصور...

لقطات لتمايُلاتها بالرقصات وهي تضمُّ أيديها على الأنغام، وحين تفتح المظلَّة وتضعها خلفها، وعندما تنحني بخصرها لليسار مُتَّكِئةً على ركبتيها، ووقتما تضمُّ أكمامها على بعضهما البعض وتميل بعنقها... تبادر لمخيِّلتها كلمات الألحان، وأكثر مقطع تُفضِّله:

"رنين الأجراس يختفي في ثلوج السماء البعيدة".

بوقت التدريب كانت "تائيقو" تؤدِّي كل تلك الحركات على عزف مُعلِّمتها، وكانت تشاهدها "ساتشيقو" بكل مرَّة، ولكن هذه هي الأقرب لقلبها؛ فهيئتها بذاك الرداء وهندمة شعرها جَعَلتها مُبهِرَةً أكثر من مرات التمرين.

لم تَدرِ "ساتشيقو"لِمَ تحبُّ ذاك المقطع تحديدًا، ربَّما لأن "تائيقو" المعتادين عليها وهي تتبع أحدث صيحات الموضة لا تظهر به على الإطلاق، وتظهر أختها بهيئتها اليابانية الأصيلة. إن "تائيقو" تُمثِّل الابنة

المعاصرة التي تفعل ما يحلو لها دون الأخذ في الاعتبار ما سيظنه الآخرون، وهي مغامِرَة ومُفعَمَة بالحيوية، حتى إنها هي الوحيدة التي غيَّرَت لون شعرها فيما بين الأخوات الأربعة، لكن أداءها للرقصات أعلن عن وجود الابنة اليابانية المهذَّبة الأصيلة -والتي هي محبوبة وجميلة- بمعنى مختلف عن ذي قبل؛ فملامح وجهها تختلف حين تعقص شعرها المنسدل دائمًا، وتضع مساحيق التجميل على النمط التقليدي، وتتلاشى طبيعتها المفعمة بالحيوية والشباب، ويظهر عليها جمال السيدات بمنتصف العمر؛ تماشيًا مع عمرها الحقيقي؛ فهي لديها طابع مميَّز.

منذ شهر بالضبط التُقِطَت لها هذه الصورة بمظهرها ذاك المثير للإعجاب، وعلى ما يبدو هواجسها المشؤومة حينها لم تكن صُدفَةً؛ فبذاك اليوم حين توسَّطَت "تائيقو" الصورة مع "ساتشيقو" و"تينوسوكيه" و"إتسوقو" كان ذلك لتظلَّ الصورة ذكرى مخيفةً.

تذكَّرت "ساتشيقو" حينها عندما رأت "تائيقو" بثياب أختهم الكبيرة وكادت أن تنهمر دموعها وفضَّلَت ألَّا تُعبِّر عن مشاعرها... تُرى، هل ستصبح هذه الصورة آخِرَ ذكرى لتألُّقها، وستضيع سُدًى آمالها في رؤيتها عروسًا بمثل هذا الرداء؟!

غرقت في مثل تلك الأفكار المُنهِكَة، واستغرقت في تأمُّل الصور حتى أصبح الأمر وكأنه نذير شؤم، ثم توجَّهَت بناظريها للأرفف الأخرى حيث الدمى التي صنعتها "تائيقو" مُؤخَّرًا.

منذ حوالي 3 سنوات تَردَّدَت "تائيقو" على مسرح الجيل السادس لفن الكابوكي في أوساكا مع الكهنة البوذيين، وبذاك الحين تحديدًا شاهدت رقصات الجيل السادس، وها هي تجعل جسد هذه الدمية يبدو كتذكيرٍ حيٍّ لإحساس الجيل السادس، وإن كانت جعلت ملامح

وجههـا لا تشـبههم، إلَّا أنهـا تمسَّـكَت بالعـادات وشـكَّلتها بمهـارة... يـا لموهبتهـا!

ترى هل هي الأسوأ حظًّا؟

إنهـا وُلِـدَت بأواخـر عهـد أخواتهـا الكبـار بالطفولـة، لكنهـا أكثرهـم درايـة بشـأن الحيـاة، حتـى إنهـا تُعامِـل أخواتهـا الكبـار وكأنهـم هـم الصغـار وليسـت هـي، ولطالما كانـت "ساتشـيقو" تفضِّـل أن تنـأى بنفسـها جانبًـا بعيـدًا عنهـا، بـل وتتحاشـاها بشـتَّى الطـرق، وإن كانـت تـرى حالها يُـرثَى لـه عـن "يوكيقـو"، وهـا هـي تتمنَّـى لـو أنهـا لم تفعـل، ومـن الأن فصاعِـدًا سـتفكِّر بشـأنها بالمِثـل كـ "يوكيقـو".

بالطبـع لم يكـن هنـاك داعٍ أبـدًا لتنقلـب الأمـور بشـكل فجـائي هكـذا لـكي تنتبـه "ساتشـيقو"؛ فـكل مـا ترجـوه الآن أن تعـود بسـلام، وهـي سـتقنع زوجهـا بـأن يدعهـا تسـافر كـما تشـاء، وأن تبقـى مـع "أوكوباتـا" أيضًـا.

غربـت الشـمس تمامًـا بالخـارج، وسـادت عَتَمـةُ الليـل بـدون إضـاءة المصابيـح الكهربيـة،وكان نقيـق الضفـادع مسـموعًا مـن الأماكـن البعيـدة. فجـأة ظهـر ضـوءٌ مـن بـين أوراق الأشـجار بالحديقـة، وأطلَّـت "ساتشـيقو" مـن الشُّرفـة لـترى؛ فوجـدت عائلـة STOLZ أضـاءت الشـموع بغرفـة الطعـام، وتداخَلَـت أصـوات ثرثرتهـم العاليـة، وكان صـوت "بيـتر" و"روزمـاري" مسـموعًا. إنهـم جميعهـم الآن حـول مائـدة الطعـام مُكتَمِلـو العـدد: الأب، الابـن، الابنـة... كلٌّ بـدوره يَقـصُّ عـلى الأم مغامراتـه.

أمَّـا "ساتشـيقوا" فحتـى مشـهد عشـائهم السـعيد عـلى ضـوء الشـموع لم يبعـث بهـا الأمـل، بـل لا يـزال يتملَّكهـا القلـق.

أخيرًا سمعت صوت وقع خطوات "چوني" وهو يجري على العشب هاتِفًا:

"عَودًا سالِمًا".

وتعالت صيحات "إتسوقو" من الغرفة المجاورة:

"هه... لقد عادوا".

ورَدَّدَتها "ساتشيقو" أيضًا، ونزل اثنتاهما الدَّرَج بلمح البَصَر.

ساد المكانَ الظَّلامُ الدامس؛ فلم تستطيعا التَّمييز بوضوح.

"عُدنا".

قالها "شووكيتشي" ومن بعده زوجها؛ فسألتهم "ساتشيقو" على الفور:

"وأختي؟".

"و"تائيقو" أيضًا، ها هي معنا"

أجابها زوجها سريعًا، ولم يأتِ الرَّدُّ من "تائيقو"؛ فصاحت:

"ماذا حدث... ماذا حلَّ بكِ أختي؟".

تسمَّرَت "ساتشيقو" بمكانها على المدخل، ومن خلفها "أوهارو" مُمسِكَة بالشمعدان.

أضاءت تمايُلات لَهَب الشموع قليلًا بَعضَ أرجاء المكان، لكن لا زالت "ساتشيقو" لا تستطع الرؤية بوضوح.

وقفت "تائيقو" وهي بالكاد تفتح عينيها، وثيابها مختلفة تمامًا عمَّا كانت ترتديه في الصباح.

"ساتشيقو...".

قالتها "تائيقو" بصوتٍ مُرتَجِف تملؤه المشاعر، وفي الحال فقدت وعيها وترنَّحَت عند المدخل، وفجأة بدأ البكاء والنحيب.

"ماذا بك أختي، هل أُصِبتِ؟".

"كلَّا لم تُصَب"، وأجابها مرَّةً أخرى زوجها وأضاف:

"... عانت بشدَّة، لكن "إيتاكورا" أنقذها".

"إيتاكورا!".

التفتت "ساتشيقو" تنظر خلفها ولم تَجد "إيتاكورا" هنا.

"إنه ذهب ليأتي ببعض الماء من الدَّلو".

غطَّى الوحل"تينوسوكيه" بالكامل، من رأسه حتى أخمص قدميه، وقدماه عاريتان في قبقاب، والقبقاب وقدماه وحتى أظافره كُلُّها بلون واحِدٍ، مصبوغة بلَونِ الوَحل... فتُرى؛ ماذا حلَّ بحذائه؟!

الفصل الثامن

إن تفاصيل المأساة التي خاضتها "تائيقو" كما رواها "تينوسوكيه" لزوجته بتلك الليلة تتلخَّص في خروجها بالصباح لمدرسة التفصيل قُبَيلَ عودة "أوهارو" من الخارج؛ فهي خرجت في السَّاعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة تقريبًا واستقلَّت الحافلة من محطَّة "تسوتشي" على الطريق الدولي كما اعتادت أن تفعل. بذاك الوقت كانت الأمطار غزيرةً، ولكنها كانت بالفعل في الحافِلة، ونزلت منها أمام "مدرسة بنات قونان" كما تفعل دائِمًا، وعبرت من بوَّابة مدرسة الحياكة التي تُعتَبر امتدادًا لذاك الطريق في حوالي الساعة التاسعة.

كانت المدرسة كسائر مدارس التدريب الخاصَّة التي لا تبالي بما يتوجَّب فعله في مثل هذا الطقس السيئ، لكن تزايَدَت أعداد الغياب بسبب حالات الهَلَع لدى البعض من اندفاع المياه، ولاحِقًا أبلغوا الحضور بأن اليوم إجازة بسبب أن البعض لا يستطيع الوصول.

بـدأ الحضـور في الانـصراف، وانتهـزت الفرصـة السـيدة "تامـا أوكي" لتدعـو "تائيقـو" لـشرب القهـوة سـويًّا ببيتهـا في الجـوار. إنهـا أكـبر مـن "تائيقـو" بحـوالي ثمـاني سـنوات، وبيتهـا مُكـوَّن مـن طابـق واحـد عـلى الطـراز الأسـباني الأنيـق، وحديقتـه ممتـدَّة حتـى المدرسـة، وبمجـرَّد أن تجاذَبَتَـا الحديـث قليـلًا أصبَحَتَـا هنـاك.

لقـد تـودَّدَت إليهـا "تائيقـو" ورغبـت في ألَّا تجعـل العلاقـة تنتهـي عنـد حـدِّ المعلمـة وتلميذتهـا؛ لذلـك دعتهـا السـيدة "تامـا أوكي" لمنزلهـا واسـتضافتها، وشـاورتها "تائيقـو" بشـأن السـفر إلى فرنسـا؛ فالسـيدة "تامـا أوكي" درسـت بباريـس لعـدَّة سـنوات، وتتوفَّـر لديهـا الخـبرة، ونصحـت "تائيقـو" بشـدَّة بتجربـة الذهـاب لهنـاك ولـو لمـرَّة.

أشـعلت السـيدة "تامـا أوكي" الموقـد الكحـولي لإعـداد القهـوة أمـام أعينهـما وهـي تأخـذ عـلى عاتقهـا مَهمَّـة تعريفهـا بالأمـر، وبتلـك الأثنـاء اشـتدَّ هطـول الأمطـار عـلى نحـوٍ مُخيـف؛ فنصحـت "تائيقـو" ألَّا ترحـل بهـذه الأجـواء، ووقتـما تهـدأ حـدَّة الأمطـار سـتخرج هـي الأخـرى معهـا.

قرابـة السـاعة العـاشرة جـاء ابنهـا "هيروشي"مقطـوعَ الأنفـاس، فسـألته أمُّـه عـن مدرسـته وأحـوال الطرقـات، فاليـوم انتهـت محاضرتهـا خـلال سـاعَةٍ، وبقيَّـة اليـوم تـمَّ اعتبـاره إجـازة، وجـاءت التنبيهـات بسرعـة الانـصراف قُبَيـلَ تزايُـد الميـاه وقُبَيـل أن تصبـح طـرق العـودة محفوفـةً بالمخاطـر. أجابهـا ابنهـا أنـه اتَّخـذ طريقـه سَـيرًا عـلى الأقـدام، ولكـن سرعـان مـا لاحقتـه الميـاه فبـدأ يعـدو بعـزم مـا فيـه مـن قـوَّةٍ قبيـل تَمَكُّنها منـه، وأثنـاء حديـث الصبـي "هـيروشي" تناهـى لمسـامعهم صـوتٌ عنيـفٌ، حيـث اقتحـم سـيلٌ جـارِفٌ مـن تيـار الميـاه الموحلـة حديقـةَ المنـزل، وبـدا جَليًّـا أمـام أنظارهـم مـدى ارتفاعـه عـن مسـتوى سـطح الأرض؛ فأسرعـت السـيدة"تاماأوكي" في ذُعـرٍ وأحكَمَـت إغـلاق ضلفتـي البـاب، لكـن باغتهـم صـوتُ ضجيـج مـن الرَدهـة بالجهـة المقابلـة وكأنـه دويٌّ لأمـواج البحـر.

لقد تدفَّق الماء لداخل الغرفة من الباب الجانبي الذي أتى منه الفتى.

ظلَّ ثلاثتهم يحاولون إحكام غلقِ ضلفتَيْ الباب وصَدِّه بأجسادهم، إلَّا أن قوة المياه تغلَّبَت عليهم ودفعتهم، وباءت كل المحاولات بالفشل، وهشَّمَت المياهُ البابَ ساحِقةً إيَّاه وصدمتهم بشدَّة. تعاونوا هم الثلاثة لكبح جماح المياه المندفعة، وجلبوا المنضدة والمقاعد، وغيره، وبالنهاية وضعوا مقعدًا وثيرًا قبالة ضلفتَيْ الباب، وعليه جلس الصبي القرفصاء، لكنه سرعان ما بدأ في الصياح عاليًا، حيث انفتح الباب فجأةً، والمقعد الوثير بدأ يطفو فوق الماء والصبي كما هو فوقه.

كان الوضع مُريعًا.

تذكَّرَت السيدة "تاما أوكي" أن عليهم الإسراع بإخراج جهاز مُشغِّل الشرائط الكاسيت من الخزانة كي لا يبتلَّ، ووَضعه على رَفٍّ عالٍ، لكنه ليس هناك أيَّة أرفُف بالقرب؛ فوضعوه فوق البيانو، والذي تراكمت الأشياء عليه واحدًا تلو الآخر. في تلك الأثناء تزايَدَت المياه حتى بلغت خصرهما، والمنضدة ذات الثلاثة مقاعد وطقم إعداد القهوة الزجاجي وعلبة السُّكَّر وزهور القرنفل وغيرها من الأشياء التي بداخل الغرفة هنا وهناك- كُلُّها ارتطَمَت بالجدار، وبدأت تطفو.

نادت "تاما أوكي" على "تائيقو" لترى ما لو كانت العرائس لم تتلَفْ بعدُ؛ لتضعها على رفٍّ المدفأة؛ فهي كانت تعتني بالعرائس الفرنسية التي صنعتها "تائيقو". كانت الدُّمى بخيرٍ، لكن لا يمكن لأحد الوصول إليها بأي طريقة.

حتى تلك اللحظات كانوا لا يزالون يثرثرون هكذا، غير عابئين بالأمر، ودون أخذه على محمل الجدِّ.

مَدَّد الصبي "هيروشي" جسَدَه ليمسك بحقيبة المدرسة قبل أن تجرفها المياه، فضرب المذياعُ الطافي على سطح الماء رأسَه، وصرخ الصبي من الألم، وضحكت عليه "تائيقو" وصديقتها وهو يمسك

برأسه، ومضت قرابة نصف الساعة في ضوضاء بتلك الأجواء، لكن في لحظة -وعلى حين غِرَّة- تبدَّل الحال، والتزم الجميعُ الصَّمتَ، واعتلت وجوههم نظراتٌ جادَّة، وكأنهم اتَّفقوا معًا، حيث فجأة تنبَّهَت "تائيقو" لكون الماء بلغ ارتفاعُه صَدرَها؛ فأمسكت بالستائر والتصقت بالجدار، ولكن ربما كان ذلك الضَّرَر الأكبر. لقد سقط إطارُها فوف رأسها، وطفا أمام أعينها.

وها هو ذا تمثال "الطفلة رييه قو" للفنان "كيشيدايوسي"[1] -والذي يُعَدُّ كنزًا ثمينًا- تبتلعه المياه هو الآخر، ويطفو حينًا ويغرق حينًا، إلى أن انجرف لزاوية الغرفة، وليس أمام "تائيقو" ورفيقتها سوى مُلاحَقَته بنظرات تملؤها الحسرة.

""هيروشي"، هل أنت بخير؟".

هذه المرَّة اختلفت نبرةُ صوت أمِّه تمامًا.

"نعم".

وهي كلمة واحدة بالكاد نطقها الصبي وهو لا يستطيع أن تطال قدماه الأرض، فقفز على البيانو.

تذكَّرَت "تائيقو" مشهدًا من الفيلم الأجنبي "المحقِّق"، الذي شاهَدَته في صِغَرِها، والبطل يُقذف فجأة في غرفة تحت الأرض مُغلَقَة بإحكام من الجوانب الأربعة كالصندوق، والماء يغمرها أكثر وأكثر بكل لحظة، والمحقِّق جَسَدُه يغرق بالماء شيئًا فشيئًا...

---

(1) قطعة فنية ذات تأثير استثنائي للفنان الرسام "كيشيدا يوسي"، تَمَّ تجسيدها في كثير من اللوحات الفنية، وصورتها محفورة في أذهان اليابانيين، والقطعة الأصلية موضوعة بمتحف "طوكيو" الوطني ضمن كنوز الممتلكات الثقافية، حيث يتجسَّد بها جَمالٌ فريدٌ من نوعه، يختلف عن النمط المتَّبَع بعصر النهضة، حيث اتَّسَمَت بالواقعية والتفاصيل المعبِّرة. تتابَعَت سلسلةُ الطفلة "رييه قو" لوصف ابتسامتها وتصفيف شَعرها وحملها للكعكة بيدها، وتمَّ تشبيهها بالفن المصري من حيث صبغة الألوان.

بذاك الحين ظَلَّ كلٌّ منهم بموضعه بعيدًا عن الآخر: الصبيُّ بجهة الشرق فوق البيانو، "تائيقو" جهة الغرب عند ستائر النافذة، والسيدة" تاما أوكي" تستند على طاولَةٍ سَحَبَتها لمنتصف الغرفة ثم قفزت فوقها.

استشعرت "تائيقو" الخطر وهي لم تَعُد تطال الأرض. تمسَّكَت بالستائر وهي تتحسَّس بأقدامها وتبحث عن سُلَّم أو ما شابهه، ولحسن الحَظِّ وجدت أحد مقاعد المنضدة فأسقطته على جانبه وصعدت فوقه. أدرَكَت ذلك فيما بعد، فحينها كانت المياه موحِلَةً وكثيفة، يغلب عليها الرواسب والرمال. لقد استغلَّت تأثير قوة الدفع واستطاعت أن تتشبَّث بالأشياء، فحين تراجَعَت المياه تَبيَّن عكس المُتَوقَّع؛ فلقد كانت كل الأشياء من منضدة وكراسي وغيرها مغمورَةً بالوحل بِشكلٍ يجعلها لا يمكنها الحراك من مكانها. البيت أيضًا من داخله ملأه الوحل عن آخره إلى حدِّ الانسداد، وكان عليهم تفادي الانجراف والانهيار بنفس الوقت. خطر ببالهم محاولة الهروب خارج الغرفة أو تحطيم النوافذ، ولكن حين تفحَّصَت "تائيقو" الوضعَ بالخارج وجدت أن كل شيء هناك انقلب رأسًا على عَقِب، والأمطار لا تزال مستمرَّة في الهطول، وهي ليس أمامها سوى بضعة سنتيمترات لتتخطَّى المياهُ طولَها، ومنسوب المياه داخل الغرفة وخارجها بالمثل على حَدٍّ سواء، والفرق الوحيد أنه بالداخل المياهُ أصبَحَت كبحيرة راكدة، وبالخارج لا تزال مُندَفِعَةً بقوَّةٍ هائلة.

لم يكن هناك ما يَحجُب أشعَّةَ شمس الأصيل سوى تعريشة نباتات على بُعد عشرات الأمتار، فبهذه المنطقة الأرضُ كلُّها حشائش، وبلا أي أشجار أو نباتات عالية.

حتى وإن قفزت من النافذة للخارج واستطاعت السباحة لتصل لهذه التعريشة بأي شكل من الأشكال، وإن نجحت أن تتسلَّقها بإحدى المحاولات؛ فمن الواضح جليًّا أن الأمر مجرَّد استنزافٍ لقواها.

قفز "هيروشي" واقِفًا على البيانو ورفع ذراعيه، وأخذ يضرب بكفَّه السقف، فإن تهدَّم السَّقف واستطاع أن يصل للسطح سيكون هذا أفضلَ حَلٍّ أُتيح له بمثل ذاك الحين، وإنما بلا شك هذا لن يحدث أبدًا بقوَّة صبيٍّ وسيدتين! وأكَّد الصبيُّ لأُمِّه بكل عفوية استحالَةَ فِعل ذلك.

بطَرفَة عينٍ انجرفوا لغرفة الخدم، لكن ماذا حدث وماذا حلَّ بهم... فليس لهم أي صوت؟

نادى الصبيُّ مُكرِّرًا سؤاله عمَّا إذا كان أيُّ أحدٍ منهم هنا، لكن لم يأته رَدٌّ.

التزم ثلاثتهم الصمت، وحين حدَّقوا في سطح الماء الذي يفصل كلًّا منهم عن الآخر اكتشفوا أن منسوب المياه ارتفع، وأن حيِّزَ الفراغ بينهم وبين السقف لا يتجاوز الأربعين سنتيمترًا تقريبًا.

عدلت "تائيقو" مقعد الطاولة الذي أسقطته على جانبه من ذي قبل، ولكنه بهذه المرَّة كان مُثقَلًا بالوحل؛ فالتوت ساقُها، ولكنها أمسكت بحامل الستائر المعدني المثبت أعلى النافذة بشدَّة، وبلغ الأمر ذروته وأصبح عنقها فقط يطلُّ بالكاد من فوق صفحة الماء، ورفيقتها التي تَمَركَزَت واقفةً على منتصف الطاولة هي الأخرى على نفس الحال، وإنما لحُسنِ حظِّها كان فوقها مباشرة ثلاث سلاسل سميكة مُعلَّقة بها وحدات إضاءة غير مباشرة، حيث تتدلَّى كؤوس الدورالومين[1] المزخرفة مقلوبة بالثرَّيَّا، وكلما شعرت أنها ستسقط تشبَّثَت بها.

"أمي هل سأموت؟".

(1) معدنٌ خليطٌ من الألومنيوم والنحاس.

قالها الصبي "هيروشي"، لكن أمه التزمت الصمت مهما كرَّر نداءه:

"أنا سأموت؟ سأموت يا أمي؟ هل سأموت؟".

بدا وكأن السيدة "تاما أوكي" تقول شيئًا ما، ولكنها من البداية تُهَمهِمُ وتُحرِّك فمها فقط، ولا تدري ماذا عساها أن تقول له!

نظرت إليها "تائيقو" وهي لا يظهر منها سوى رأسها على سطح الماء، وفكَّرَت فيما ستراويه ملامح أُناسٍ بات قَدَرُ لموت منهم وشيكًا. فحتى أي محاولة إنقاذ إن وُجِدَت فهي مستحية، وبمجرَّد أن تملَّكَ منهم اليقين بأنها ساعة الموت؛ حلَّت عليهم سكينةٌ غير مُتوَقَّعة، وأدركوا أيضًا أنه ليس بشيء يمكن أن يكون مُخيفًا اكثر ممَّا هم به.

بذاك الوقت شعرت"تائيقو" أن الوقت يَمرُّ ثقيلًا، وكأنه مرَّ عليهم ثلاث أو أربع ساعات، في حين أنهم في الواقع لم يَمضِ عليهم أكثر من ساعة.

كانت النافذة التي تتشبَّث بالحامل أعلاها منتوحٌ زجاجُ ضلفَتِها عدَّة سنتيمترات، ومنها ينهمر الفيضان بالخارج عليهم، فأمسكت "تائيقو" بإحدى يديها بالستائر، وبعزم ما بها من قوة حاوَلَت إغلاقها، وبهذا الوقت تحديدًا -أو بالضبط قبيل ذلك بلحظات- سَمِعَت من فوق رأسها بالغرفة التي هم بها وَقعَ أقدام أشخاص، ولمحت ظِلَّ شخصٍ يَثِبُ بخفَّة من السطح للتعريشة، وظنَّت على الفور أن ذاك الشخص انتقل لأقصى الشرق جهةَ النافذة التي نسترق منها نظرات خاطِفةً للخارج. أمسك ذاك الشخص بحافَّة التعريشة ونزل وسط الفيضان إلى أن انغمر جسده بأكمله في الماء. بدا أنه سينجرف من شدَّة التيار، فظلَّ مُتشبِّثًا بحافَّة التعريشة بيديه بلا يفلتها، ثم التفَّ بجسده نحو النافذة، والتقى وجهه بـ "تائيقو" لأول مرة، وبنظرة سريعة منه لها عبر النافذة بدأ في التنفيذ.

في البداية لم تستوعب "تائيقو" ما أقدم الشابُّ على فِعله، ثم اتَّضح لها أنه يحاول أن يصل للنافذة بإحدى يديه، وبشكل ما يجتاز تيار الماء العنيف ويده الأخرى لا تُفلِت التعريشة. حينها بالضبط تنبَّهَت "تائيقو" لكون ذاك الشاب ذي العيون البرَّاقة الذي يرتدي سُترَةً جلدية وقُبَّعَةً وكأنه طيَّار هو المصوّر "إيتاكورا". إنه اعتاد ارتداء هذه السترة أثناء تواجُدِه بأمريكا، ولم يسبق أن رأته "تائيقو" بمثل هذه الملابس من قبل، ولقد توارت ملامح وجهه خلف القبعة، وظهوره بهذا الوقت وبمثل هذا المكان تحديدًا كان شيئًا لا يمكن تَخيُّله حتى في أحلامها. الأمطار الغزيرة والتدفُّق السريع للتيار جعل المنطقة باهِتةً ضبابيَّةً، وفوق ذلك كله شعورها بأنها تسقط؛ لذلك استغرقت وقتًا كي تستطيع أن تعي وجود "إيتاكورا"، وفور ما انتبهت صاحت بصوتٍ عالٍ تنادي، وإنما بدلًا من أن تنادي اسمه توجَّهَت للصبي "هيروشي" ورفيقتها تُبشِّرهما بظهور مُنقِذ، ثم لوَّحَت له واستجمعت كل ما بها من قوة لتُحرِّك ضلفة النافذة القاسية بفعل ضَغطِ المياه، وأخيرًا انفتحت بقدرٍ يسمح بمرور جسدها، وكان هذا من حُسن حَظِّها.

رأت أمام أعينها يد "غيتاكورا" ممدودةً لها فتعلَّقَت به بيدها اليمنى، وأخرجت نصف جسدها، وبنفس اللحظة جرفها التَّيَّارُ العنيف بقوَّته الهائلة. كانت لم تُفلِت يدها الأخرى بعدُ ولا تزال تُحكِم قبضتها على إطار النافذة بشدَّة، وأول ما قاله لها "إيتاكورا" أن تَدَعَ الإطار الآن.

كان مُمسِكًا بيدها الأخرى، ويجب عليها أن تنفِّذ ما قاله.

فعلتها "تائيقو" وتركت مصيرها لأقدار السماء.

بتلك اللحظة امتدَّ ذراعها وذراعه لأقصى حدٍّ وتلاحما كحلقات سلسلة، ورأته ينزل أسفل التيار وباللحظة التالية سحب جسدها

إليه، (وروى "إيتاكورا" فيما بعد أن ذاك كان من الأفضل له هو أيضًا؛ فمثل تلك القوه انتشلته من براثن الموت)، وكرَّر عليها "إيتاكورا" أن تتمسَّكَ بحواف التعريشة وتتشبَّث مثله، ونفَّذَت، لكن الوضع أصبح أخطر من وقت تواجُدِها بالغرفة؛ فالآن قد تنجرف.

"لا يمكنني فَتحُه".

"هيا، سأنجرف".

"اصبري قليلًا. لا تفلتي يدك أبدًا. تشبَّثي بقوة".

هكذا قال لها "إيتاكورا" وهو مستمرٌّ في نضاله ضد التيار العنيف، وتسلَّق لأعلى التعريشة، وأخذ يحاول أن يفتح هُوَّة ويشقَّ فتحةً فيما بين سيقان النباتات، ومدَّ كلتا يديه لأسفل وسحب "تائيقو" إليه واستطرد قائِلًا:

"عليَّ أن أُنقِذَكِ أنتِ فقط أوَّلًا"...

مَسَّ قلبها كلُّ ما حملته العبارة من معانٍ على الفور.

والآن، وإن كان ليس بالأكيد ألَّا يصل الماء لأعلى التعريشة، وإنما المؤكَّد قَطعًا أن "إيتاكورا" سيفعل من أجلها أي شيء مهما حدث.

ربما الهرب مُمكِنٌ من هنا إلى السطح. إنها بهذه اللحظة ليست ببعيدة عن وقت حَبسَتِها بداخل غرفة ضيِّقة؛ لذلك لا يمكنها تخيُّل هذا التحوُّل بوجودها في الخارج، لكن فور وقوفها على التعريشة أكَّدَت لها الشواهد أنها لم تلبث بالداخل سوى ساعة أو ساعتين.

بذاك الحين رأت "تينوسوكيه" على بُعدٍ يعبر جسرَ السكة الحديد فوق نهر"تاناكا"، والمشهد بدا وكأنه بالبحر، وربما هو كذلك بالفعل، وإن كان مكانه يبدو كالشاطئ الشرقي للبحر. إذن فـ "تائيقو" حقًّا تقف في عرض البحر وتلقي نظراتها من أعلى على الأمواج المستَعِرَة التي تحاصرها من كل جانب.

إنها للتَّوِّ ظنَّت أنه أخيرًا تَمَّ إنقاذها عندما رأته، ولكن ما إن رأت مدى هياج قوى الطبيعة من حولها أيقنت أنه تَمَّ إنقاذها مرَّةً سابقة، ولن يَتِمَّ بمرَّة أخرى لاحقة؛ فكيف سيمكن انتشالها هي و"إيتاكورا" من ماءٍ يحيطهما هكذا؟ ولا يزال يشغل بالها شأن مُعلِّمتها وابنها؛ فماذا عنهما؟!

هزَّت "تائيقو" التعريشة بقوة حتى انخلع أحد فروعها السميكة وطفا وانجرف، و"إيتاكورا" بقلب الماء مرة أخرى، فبدأ بتمديد جسرٍ بذلك الفرع من التعريشة إلى النافذة، وألقى بأحد طرفيه لهناك، وساعدته "تائيقو" وثبَّتَت الطرف الآخر بالتعريشة عندها، وتَمَكَّنَا من عمل جسر نجاةٍ، ودخل "إيتاكورا" من النافذة استكمالًا لمَهمَّته، واختفى مدَّةً طويلة وهي لا تتمكَّن من رؤيته، لكنها بعد حينٍ سمعته، لقد حلَّ رباط الستائر وصنع منها حبلًا ألقى بطرفه لأقرب مكانٍ من السيدة "تاما أوكي" التي استطاعت أن تلتقطه وتلقي به بدورها جهة الجدار نحو ابنها "هيروشي" الواقف فوق البيانو، وتمسَّك كلاهما جيِّدًا، وسحبهما "إيتاكورا" للنافذة، وبعدها أمسك بالصبي ووصله بالفرع الممتدِّ، ومنه إلى التعريشة، ورفعه عليها، ثم عاد مرَّةً أخرى للنافذة، وبنفس الطريقة أقدم على إنقاذ السيدة"تاما أوكي"، وبذل كلَّ هذا المجهود الخارق مرَّةً أخرى مُحاوِلًا أن يستغرق وقتًا أقصر.

في الواقع مهما فكَّر فيما بعدُ لم يَسَعه أن يستوعب كيف تمَّ ذلك وكم من الوقت تطلَّبه الأمر...

ابتاع "إيتاكورا" من أمريكا أيضًا ساعة يدٍ مُقاوِمَة للمياه تعمل تلقائيًّا، وكان يتباهى بها، لكنه لم يجرِّب خواصَّها من قبل، وها هو ذا أوانها، فأثناء إنقاذه لثلاثة أشخاص ووقوفه ونزوله من على التعريشة لعدَّة مرَّات هطَلَت الأمطار بغزارةٍ وازداد اجتياح المياه. أصبحت

التعريشة بمثابة خطرٍ مُحقَّق؛ فعبر منها على الجسر الذي صنعاه من قبل من جذعٍ سميكٍ، وهرب إلى سطح البيت. كان ذاك الجذع بسُمكِ ثلاثة جذوع من أشجار الغابة، وكان كطوق نجاةٍ استفاد منه الجميع. بمثل هذه الأجواء الخَطِرَة كان ظهور "إيتاكورا" يبدو وكأنه سقط من السَّماء، وبعدما وصلوا للسَّطح بسلامٍ كان هناك براح من الوقت لتسأله "تائيقو" عمَّا جاء به؟ وأجابها أنه في صباح اليوم تنبَّأت الأرصاد بسقوط أمطار ممَّا أعاده بالذاكرة لمرَّةٍ أصغى بها لعجوز تكهَّنت بأن هذا العام وتحديدًا هذا الربيع سيقع به حَدَثٌ مُماثِلٌ لما جرى في عام 1783 في "أوساكا وقوبيه"، حين هبَّ إعصار الأمواج العاتية الجبلي "ياما تسونامي"، وترسَّخ الأمر بذاكرته، ويومًا بعد يومٍ منذ ذلك الحين وهو يستشعر الخطر كلَّما اشتد المطر. لكن صباح اليوم ورد لمسامعه ما تردَّد من شائعات حول انهيار سَدٍّ نهر "سومييوشي"، وتعالى ضجيج الجيران بالتحذيرات، وهرعت دوريات الحراسة للتنبيه؛ فأصبح لا سبيل له لمزاولة أيٍّ من أعماله؛ فخرج مُتوجِّهًا إلى النهر ليستكشف الأحوال بنفسه، وبمجرَّد أن رأى ضفَّتَي النهر أيقن أن هناك حَدَثًا جَلَلًا؛ فقرَّر أن يعود أدراجه، إلَّا أن المياه كانت تنحدر في مخرَّات نحو "نويوري".

إنه بالرغم من ذلك كله، وبالرغم من معرفته بنبوءة الفيضان، إلَّا أنه خرج كالمعتاد من بداية يومه بملبسه الطبيعي وسترته الجلديه، وبعد وصوله لـ "نويوري" دون أن يتوقَّف حتى لالتقاط أنفاسه انتبه لكون مظهره غريبًا بعض الشيء.

شردت "تائيقو" بتفكيرها...

لقد كان على عِلمٍ بأنها في هذا اليوم تذهب لمُعلِّمتها "تاما أوكي" بمدرسة التفصيل، وكانت نواياه الدفينة التي يحتضنها بقلبه هي أن

يُسرِع من أجلها خَشيَةَ أن تكون واجَهَت أيَّ خَطَرٍ ما من قبيل سوء الحظ... أليس كذلك؟

لقد أخبرته من ذي قبل بذهابها لمدرسة التفصيل؛ لذلك كان لا بُدَّ له أن يسرع بإنقاذها مهما تطلَّب الأمر، و لقد تذكَّر، وخرج مُندَفِعًا بكل تَهوُّر يجري في تيار الفيضان الموحِل.

راودتها مثل هذه الشكوك، وإنما الآن تتوالى مجريات الأحداث دون أن يشعر أيٌّ منهما.

وفيما بعد أصغت لحديثٍ مُفصَّلٍ منه عن صراعه الشاقِّ ومخاطرته بحياته، حتى وصل بالنهاية إلى بناية المدرسة. إنه هو و"تينوسوكيه" بالمثل، كلٌّ منهما اتَّبع قضيبَ خَطٍّ السكة الحديد وهما يهرعان إلى "مدرسة بنات قونان"، ولكنه كان أسرع من"تينوسوكيه" بحوالي ساعتين، وكأن لديه مهاراته الخاصة للخوض في المياه. انجرف ثلاث مرَّاتٍ، وشارَفَ على الموت ألمًا، ولم يستَطِع أحدٌ سواه القفزَ في التيار العنيف بهذا الحين.

هذا كله لم يَكُن من وحي خياله مثلًا؛ فهو بعدما تمكَّن من الوصول لمبنى المدرسة كانت قوة الإعصار العاتية وصلت لذروتها، وبعد حينٍ صعد إلى سطح البناية وهو في ذهول، لكنه سرعان ما انتبه؛ فجهة منزل السيدة "تاما أوكي" وفوق سطح غرفة الخدم وقف شخصٌ يُلوِّح بيده.

إنها الخادمة "كينيا".

إنها بدورها لاحَظَت "إيتاكورا"، وبمجرَّد أن أدرَكَت أنه رآها أشارت له بثلاث أصابع، ثم كتبت له في الهواء حروفَ اسم "تائيقو".

هكذا أدرك "إيتاكورا" أن خلف النافذة يتواجد ثلاثة أشخاص، من ضمنهم "تائيقو"، ومرَّةً أخرى تقافز في خِضَمِّ تيار المياه العاتية

وانجـرف للمنتصـف وكاد أن يغـرق، لكنـه جاهَـدَ سـابِحًا حتـى نجـح في الوصـول للتعريشـة، وخـاض المغامـرة، حتـى ولـو كانـت معركـة المـوت الأخـيرة، وحقًّـا خاطَـرَ بحياتـه، وهـذا ليـس بالصعـب تخمينـه.

الفصل التاسع

قضى "إيتاكورا ساعاته في مَهمَّة الإنقاذ التي تَوجَّه إليها بينما "تينوسوكيه" لجأ ليحتمي بداخل القطار في نفس ذاك الوقت. لقد حالَفَه الحَظُّ واستطاع أن يفرَّ هارِبًا لمدرسة "قونان"، وبالطابق الثاني هناك جعلوه يستريح حتى الساعة الثامنة مساء؛ فهذه الغرفة كانت كاستراحة إضافيَّة خَصَّصوها للضحايا.

بالنهاية توقَّف المطر، وبدأت المياه تنحسر شيئًا فشيئًا؛ فاتَّخذ "تينوسوكيه" طريقه إلى مدرسة التفصيل، وقطع هذه المسافة القصيرة، لكن بالطبع هذا لا يعني أن الوصول إلى هناك كان سهلًا كأيِّ يوم عادي، وحتى وإن فكَّر وعاد أدراجه، فطريقه لا يزال به الكثير من رواسب الرمال والحُطام،و هناك أماكن يبلغ الركام بها طُنَف البيوت ويكاد أن يدفنها، وأماكن أخرى تبدو وكأن شيئًا لم يَكُن؛ فالمدن بشمال البلاد تكسوها الثلوج، وتظل ملامِحُها كما هي.

الأسوأ على الإطلاق في كل ما توالى من أحداث هو أنه بمجرَّد ما واصل السير غيرَ عابئٍ بهذا كله؛ وجد المستنقعات العميقة بكل مكان تشبه آكلي لحوم البشر، ويمكنها ببساطةٍ أن تبتلع جسده. علَّق "تينوسوكيه" للتَّوِّ بمستنقع موحِلٍ، وفقد إحدى فردَتَيْ حذائه؛ فخلع الأخرى وألقى بها، وتابع سَيرَه حافي القدمين، ليس بهما سوى الجوربين.

ورغم أن المسافة بالظروف العادية لن تستغرق سوى دقيقتَيْن، إلَّا أن الأمر تطلَّب منه فعليًّا قرابة نصف الساعة، وحين وصل لمدرسة التفصيل وَجَدَ المنطقة قد تغيَّرَت تمامًا، وعلى نحو غريب. بوابة المدرسة اختفت مَعالِمُها بالكامل، وبالكاد رؤوس أعمدتها تظهر على سطح الأرض وليس أكثر من ذلك، والبيوت التي من طابقٍ واحد -كبناية المدرسة- لا يتبقَّى منها سوى الأسقف الإردوزايَّة[1] فقط، وكلها تحت الأنقاض.

وكطيفٍ بحلم يَقظةٍ ارتسمت هيئة "تائيقو" ومَن معها وهم يتَّخِذون من السطح مأوى.

لكن ماذا حلَّ بباقي الطلاب؟

هل نجحوا في تمكينهم من الهروب؟ أم انجرفوا؟ أم أنهم مدفونون تحت الركام؟

اتَّضَح ظلُّ شَخصٍ واحد آخر على السطح...

نال منه الإحباط؛ فبذاك المكان أيضًا يداهمه الخطر بالمثل، وبكل خطوة يخطوها يغوص حتى فخذيه، وجنوب مبنى المدرسة الذي كان بالسابق حدائق عُشبيَّة وأحواض زهور انشقَّت به الأرض لنصفين، والآن هو عليه أن يذهب لبيت معلِّمتها "تاما أوكي".

---

(1) الإردواز هو حجر صلصالي.

تعريشة حديقة بيتها يتبقّى منها الأفرع المتشابكة العلويَّة فقط ظاهِرَة على السطح وبجانبها جذوع أخشاب طافية متكوِّمة دون حراك، ولكن فاجأه ما تراءى أمام ناظِرَيْه؛ فأعلى القرميد الأحمر لسقف المنزل وقفت "تائيقو" ومعها "إيتاكورا" والسيدة"تاما أوكي" وابنها الصبي"هيروشي" وشخص آخر... إنها الخادمة "كينيا"...

رآهم جميعًا هناك.

وبعدما روى "إيتاكورا" قصصه البطولية في إنقاذ ثلاثة أشخاص، وبدأت المياه تنحسر. أخبره أيضًا أنه فكَّر في اصطحاب "تائيقو" لمنزل "أشيبا"؛ نظرًا لِمَا أصابها من إعياء، وحالتها المريعة؛ فالسيدة "تاما أوكي" قَلِقَة من أن تدعها تذهب لحالها.

قصَّ "إيتاكورا" ما حدث على "تينوسوكيه" وهو يراها بحالة يُرثَى لها حتى بعدما استرخت قليلًا.

بالواقع لن يفهم الوضع إلَّا مَن مرَّ به وواجه حدثًا كهذا بنفسه.

السيدة"تاما أوكي"، وابنها، و"تائيقو" نفسها- كُلُّهم مهما مضى من وقت كلَّما فكَّروا في الأمر يتملَّكهم الرهاب إلى حَدٍّ يصل للهزل، والآن حتى وإن كانت السَّماء صافية أمام أعينهم والمياه تراجَعَت فلا يزالون لا يسعهم تصديق أنهم أحياء سالِمون؛ فرعدة الخوف التي اجتاحت خلايا أجسادهم لا يمكن أن تتلاشى من ذاكرتهم بهذه السهولة.

بالفعل تجادَلَت "تائيقو" مع "إيتاكورا" حين قال لها إنه سيوصلها؛ فلا بُدَّ لها أن تعاود البيت سريعًا؛ لأنه بالتأكيد رَبُّ أسرتها وأختها الكبيرة في قَلَقٍ عارم، ومع انتباهه للأمر فكَّر فيما سينتظرهما من أهوال هناك أيضًا؛ فنزولهم من على السطح إلى مستوى الأرض ليس بهذه البساطة؛ فالنزول مُمكِنٌ فوق أكوام الحُطام إن استطاعوا الوصول لإفريز السطح، و"تائيقو" لا تواتيها الجرأة أبدًا الآن. علاوة

عـلى ذلـك، فكيـف لـه أن يـترك السـيدة"تاما أوكي" لحالهـا ويذهـب هـو و"تائيقـو"؟

لعـلَّ زوجهـا يصـل قريبًـا، وإنمـا عـلى هـذا الحـال ففـور غيـاب الشـمس سيسـود الظَّـلام؛ مِـمَّا يسـتوجب إضـاءة هـذه العتمـة فوق السـطح...

تزاحَمَـت برأسـه مثـل هـذه الخواطـر البائسـة، وبظهـور "تينوسـوكيه" راوَدَتهـم أيضًـا نفـس الأفـكار؛ مِـمَّا جعـل الصبـي "هـيروشي" وحتـى الخادمة"كينيـا" يتوسَّـلان لـه ليبقـى معهـم قليـلًا.

"تينوسـوكيه" أيضًـا بعدمـا التقـط أنفاسـه مـن الصعـود إليهـم فـوق السـطح ألقـى بجسـده المنهـك، وخـارت قـواه وهـو يحـاول البقـاء متيقِّظًا.

بهـذه الأجـواء -ولأكـثر مـن سـاعة- ظَلَّ مُستلقيًا ووجهـه قبالة السـماء، وشرد بزُرقَتِهـا وشمسـها تتَّخِـذ طريـق المغيـب. بالرابعـة والنصـف تقريبًـا عـلى حَـدِّ ظَنِّـه (حيـث تهشَّـمَت سـاعة يـده) وصـل أقربـاء للسـيدة "تامـا أوكي"، جاؤوهـا مـن بلدتهـم "ميكاچيـه" لزيارتهـا والاطمئنـان عـلى سـلامتها هـي وولدهـا.

وعليـه؛ اعتنـى كلٌّ مـن "تينوسـوكيه" و"إيتاكـورا" بـ "تائيقـو" ليسـلكوا سـبيل العـودة.

لا تـزال "تائيقـو" لم تَسـتَعِد قواهـا البدنيـة وتبـدو وكأنهـا غائبـة عـن الوعـي، وفي المشـوار برُمَّتـه مـن أولـه لآخـرة تـارة تتَّكِـئ عـلى أحدهـما، وتـارة أخـرى يحملهـا أيٌّ منهـما عـلى ظهـره.

بطريقهـم لم يتوغَّلـوا في التيـار الرئيـسي لنهـر "سـوميوشي"، بـل عِوضًـا عـن ذلـك اسـتطاعوا الالتفـاف لجهـة الـشرق؛ أي مـن أمـام "مدرسـة بنـات قونـان" عـلى الطريـق الـدولي، ومنهـا -وحتـى منطقـة "تانـاكا"- كان الانحـدار طفيفًـا، وإنمـا بـكل حـال مـن الأحـوال كان عبـور النهـر واجتيـازه مُعانـاة في حـدِّ ذاتـه.

بوصولهم لمنتصف النهر وتياره التقوا بـ "شوووكيتشي" وهو يعبر النَّهر، فواصلوا الطريق سويًّا هم الأربعة. وفي "تاناكا" عرض عليهم "إيتاكورا" القدوم لبيته لينالوا قِسطًا من الراحة، فَهُم بالقرب. إنه أيضًا كان قَلِقًا بشأن منزله وما حَلَّ به. أراد "تينوسوكيه" الإسراع بالعودة لمنزلهم، ولكن و"تائيقو" بهذه الحالة رأى أنه من الأفضل أن يدعها تستريح لبعض الوقت.

كان "إيتاكورا" أعزبَ ويعيش مع أخته الصغيرة. الطابق الثاني من المنزل به غرفة التصوير، والتي هي بخلاف مقرِّ عمله، أمَّا الطابق الأول فهو للسُّكنى، وبدا أنه لحق به ذاك الدمار؛ فالمياه توغَّلَت بالمنزل حتى قرابة الثلاثين سنتيمترًا فوق مستوى سطح الأرض.

اصطحب "إيتاكورا" عائلة "تينوسوكيه" للطابق الثاني حيث غرفة عمله، وضيَّفَهم بعصير التفاح بعد مرورهم وسط الماء الموحل، وبتلك الأثناء خلعت "تائيقو" ملابسها المبلَّلَة والمتَّسِخة، وأخذت تُجفِّف جسدها، وأعارتها أخت "إيتاكورا" رداء "كيمونو" حريريًّا، بتوجيهٍ منه. أمَّا "تينوسوكيه" فكان حافي القدمين، واستعار هو الآخر قبقابًا من "إيتاكورا". "شوووكيتشي" الذي كان بصحبتهم كان على ما يرام، وألحَّ عليه"تينوسوكيه" ليعود هو الآخر ويكفي أنه واصل معهم إلى هنا، وأخذه "إيتاكورا" لأقرب مكان في "تاناكا" يستطع منه العوده لمنزله.

توقَّعَت "ساتشيقو" أن يشتاق "أوكوباتا" لأختها على نحوٍ ما، وربما سيأتي لاحِقًا مرَّةً أخرى ليسأل عنها، لكنه بهذه الليلة لم يظهر نهائيًّا، وبالصباح التالي أرسل "إيتاكورا" نيابةً عنه.

وبالفعل جاءهم بالصباح "إيتاكورا" يحمل رسالةً شَفهيَّةً منه، وأخبرهم أنه جاء بهذه الزيارة عِوَضًا عن "أوكوباتا" للاطمئنان على أحوال الأخت الصغيرة، وعلى أنها لم تتعرَّض لأيَّة إصابات ولا حتى نزلة برد.

استعادت"تائيقو" عافيتها بهذا الصباح، وجاءت لغرفة الجلوس مع "ساتشيقو"، وتقدَّمَت له بالشكر بخصوص الأمس، وتبادلوا الأحاديث وهم يسترجعون الأخطار التي واجهوها بتلك الساعات. فرغم هروبها إلى أعلى السطح، ومكوثها لقرابة الساعتين بملابس خفيفة، ورغم أن مياه الأمطار برواسبها الموحلة... إلَّا أنه لم تُصَب بنزلة برد؛ مِمَّا أثار دهشتهم جميعًا. كانت بهذا الحين مُتوتِّرةً، وعلى العكس، لم تُلقِ بالًا لحديث "إيتاكورا"؛ فانصرف في الحال. إنها مهما كان صارِعَت المياه بالأمس، وخاضت بجسدها المستحيل، وبعدما أشرَقَت شمس هذا الصباح شعرت بالآلام في كل مفاصلها، وخصوصًا أسفل إبطها الأيمن عند أضلعها، والتي كانت يضجُّ بها الوجع. راودها القلق من أن يكون هذا هو مرض التهاب الجَنْبَة "بلوريزي"[1]، لكنها بالعناية الجيِّدة تماثَلَت للشفاء في بضعة أيام لاحِقة.

فقط بتلك الفترة كانت بمجرَّد سماعها لزَخَّات المطر بوقت اغتسالها بالمساء يصيبها الهلع. لقد أصبحت لديها تجربة لأول مرة بحياتها على الإطلاق جعلتها تتيقَّن بأن المطر شيء مُخيف، ومن الواضح أن حالة الخوف الهستيري التي تنتابها بتلك الأوقات أصبحت شيئًا كامِنًا بأعماقها، وظلَّت لفترة كلَّما سقطت الأمطار لا يمكنها النوم طوال الليل وتُفكِّر ماذا لو داهمتهم المياه مرَّةً أخرى.

---

(1) مرض تلتهب فيه "الجنبة"، والتي هي عبارة عن نسيج من طبقتين رقيقتين، وهذا الالتهاب يؤدِّي إلى انفصال الرئتين عن جدار الصَّدر؛ مِمَّا يُسبِّب ألمًا حادًّا بالصدر، ويزداد سوءًا عند التَّنفُّس، حيث إحدى طبقتي الجنبة تلتفُّ حول الجسم الخارجي للرئتين، وتُبطِّن طبقة الجنبة الأخرى جدارَ الصَّدر من الداخل، وتوجد مساحة صغيرة بين هاتين الطبقتين عادةً ما تكون ممتَلِئة بكمية ضئيلة من السوائل، وتعمل الطبقتان عادةً وكأنهما قطعتان من قماش ناعم تنزلقان فوق بعضهما البعض؛ مِمَّا يسمح للرئة بالتَّمدُّد والتَّقلُّص عند التنفُّس.

الفصل العاشر

عرف سكان إقليم "هانشين" القصة الكاملة للدمار الهائل الذي لحق بالبلاد لأوَّل مرَّة من صحف اليوم التالي، ولمرة أخرى استقبل بيت "ساتشيقو" في "أشيبا" مفاجآت جديدة، وعلى مَرِّ عدَّة أيام متتالية تَوافَدَ عليهم الضيوف المتكبِّدون لعناء الطريق بشكل مُستمرٍّ؛ ممَّا جعلهم في انشغالٍ تام.

تعطَّلَت كل المحرِّكات اللازمة لخدمات المياه والغاز والكهرباء والهواتف وغيرها، وسكن ضجيجها وكأنهم عادوا للحياة بسالف العصر والأوان. الأكثر أنه لم يكن متاحًا أيٌّ من وسائل التعامُل مع مشكلة الرواسب المتكوِّمة في كل مكان بسبب العجز في الناقلات والأيدي العاملة، وما من سبيل لإزاحتها في الحال.

مشهد حركة المرور ذهابًا وإيابًا الذي يكسوه التراب والغبرة الناصعة البياض أعادهم مرَّةً أخرى لمشهد الطُّرقات بـ "طوكيو" بعد الزلزال الكارثي بالماضي.

أصبح رصيف المحطة التي عند نهر "أشيبا" في "هانكيو" مدفونًا تحت الرُّكام؛ لذا يتمُّ رَصفُ بديلٍ آخر مؤقَّتًا على جبل الرواسب، وسيُبنى جسرٌ عالٍ فوق الجسر السابق، وجارٍ تنفيذ الأعمال اللازمة لتعود القطارات للعمل، حيث إنه ارتفع قاع النهر بين جسري "هانكيو" و"ناراهيرا" على الطريق الدولي، ويبلغ علوُّ الطريق. لكنهم لم ييأسوا بيومٍ، بل قامت الحشود بأعمال الحفر والبناء يومًا بعد يوم لإزالة الرواسب، وإن كانت محاولتهم بَدَت كالنَّمل الذي يجتهد لتفتيت جبال من السُّكَّر؛ فليس هناك من تَقدُّم يُذكَر.

أشجار الصنوبر على الضفاف لا تزال مُتَّسِخة بالرمال، فمنذ كارثة الفيضان والطقس في جفافٍ تام؛ مِمَّا يجعل الغبار يظلُّ عالِقًا، وجمال المناظر الطبيعية بالمناطق السكنية المشهورة في "أشيبا" لم تظهر له أي بادرة بهذا العام...

عادت "يوكيقو" من "طوكيو" بعد غياب شهرين ونصف، وكان يومًا صيفيًّا مليئًا بذاك الغبار. هناك بنفس يوم حدوث كارثة الفيضان صدرت الأخبار بالصُّحُف المسائية. لم تكن التفاصيل معروفةً، وإنما كانت المآسي بالِغَةً في بيوت "شيبويا"، وذكرت الجرائد بوضوح أن ضفاف نهر "أشيبا" و"سوميوشي" هي أكثر المناطق تضرُّرًا بدمار عنيف، وقرأت "يوكيقو" عن وقوع وفيات بين طلاب مدرسة "قونان الابتدائية"؛ فأصبح همُّها الأول هو الاطمئنان على سلامة أختها "تائيقو".

باليوم التالي لتلك الأحداث جاء هاتف لمكتب "تينوسوكيه" في "أوساكا"، وحادَثَته كلٌّ مِن "يوكيقو" و"تسوروقو" وسألتاه عن كل ما أثار قلقهما، وأخبرته "يوكيقو" أنها سترحل بالغد للاطمئنان بنفسها على "تائيقو"، ودار النقاش فيما ستفعل وأكَّد عليها "تينوسوكيه" أنه لا مانع من مجيئها، ولكن لا داعي للاستعجال هكذا؛ فالقطارات لم

تَعُد بَعدُ لعملها الطبيعي في غرب "أوساكا"، وهذا ما انتهت عليه المكالمة الهاتفية.

بالمساء أخبر "تينوسوكيه" زوجته عمَّا دار، وبمجرَّد سماع "ساتشيقو" لأخبار من "طوكيو" وبِذِكر"زوجها لاحتمال "مجيء "يوكيقو" تأكَّدَت أنها ستفعل، وبالفعل بعد استقرار الأوضاع بعدَّة أيام وصلها خطاب مُعَنوَن باسمها جاء به:

"أريد رؤية وجه أختي الصغيرة التي بالكاد نجت من موت مُحقَّق، ولا يفارق مُخيِّلتي مشهد القرى؛ تُرى ماذا لحق بها من ضرر؟ إني أريد أن أرى الواقع بنفسي ولا يروقني ألَّا أفعل، وعليه؛ فربما سآتيكم فجأة عن قريب".

وكان هذا بمثابة إخطار مُسبَق منها؛ لذلك بدون أن ترسل برقية استقلَّت القطار بهذا اليوم من "طوكيو" إلى "أوساكا" ونزلت في محطة "أشيبا" بمنطقة "هانشين" وسارت أمورها على ما يرام، واستأجرت إحدى السيارات الأجرة لتُقِلَّها لمنزل أختها ووصلت قبيل الساعة السادسة.

"مساء الخير. لقد وصلت".

جاءتها "أوهارو" لتأخذ منها حذاءها، وعلى الفور دخلت "تائيقو" لغرفة الجلوس، ووجدت البيت في سكونٍ تامٍّ؛ فسألت:

"هل أختي هنا؟".

وتوجَّهَت لتقف أمام المروحة تتلقَّى بعضًا من هوائها، وأجابتها "أوهارو":

"عفوًا، إنها لدى عائلة STOLZ ".

"والصغيرة".

"والصغيرة أيضًا سيدتي. جميعهم مَدعوُّون اليوم لاحتساء الشاي عند عائلة STOLZ، وهم على وشك العودة، هل أذهب لاستدعائهم؟ لقد قالت سيدتي "ساتشيقو" إن حضرتك ستأتين اليوم. دعيني حتى أنادي الصغيرة... إنها تنتظرك بفارغ الصبر...".

"كلَّا، كلَّا دعيهم وشأنهم "أوهارو"".

بعدها، من جهة الحديق الخلفية جاء صوت الأطفال وهمَّت "أوهارو" بالنداء عليهم، لكن "يوكيقو" استوقفتها، ومرَّت من أسفل الستائر الخوص وخرجت للتراس وجلست على كرسي من خشب بتولا الأبيض.

طوال الطريق قبل وصولها وهي تتطلَّع من نافذة السيارة منتظرةً أن تلمح أي شيء بعدما رسمت بمخيِّلتها مشاهد مريعة للدَّمار، إلَّا أنها وجدت ما فاجأها وظلَّت تُحدِّق وتُدقِّق النظر. لقد كان كل شيء على حاله كما تركته. كل نبتة وشجرة كما هي لم تُصَب بأي أذى. فقط بحلول الهدوء المسائي عَصَفَ الهواءُ على غير العادة، ولكن لا يزال الجو حارًّا وظلال الأشجار ساكِنةً واضحة وأطراف العشب جلِيَّة للعيون.

فهذا الربيع حين ذهبت إلى "طوكيو" كانت زهور "قوديماري" و"الليلاك" تفتَّحَت، ولكن الزهور الجبلية الصفراء والبيضاء لم تُزهِر بعدُ، في حين أن "ورود "كيرشيما" و"هيرادو" تساقَطَت وتبقَّت فقط واحدة أو اثنتان من زهور ياسمين الـ "جاردينيا" متفتِّحة ويفوح منها العطر، وهما مختبئتان في حديقة البيت الغربي الطراز ذي الطابقين.

قُبالةَ السور السِّلكي الفاصل بالحديقة استمتع الأطفال باللهو ولعبوا لعبة القطار، و"بيتر" هو مَن حاكى دور "مرشد القطار".

"المحطَّة التالية هي "ميكاچيه"، التالية هي "ميكاچيه"".

"... يا سادة، هذا القطار لا يتوقّف من محطة "ميكاچيه" حتى محطَّة "أشيبا". حضراتكم المتَّجِه إلى "سوميوشي"، "أوزاكي"، و"أووكي" فليتفضَّل باستبدال القطار"...

هكذا كان يقول "بيتر" وهو يحاكي بالضبط نبرة صوت مُرشِد قطار "هانشين"، ولا يشبه على الإطلاق الأجانب في نُطقِهم، ثم قالت لهم "إتسوقو":

"رومي... هيَّا فلنذهب إلى "كيوتو""، وأجابتها "روزماري":

"حسنًا، فلنذهب إلى "طوكيو""، فتقول لها "إتسوقو":

"ليست "طوكيو"، وإنما "كيوتو"".

بدا أن "روزماري" لا تعرف اسم المكان الذي يُدعَى "كيوتو"، ومهما قالت لها "إتسوقو" وعلَّمَتها الاسم الصحيح تظلُّ تقول "طوكيو"، وتَأجَّج غَضبُ الصغيرة وصاحت:

"خطأ "رومي"... إنها "كيوتو"".

"هيَّا، فلنذهب إلى "طوكيو"".

"خطأ. إن كُنَّا سنذهب لـ "طوكيو" سيتوقَّف بنا القطار بمائة محطَّة".

"حسنًا. أهكذا سنصل بعد غد؟".

"ماذا يا "رومي"".

"هل هكذا سنصل لطوكيو بعد غدٍ؟".

كانت "روزماري" تتداخل حروفها في بعضها البعض وهي تنطق كلمة "بعد غد"، في حين أن "إتسوقو" معتادةٌ على الكلمة بالعامية: "بعد بكرة"؛ ففجأة وجدت نفسها لا تستطيع فهم ما يُقال!...

"ماهذا؟ "رومي"... هذا ليس في اللغة اليابانية؟".

ثم سألها "بيتر" بدوره:

""إتسوقو"... هذه الشجيرة ماذا تُسمَّى باليابانية؟".

وفاجأهم صوت احتكاك خطوات "بيتر" بأوراق شجرة المظلَّة الصينية حين بدأ يتسلَّقها.

كانت فروع هذه الشجرة تمتدُّ حتى الجهة المقابلة لحدود الحديقة، واعتاد الأطفال أن يمسكوا بفروعها بعدما يضعون أقدامهم على السور السِّلكي من جهة بيت عائلة STOLZ ويتسلقون بالأحذية.

"انها شجرة المظلَّة الصينية".

"المُظلَّلة الصينية؟".

"ليست المُظلَّلة، المظلَّة الصينية".

"المظلَّلة الصينية...".

"المظلَّة".

"المظللة الصينية"...

سواء كان "بيتر"يُمازِحها أو كان ينطقها هكذا حقًّا فهي ليس اسمها "مظلَّلة صينية" بل "مظلَّة"، واستشاطت "إتسوقو" غضبًا وهي تقول:

"ليست مظللة صينية. بل حرف "ل" لمرَّة واحدة فقط".

كان وَقعُ الجملة غريبًا على مسامع "يوكيقو"، التي انفجرت ضاحِكةً دون أن تتمالك نفسها.

الفصل الحادي عشر

كانت الإجازة الصيفية للأطفال، وكانت "إتسوقو" يوميًّا تنادي أطفال عائلة STOLZ أو ينادونها لِلَّهو سويًّا بالحديقة ويتسلقون أشجار المظلَّة الصينية والصندل، أو يتسلُّون بلعبة "مرشد القطار"، وحين يشتدُّ الحَرُّ وتتوسَّط الشمس السماء يدخلون البيت ويقسمون وقت اللعب؛ فبوقت البنات يلعبون بالدُّمى، وعندما يحين وقت الصِّبيان يلعبون لعبة الحرب.

يحرِّكون المقاعد الوثيرة الثقيلة التي بغرفة الجلوس من أماكنها والمقاعد الطويلة أيضًا، وتارة يجمعونها وتارة يربطونها ليصنعوا حِصنًا ومنصَّة إطلاق نيران، ويشهرون أسلحتهم للهجوم. كان "بيتر" هو مَن يلعب دور الضابط القائد ويعطي الأوامر، والأطفال جميعهم في نفس الوقت ينفِّذون ويطلقون النيران.

كان الأطفال الألمان من أكبرهم لأصغرهم حتى "فريتز" الذي لم يَرتَد مدرسة ابتدائية بعد دائمًا ما يقولون عبارة على العدو: "FRANK REYE"[1].

لم تعرف عائلة "ساتشيقو" ماذا يقصدون، وهل هي كلمة ألمانية أم فرنسية، وسألوا "تينوسوكيه" الذي لم يعرف هو الآخر، وظنُّوا أن هذه قد تكون طريقة تَتبَعُها عائلة STOLZ لتربية أطفالهم.

لكن الأمر كان مُزعِجًا بعض الشيء؛ فمن أجل هذه اللعبة كانوا يعبثون بالزخارف التي بقِطَع الأثاث الغربي الطراز، وإن جاءهم زائِرٌ على حين غرَّة كان لا بُدَّ أن يجعله الخدم ينتظر أوَّلًا بغرفة الجلوس إلى أن يجتهدوا مع بعضهم البعض لفكِّ ترتيب هذا الحصن المربَّط ببعضه البعض ومنصَّة إطلاق النيران.

جاءت السيدة STOLZ ذات مرَّة ودخلت من التراس لقلب البيت، ولفَتَ نظرها صُدفَةً ما يفعله الصِّغارُ، وأصابها الذهول ممَّا رأت، وتساءلت في دهشة ما إن كان هذا ما يفعله "بيتر" و"فريتز" كلَّما جاءَا إليهم، وحين أكَّدَت لها "ساتشيقو" أنه ما باليد حيلة انصرفت وعلى وجهها ابتسامة ساخرة. ربما وبَّخَتهم فيما بعدُ، غير أن الحال لم يتبدَّل أبدًا، بل ظلُّوا هكذا كالمشرَّدين يتجوَّلون.

كانت "ساتشيقو" من بين الثلاث شقيقات هي أوَّل مَن استسلم الأطفال ليجعلوا من الغرفة الغربية الطراز مكان يلهون فيه، وكان الأطفال بوقت الطعام يتذمَّرون وهم ينتقلون للجوار بالغرفة اليابانية الطراز التي كانت قبالة الحمَّام وتستخدم عادة لاستبدال الملابس وتجميع وترتيب الثياب بعد غسلها، ورغم أنها كانت تطلُّ على الحديقة من الجهة القبلية إلا أنهم اعتبروها غرفة مُعتِمَة لأن سقفها

(1) مصطلح ألماني ليس له ما يقابله في المعنى، ولكنه أقرب لكلمة "أُمَّة"، ولكن ليس امبراطورية أو مملكة؛ نظرًا لطبيعة الحُكم بألمانيا، التي ليست بها امبراطور أو مَلِك.

مليء بالعروق الخشبية وتضيئها لمبات الجاز. كانت أيضًا بعيدة عن ضوء الشمس، وبمجرَّد فتح الشباك الزجاجي الجرَّار الذي بغرب الغرفة تمرُّ نسمات الهواء الباردة حتى بأوقات الظهيرة؛ فكانت أكثر غرفة رطبة بالبيت كله، وكان الشجار دائمًا بين الأخوات الثلاث وهنَّ يتسارعن للاستلقاء أمام النافذة مُتمدِّدات على الحصير، ويقضين هكذا ساعات العصر الأكثر حرًّا.

وكالمعتاد بكل عام، بمنتصف الصيف تَقِلُّ شهيتهن للطَّعام، ويُصَبن بنقص ڤيتامين "B"، ويخسرن كثيرًا من الوزن، لكن "يوكيقو" بالذات بخسارتها للوزن مثلهن يصبح الأمر لافِتًا للنظر، فهي -بخلافهن جميعًا- يشتدُّ عليها المرض[1] منذ شهر يونيه، ويبدو أنها لا تتماثل للشفاء.

كان هذا من ضمن أسباب مجيئها أيضًا؛ فلعلَّ حالتها الصحية تتحسَّن بتغييرها للمكان، ومنذ وصولها وهي مُجهَدَة ومثقلة الخطوات؛ لذا تتلقَّى العلاج "حقن بيتاكسين" مع أختَيْها: "ساتشيقو" و"يوكيقو"؛ فجميعهن يعانين من نفس الأعراض، ويتلقَّين العلاج ذاته، حتى أصبح روتينًا يوميًّا.

إذا ارتدت" ساتشيقو" أي ثياب طويلة شفَّت عن نحافتها، وقرب نهاية شهر يوليو آل بها الحالُ لكراهيتها للملابس مثل "يوكيقو"، وأصابتها برهاب الثياب هي الأخرى بالمثل، وبدأت في ارتداء نفس الملابس الحرير الچورچيت، والتي تبدي قوامهما كالدُّمى التي يُربَط الحزام الخيطيُّ على خاصرتها.

وإن كانت "تائيقو" فيما بينهن هي الأكثر نشاطًا إلَّا أنها منذ الصدمة التي تلقَّتها يومَ الفيضان لم تستردَّ عافيتها بعدُ، وكالمعتاد

---

(1) كما ورد بالجزء الأول: كلهن مصابات بمرض الـ "بري بري"، وهو مرضٌ يصيب الجهاز العصبي بسبب نقص ڤيتامين "B"، ومن أعراضه الخمول الشديد والتَّعب.

بصيف هذا العام، هي أيضًا ليست على ما يرام. والأكثر من ذلك أنها أخذت إجازةً من مدرسة التفصيل من بعد ما حدث، وكان من حُسن الحظ أن شقتها في "شوكوجاوا" لم تَطَلها المياه، ويمكنها أن تستمر في عملها لتصنيع الدُّمى دون أي معوِّقات، وإنما كان يلزمها بعض الوقت؛ فهي لا تزال بمزاجٍ سيئ، ولا تتوجَّه للعمل إلَّا نادِرًا.

استمرَّ "إيتاكورا" في المجيء والسؤال عنها، ولم يكن يأتيه الزبائن لالتقاط صور منذ حادث الفيضان؛ فكل الأسواق حاليًا خاوية. كان يترجَّل بالمناطق التي تدمَّرَت بالفعل ليجمع صورًا تذكارية لأضرار تلك الكارثة، وكل يوم يتحسَّن به الطقس يرتدي بنطاله القصير ويأخذ آلة تصويره الـ "LEICA" ويتجوَّل قليلًا، ثم يمرُّ عليهم دون سابق إنذار والعرق يتصبَّب على وجهه بعدما أحرقته أشعَّة الشمس. اعتاد أن يتوجَّه أوَّلًا نحو باب المطبخ وينادي:

-"أوهارو، ماء... ماء".

فتصبُّ له "أوهارو" كأسَ الماء، ويتجرَّعها دفعة واحدة، ثم بعناية ينفض الغبار الأبيض الكثيف عن ملابسه، ومن بعدها يصعد للغرفة اليابانية الطراز حيث تجتمع أسرة "ساتشيقو"، وينخرط في الأحاديث معهم.

اليوم أيضًا كان حديثه عن الأماكن التي ذهب إليها حيث توجَّه إلى: "نونوبيكي"، "روقّووسان"، "كوشيكي إيوا"، وعيون "أريما" الساخنة، وغيرها من المناطق التي لحقت بها أضرارٌ من الفيضان ورصدتها عدسته، ومن وقت لآخر كان يأتي بالصور التي قام بتحميضها ويشرح إحساسه ونظرته البارعة المتميِّزة، ويشاركهم بها.

اعتاد "إيتاكورا" أن يبدأ حديثة فور دخوله إليهم:

"هيَّا، ألن نذهب للتَّنزُّه على شاطئ المحيط؟ استيقِظوا... استَيقِظوا، التَّذمُّر لن يُجدي نفعًا".

وتجيبه عائلة "ساتشيقو" بردودٍ فاترة، ويسألونه ما إن كانت الأمور على ما يرام بضفاف نهر "أشيبا"، وما إذا كانت السباحة ستُعجِّل شِفاءهم من داء "البري البري".

بذاك الحين نَوَوا الذَّهاب حقًّا، وأخذت "أوهاروا" بيدهن ليستفيقوا ويستعدُّوا بارتداء لباس السباحة، وطلبوا سيارة لتوصلهم للشاطئ العام على ضفة النهر.

تردَّدَت "ساتشيقو" في مُرافَقة ابنتها للنزول للسباحة لشعورها بالإعياء؛ فتقدَّم "إيتاكورا" واصطحبها.

وعلى هذا الحال يومًا بعد يوم يزداد الودُّ وتنساب الكلمات بسلاسة، وألفت القلوب ما استغربته دون أن تبالي؛ فمثلًا فتحه للخزانة من تلقاء نفسه، والذي اعتبروه سلوكًا غير مُحتَمَل، وكثير من التصرُّفات غيرها التي على نفس الشاكلة، نظير كونه دائِمًا في العَوْن يقدِّم كلَّ ما بوسعه دون امتعاض، مهما كان ما يطلبونه جعل المسألة ساحِرةً مُثيرة للشَّغف.

في أحد الأيام كان ثلاثتهم مُستَلقِين كعادتهم بالغرفة اليابانية الطراز أمام النسمات المنعشة التي تهلُّ من النافذة، دخل زنبورٌ كبيرٌ من الحديقة، وأخذ يدور فوق رأس "ساتشيقو" في البداية مُصدِرًا أزيزه...

"أختي، زنبور"...

وبمجرَّد أن قالتها "تائيقو" نهضت "ساتشيقو" في هَلَع، لكنه انتقل من رأسها إلى "يوكيقو"، ثم إلى "تائيقو" هي الأخرى... ثم أعاد الكَرَّة من أولها، وانتقل لـ "ساتشيقو" مرَّةً ثانية، وظلَّ يحوم فوق رؤوسهن واحدة تلو الأخرى. هربن جميعهن بأجسادهن العارية، وتخبَّطن داخل الغرفة هنا وهناك،و بدا وكأنه يلاحقهن حيثما ذهبن ليسخر منهن؛ فصرخن وقفزن خارج الغرفة، والزنبور أيضًا خرج مُتعقِّبًا خطواتهن.

"آاااه... جاء، لقد جاء".

تعالت الصرخات وهُنَّ يُهَرولن من غرفة الطعام ومنها لغرفة الجلوس، وأصابت الدهشة "روزماري" و"إتسوقو" وهما تلهوان.

"ماذا هناك؟! أمي؟".

وبلحظتها جاء بأزيزه واصطدم بزجاج النافذة.

"آاااه،جاء... جاء".

وبهذه المرة أُضيفت صرخات "روزماري" و"إتسوقو".

استمرَّت الخمسُ في الهرب والدَّوران بالغرفة، وكأن هذا الزنبور شَبحٌ.

الأزيز الذي أصدره أفقدهن صوابَهنَّ، أو ربما هي عادتهن كلَّما وقع حَدَثٌ مُشابهه؛ فهُنَّ يتقافزن بالحديقة إن حدث بالمثل ولاحقتهن أي حشرة، وها هُنَّ ما زِلن يُهَروِلن من غرفة للأخرى، ويتدافعن واحِدةً تلو الأخرى ذهابًا وإيابًا بكلِّ أرجاء المنزل.

"ماذا يحدث؟ ما كل هذه الجلبة؟".

بالصُّدفة حضر "إيتاكورا"، وبعدما دخل من باب المطبخ وأطلَّ بوجهه من الستارة الفاصلة بين المطبخ والرَّدهة أصابته الدهشة. لقد جاء اليوم أيضًا وفي نيَّته دعوتهم للتَّنزُّه بالبحر، وارتدى لباسَ العوم تحت ملابسه، واعتمر قُبَّعة البحر ووضع منشفته حول كتفيه.

"أوهارو. ماذا يحدث؟".

"يلاحقهن زنبور".

"ماذا! كل هذا الهرج!".

وهكذا مررن جريًا من أمام "إيتاكورا"، مُتكتِّلات خمستُهنَّ، وكل واحدة منهن تَضمُّ قَبضتها تحت إبطها بإحكامٍ وكأنها في تدريب عَدْوٍ.

"اليوم... إنه لذو شأن عظيم!".

"الزُّنبور، الزُّنبور... "إيتاكورا"... هيا، أمسِكْه بسرعة".

صرخت بها "ساتشيقو" دون أن تستريح من الجري، و"إيتاكورا" مُتجمِّدَة ملامحه وتعتلي وجهه نظراتٌ جادَّة مليئة بالفضول وهو يشاهدهن يَصرخن ويَضحكن ملء أفواههنَّ وتلمع أعينهنَّ.

خلع "إيتاكورا" قُبَّعته ليُلوِّح بها ويدفع الزنبور ليطير خارجًا لغرفة الجلوس ومنها للحديقة.

"يا للعجب! يا له من زُنبور عنيد!... كم أبدو أحمق وأنا مندهش من زنبور!".

"هكذا إذن! الأمر ليس مُضحِكًا. إنه عن جدٍّ مُرعِب".

تنفَّسَت "يوكيقو" الصعداء واعتلى وجهها الشاحبَ ضحكاتٌ دون سبب. كان المرض يجعل قلبها في خفقان سريع ملحوظة دقَّاته من فوق ملابسها الحريرية.

الفصل الثاني عشر

في بداية شهر أغسطس وصلت على عنوان "تائيقو" خلاف كل الطالبات الأخريات بطاقة من المعلِّمة "أوساكو"، تخبرها بدخولها لمشفى بالجوار بعدما ساءت حالة مرضها الكلوي. كان المتَّبع على وجه العموم هو توقُّف تدريبات الرقص بشهري "يوليو" و"أغسطس" من كل عام، وحينما التقوها ببيتها في بلدتها مسقط رأسها بوقت المهرجان في شهر يونيه لم تكن صِحَّتها بخير، واستمرَّ الحال هكذا حتى شهر سبتمبر والمعلمة "أوساكو" متوقِّفة عن العمل.

انقطعت عنها "تائيقو" لفترة، وهذا ليس لكونها غير عابئة مثلًا، بل كان انقطاعها بسبب بُعد المسافة؛ فبيت المعلِّمة كان بمنطقة "تنجاچايا"، أي أنها من مسكن "تائيقو" في "أشيبا" عليها أن تقطع "أوساكا" من الشمال للجنوب وتستقلَّ القطار من حي "نانبا". لقد كان تدريبها بمكانٍ في قلب الجزيرة، وكان لا بأس من ذهابها بذاك

الحين، وإنما من بعدها لم تتكرَّر زيارتها للمكان ثانية؛ لذلك كان تَلَقِّيها للخبر بهذا الشكل صادِمًا.

إنها بسبب مرضها الكلوي أصبحت تعاني من "اليوريميا"[1] وعلى الأرجح حالتها متأخِّرة.

"كيف حالها؟ "تائيقو"، ستذهبين لزيارتها بالغد؟ على أيَّة حال أنا أيضًا سأذهب معك".

راود"ساتشيقو" القلق من أن يكون مجيء المعلِّمة "أوساكو" إليهم باستمرار من مكان بعيد هكذا من أجل تدريب"تائيقو" و"إتسوقو" هو ما آذاها، خاصَّةً وأنها انتظمت في المجيء طوال شهري مايو ويونيه أكثر من أي وقت مضى. ليت هذا لا يكون سببًا وراء مداهمة المرض لها بهذه الضراوة. إنها بذلك الحين كان ملحوظًا تورُّم وجهها وشحوبه، مع تَسارُع أنفاسها أثناء التدريبات، لكنها هي التي قالت إن الرقص هو الشيء الوحيد الذي يُبقي على صِحَّتها بخير، ولكنها في الواقع عليها الآن تَجنُّب أي حركة لجسدها، وبالتأكيد ستعتذر عن أي التزام لاحِقًا بالتدريب، وللأسف سيكون هذا مُحبِطًا للصغيرة ولـ "تائيقو" أيضًا؛ فهما مغرمتان للغاية بتدريبات الرقص.

لكن المعلِّمة "أوساكو" ذاتها هي أكثر مَن سيتأثَّر بالأمر، لقد بذلت قصارى جهدها من أجلهما ولم تَبُح بأي شيء، وبعدما آلت حالتها لهذا الوضع ستندم إن لم تتوقَّف عن التدريب على الفور.

قرَّرَا أن يذهبا لزيارتها عن قريب، وأن يكون هذا أول ما يفعلانه، خاصَّةً بعدما وصلتهم بطاقة منها، وبالفعل بصباح يوم صافٍ أخبرتهم "تائيقو" أنها ستذهب للزيارة، وأضاعت الوقت في تَفَحُّص ما ستأخذه معها من أشياء إلى أن همَّت بالخروج في الظهيرة، وعادت في الساعة

---

(1) يوريميا "uremia" مرض من أعراض عدم كفاءة وظائف الكُلْيَتَيْنْ، ويُعدُّ من أحد المظاهر السريريَّة للفشل الكلوي، ويتمثَّل في وجود مستويات عالية من اليوريا في الدم.

الخامسة أنفاسها لاهِثَة، ودخلت مباشرة للغرفة اليابانية الطراز وهي تشكو الحَرَّ بتلك المنطقة من "أوساكا".

كانت تتصبَّب عَرقًا وتخلع ملابسها اللصيقة بجسدها كلها من رأسها وكأنها تنزع عنها جلدها، واتَّجَهَت للحمَّام بعدما أصبحت عارِيةً سوى من ملابسها الداخلية. خرجت بعد حينٍ وهي تحيط رأسها بمنشفة مُبلَّلة، وتلفُّ خصرها بأخرى كبيرة، ثم ارتدت الـ "يوكاتا"[1]، ودون أن تربط حزامه مرَّت من أمام أختيها قائِلةً: "عُذرًا".

وجلست بجوار المروحة الكهربية ورداؤها المفتوح يستقبل نسمات الهواء، وأخيرًا قصَّت عليهم الحالة المرضية لـ "أوساكو"، وأخبرتهم بأن حالتها سيئة للغاية، رغم أنها بمنتصف الشهر الماضي لم يكن بها شيء على الإطلاق، بل وفعلت كما تُفضِّل دائِمًا، وكانت هي الشخص المسؤول عن استخراج الشهادات العليا الموثَّقة لممارسة تقديم الفنون، وباليوم الثلاثين من شهر يوليو قدَّمَت هذه الشهادة لإحدى الفتيات وأقامت لها حفلًا ببيتها، وكانت المعلِّمة "أوساكو" بذلك الوقت بالضبط ترتدي بعناية ملابسها المزيَّنة بشعار الأسرة، على الرغم من شدَّة حرارة الطقس، وابتهلت بالصلوات لصور أسلافها وفقًا للطقوس، وبدأت المراسم بشكل صارم.

لكن باليوم التالي -اليوم الحادي والثلاثين بالشهر- جاءت هذه الفتاة لتلقي على مُعلِّمتها التحية فوجدتها مُمتَقِعًا لون وجهها ولا تتحسَّن، بعدها بأوَّل يوم من شهر أغسطس لازَمَت "أوساكو" الفِراشَ إثر الإعياء.

---

(1) كيمونو صيفي من القطن.

إن خطّ السِّكَّة الحديد لقطار"نانكاي" يختلف عن خَطٍّ "هانشين"، حيث إن العروق الخشبية بقضبانه أقلُّ، ومحطَّاته بين بيوت مُتراصَّة، أسطحها متلاصقة، ولكي تبحث "تائيقو" فيما بينهم عن المشفى وفي الطقس القائظ الحرارة؛ كان من الطبيعي أن تصل وهي تتصبَّب عَرَقًا.

كانت غرفة المعلِّمة "أوساكو" بالمشفى غرفة حارَّة، وإن كانت جهة الغرب، ورافقتها إحدى الطالبات لرعايتها وتمريضها، لكنها كانت نائِمةً وحدها.

لم يكن الاستسقاء لديها حادًّا إلى تلك الدَّرجة، ولا وجهها متورِّمًا كما ظَنَّت، واقتربت "تائيقو" من وسادتها وألقت عليها التحية باحترام، ولكنها بَدَت وكأنها لم تتعرَّف عليها، وكما جاء بحديث مَن ترعاها فهي تستعيد وعيها بين الحين والآخر، وأنها في الغالب ستستمرُّ هكذا في حالة الغيبوبة والهذيان بخصوص أمور تتعلَّق بالرقصات بالطَّبع.

تواجدت"تائيقو" معها قرابة نصف الساعة ثم انصرفت قائِلةً إنها ليس لديها مُتَّسع من الوقت، وبمجرَّد خروجها لحقت بها هذه الفتاة بالردهة لتخبرها برأي الأطبَّاء بأنها لا أمل بهذه المرة، وذلك بالضَّبط ما أدركته "تائيقو" برؤيتها لحالة "أوساكو" الصحية، وبعدما فكَّرَت بأنها لن تأتي مرة أخرى وتتكبَّد العناء وتتصبَّب عَرَقًا وتلهث أنفاسها بطرقات تلفحها أشعَّةُ الشمس الحارقة، تذكَّرَت أن مُعلِّمتها تحمَّلَت هذه المشقَّة ذهابًا وإيابًا يوميًّا، بحالة جسدها تلك، وشعرت بالمعاناة التي تحمَّلَتها من أجلها.

بعد سماع"ساتشيقو" لما أصبح عليه الوضع ذهبت لزيارتها باليوم التالي برفقة "تائيقو"، وبعدها بحوالي خمسة أو ستَّة أيام جاءهم خبر وفاتها، وأول مرة سنحت لها الفرصة لزيارة بيت المعلِّمة كان بعد وفاتها؛ من أجل تقديم التعازي.

كانت "أوساكو" هي الشخص الوحيد الذي ينقل عادات وتقاليد القرى الجبلية ذات الأصول العريقة، وقديمًا كانت تقطن ببلدة "كروايه مون" في إقليم "نان تشي"، وأطلقوا على عائلتها اسم القُرى التي هم منها، واعتُبِرَت هي الوريثة من الجيل الثاني.

اندهشت "ساتشيقو" بوصولهما للعنوان المنشود؛ فقد كان البيت مَسكنًا بائِسًا، وأفضل ما يُطلَق عليه "فقر مُدقِع"، ولم يتخيَّل أيٌّ منهما أبدًا أن ضيق العيش قد يصل إلى هذا الحد، ولكن هذا كان لأن الراحلة أخلصت بكل وجدانها للفن وكرهت بشدَّة انهيارَ النموذج المثالي للرقص المتوارَث منذ قديم الأزل، ولم تُغيِّر معتقداتها لتُجاري الزمن، وبالوصف الدقيق هي كانت ضعيفةً في كسب مهارات سُبُل العَيش.

أليس هذا هو السبب؟!

إن "ساجي ساكو" التي كانت أوَّلَ مُعلِّمةِ مَسرَحٍ بالإقليم الجانوبي، ومُصمِّمة رقصات الفلكلور "رقص إشيبيه"، والتي تُعتَبَر مُؤسِّسة للجيل الأول، قبيل وفاتها أوصَت "أوساكو" كوريثة لها أن تُصبح مُعلِّمة المنطقة، لكنها رفضت رفضًا قاطعًا؛ فبذاك الحين كان الرقص المتبرِّج في أوج ازدهاره في منطقة "فوچيما" و"واكاياجي"، وعلى هذا فإن أصبحت هي معلِّمة الحيِّ سيكون من صميم مهام دورها أن تنخرط بالأمر، ولا مَفرَّ من تعديل حركات الأيدي لتواكب أحدث صيحات الرقص بهذا العصر، وهذا ما لم تَبتَغيه الوريثة؛ فهي كانت شخصيَّةً عنيدة، على أتم استعداد لتَشقَّ طريقها بالحياة مهما واجهت من صعوبات.

من هذا المنطلق اكتفت بقليل من الطالبات.

إن "أوساكو" أخذتها جدَّتها منذ نعومة أظافرها وتولَّت تربيتها، ولم تعرف والديها، وأصبحت فتاة جيشا، وعلى ما يبدو أنها عاشت في كنف سيدها، إلَّا أنه -كالعُرف السائد- لا يمكن لها أن تُنجِب طفلًا

بـدون زواج، وعاشـت مَغضوبًـا عليهـا مـن أفـراد أسرتهـا، وعنـد موتهـا لم يـأتِ أيٌّ مـن ذويهـا.

أقيمـت مراسـم الجنـازة بهـذا اليـوم شـديد الحـرارة في "أبيهنـو"((1)*) بحضـور عـددٍ قليـل مـن الأشـخاص الذيـن هـم ذاتهـم مـن تَبقَّـوا لأخـذ الجثـمان للمَحرَقـة التـي بالجـوار وانتظـروا الرُّفات، وبتلـك الأثنـاء تبادلـوا الأحاديـث عـن ذكرياتهـم مـع الراحلـة.

"كرهـت المعلِّمـة "أوسـاكو" وسـائل المواصـلات جميعهـا، خاصَّـةً السـيارات والسـفن".

""أوسـاكو" رغـم كل شيء كانـت قويَّـةَ الإيمـان، وفي يـوم 26 مـن كلِّ شـهر تسـتقلُّ القطـار وتذهـب لزيـارة معبـد "قيوشـيقوچن" دون أن يفوتهـا مـرَّة، ولهـا جولـة شـهرية بالمعابـد الثلاثـة الشـنتوية: "قووتـزو" و"إيكوتامـا" و"سـوميوشي"، بمعابدهـم المُلحَقَـة، وبأواخـر الشـتاء بمعابـد بلـدة "كاميماتـشي"، وتُـوزِّع مُعجَّنـات الأرز بعـدد سِـنِي عمرهـا".

"كل التدريبـات زاوَلَتهـا بمنتهـى الحـماس، وكانـت تُعلِّـم طالباتهـا بتواضُـعٍ الإحسـاسَ الـلازم لـكلِّ جزئيـة، وتكتشـف الأخطـاء الشـائعة وتُصحِّههـا، فمَثَـلًا، بالرَّقصـة التـي عـلى أغنيـة مـن الفلكلـور تُدعَـى "shiokumi 汐汲み" و"kanawa 鉄輪" كانـت تُوجِّههـن كيـف يتحرَّكـن، وتلقـي تعليماتهـا بأعـينٍ يملؤهـا الافتتـانُ، وتشـاركهم بـكل انحنـاءَةٍ وتَمايُـل".

""أوسـاكو" شـخصية مُتحفِّظـة تتمسَّـك بمفاهيـم عفـا عنهـا الزمـن، ولا تسـتطع أن تقـف لا تحـرِّك سـاكِنًا وتـدع الرقـص المعـاصر بـ "كيوتـو"

(1) ABENO 阿倍野あべの منطقـة في جنـوب "أوسـاكا" غنيـة بالمواقـع التاريخيـة، وهـي الآن منطقـة تجارية.

و"أوساكا" يمضي قُدُمًا مُواكِبًا التيار، بل وانشغل تفكيرها بأن تطأ قدمها "طوكيو" لأول مرة بحياتها إن سنحت لها الفرصة لتجابه الأمر، وبدون تفكير منها بالموت قالت إنها حين تبلغ الستين من العمر ستستأجر مسرح الجنوب وتقيم المنتديات الرائعة".

كانت "تائيقو" هي أحدث الطالبات التحاقًا بالتدريبات وعلاقتها المقربة من المعلِّمة "أوساكو" لم تكن إلَّا بالفترة الأخيرة لذلك كانت تصغي بهدوء هي وأختها لكل ما يدور حولهما من أحاديث؛ فلقد كان لهما عناية خاصة منها، وإنما إن كانت لـ "تائيقو" نِيَّة كامنة بأن تصبح مُعلِّمة مُعتَمَدَة فالآن خبَّأت هذه الرغبة.

الفصل الثالث عشر

"أُمّي، عائلة "STOLZ" سيعودون لألمانيا".

بذاك اليوم، عادت الصغيرة "إتسوقو" بهذا الحديث بعدما أمضت اليوم بأكمله تلهو ببيت جيرانهم الألمان، ولأنه كلام أطفال فلم تأخذه "ساتشيقو" على محمل الجدِّ، لكن بالصباح التالي حين التقت السيدة"STOLZ" عند السور السِّلكيِّ الفاصل بالحديقة حاوَلَت التأكُّد ممَّا قيل، وفاجأها الرد بأن الأمر حقيقي.

جاء بحديث السيدة "STOLZ" أن اليابان فعلًا منذ بدء الحرب وكل الأشغال التجارية متوقِّفة تمامًا، وبمتجر زوجها في "قوبيه" منذ بداية هذا العام والحال وكأنهم بعطلة. لقد ظنُّوا أن الحرب ستنتهي على الفور، وانتظروا للآن، ولكن أصبح لا أحد يدري شيئًا، وبعد تفكيرٍ طويل قرَّر زوجها العودة لبلدهم. كانت تجمع شتات كلماتها وهي تقول إن زوجها في الأصل كان يتاجر في "مانيلا"، لكنه منذ عامين أو ثلاثة جاء إلى "قوبيه"، ورغم تكبُّده لكثير من المشقة ليُهيِّئ موطِنَ

قَدَمٍ له بالشرق الأقصى إلَّا أن مجهود السنين ضاع هباءً كفقاعة ماء، وليس أمامهم سوى العودة للديار الآن، وقالت لـ "ساتشيقو" أيضًا:

"أنا وأطفالي نشعر بسعادة لا توصف لكوننا حظينا بجيران أفاضل أمثالكم، ولكن علينا أن نفارقكم الآن، كم هذا مرير... أنا وأبنائي سنعاني كثيرًا".

وكان حديثها في عُجالَة.

بهذا نَوَت عائلة "STOLZ" أن يغادر ربُّ العائلة وابنهم الكبير "بيتر" أوَّلًا بهذا الشهر ويعودان لبلادهما، مرورًا بأمريكا، والزوجة و"روزماري" و"فريتز" سيرحلون مع بعضهم البعض بالشهر القادم إلى "مانيلا"، ويبقون هناك ببيت أختها لفترة وجيزة، ثم يتوجَّهون لأوروبا جميعهم، حيث ستغادر معهم عائلة أختها أيضًا ويرحلون لبلادهم.

كانت أخت "هيلدا" هناك بـ "مانيلا" طريحة الفراش وتعاني مرضًا عضالًا، وهي مَن ستتولى شؤون بيت أختها وتجمع الأمتعة، وبخلاف أطفالها ستصطحب أطفال أختها الثلاثة.

لم يتبقَّ سوى اثني عشر يومًا على رحيل "روزماري"، وحجز أبوها كابينة له ولأخيها"بيتر" بآخر شهر أغسطس على متن الباخرة "EM-PRESS OF CANADA" والمغادرة من ميناء "يوقوهاما".

أمَّا من ناحية عائلة "ماكي أوكا" فلقد كانت "إتسوقو" تعاني انهيارًا عصبيًّا منذ أواخر شهر يوليو، غير أنه لم يكن بنفس حِدَّة العام الماضي، بجانب معاناتها من مرض "البري البري"؛ ففقدت شهيَّتها للطعام وبدأت تشكو من الأرق، وربما عليهم أن يصطحبوها إلى "طوكيو" في زيارة لبيت العائلة الكبير قبيل أن تشتدَّ حِدَّة مرضها؛ لعلَّ حالتها تتحسَّن. إنها لا تعرف "طوكيو"، وزملاؤها بالمدرسة يحسدون

مَـن ذهـب منهـم للزيـارة "نيچوبـاشي"[1]، وإن اصطحبوهـا في زيـارة لرؤيـة المعـالم هنـاك قـد يسـاعدها ذلـك بـأي شـكل، عـلاوة عـلى أن "ساتشـيقو" لم تَـزُر بَعـدُ بيـت العائلـة في "شـيبويا"؛ لذلـك فهـي فرصـة مناسـبة.

بهـذا أصبـح ثلاثتهـم "ساتشـيقو" و"يوكيقـو" و"إتسـوقو" ينتظـرن بفـارغ الصـبر بـدء شـهر أغسـطس للسـفر، لكـن بمـرض المعلِّمة"أوسـاكو" ثـم رحيلهـا تَـمَّ التأجيـل، وربمـا يسـتطعن الذهـاب بهـذا الشـهر، لكـن أيضًـا إذا كانـت مغـادرة ربِّ عائلـة "STOLZ" مـن "يوقوهامـا" قُـربَ هذه الأيـام فعليهـنَّ الذهـاب لوداعـه أوَّلًا، وهـذا مـا فكَّـرَت بـه "ساتشـيقو"، ولسـوء الحـظ مـرَّةً أخـرى فـإن يـوم المغـادرة سـيوافق يـوم مهرجـان "چيزوبون"[2]ويتوجَّـب عـلى "ساتشـيقو" زيـارة المعبـد بـدلاً مـن أختهـا الكبـيرة ربـة بيـت العائلـة الكبـير وفقًـا لطقـوس "سـجاكي"[3] المتَّبَعَـة.

بهـذا الحـال أصبـح مـا باليـد حيلـة.، وفي يـوم 17 مـن الشـهر أقامـوا حفـل وداعٍ لـ "بيـتر"، ودعـوا كلَّ الأطفـال، وبعدهـا بيـوم -أي في يـوم 19 مـن الشـهر- أقامـت عائلـة "STOLZ" حفـلَ شـايٍ للأطفـال، واجتمـع أصدقـاء "بيـتر" وروزمـاري" الألمـان، وانضمَّـت لهـم صديقتهـم اليابانيـة الوحيـدة "إتسـوقو".

بمسـاء اليـوم التـالي جـاء "بيـتر" وحـده لبيـت عائلـة "مـاكي أوكا" ليودِّعهـم، وصافحهـم فـردًا فـردًا، وأخبرهـم أنـه في صبـاح الغـد سـيتوجَّه مـع والـده إلى "سـان نوميـا"، ومنهـا إلى "يوقوهامـا"، ومـن ثـم عَـبرَ أمريـكا يصـلان إلى ألمانيـا في أوائـل شـهر سـبتمبر.

---

(1) الجسر المزدوج الذي أمام القصر الامبراطوري بطوكيو.

(2) مهرجان في 23 و24 من أغسطس يقام في كيوتو.

(3) 鬼餓施せがき طقـوس للبوذيـة اليابانيـة أصبحـت مـن التقاليـد المتَّبعـة لوقـف معانـاة الأشـباح التـي يعذِّبهـا جـوعٌ لا ينضـب، عـلى أن تكـون هـذه الطقـوس لإجبارهـم للعـودة بأماكنهـم في الجحيـم ومنـع أرواح المـوتى مـن السـقوط في عالمهـم. الاحتفـال أيضًـا يُعتَـبَر مناسـبة رمزيـة لقطـع العلاقـات مـع خطايـا المـاضي وتذكُّـر المـوتى.

سيسكنون في "هامبرج"، ودعاهم "بيتر" ليأتوا لزيارتهم بأي وقت، وأضاف أنه حين يمرُّ على أمريكا يَوَدُّ شراء أي شيء لـ "إتسوقو" ويرسله لها. سألت "إتسوقو" أمَّها ثم طلبت منه أن يرسل لها حذاء، فطلب أن تعيره أي حذاء لها، ورجع لبيته، لكنه سرعان ما عاد ومعه ورقة وقلم رصاص وشريط قياس وقال:

"أخبرت ماما وقالت لي من الأفضل أن تأخذ قياس قَدَمِها بدلًا من أن تستعير حذاء".

وأخذ المقاس بعدما جعل "إتسوقو" تضع قدمًا على الورقة، وفعل كما قالت له أمُّه بالضبط، وكتب القياس وعاد.

في صباح يوم 22 اصطحبت "يوكيقو" الصغيرة "إتسوقو" إلى "سان نوميا" لوداع "بيتر" وأبيه، وبذاك المساء دار حديثهم حول طاولة العشاء عمَّا أخبرهما به الأب عن ابنه؛ فلقد قال إن"بيتر" منذ الصباح وهو يتملَّكُه حُزنٌ شديد، وسأل "بيتر" "إتسوقو" متى ستذهب إلى "طوكيو"، وهل ستستطيع المجيء عند السفينة بالميناء يوم المغادرة 24، وأبدى لها رغبته في لقائها مرَّةً أخرى لو أمكن.

تحرَّك القطار وهو يعيد كلماته مرارًا وتكرارًا، وأصبح الأمر مُثيرًا للشَّفقة، ولكن في ذلك الحين اتَّخَذَت "ساتشيقو" من حديثه ذريعةً لتقول للصغيرة:

"إنْ كان الأمر هكذا فاذهبي للقاء "بيتر" في "يوقوهاما"".

فماذا بها إذا لم تُصمِّم أُمُّها على ضرورة قضاء يوم 24 معها وتسمح لها بالمغادرة مع "يوكيقو" بالغد بالقطار المسائي وتصلان بصباح بعد غد إلى "يوقوهاما" وتذهبان مباشرة إلى السفينة بالميناء؟ وستلحق بها أُمُّها في يوم 26 وتصطحبها في جولة لزيارة معالم "طوكيو" بعدما ينتظرانها هذه الليلة في بيت العائلة في "شيبويا".

أليس من الأفضل أن تسير الأمور هكذا؟...

لَحظَتَها دار هذا النقاش:

"ماذا إذن "يوكيقو"... هل تغادران مساء غد؟".

"لم أُتمِّم مشترياتي بعد، تُرى هل سيمكنني الانتهاء منها بنهار الغد؟... إن ركبنا بالقطار المسائي ستنام "إتسوقو"، وإن غادرنا بعد غد بالصباح الباكر لن نلحق".

وظلَّت "ساتشيقو" و"يوكيقو" باقي اليوم كلِّه على هذا الحال، وأمضت كلتاهما ليلتها بشعور بائس.

قالت "تائيقو" دون اكتراثٍ:

"في الحقيقة من الأفضل المغادرة بعد غد، وليكن بالصباح الباكر مثلما فعلت حين مجيئك "يوكيقو"".

ثم أضافت بنبرةٍ يَغلبها المزاح:

"ليته يُمكِنُك التَّمهُّل، وإنَّما لا مفرَّ؛ فكُلُّه من أجل "بيتر" و"إتسوقو"...".

لقد جاءتهم "يوكيقو" بشهر يوليو، أي منذ ما يقرب الشهرين، وظنَّت حينها أن الأوضاع استقرَّت هكذا، ولكنها ها هي الآن عليها المغادرة بعد غد، وبشكل أو بآخر ستفارق؛ مِمَّا يجعلها ينفطر قلبها. وإن كان بهذه المرة سترافقها "إتسوقو" وتلحق بهما "ساتشيقو"، ولن تتخذ طريقها بمفردها، إلَّا أن الأم وطفلتها لن تبقيا طويلًا، وسرعان ما ستبدأ المدارس ويتوجَّب عليهما العودة، ومن بعدها سيلزم عليها البقاء في طوكيو.

هكـذا ظنَّـت "يوكيقـو"؛ فوجودهـا في "أشـيبا" وعيشـها مـع عائلـة أختهـا الوسـطى "ساتشـيقو" هـو مـا تبتغيـه، غـير أنـه غنـي عـن الذكـر شـأن قلبهـا المتعلِّـق بـأراضي إقليـم "كانسـاي"، وكراهيتهـا لـ "طوكيـو" وبيـت العائلـة الرئيـسي وأخيهـا الكبـير الـذي لا تتوافـق طباعهـا معـه مُطلَقًـا، ووجودهـا في إقليـم "كانتـو" لا يناسـب طبيعتهـا، وهـذا مـا كانـت "ساتشـيقو" عـلى يقـين منـه واسـتنتجته مـن الموقـف؛ لذلـك في اليـوم التـالي لم تبـادر بقـول أي شيء عـن عَمـدٍ؛ فـماذا عسـاها أن تفعـل؟ لـو كان الأمـر بيدهـا لاتَّخَـذت أفضـل قـرارٍ تـراه، وهـو أن تـدع كلًّا مـن "يوكيقـو" و"تائيقـو" عـلى حريتهـما، وتفعـلا مـا يحلـو لهـما.

بالصبـاح كانـت "يوكيقـو" بالبيـت، والصغـيرة تُلِـحُّ عليهـا للذهـاب، وقبـل حلـول المسـاء وهـي كـما هـي عـلى حالهـا ارتـدت ملابسـها في تَمَلمُـل وجعلـت "تائيقـو" تعطيهـا حقنـة العـلاج المعتـاد، ودون أن تقـول شـيئًا لأي أحـد اصطحبـت "أوهـارو" وخرجـت، وبـدون أيضًـا أن تُحـدِّد وجهتهـا.

عادت"يوكيقـو" بعـد السادسـة مسـاء تحمـل الكثـير مـن اللفائـف لمشـتريات مـن متاجر"موطوماتـشي" و"دايمـارو" في "قوبيـه" وقالـت:

"اشتريتُ هذا وجئت".

وأخرجـت مـن حـزام ردائهـا اثنـين مـن التَّذاكـر الخاصـة السريعـة. المغـادرة مـن "أوسـاكا" قبـل السـابعة صباحًـا، والوصـول لـ "يوقوهامـا" قبـل السـاعة الثالثـة مسـاء، إذن هنـاك مُتَّسـع مـن الوقـت لسـاعتين أو ثـلاثٍ تكفـي للقـاء.

وانحسـم الحـوار سريعًـا، وتلملمـت الأمتعـة في عجالـة، وأخبروا السـيدة "STOLZ" بمـا في نِيَّتهـم فعله.

لم تستطع "إتسوقو" النوم من حماستها بعدما جعلتها "يوكيقو" تصعد لغرفتها دون فائدة وهي تأمرها بالنوم؛ ففي الغد عليهم الاستيقاظ مبكِّرًا، ثم أغلقت حقيبة ملابسها فجأة، وانتهى الأمر...

كان "تينوسوكيه" بغرفة مكتبة يتفقَّد شيئًا ما، تارِكًا الأخوات يثرثرن بغرفة المعيشة حتى بعد منتصف الليل، إلى أن قالت "تائيقو" بالنهاية:

"هيَّا "يوكي" فلتذهبي للنوم".

وتثاءَبَت بوقاحة.

هذه الأخت الصغيرة فيما بينهن جميعًا هي أكثر من تسيء الأدب على النَّقيض من "يوكيقو"، وأصبح شأنها مبالَغًا فيه؛ فهي بالصيف قائِظِ الحَرِّ كتلك الليلة انتهت من اغتسالها وارتدت الكيمونو القطني "اليوكاتا" عاريةً، وتركت حزامه دون أن تربطه؛ فكان بين الحين والآخر ينكشف نَهدُها، فتوجِّه إليه نسمات مروحة يدها وهي تثرثر.

"إن كنت تريدين النوم فهيَّا اذهبي أنتِ أوَّلًا أختي الصغيرة".

"وماذا عنك؟ ألن تنامي؟".

"اليوم تحرَّكت كثيرًا، ويبدو أن قلبي مُنهَكٌ بشدَّة، ولا أشعر بالنعاس".

"ألست بحاجة لحقنة؟ من الضروري أن تأخذيها صباح الغد قبيل ذهابك. هذه المرة أنت بحالة مُزرِيَة "يوكيقو"...".

قالتها "ساتشيقو" بعدما لاحظت ظهور تلك البقعة على وجهها بشكل خافِتٍ بعدما اختفت مدَّةً طويلة.

"طوال هذا العام وأنا أتمنَّى مجيئك إلينا ثانية، والعام القادم سيكون صعبًا للغاية "يوكيقو"".

غـادر السـيد "STOLZ" وابنـه محطَّـة "سـان نوميـا"، ولكنهـما تباطَـآ قليـلًا لينتظـرا مغـادرة "يوكيقـو" و"إتسـوقو" مـن "أوسـاكا"؛ فـإن سـارت الأمـور وفقًـا للموعـد المحـدَّد فـلا بُـدَّ لهـما أن تسـتقلَّا القطـار في تمـام السادسـة صباحًـا مـن "أوسـاكا".

اعتزمـت "ساتشـيقو" أن تودِّعَهـما بالمنـزل، لكـن السـيدة "STOLZ" قالـت إنهـا سـتصطحب أطفالهـا حتـى محطَّـة "أشـيبا" لوداعهـما؛ فـكان عليهـا أن تفعـل هـي الأخـرى، وفي الصبـاح الباكـر خرجـوا جميعهـم؛ هـي و"تائيقـو" و"أوهـارو".

بالمحطة قالت لهم السيدة "STOLZ":

"أرسلت برقية للسفينة مساء أمس لأخبرهم بموعد القطار".

"بالتأكيد "بيتر" سيسارع بالصعود لسطح السفينة".

"أظنُّ هكذا... "إتسوقو"، أنتِ طيِّبة للغاية. جزيل الشكر".

وقالتها السـيدة "STOLZ" وقالـت لأبنائهـا "روزمـاري" و"فريتـز" أيضًـا بالألمانيـة أن يشـكروها.

وكانـت كلمـة "شـكرًا عزيـزتي" بالألمانيـة:SCHATZ DANKE هـي كل مـا تعرفـه أسرة "ساتشـيقو" مـن هـذه اللغـة.

"حسنًا إذن، أمي تعالي إلينا سريعًا".

"أكيد. سآتي يوم 26 أو 27 على الأغلب".

"أكيد؟".

"أكيد".

""إتسوقو"، عودي إلينا سريعًا".

قالتها "روزماري" وهي تلاحق القطار الذي بدأ يتحرَّك، وحينها تذكَّـرت "إتسوقو" بعض الكلمات الألمانية التي أجابتها بها وهي تلوِّح بيدها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الرَّابع عشر

صباح يوم 27 وقفت "ساتشيقو" بمحطة القطار السريع بعدما جمعت بالليلة الماضية أمتعتها والحقائب والهدايا التي ستأخذها معها إلى "شيبويا"، والتي كانت حوالي ثلاث حقائب، وبالطبع هي لن تستطيع التصرُّف بمفردها بمثل هذا الظرف؛ لذا فعليها أن تجعل "أوهارو" هي الأخرى تتجوَّل بزيارة لمعالم "طوكيو".

لقد دار بخلدها الكثير من الترتيبات؛ فـ "تينوسوكيه" يعتني بحاله، و"تائيقو" دائِمًا بالخارج، ولا داعي للقلق بشأنها؛ لذا فمن الأفضل اصطحاب "أوهارو"؛ فهي ستعينها بكثير من الأشياء، وإذا سارت الأمور على ما يرام فحين تبدأ المدارس ستجعلها ترافق الصغيرة وتعود بها؛ لأنها تريد أن تبقى لحين من الوقت من بعدهم.

إنها لطالما كانت تَودُّ الذهاب لـ "طوكيو" وبما أن الفرصة سنحت أخيرًا فلتتمهَّل وتذهب لمسارح أو غيره...

"آاااه... أوهارو أيضًا جاءت".

قالتها "إتسوقو" بعدما جاءت لمحطة "طوكيو" مع "يوكيقو" و"ترو أو"، الابن الأكبر لخالتها ربة بيت العائلة الرئيسي، ورأت "أوهارو" خلف أمها دون أن تتوقَّع؛ فتعالت صيحاتها في مرح، وبطريقهم بعدما استقلُّوا سيارة أجرة قالت:

"انظروا هناك... المبنى الدائري وقبالته القصر الإمبراطوري".

وارتسمت على وجهها ملامح الكبار، وبدت معنوياتها مرتفعة، وعلى الفور لاحظت "ساتشيقو" لون وجنتيها المفعم بالحيوية وتَحسُّن حالتها الذي اتَّضح من لون بشرتها وعينيها.

"يا "أوهارو"... اليوم استطاعت "إتسوقو" رؤية جبل "فوچي"".

"نعم بالضبط، لقد رأيته من قِمَّته لأسفله. كانت الغيوم أقلَّ مِمَّا هي عليه الآن، ورأيت قِمَّته".

"حقًّا! تُرى هل سيكون حظ "أوهارو" جيِّدًا بالمثل؟".

بوصول السيارة إلى "هوري باتا" أخذ "ترو أو" قُبَّعته وأشار لهم:

"هيَّا، "أوهارو"... انظري هناك. إنه جسر "نيچوباشي"".

وقالت "يوكيقو":

"لقد جئنا سابِقًا ونزلنا من السيارة وألقينا تحية الإجلال".

"بالضبط، بالضبط أمي...".

"ومتى كان هذا؟!".

"سابقًا... بالضبط يوم 24، مع السيد "STOLZ" و"بيتر" و"يوكيقو"، واصطففنا لننحني ونؤدي تحية الإجلال".

"حقًّا! السيد "STOLZ" جاء الى "نيچوباشي"؟".

"نعم؛ لقد اصطحبتنا "يوكيقو"".

"وهل كان لديهم مُتَّسع من الوقت؟".

"كان الوقت ضيِّقًا، والسيد "STOLZ" ينظر لساعة يده باستمرار، لكنَّه لم يُمانِع...".

بذاك اليوم، هرولت "يوكيقو" و"إتسوقو" سريعًا، واندفعتا نحو مصدَّات الأمواج، وانتظرهما السيد "STOLZ" وابنه على متن السفينة متلهفَّيْن وصولهما، وعرفت منهما "يوكيقو" أن المغادرة في السابعة مساء، ولا يزال هناك حوالي أربع ساعات، فاقترحت عليهم الذهاب لاحتساء الشاي في "NEW GRAND"، وطالما الوقت مُبكِّرٌ فليتجوَّلوا بالقطار في طوكيو أوَّلًا، ولكن جولة القطار هذه تستغرق ساعة، وسيتبقى لديهم ثلاث ساعات؛ لذا فمن الأفضل أن يأخذوا الجولة بسيارة أُجرة ويشاهدوا المعالم السياحية بالجوار، وهذا ما استقرُّوا عليه.

لم يذهب"بيتر" ولا والده إلى طوكيو من قبل، و"يوكيقو" أصبحت تعرفها، وتَردَّد السيد "STOLZ" بعض الشيء، لكن أمام إلحاح ابنه وافق، واستقلُّوا سيارة من "ساكوراجي" إلى "أوراكو"، واحتسوا الشاي أوَّلًا في فندق "IMPERIAL HOTEL"، ثم انصرفوا في الرابعة والنصف ليستكملوا جولتهم بالسيارة في عجالة.

بدؤوا بزيارة جسر "نيجوباشي"، وأدَّوا تحية الإجلال، ثم بالسيارة حينًا وعلى أرجلهم حينًا آخر زاروا المبنى المستدير، المسرح الإمبراطوري، متنزَّه "هيبيا"، وزارة العدل، وزارة القوات البحرية" مقر رئيس الوزراء، البرلمان الإمبراطوري، ووزارة الدفاع، وبأقصى سرعة أتمُّوا جولتهم السياحية ووصلوا إلى محطة "طوكيو" في الخامسة والنصف، أرادت "يوكيقو" العودة مرة أخرى إلى الميناء معهم، لكن السيد "STOLZ" ألحَّ عليها بألَّا تفعل؛ فالصغيرة سيغلبها الإنهاك، خاصَّة

وأنهم يتحرّكون بنشاطٍ هنا وهناك منذ الصباح الباكر؛ فاكتفوا بوداعهم عندالمحطة وافترقوا.

"هل كان "بيتر" فَرِحًا؟ "طوكيو" عظيمة، وأراها أثارت دهشتك يا "إتسوقو"، أليس كذلك؟".

"فعلًا، بها المباني الكبيرة بكل مكان... "بيتر" أباه يعرف أوروبا، ولكنَّه هو لا يعرفها مثلما يعرف "مانيلَّا"، "قوبيه" و"أوساكا"".

"وهل وجد "طوكيو" كما تَوَقَّعها؟ وأنت، ماذا عنكِ يا "إتسوقو"؟".

وهنا تدخَّل "ترو أو" بالحوار ليجعل منه جدلًا طفوليًّا:

"إتسوقو ليست يابانيَّةً، أنا أعرف من قبل".

"ولماذا؟ أنا أعرف، "طوكيو" بمفردي وتحمَّلتُ وحدي عناء الشَّرح له".

فسأل "ترو أو" خالته:

"حقًّا؟! هل فعلت؟ شرحت باليابانية؟".

"نعم، بالضَّبط، أنا التي شرَحتُ لـ "بيتر" وهو كان يترجم لوالده، حتى كلمات: "مقر رئيس الوزراء" و"البرلمان الإمبراطوري" عرفتها، ولكنه لم يفهمها؛ لذلك من حين لآخر كنَّا نستخدم الإنجليزية... "يوكيقو" تعرف مثل هذه المفردات جيِّدًا بالإنجليزية".

واستمرَّ "ترو أو" في مضايقتها، وكان يتحدَّث لكنة "طوكيو" بمهارة، فقال:

"تمزجين بعض الكلمات الإنجليزيَّة باليابانية، وتعرفين كلمة "البرلمان الإمبراطوري" لكن كلمة "مقر رئيس الوزراء" ستترجميها طبعًا لـ "هنا يوجد السيد حارس الإمبراطور" أليس كذلك؟".

وتدخَّلَت أخيرًا "يوكيقو" بالحوار، وأضافت:

"مهـلًا، "إتسـوقو" أيضًـا تعـرف الألمانيـة واسـتخدمتها. قُلـتِ AUF WIEDERSEN أليـس كذلـك؟".

"نعـم، قُلتُهـا عـدَّة مـرَّاتٍ وأنـا أودِّعهـم بالمحطـة، مـع أن السـيد "STOLZ" كان يـردُّ بالإنجليزيـة...".

كان مـن الطبيعـي أن تُقلِّـل "ساتشـيقو" مـن كلماتهـا وهـي تتخيَّـل كيـف كان غريبًـا ذاك المزيـج؛ "يوكيقـو" بملابسـها الحريريـة الخفيفـة بنقـوش طباعـة "YOZEN" التـي تتمعَّـن بـكل كلمـة، وتسـحب بيدهـا "إتسوقو"بملابسـها الغريبـة التـي ترشـد الصبـي بصُحبَـة الرجـل الأجنبـي الأنيـق. يدخلـون فنـدق "IMPERIAL HOTEL" وتحيطهـم المبـاني الضخمـة في شـارع الهيئـات الحكوميـة. تخيَّلَـت "ساتشـيقو" مـدى انزعـاج السـيد "STOLZ" والأطفـال ينضمُّـون إليـه في احتسـاء الشـاي وهـو يتفقَّـد الوقـت بسـاعة يـده كل لحظـة، ثـم يتجـوَّل معهـم مُتوتِّـرًا وهـو ملتـزم الصمـت.

خمَّنَـت "ساتشـيقو" كـمَّ الحماقـة والمضايقـات التـي ستشـعر بهـا لـو كانـت بمكانـه...

"أمي، هل رأيت معرض الصور ذلك من قبل؟".

سألَتها "إتسوقو" حين اقتربت السيارة من ساحات الحدائق:

"جئتـه مـن قبـل يـا أمـي أليـس كذلـك؟ هيَّـا، سـاعدي المغتربـين وافِدِي القُرَى".

لكـن "ساتشـيقو" لم تكـن عـلى عِلـمٍ بـ "طوكيـو" إلى هـذا الحَـدِّ. هـي بالـكاد جـاءت مـرَّةً أو مرَّتَـين منـذ زمـن بعيـدٍ، حـين كان يصطحبهـا والدهـم لزيـارة العاصمـة وهـي في السـابعة عـشرة مـن العمـر تقريبًـا، ويبيتـون ليلتهـم في نُـزُلٍ بحـيِّ "تسـوكيجي". حينهـا ذهبـت لـترى كلَّ مـكان، لكـن ذاك كان قبـل زلـزال 1923 العظيـم، وبعـد إعـادة إعـمار

العاصمة الإمبراطورية لم تَتعدَّ زيارتها بضعَ ليالٍ، أمضتها في فندق "IMPERIAL HOTEL" برحلة شهر العسل، أي أنها لم تَرَ "طوكيو" منذ ولادة "إتسوقو" من تسع سنوات.

إنها في البداية كانت تسخر من شأن "إتسوقو" و"بيتر"، لكنها في الواقع هي ذاتها حين تَحرَّك القطار من محطة "شينباشي" وحتى وصل إلى محطة "طوكيو" شعرت من مشهد العمارات الشاهقة البازغة على جانِبَيْ خط السكة الحديد وكأنها تلمس مظهرًا مهيبًا للعاصمة الإمبراطورية التي تفتقدها من زمن، ولم يسعها أن تصف مدى ما شعرت به من حماسة. وإن كان بهذه الآونة "أوساكا" تتم بها توسُّعات في "ميدوسوجي" وجزيرة "ناكانو"، وحتى رصيف الميناء أصبحت به المباني الحديثة متراصَّة جنبًا إلى جنب، وهناك مبنى "أساهي" ذو العشرة طوابق، والإطلالة العالية من الأفق بمطعم "ألاسكا"... كلها معالم رائعة، وإنما مهما كانت فهي لا تصل لمستوى "طوكيو".

لقد رأت "ساتشيقو" العاصمة الإمبراطورية "طوكيو" بعد الإعمار، لكنها لم تتخيَّل أن أحوال التطوير والتجميل بلغت هذا الحَدَّ؛ فحين حدَّقَت في المشهد من خط السكة الحديد العالي رأت "طوكيو" أخرى لا تعرفها، واستقبلتها الأبراج الشاهقة، وودَّعَتها واحِدًا تلو الآخر، وفي المساحات الفاصلة بين المدن تراءى لها وميض برج القمة الخاص بمبنى البرلمان. إنه بنفس ارتفاعه منذ تسع سنوات.

بتلك الفترة لم تكن العاصمة الإمبراطورية فقط هي التي تغيَّرَت، بل "ساتشيقو" أيضًا تغيَّرَت هي وكل ما حولها، وها هي تسترجع كل ما طرأ على أُسرَتها من مُتغيِّرات، ويبقى للأمانة أيضًا أنها تظل لا تحب "طوكيو"، بل وترى أن سحرها يكمن بقلعة "يوشيدا" الرائعة، وتحديدًا

في أشجار الصنوبر التي تحيطها. إنها تتمثَّل بها معايير تشييد القلاع بعصر إيدو، وتقبع مكانها مُحتَضِنَةً مشهد المباني الشاهقة المبهرة. إنه مشهدٌ لا مثيل له بـ "أوساكا" أو حتى "كيوتو"، ولا تمل منه أبدًا.

من الأدعى قول إنه لم يَتسَنَّ لها الاقتراب من "طوكيو" هكذا من قبل. "جينزا" وطرقات "نيهون باشي" كلها مذهلة حقًّا، وإنما شيء ما بالهواء يجعله جافًّا تمامًا؛ ممَّا لا يدع مجالًا لكل مَن يشبهونها لتفضيل السُّكنى بمثل هذه المناطق، وهي تعي ذلك جيِّدًا، لكنها اليوم تريد التجوُّل في شوارع "أوو ياما" قاصدة "شيبويا". بالرغم من ذلك، تهبُّ في المساء نسماتٌ باردة وكأنها تأتي من مكان بعيد كلَّ البعد عن هنا.

لم تتذكَّر "ساتشيقو" ما إن كانت تجوَّلَت بهذه الشوارع من قبل؛ فالطرقات الماثلة أمام ناظريها تختلف كل الاختلاف عنها في "قوبيه"، "أوساكا" وحتى "كيوتو" التي هي أشبه بمناطق التوسُّعات الجديدة في الشمال في "هوكايدو" و"مانشوو" عن "طوكيو".

حتى الضواحي والمناطق النائية بالأحياء التي تشغل حيِّزًا بطوكيو الكبرى، وبكلِّ مكانٍ المحالُّ التجارية تصطفُّ على نفس المنوال، وبنفس الصخب؛ مِمَّا جعلها تفتقد وجود مكانٍ ما هادئ رطب، ورأت الناس بالشوارع وجوههم وكأنها باردة وتشعُّ بياضًا... تُرى لماذا؟

جاء لمخيِّلَتها نشوة لمسات الهواء وبهجة ألوان الأرض والسماء في "أشيبا" حيثما تقطن؛ ففي "كيوتو" إن ذهبت لأي شارع حتى لو صدفة لأوَّل مرَّة ستشعر بأُلفة وكأنك تعرف هذا الطريق جيِّدًا من قبل، وتجد نفسك تريد أن تبدأ الحديث مع الأشخاص من حولك، أمَّا في "طوكيو" فأينما تذهب لن تشعر بصِلَةٍ تربطك بأي شيء. أراضيها صارمة باردة.

"ساتشيقو" في مثل هذا الإقليم ومثل هذه المدينة تجدها ابنةَ "أوساكا" النَّقيَّة. إنها تتعجَّب من حال أختها الكبيرة، وكيف لها أن تتوه من نفسها وترتبك وتسكن هنا للآن.

تجوَّلَت السيَّارةُ بشوارع لم يروها حتى بأحلامهم، وستوصلهم سريعًا لبيتهم، المكان الذي تكرهه أمُّه وخالته وهو لا يدري أبدًا كيف لهما ذلك.

هي كان لديها إحساس مُماثِلٌ تمامًا وظلَّت تفكِّر مهما كان، فكيف لأختيها أن تتأقلَمَا بالعيش هنا وحتى لحظة وصولهم بالفعل وهي تشعر وكأن كل شيء ليس بحقيقي.

قطَعَت السَّيَّارةُ شوارع "دوجنزاكا"، وانحرفت يسارًا في شارع سَكنيٍّ هادئ، وفجأة هرع للسيارة يحاوطها من كل جانب ثلاثة أطفال في حوالي العاشرة من العمر.

"خالتي خالتي".

"خالتي خالتي".

"أمي بانتظارك".

"ها هو بيتنا".

"احترسي، احترسي، ابقَيْ عندك هناك".

قالتها "يوكيقو" من داخل السيارة التي للتَّوِّ بدأت تُبطِئ من سرعتها.

"ها هم... أختي الكبيرة وأطفالها، وأكبرهم "تتسو أو"".

"قصدك "هدييو"".

وصحَّح لها "ترو أو" الذي برفقتهم وأضاف قائلًا:

"هيديـو، يوشـيو، ماسـا أو... كلكـم كبرتـم... عجبًـا، تحدِّثوننـي بلكنـة "أوسـاكا"".

"كلهـم يتحدَّثـون لكنـة طوكيـو بطلاقـة، ولكنهـم يُعبِّرون عـن ترحيبهم بخالتهم".

الفصل الخامس عشر

سمعت "ساتشيقو" بأحوال أختهم الكبيرة ببيت "شيبويا" من "يوكيقو"، وبوصولهم شاعت الفوضى بكل مكان بسبب الأطفال، حتى إنه لم يكن هناك موطئ لقدم، لكن الوضع كان بخلاف ما ظنَّته تمامًا.

بالطبع كان المنزل على طراز البناء الحديث، ولا يمكن اعتباره غير مُشمِس، أعمدته رفيعة، عوارضه رديئة، ويبدو عليه أنه بيت مُستَأجَرٌ متواضع.

الأطفال يهرعون لنزول درجات السُّلَّم، وكل أرجاء المنزل تصيبك بالدُّوار.

الأبواب الجرَّارة الورقية مُمزَّقة ومُلصَقٌ عليها أجزاء جديدة رخيصة بيضاء، تجعلها تبدو مُزريَةً أكثر ممَّا هي عليه، ومُخجِلَة.

وإن كانت "ساتشيقو" تكره تقسيمة غُرَف منزلهم المعتم القديم ببلدة "أويه هون"، والذي عفا عنه الزمن، إلّا أنها بالتأكيد كانت تنعم فيه بهدوء واستقرار لم تهنأ به هنا، وحتى وإن كان ذاك البيت بحالته العتيقة المعتمة تلك، إلّا أنه كان به حديقة خاصة، وغرفة خلفية للشاي، والشمس عادة ما تتخلّل أشعَّتُها الجذوعَ الضخمة للأشجار، وتضيء الحديقة، ودائمًا ما تجد نسمات الهواء أمام المخزن الأرضي، وبكل مساحة شاغرة على حواف الجدران تراصَّت أحواض الورود بما لا يدع لك مجالًا لتطلق عليها حديقة... كم اشتاقت لهذا المشهد حين تراءى أمام عينيها الآن.

فتحت الأخت الكبيرة "تسوروقو" الغرفة اليابانية الطراز بالطابق الثاني التي تَدَعُها للضيوف بعيد عن ضجيج الأطفال بالأسفل لاستضافة "ساتشيقو" التي حملت حقائبها ولحقت بها. رأت بين السريرين بروازًا مُعلَّقًا لأسماك السلمون بريشة "سييه هوه"[1].

لقد كان والدهم يجمع أعماله الفنية لحينٍ من الوقت، وتمَّ بَيعُ أغلبها وقت ترتيب أغراضه بعد وفاته وهذه اللوحة فقط هي التي تبقَّت مع واحدة أخرى تذكَّرَتها الآن ووجَدَت أيضًا من مقتنيات أبيها "كتابات رايشونسوي"[2]، المنضدة القرمزية التي أمام البرواز، الرف الذهبي اللون المعلَّق على الجدار بالساعة المتموضعة عليه.

كل شيء من هذا مجرَّد أن رأته تبادر لمُخيِّلتها مكانه ببيت "أويه هون" وكأنها رؤيا تجتاح كل خلاياها.

جاءت أختهم الكبيرة بهذه الأشياء خصِّيصًا من أوساكا كتذكارٍ من عهدهم بالعِزِّ والرفاهية في أيامٍ مَضَت، واقتربت "ساتشيقو" وأمعنت

(1) 鳳栖せいほう رسَّام ياباني شهير في عصر ميجي وأوائل عصر شووا 1862- 1942.

(2) 春頼水すいらいしゅん أحد شعراء الكنفوشيسيَّة في عصر إيدو.

النَّظر بكل شيء وهي تتمنَّى لو أن مثل هذه التُّحَف بغرفة صالون للضيوف وليست بمثل هذه الغرفة الرتيبة. بخلاف وجهة نظرها؛ فحقًّا هذه الأشياء لا تُجدي نفعًا بغرفة تقليدية من الحصير، بل هي تجلب تأثيرًا عكسيًّا. إنها تظهر كَمْ بَخسٌ ذاك الأثاث تحديدًا، وأنه لمن الغريب وضع هذه التحف الثمينة وجلبها لهذا المكان بضواحي طوكيو، إنها تبدو كما لو أنها ترمز لحال الأخت الكبيرة.

"ها أنت ذا... لقد رتَّبت لي أغراضي بعناية رغم كل شيء".

"فعلًا... حين وصلت الحقائب فكَّرت أن أضعها لك فقط، ولكن البيت ضيِّقٌ، وإن كدَّستُها بالجوار فوق بعضها البعض سيضيق أكثر؛ فرتَّبتُها هنا".

بدأت بهذا المساء ثرثرة الأختين، لكن صعد إليهما الأطفال وتشبَّثوا بعنقيهما بشكل خانق، وتمسكوا بهما لتنزلا للأسفل؛ فكان لا مفرَّ من أن تنهال عليهم أمُّهم بكلمات التوبيخ كالمعتاد كي لا تتجعذَد ثياب خالتهم.

""ماسا أو"، هيَّا انزِلْ، اذهب هيَّا وأحضِر لخالتك شيئًا باردًا تشربه، أخبِرْ "هيسا" هيَّا، اسمع كلام أمِّكَ".

هكذا قالت"تسوروقو" وأمسكت بطفلتها "أوميه قو" التي لم تكمل الرابعة من عمرها بعد.

"وأنت يا "يوشي أو"، هيَّا اذهب للأسفل وأحضر لي مروحة يدي. "هيدييو"، ألستَ أنتَ الاخ الكبير؟ هيَّا، الكبير لا بُدَّ له أن ينزل أوَّلًا. أمُّكَ تفتقد الحديث لخالتك، وهي لا يمكنها أن تتحدث وأنتم لصيقون بها هكذا".

""هيدييو"، كم عُمرُكَ الآن؟".

"عندي 9 سنين".

"9 سنين! أصبحت كبيرًا الآن. حين رأيتك عند البوابة ظننتُكَ "تتسو أو"".

"نعم، كبرت بنيَتُه، ولكنه يظل بجواري ولا يفارقني حتى بطعامه. إنه فعلًا يشبهه أخاه الكبير قليلًا... لكن ما إن يصبح بمثل عمره حتى يستعدَّ للمدرسة وينشغل بالمذاكرة، ولن يكون صبيًّا مشاغِبًا هكذا".

"مَن عندك من الخادمات الآن؟ "هيسا" فقط؟".

"نعم، كان هناك "مييو" أيضًا، ولكنها مؤخَّرًا طلَبَت العودة إلى "أوساكا"، وللتَّوِّ أصبَحَت "أوميه قو" يمكنها السير وحدها، وأظنني بحاجة لمربِّية أيضًا". تأكَّدَت "ساتشيقو" من أن أختها تنهكها أعمال المنزل، لكنها بالرغم من ذلك رأتها تعتني بحالها، مُهَندَمَة حتى في تصفيفة شعرها، على عكس ما ظنَّت؛ فـ "تسورقو" لا يمكنها أبدًا أن تنسى آداب السلوكيات المُتَّبَعة مهما حدث. إنها ترعى زوجها وستَّةَ أبناء، أكبرهم بعمر الخامسة عشرة، ثم الذي يليه بعمر الثانية عشرة، ثم تسع سنوات، ثم سبع وسِتٌّ سنوات، وأخيرًا طفلة بعمر أربع سنوات، ولا يساعدها سوى خادمة واحدة. المثير للدهشة هو أنه كان من الأدعى لها أن تكون قد اكتسبت عشر سنين فوق عمرها الحقيقي وتفقد اهتمامها بمظهرها، لكنها لا تزال تبدو أصغر من عمرها بخمس أو ست سنوات على الأقل، وستكمل هذا العام الثامنة والثلاثين من عمرها.

عمومًا فيما بين الأربعة أخوات بعائلة "ماكي أوكا" فأكبرهم "تسوروقو" والثالثة "يوكيقو" هما الأكثر شبهًا بأمهم؛ أمَّا الثانية "ساتشيقو"، والأخيرة "تائيقو" هما الأكثر شبهًا بأبيهم. ولأن أمَّهم كانت من "كيوتو" فالأختان الأكثر شبهًا بها هما مَن تبدو على ملامحهما

عَبَقُ فتيات "كيوتو". الاختلاف بينهما فقط هو أن "تسوروقر" اجتمع بها كل المميِّزات؛ قامتها أطول "من "ساتشيقو" بنفس النسبة التي يقتضيها ترتيبهما، حتى إنها تبدو أطول من زوج أختها إن سارت بجواره، والذي يعتبر أخاها الصغير بالقانون، وهذا ليس فقط، بل بنيتها الجسمانية هي الأغنى شحومًا على أكتافها وساقيها كفتيات "كيوتو" عن حقٍّ، فهي ليست هزيلةً مثل "يوكيقو"، ضئيلة بنيتها، دقيقة عظامها بشكل مثير للشفقة.

في حفل زفاف أختهم الكبيرة و"ساتشيقو" فتاة في الحادية والعشرين من العمر لا تبرح مقعدها، كانت عروسًا في غاية الجمال؛ ملامحها واضحة، وجهها طويل، أمَّا شَعرُها فكان كفتيات عصر "هيان" قديمًا؛ إن وقَفَت يكاد يصل للأرض، وتعقصه لأعلى بربطة لامعة، وبدا فعلًا رائعًا، وهي مبهرة، ولها هيبة بثوب زفاف تعجز عن وصفه الكلمات، وكان حفل الزفاف عظيم الشأن لا يُنسَى أبدًا.

قيل إنه أصبح لساتشيقو وأخواتها أخ غير شقيق، وهو عريس أختهم الفاتنة، واستمعوا لما دار حولهم من أحاديث حول شركته وبلدته مسقط رأسه، وكثير من الكلام من ذاك القبيل الذي تهامس به أصدقاؤهم الحضور.

مضت الأيام وخاضت الأخت الكبيرة متقلِّبات الحياة طوال خمس عشرة سنة تقريبًا. أصبح لديها ستة أبناء، ولم يستمر نمط حياتها مُرفَّهًا كالسابق، وزادت الأعباء، ورغم عدم تألُّقها كسابق عهدها، إلا أن نعمة قوامها وطولها تضفي عليها قدرًا من الحيوية للآن.

هكذا ظنَّت "ساتشيقو" وهي تتأمَّل "أوميه قو" ببشرتها البيضاء الصافية، وهي في حِجر أُمِّها تصفِّق بكفَّيْها وتُربِّت بهما برفق.

أشفق "تينوسوكيه"على حال الأخت الكبيرة حين توجَّهَت زوجته مُصطَحِبَة طفلتهما والخادمة للمبيت لديها في "شيبويا"، واتق مع

"ساتشيقو" أنه فور ما تتسبَّب بمتاعب أو بالأكثر بعد ليلة أو اثنتين تذهب لنزل"هامايا" في حي "تسوكيجي"، وهو سيتَّصِل بمالكة النُّزُل، أو سيرسل لها برقيَّةً مُجرَّد أن تطلب منه.

في البداية لم توافقه"ساتشيقو" الرأي، ولم تكن لديها نيَّة المبيت بنُزُلٍ هي وابنتها فقط لحالهما؛ فبيت "طوكيو" ملائم للثرثرة مع أختها التي تفتقدها منذ زمن؛ ولهذا أيضًا اصطحبت خادمتها، فوقتما تجد أي صعاب ستجعلها تساعد بأعمال المطبخ، لكن بعد يومين والحال كما هو عليه أدركت أنه من الأفضل لو اتَّبَعت نصيحة زوجها فالأطفال في العادة ليسوا بمثل هذا الإزعاج والآن هم بالإجازة الصيفية، وجميعهم بالبيت، ومن الصباح الباكر وهم في صخب، وإن كان كما تقول أختها وفي غضون أيام سينعمون ببعضٍ من الهدوء وقت الظهيرة حين يذهب الكبار للمدرسة، إلا أن الثلاثة الصغار الذين لم يرتادوا مدرسة بعد هم حقًّا لا يفارقونها ولا يدعونها تهنأ بأي وقت شاغر.

جَرَت العادة بتلك الأيام أن تأتيها "تسوروقو" بالطابق الثاني ليثرثرا، وفي التوِّ يأتي الثلاثة أطفال يلاحقونها، ومهما قالت لا يطيعونها، فتمسك بهم وتنهال عليهم بالضرب على مؤخِّراتهم، وتعاقبهم، فتزداد الضوضاء أكثر وأكثر، ويعلو الصراخ وصيحات البكاء، ويستمر الوضع هكذا طوال اليوم.

"ساتشيقو" تعرف أن أختها دائمًا ما تتسرَّع بعقاب الأطفال منذ كانت بـ "أوساكا"، وتعي أنها إن لم تتصرَّف بهذا الأسلوب ستفقد سيطرتها عليهم.

بهذا لم يكن هناك مُتَّسَع من الوقت للتحدُّث أو الاستجمام.

"إتسوقو" خلال هذه الأيام جعلت "يوكيقو" تصطحبها في جولة لترى معبد "سنجاكوجي" والمعبد الشتوي "ياسوكوني"، لكنها كانت

تشعر بالتعب سريعًا، ولا يمكنها مواصلة السير في همَّة وقتما يشتد الحرُّ.

كان هناك سبب آخر "لساتشيقو" يجعلها تتجنَّب فكرة الإقامة بنُزُل، وهو أنها تريد لابنتها التي لم تعرف شعور وجود أخوة أن تجعلها بمثل هذه الفرصة تصادق أولاد خالتها، لكن الصغيرة"إتسوقو" استغربت وجود طفلة أصغر منها، ولسوء الحظ أيضًا الطفلة الصغيرة "أوميه قو" كانت شديدة التعلُّق بأمِّها، وحتى ليست كذلك مع "يوكيقو"، فكان الأمر أكبر من أن تتعامل معها "إتسوقو". فوق ذلك كله كانت المدارس على وشك البدء، وإن لم يعودوا سريعًا ستغادر "رومي" أيضًا إلى مانيلا... وانتهى الأمر بهمسات "إتسوقو" المتكررة. إنها لم تنشأ على مثل هذه الطريقة، فكانت بمجرَّد أن تبدأ خالتها بأسلوبها المُتَّبع في الضرب والعقاب ترتعب وتختلس النظر لخالتها بعيون زائغة.

إن "ساتشيقو" فيما بين أخواتها جميعا هي الأكثر تساهُلًا في كثير من الأمور، وفي الغالب هذا هو ما أدَّى لشعور ابنتها بالاستياء، وهذا أيضًا ما أثَّر سلبًا على مرضها وما تعانيه من انهيار عصبي.

قلق "ساتشيقو" من كل هذه الأشياء جعلها تفكِّر في ألَّا تدعها تعود برفقة "أوهارو" من قبلها، لكن تظلُّ المشكلة الأكبر هي الطبيب "سوجي أورا"، الذي جاء من "طوودواي" من أجلهم، بعدما تَعرَّف على حالتها من الطبيب"كوشيدا"، وإن لم يلتقوه بأوائل سبتمبر أثناء رحلتهم فهو لن يعود لطوكيو ثانية، وإن لم ينتظروه فلن ينالوا الغرض من اصطحاب إتسوقو لطوكيو بالأساس.

ظلَّت "ساتشيقو" في حيرة من أمرها لا تدري إن كان من الأفضل الانتقال إلى النُّزُل ما إذا كان بقاؤهم سيطول أم تبقى ببيت أختها. إنها لم تذهب من قبل لذاك النُّزُل الذي يُدعَى "هامايا"، وإنما

مالكتـه في الأصـل كانـت نادِلـةً في فنـدق "هاريهـان" بأوسـاكا، وتعـرف والدهـا حـقّ المعرفـة، والعلاقـة بينهـما كانـت مألوفـةً بحيـاة أبيهـا. جـاء بحديـث زوجهـا أن النُّـزُل في الأسـاس كان صالـةَ لقـاءاتٍ ثـم تحـوَّل لنُـزُل، وأعـداد الغـرف بـه قليلـة، ونـزلاءه في الغالـب هـم أصدقـاء مقرَّبـون مـن أوسـاكا، والخادمـات بـه غالبًـا مـا يسـتخدمن لكنـة أوسـاكا، والمبيـت بتلـك الأجـواء تسـوده الـروح الأُسَريَّـة ولا يشـبه طوكيـو، وظـنَّ زوجهـا أن هـذا مـا سـتُفضِّله، لكـن "ساتشـيقو" كلـما رأت كيـف تُعامِلُهـا الأخـت الكبـيرة مـن كل قلبهـا يصعـب عليهـا الأمـر، غـير أن زوج أختهـا نـادرًا مـا يـأتي عـلى العشـاء؛ لـذا كانـت حينًـا تدعوهـا لمتجـر بطوكيـو سـمعوا عنـه مـن قبـل يُدعَـى "فوتابـا" بمنطقـة "دوجنـزاكا"، وحينًـا آخـر تتـولَّى الدعـوة لعشـاء بمأدبـة صغـيرة في مطعـم صينـي بالجـوار يُدعَى"بكـين تي"، وتقـول مـن أجـل "إتسـوقو": "سـأصطحب أطفـالي أيضًـا".

كان الأخ الكبـير بطبيعتـه شـخصًا مُحِبًّـا للـتَّرَف، حتـى وإن قيـل عنـه إنـه أصبـح بخيـلًا مُؤخَّـرًا، إلَّا أنـه في حفاوتـه لم يتغـيَّر عـن ذي قبـل، وتبقـى هـذه عادتـه المتَّبَعـة نحـو أخواتـه بالقانـون، والتـي تجعلهـم يعتـزُّون بـه.

لا تدري "ساتشيقو" هو أيُّهما؟

هـل هـو الأخ الأكـبر بالقانـون، الـذي تقلـق عمومًـا مـن علاقتـه التـي ليسـت عـلى مـا يُـرام مـع الأختـين الصغيرتـين، أم هـو حقًّـا مـا يظهـره لهـم الآن؟

لقـد اصطحـب "ساتشـيقو" وابنتهـا و"يوكيقـو" كثـيرًا لمطاعـم صغـيرة مُميَّـزة في أحيـاء المتعـة؛ فهُـنَّ يَكَـدن لا يعرفـن سـوى المطاعـم الشـهيرة مثـل "تسـورويا" و"بانهـان". إن "طوكيـو" تشـتهر بالمطاعم الصغيرة الشـهيَّة عـن المطاعـم الراقيـة الفخمـة، وهـو كان يعتنـي بزوجتـه وطفلتهـما وضيوفهـم جميعًـا أوَّلًا عـن آخـر.

""ساتشيقو" أيضًا ليس لها تجربة من قبل بأيٍّ منهم، فلتستكشف نكهة طوكيو برفقته".

هكذا قالت تسوروقو وهي تستميحهم عُذرًا لتتغيَّب عن صحبتهم بهذه الليلة وتدع ساتشيقو ويوكيقو تمضيان الأمسية بصحبة أخيهم الكبير ليتناولوا لذيذَ الطعام بالجوار دون تكلُّف.

استرجعت "ساتشيقو" الذكريات وكلها حنين وقتما جاءهم زوج أختها وأصبح ابنًا لأبيهم بالتبنِّي، وأخًا لهم بالقانون، وكانت تتآمر مع أخواتها الصغار عليه بخُبثٍ، وعرفت أختهم الكبيرة لاحِقًا، وبكت. لقد شهدوا منه مواقف كثيرة وهو يعاملهم بحساسية أكثر من أختهم، وعرفوا أن من محاسنه رِقَّة قلبه. لا يمكن لـ "ساتشيقو" الآن أن تتعامل بخُبثٍ كسابق عهدها، وهي بنت بحياة أبيها، وبالتأكيد بهذه المرة لا سبيلَ أفضل من المبيت عندهم، وهي تنوي المغادرة فور انتهاء الفحص الطبي للدكتور "سوجي أورا" وتعود لأوساكا بأقرب وقت مُمكِن.

استغرقت "ساتشيقو" بأفكارها، وبالنهاية قضت أيَّامها طوال شهر أغسطس ببيت "شيبويا".

الفصل السَّادس عشر

حلَّ مساء ذاك اليوم المُشرِق، اليوم الأول من شهر سبتمبر، بتلك الليلة بعدما انتهى الستة أطفال ومعهم "إتسوقو" من طعامهم تناول الزوجان العشاء بالمنزل بصحبة "ساتشيقو" و"يوكيقو"، وكان ذاك اليوم تحديدًا يوافق ذكرى الزلزال العظيم، فانتقل حديثهم عن الزلزال للإعصار الجبلي الذي حدث مؤخَّرًا.

تطرَّق بهم الحديث وهم حول مائدة الطعام لتفاصيل الكارثة التي تعرَّضَت لها "تائيقو" وما بذله المصوِّرُ الشاب الذي يُدعَى "إيتاكورا" من جهد عظيم، وانتهزت "ساتشيقو" الفرصة وقالت إنه لمن حُسنِ حَظِّها أنها لم تَخُض تجربة مُخيفةً هكذا، وروت بالتفصيل ما حدث وقتها، وكان ذاك بمثابة تمهيد وحديثهم كأنه نبوءة.

وما أشبه تلك الليلة بالبارحة.

ليلة بعصرٍ مضى منذ سنوات طويلة هبَّت بها رياح عاتية لإعصار "التايفو"، وضربت إقليم "الكانتو" بأكمله، و"ساتشيقو" كل حدود صِلَتِها بالأمر أنها كانت طفلة حديثة الولادة عاشت الرعب لبضع ساعات؛ فـ "ساتشيقو" ربيبة إقليم "كانساي" الأقل تضرُّرًا دائمًا من الأعاصير، لا تدري بوجود مثل تلك الرياح المخيفة؛ لذلك كانت المفاجأة كبيرة، ولو أنها منذ أربع أو خمس سنوات، ربما بخريف عام 1934 عاصَرَت الرياح العنيفة التي اقتلعت كل شيء بالجبال الشرقية في "كيوتو"، وانهار على إثرها برج معبد "تنووچي"، ولا تزال عالِقَة بذاكرتها تلك الدقائق المرعبة، ولكن بذاك الوقت لم يلحق بمحيط "أشيبا" أذًى بالِغٌ، وحينها عندما قرأت بالصحف عن انهيار برج المعبد لم تكن تدري بعدُ أن قوة الرياح بلغت ذاك الحد، وبالطبع ما تشهده بـ "طوكيو" هذه المرة ليس هناك ما يضاهيه.

بالحقيقة مع كل تلك الذكريات العصيبة انتابهم قَلَقٌ عارِمٌ من ألَّا يحميهم البيت ويصمد أمام مثل هذه الرياح؛ مِمَّا ضاعف من فزعهم. ومُجدَّدًا يعيشون قوة رياح عاتية بمرَّتها الوحيدة التي باتت فيها ببيت "شيبويا". أساساته الرديئة جعلتهم يشعرون بتلك القوة أضعافًا مُضاعَفة. هبَّت الرياح قبيل خلود الأطفال للنوم، وكانت قرابة الساعة التاسعة مساء، لكن الوضع أصبح مُروِّعًا بحوالي الساعة العاشرة. كانت "ساتشيقو" تنام بالغرفة اليابانية الطراز بالطابق الثاني برفقة ابنتها و"يوكيقو"، وبتلك الليلة أيضًا، في البداية كان ثلاثتهم بالغرفة، وحين اشتدَّت الرياح بدأ البيت يترنَّح، وتشبَّثَت "إتسوقو" بأمها، ونادت على "يوكيقو" وجذبتها لتأتيها على سرير أُمِّها، وانغمست بينهما وحاوَطَت رقبة كلتيهما بذراعَيْها.

كلَّما صرخت "إتسوقو" وصاحت: "خائفة" حاولت ساتشيقو" و"يوكيقو" تَهدِئتها بقول:

"اهدئي. سيتوقَّف على الفور... لا داعي للخوف"، ورَدَّدَتَا كلامًا من ذاك القبيل، وظلَّت "إتسوقو" متشبِّثةً بهما بنفس القوة.

التصقت وجوه ثلاثتهم، مُحتضنات بعضهن البعض، وكأنَّهن كيانٌ واحد. كانت الغرفة الأخرى التي بجوارهم في الردهة أكبر، وينام بها "تتسو أو"، "ترو أو"، وكلاهما استقيظ وخرج للردهة يتساءل ماذا يحدث، ولِمَ لا ينزلون للأسفل؛ لعلَّه أكثر أمانًا.

فقالت "ساتشيقو":

"هيَّا، فلننزل جميعًا، وإن كان هذا سيتسبَّب بالإزعاج، وإنَّما...

الكهرباء مقطوعة والظلام دامس. لا يمكنني حتى تمييز ملامح "ترو أو"".

قالت كلماتها بصوتٍ مُتهدِّج به شيء غير مألوف، لكنها امتنعت عن الإفصاح كي لا تزيدهم هَلَعًا؛ فالبيت بدا وكأنه سينهار، وهي للتَّوِّ استشعرت الخطر. الإطارات الداعمة للأسقف غير مُستقرَّة، وكل مرَّة تَظنُّها هي القاضية ويتفصَّد جبينها عَرَقًا.

لم تصدر ولا كلمة من "ترو أو" بعدما قال "هيَّا" واتبعوه مُمسِكين ببعضهم البعض ونزلوا الدَّرَج.

بهذه الأثناء ظنَّت أن البيت تَدَمَّر حقًّا إثر هبَّةِ الرياح التي تعصف بالبيت، وإن كانت اعتادت شعورها بانحناء خشب درجات السُّلَّم تحت وطأة أقدامها، إلَّا أنَّها الآن ازداد خوفها من انكسار الدرج الحبيس بين جدرانٍ تترنَّح على الجانبين كريشة في مَهبِّ الريح. لقد تشقَّقَت الأركان في زواياها بين الأعمدة والجدران، وتخلَّلَت منها هَبَّات رياح مصحوبة بالرمال، وكأن الجدران تحاصر أجسادهم العالقة بينها؛ مِمَّا دفع "ترو أو" للنزول للأسفل وهو يتدحرج راكِضًا، وهم بالأعلى لم تكن تستطيع سماعه حيث طغى صوتٌ تتطايَرُ الأشياء

الكثيرة بسماء الإعصار، فقوة الرياح أطاحت باللافتات وكل ما يشابهها من ألواح صفيح وأغصان وأوراق أشجار، ولكن بعد نزولهم اتَّضَحَت صرخات الخوف العالية، وبداية من "هيديو" وما يليه من أربعة أطفال تزاحموا بغرفة نَوم الزوجين، واجتمع الأطفال حول أبوَيْهم، وجلست ساتشيقو وابنتها ويوكيقو بالقرب. ونادى "يوشي أو" و"ماسا أو" على خالتهما وتَشبَّثا بكتفيها، وتبقَّت "إتسوقو" لا حول لها سوى احتضان "يوكيقو".

احتضنت "تسورقو" طفلتها "يوميه قو" بكلتا ذراعيها، وكأنها تُخبِّئها وأمسك "هيديو" بأكمام ثوبها.

كانت طريقة تعبير الصبي عن خوفه غريبة، فكلما توقَّفَت الرياح تمسَّكَ بأكمام أُمِّه يلويها بشدَّة، ويُنصِت مُترقِّبًا، وما أن تحتدم شِدَّتها ويسمع تَهيُّجَها وهي تقترب آتية حتى يرتبك ويترك أكمامها، وبصوتٍ أجشَّ قويٍّ يُفصِح فجأة عن خوفه ويسدُّ أذنيه بكلتا يَدَيْه ويغمض عينيه ويضرب وجهه بالأرض.

وعلى هذا الحال اجتمع أربعة كبار وسبعة أطفال يجلسون القرفصاء وكأنهم فريق الخائفين. كبير العائلة "تتسو أو" على وجه الخصوص ظلَّ دون أن ينبس ببنت شفة، وليس أمامه سوى أن يبقى على أهبة الاستعداد والأخوات الثلاثة تسوروقو، ساتشيقو، يوكيقو كلُّهنَّ متأهِّبات للقاء حَتفِهنَّ.

طال استمرار الرياح، وإن واصلت على هذا النحو أكثر من ذلك سينهار البيت بلا شَكٍّ.

كان هذا هو أكبر مخاوف "ساتشيقو" وهي تنزل الدَّرَج، وداهمتها هذه الفكرة بشدَّة وبالحقيقة مع اشتداد الرِّياح هكذا انفصلت الجدران عن الأعمدة قرابةَ الخمسة سنتيمترات، وهذا ملحوظ بوضوح بغرفهم بالأعلى. كان بالغرفة التي اجتمعوا بها مصباحٌ يدويٌّ

مُضاء لإنارة هذه العتمة وشعروا وكأن الفجوات بلغ اتساعها الثلاثين سنتيمترًا، وبالأصح هي لم تكن فتحات؛ فبمجرَّد أن يهدأ الهواء تنغلق وتنفتح مرَّةً أخرى ما إن تهب الريح ثانية.

مرَّة تلو الأخرى يزداد الوضع سوءًا، وكل مرة تنفتح بها فجوة تكون أفظعَ من سابقتها. تذكَّرَت "ساتشيقو" وقتما حدث زلزال "مينياما" وتأرجح بيتهم في أوساكا بشدَّة، ولكن لحظات الزلزال لا تطول هكذا مثل الإعصار، وهذه هي أول مرة تشهد بها انفصال الجدران عن الأعمدة وتُلاقيها مرَّةً تلو الأخرى هكذا.

ارتجف جميعهم خوفًا، حتى "تاتسو أو" الذي كان يحاول أن يُهدِّئ من حاله، ولكنه أصابه الذعر برؤية حال تلك الجدران...

"تُرى، أهو هذا البيت فقط الذي يرتجُّ بهذا الشكل؟

هل الأبنية بالجوار بخيرٍ ولا يحدث بها أي شيء من هذا القبيل؟".

تساؤلاته تلك أعقبها رَدُّ "ترو أو" سريعًا بأن بيت السيد "قويزومي" بالتأكيد بخير حال، فمنزله متينٌ، ومن طابق واحد. ثم سأل بدوره والده:

"لِمَ لا نذهب لنحتمي ببيت السيد "قويزومي" بيتنا على وشك أن ينهار".

"بالتأكيد لن ينهار، فماذا لو كانوا نيامًا... هل سنوقظهم لأننا نبحث عن مأوى آمن؟".

تردَّد رَبُّ العائلة وهو يميل للرفض.

"بهذه العاصفة المستعرة بالتأكيد الكل مستيقظ".

قالتها "تسوروقو" وانتهزت القصَّة لتقول:

"هو أو أي أحد كان... فلنَجِدْ مأوى بأي شكل".

كان بيت السيد "قويزومي" لا يفصله عنهم سوى السور الخلفي، وإذا خرجوا من باب المطبخ يصبحون على بُعدِ خُطوَةٍ من بابهم الخلفي. رب البيت موظَّفٌ حكومي متقاعد، ويعيش هو وزوجته المُسِنَّة ولديهم ابنٌ وحيد يرتاد نفس المدرسة الإعدادية التي انتقل إليها "ترو أو"، ومن هنا جاءت العلاقة؛ مِمَّا أشعرهم ببعض الارتياح، حيث إن "ترو أو" ووالده مَرَّا عليهم بطريقهما بضع مرَّات.

دار نقاشٌ خلسةً بين "أوهارو" و"أوهيسا" بغرفة الخادم، حيث كانت "أوهارو" لا تُفضِّل الخروج بمثل هذ الوقت وتودُّ اللحاق بهم فيما بعد وتتفقَّد أحوالهم، وذهبت لترى ما إن كان مناسبًا أن تطلب ذلك. إنها بالأساس لا تدري أين هو بيت السيد "قويزومي"، لكنها كانت على ثِقَةٍ بأنها ما إن تطلب من "أوهيسا" اصطحابها إليهم ستفعل، وتوجَّهَت وطلبت بأدَبٍ أن يسمحوا لها بالبقاء مع "أوهيسا" إن أمكن، على أن تأتيهم عندما تتوقَّف الرياح، وهي تتيقَّن من الإجابة قبلما تجد الرَّدَّ بالقبول أو الرفض، وبلحظتها أصغت لـ "ساتشيقو" و"تسوروقو" وكلماتهما مُفعَمَة بالقلق، وكل منهما تقول للأطفال:

" احترسوا أن تطيح بكم هَبَّات الرياح، احترسوا كي لا تصابوا".

فعادت أوهارو على الفور وهي تحثُّ أوهيسا على الإسراع بالخروج من الباب الخلفي، لكن الكل اتَّبعَ خطوات القائد الصغير "ترو أو" الذي ظلَّ يُوجِّههم بعبارات مثل: احتموا سريعًا، هيَّا، اخرجوا جميعًا من فضلكم، هيَّا لا بأس سنعود لاحقًا، هذه الرياح لن تكون أكثر من وَخزٍ لذاك البيت وسنجد أن ما شهدناه كأنه كذبة...

اتَّجهَت "أوهارو" نحو "إتسوقو" تريد حملها، وقالت لها: "لا... ما مِن مكانٍ آمِنٍ الآن لأدعك تمشين"، لكن الصغيرة دفعتها بالمرَّتَيْن قائلة:

"سآخُذُها زحفًا".

"الكثير من الأشياء تتطاير، وليس معنا لحاف نغطي به رؤوسنا كي لا نصاب".

أمرهم ربُّ البيت "تتسو أو" بالذهاب سريعًا ثم أضاف مضطربًا:

"دعوني أنا سأبقى".

شعرت "تسوروقو" بالقلق بشأن تَركِها زوجها والذهاب، وارتبكت وهي لا تدري ماذا عليها أن تفعل، واستادرت "أوهارو" بمفردها وقالت:

-"هيا لنذهب يا قائدنا". وعلى الفور همَّت بحمل "ماسا أو" على ظهرها، وعادت لتحمل "يوشي أو" أيضًا، لكنهم جعلوا "أوهيسا" تحمله وتحتمي. إنها لا يمكنها البقاء ساكِنةً، بل تريد أن تحتضن كل الأطفال، وعادة ما تجدها بالأوقات العصيبة شُعلةَ نشاط مُتَّقِدَة... برجوعها ثانية سقطت عليها شماعة الملابس المبلَّلَة وعَلَقَت تحتها. حينها رأت "أوهيسا" وعلى ظهرها "يوشي أو" فلم تُنادِها، ونادت على "هيديو" الذي كان مجرَّدَ طفلٍ كبير يجري مُرتَعِبًا، وبالطبع لم يسمعها.

بهذا، هرب الجميع، حتى "أوهيسا"، ثم بعد قرابة النصف الساعة جاءها "تاتسو أو" ووجهه يعتليه الإحراجُ، وقال إنه مرَّ مُصادفَةً.

كانت الرياح لا تزال تعصف بشدَّة، وصوت هياجها المرعب بالخارج مسموعًا.

أمَّا عن بيت "قويزومي" فكان بنيانه صامِدًا، والخوف من انهياره فكرة سخيفة لن تخطر ببال أحد، حتى إنه لمن العجيب أن يروادهم أي شعور غير الإحساس بالأمان مهما كانت مُميِّزات وعيوب هذا البناء.

بالنهايـة انتظـرت عائلـة "مـاكي أوكا" إلى أن هـدأت الريـاح، وبالصبـاح الباكـر -أي بحـوالي السـاعة الرابعـة صباحًـا- كان عليهـم العـودة لبيتهـم الواهـي الكريهـه، حتـى وإن كانـوا لا يزالـون في رعـب.

الفصل السابع عشر

سيمرُّ إعصار "التايفو" صباح الغد بعد هدنة قصيرة.

فجأة أصبحت السماء صافية، لكن "ساتشيقو" لا يمكنها أن تنسى ولا يزال عالِقًا بذهنها كل ما حدث بليلة الأمس المُرعِبَة ككابوس، وفوق كل شيء، "إتسوقو" في حالة هلع، والآن لا وقت للتردُّد وهي تراها بحالة انهيار عصبي، وعليه، فبهذا الصباح هاتَفَت مكتب زوجها بـ "أوساكا" لتخبره بما لديها من أمور عاجلة، وطلبت منه أن يحجز لها غرفة في نُزُل "هامايا"، وأرادت أن تُسرِع قدر الإمكان، وليتها تستطيع اليوم، وبالفعل جاءها إيصال إتمام حجز غرفتها بناء على طلب زوجها من "أوساكا"، ومن ثَمَّ عرضت على أختها أن تذهب معها بالمساء لتناول العشاء وأن تدع "أوهارو" عندها لبضعة أيَّام. كانت أختهم الكبيرة تودُّ الخروج لمرة بمفردها، وعلى الفور استعدَّت وخرجت معهم. مرُّوا على النُّزُل أوَّلًا، ثم ذهب جميعهم للتنزُّه قليلًا وتناول المأكولات الغربية في "جينزا"، ودلَّتهم مالكة النُّزُل على متجر

يدعى "رومايا"، فاتبع نصيحتها الأخوات الثلاثة وجعلن "أوهارو" أيضًا تنضمُّ إليهم، وبطريق عودتهن تجوَّلن بالمحال التجارية، ثم تركتهن "ساتشيقو" وابنتها عند ناصية الطريق الى النُّزُل، ولم يزد مشوارهما عن تسع دقائق.

كان مبيتها بفندق هي وابنتها بمفردهما وزوجها بعيدٌ تجربةً تخوضها لأول مرة، وبوقت متأخِّر من الليل تذكَّرَت مرَّةً أخرى هلع ليلة الأمس فأخذت عقار الـ "أداريين" وقليلًا من دوائها المعتاد الذي جلبته معها، وهو البراندي، ومع ذلك لم تستطع الخلود للنوم بسهولة، بل ولم يغمض لها جَفنٌ حتى استمعت لصافرة القطار بالساعات الأولى من الصباح.

"إتسوقو" أيضًا كانت على نفس الحال، تعاني بشدَّة، وتُردِّد باستمرارٍ: "لا أستطيع النوم"، وتنادي أمها وتطلب منها العودة لبيتهم بالغد.

وإن كان من الأفضل انتظار موعد كشف الطبيب وإلَّا ستسوء حالتها أكثر، إلَّا أن "إتسوقو" أهمُّ شيء عندها الآن هو الإسراع بالرجوع لتلحق بلقاء صديقتها "رومي"، واستمرَّ أنينها دون انقطاعٍ، إلى أن غَطَّت في نوم عميق بحلول الصباح.

أمَّا "ساتشيقو" فبتمام الساعة السابعة صباحًا وجدت نفسها لا تزال لا يمكنها النوم، فانصرفت عن المحاولة، وقامت وأخذت الجرائد تتصفَّحها، وكي لا تقلق الصغيرة من نومها خرجت للرَّدهة المُطِلَّة على نهر "تسوكيچي"، واتَّخَذَت جلستها على مقعد من الخوص. كانت تقرأ الصحف بكل صباح متلهِّفَةً لمعرفة أخبار أزمة أوروبا وآسيا، والتي هي محطُّ أنظار العالم مؤخَّرًا...

مشكلة سوديت التشيكية[1] والعمليات العسكرية للجيش الياباني لغزو مدينة "هانقوو"[2] وكيفما تطوَّرَت الأحداث، وإنما منذ مجيئها إلى طوكيو اختلف الوضع ولم يَعُد متاحًا الحصول على الصحف اليومية التي بأوساكا مثل "تاي ماي" و"دايتشوو"، وعلى نحوٍ ما لم تعتَدْ على صحف "طوكيو"، وعلى الفور تشعر منها بالملل، ولم تستوعب ما ورد بها من مقالاتٍ، وانصرفت بناظريها مُتطلِّعةً للمارَّة على ضفاف النهر. تذكَّرَت بالماضي حين أقامت مع والدها بفندق يُدعَى "أونيه متشو" على الضِّفَّة المقابلة من النهر، وتمكَّنَت من رؤية سطحه الآن؛ فهو بالشارع الجانبي الذي أمام مسرح الكابوكي، فهذه المنطقة هي تعرفها من قبل، وتَمَلَّكَ قلبَها الحنينُ؛ حيث اختلفت تمامًا كل المعالم على ضفاف النهر. بالماضي لم يكن هناك هذا المسرح أو حتى مسرح "طوكيو"، وكان دائمًا ما يصطحبها والدهم بإجازة مارس، ولم يسبق لها المجيء لطوكيو بشهر سبتمبر، فالآن يستشعرون الهواء البارد حتى بمنتصف المدينة، كما لو أن الخريف قد حلَّ بالفعل. هذا لا يحدث أبدًا بإقليمهم، ولكن ربما لأن "طوكيو" بالأساس طبيعتها البرودة فيأتيها الخريف أسرعَ، أو ربما هذه ظاهرة مؤقَّتَة، وبعد انتهاء الإعصار سيعود الحَرُّ مرَّة أخرى. الرياح هنا تشعر بها تَنخر العظام وليست كمثيلتها في بلدتهم... أيًّا كان، فإنه ليس هناك سوى بضعة أيام على موعد فحص الطبيب، ولكن كيف ستقضيها؟

تذكَّرَت "ساتشيقو" أنه بحلول شهر سبتمر سيتم افتتاح مسرحية لممثل الكابوكي الشهير "كيكوجورو"، إنها فرصة لن تتكرَّر؛ فلتصطحب "إتسوقو" وتذهبا سويًّا؛ فهي تحب الرقص، وبالتأكيد ستسعد بمسرحية

---

(1) سوديت"SUDETEN LAND" وبالتشيكية والسلوفاكية "SUDETY"، وهو إقليم غرب التشيك على الحدود مع ألمانيا، وكان محور نزاع مع ألمانيا النازية وتشيكوسلوفاكيا قبل الحرب العالمية الثانية.

(2) هي المدينة الصينية HANKOW.

استعراضية كهذه. غير أنه حين تبلغ فتاتها الصغيرة ستكون تقاليد المسرح قد اندثرت؛ لذا فلتجعلها تشاهد مثل هذا الفنان العظيم.

إنها بطفولتها اصطحبها والدها لعرض مسرحي للممثِّل الشهير "جانچيرو"، وهي دائِمًا ما تقارن حالها بابنتها، وتريد أن تتبع نفس النهج؛ لذلك فكَّرَت بالأمر، لكن حين تفقَّدَت الصحف وجدت أنه لم تبدأ بعد أي من مسرحيات الكابوكي المتميِّزة. بهذا لم يكن أمامها سوى التمشية في "جينزا" كل مساء، وليس هناك أي شيء آخر يُذكَر، وعلى حين غرَّة داهَمَها الاشتياق بدون أيِّ سَبَبٍ، وليس من قبيل المزاح كما تفعل الصغيرة مثلًا، وإنما بكل جدية، وليكن الفحص الطبي بمرَّةٍ أخرى؛ فهي تريد المغادرة اليوم، ومن أول يوم قضته وهي تتوق لبلدتها، وها هي الآن تذوق مَرارَ ما تجرَّعَته "يوكيقو" وهي هنا تنهمر دموعها في صمتٍ تشتاق العودة لـ "أشيبا".

بحوالي الساعة العاشرة جاءها اتصال هاتفي من "أوهارو" تخبرها أنها تَوَدُّ أن تطلب منها طلبًا؛ إنها تريد المجيء لها، ولقد وصل خطاب من زوجها فستجلبه معها، وسألتها ما إن كان هناك أي شيء آخر ترغب في أن تُحضِرَه لها.

أجابتها "ساتشيقو" بأنها لا تريد شيئًا، ولتبلغ فقط أختها الكبيرة بأن تأتيها لتناول الغداء معًا، وأنهت المكالمة وهي تنوي أن تترك ابنتها برعاية "أوهارو" وتخرج مع أختها لتناول الغداء، وبعد تفكير طويل في مكان تذهبان إليه جاء بخاطرها أن "تسوروقو" تحبُّ سمك ثعابين البحر، وتذكَّرَت بالماضي وقتما كانت تذهب باستمرارٍ مع والدها لمتجر يتميَّز بهذا النوع من الأسماك يُدعَى "دايقوكويا" في مكانٍ يُسمَّى "قونيّاكوچيما"؛ فسألت عنه مالكة النزل، وما عن كان لا يزال باقيًا.

أمسكت مالكة النُّزُل بدليل الهاتف وقلبت صفحاته وتولَّت مَهمَّة الحجز لهما. انتظرت "ساتشيقو" أختَها، وجعلت "أوهارو" تصطحب الصغيرة الى متجر من سلسلة متاجر الترفيه "ميتسوقوشي".

أمَّا "تسوروقو" فجعلت "يوكيقو" تأخذ طفلتها "أوميه قو" للطابق الثاني لتخدعها وتتمكَّن من ارتداء ملابسها والخروج سريعًا، والآن بلا شك"يوكيقو" في مأزقٍ كبير، ومع ذلك تركتها الأخت الكبيرة وخرجت والتقت "ساتشيقو"، وبدأت ثرثرتهما:

"هنا يشبهه "أوساكا" للغاية... لا أدري من قبل بوجود مكان كهذا بـ "طوكيو"".

وتأمَّلَتَا النهر الجاري المُطِلَّتان عليه.

"حقًّا يشبه أوساكا للغاية. دائِمًا ما كان أبي يصطحبني إلى هنا".

"هنا أصبح جزيرة أليس كذلك؟".

"فعلًا؟ وكيف هذا! ربما هذا صحيح... فلم تكن موجودة هذه الطاولات المُطِلَّة على النهر من قبل، ولكن موقعه لم يتغيَّر".

سرحت "ساتشيقو" بالمشهد خارج النوافذ. بالماضي كان الطريق على هذه الضفة من النهر وتصطفُّ عليه بعض البيوت، أمَّا الآن فالأبنية بطول الطريق، والمطعم أصبح فيما بينها. يأتي الطعام إلى الطاولات بالغُرَف اليابانية الطراز ذات الأرضية الحصير من الصالة الرئيسية. المطعم تم بناؤه على حوائط صخرية، طاولاته مصفوفة حول ثنيات النهر وعند ناصية الطريق يلتقي النهر برافِدٍ آخر له، ويشكِّل رمز "+". بالجلوس بغرفة الطعام دخولًا من الباب الجرَّار تجد المشهد كالذي تراه من قوارب صيد المحار في منطقة "يوتسوباشي". يتقاطع رافِدَا النهر وتظنُّ أنَّكَ ستجد أربعة جسور عابِرَة، ولكن ليس هناك سوى ثلاثة، وتكمن قيمتهم في تصميمهم الشبيه بعصر إيدو، والهدوء

الذي يسود المنطقة كما في طُرُقات المدن العتيقة يجعل المكان أشبه بـ "ناجابوري" في أوساكا قبل كارثة الزلزال.

وإن كانت المساكن والجسور والشوارع كلها جديدة، وأضفت روح الحداثة، إلا أنها لا تزال خاويةً من حركة المشاة.

"هل آتي لحضراتكم بمشروب...".

"حسنًا، لكن...".

قالتها ساتشيقو وهي تنظر لأختها الكبيرة وتسألها:

"ماذا تُفضِّلين أختي؟".

"مشروب الآن أم بعد الغداء؟".

"ألا نشرب ولو حتى بيرة؟".

"لا بأس إن كنتِ ستشاركينني".

كانت "ساتشيقو" فيما بين أخواتها كلكهم هي الأكثر شُربًا للخمر. "تسوروقو" تحبُّه هي الأخرى، وهذا هو الوقت المناسب لِتَجرعه باستمتاع، ومن حيث المذاق فالخمر الياباني هو المُحبَّب لديهم، لكن لا يكرهون البيرة.

"إذن دعينا نشرب قليلًا من الساكي[1] الآن".

"كلَّا. بكل ليلة أشارك أخيك الكبير وأشرب القليل، ومن حين لآخر مع الضيوف...".

-"ضيوف من أي نوع؟".

(1) الخمر الياباني.

"ممَّـن يأتـون مـع أخيـك مـن "أزابـو" ولا يشربـون سـوى "السـاكي"، وبـذاك البيـت المقـزِّز يقولـون الـشراب وسـط ضوضـاء الأطفـال لذيـذ!".

"أليس هذا مُتعِبًا لكِ أختي؟".

"و إن كان، فأنـا مـع الأطفـال، والسـاكي للسـادة، وإن انشـغلتُ وكان لـديَّ الكثـير لأقـوم بـه لا يمكننـي قـول أي شيء، و"أوهيسـا" كـما ترين...".

"حقًّا! هي لا تسعفك أبدًا".

" في البدايـة كانـت دائمًـا مـا تقـول "أكـره طوكيـو"، وتبـكي؛ تريـد العودة لأوسـاكا... لكنهـا بهـذه الآونـة لم تَعُـد تقولهـا، بـل تقـول "سـتبقيني معـكِ إلى أن أصبـح عروسًـا"... أليـس كذلـك؟".

"هي أكبر أم "أوهارو"؟".

""أوهارو"... كم عمرها؟".

"أظنُّ 20".

"إذن بنفـس العمـر... أنـتِ أيضًـا "ساتشـيقو" لا يمكنـك الاسـتغناء عـن "أوهـارو"، وبالتأكيـد سـتُبقين عليهـا".

"تلـك الفتـاة منـذ أن كانـت في سـن الخامسـة عـشرة وتشـارف عـلى السادسـة عـشرة وهـي لم تغـادرني لأي مـكان آخـر مطلقًـا، لكـن في الحقيقـة الانطبـاع المأخـوذ عنهـا ليـس في محلِّـه؛ فهـي ليسـت كـما تبـدو عليـه، وليـس هنـاك مـا يهمهـا أبـدًا".

"لقـد سـألت "يوكيقـو" كيـف كان عملهـا بمسـاء أول أمـس، وقالـت شـتان بينهـا وبـين "أوهيسـا"، ولـولا وجودهـا لظلَّـت الأخـيرة كالمعتـاد تتلـكَّأ بفعـل كل شيء. أخـوك الكبـير أيضًـا تَعجَّـب مـن ذلـك وعلَّـق قائِـلًا كـم هـي فتـاة رائعـة".

"بالضبط. حين نتكلَّم عن مميزاتها فهي حقًّا طيبة، لديها عطفٌ ورحمة وسرعة بديهة، وهذا ما كانت عليه بوقت مثل يوم الفيضان".

استمرَّت "ساتشيقو" في تقييم "أوهارو" وهي تتناول المقبِّلات مع البيرة إلى أن يتمَّ طَهوُ أطباقهما؛ فمديح الخادم هو من دواعي فخر سيِّده، وهذا بكل شكل من الأشكال لن يزعجها، ولا داعي لذِكر مساوئ مَن نُحبُّهم، و"ساتشيقو" دائمًا ما تُحسِن الحديث عنها، ومن عادتها الاستماع دون استنكار.

"أوهارو" خادمة حسنة السُّمعَة، وهذا في حد ذاته من النادر، علاوة على أنها مؤانسة، وبارعة في كل شيء وبها الكثير والكثير من المميزات، وبغضِّ النظر عمَّا تُقدِّمه لـ "ساتشيقو" وزوجها، ففيما بين التجار والحرفيِّين لها أهمِّيَّة خاصَّة، ومع المدرسين المسؤولين بمدرسة "إتسوقو"، وحتى مع السيدات رفيقات "ساتشيقو"، وبنقلها للرسائل الشفهية، خاصَّة وأن سيدتها ثغرها المتشدِّق بالثرثرة لا يكفُّ...

إنها خادمة مثيرة للإعجاب.

لكن أكثر مَن تدري حقيقة ما تشعر به "ساتشيقو" هي السيدة زوجة أبيها لـ "أوهارو"، والتي تأتيها للزيارة من حين لآخر، وتسأل عن أخبارها، وتقول: "قدَّمتُم لنا معروفًا لا يُنسَى بقبولكم لهذه الفتاة المشاغِبَة كثيرة المتاعب خادِمَةً عندكم. لطالما جعلتني أبكي هذه الفتاة؛ فكيف لكم أن تتحمَّلوها"، ويستمر حديثها على ذاك المنوال، وتترجَّى "ساتشيقو" أن تصبر على متاعبها لأنها لم يعد لها مأوى آخر، وهي راضية بأي أجر يجودون به، ومهما وبَّخَتها فهذا بالتأكيد لمصلحتها فهي تتصرَّف كطفلة مُدلَّلة تستوجب النَّهر والتوبيخ دائمًا.

وعلى هذا النحو تضغط على "ساتشيقو" وتُصرُّ على طلبها وتنصرف.

في البداية حين جاء بها زوجها وهي في الخامسة عشرة من العمر ورأت "ساتشيقو" ملامحها اللطيفة راق لها أن تعمل لديهم، وبمرور أول شهر أيقنا أنهما استأجرا فتاةً صَعبةَ المِراس، واسترجعا كلمات زوجة أبيها: "إليكم بتلك المُزعِجَة"، وأدركا أنها لم تكن كلمات على سبيل التواضع، وأكثر ما اتفقت عليه آراء كل أفراد الأسرة هو قذارة هذه الفتاة؛ فبأول لقاء بها كانت متلطِّخةً بالأوساخ، وهذا ليس لأي سبب سوى أنها تكره الاغتسال وتنظيف ملابسها، وطبعها الكسول اتَّضح على الفور.

مهما فعلت "ساتشيقو" لتقويم عاداتها السيئة وشَدَّدَت تنبيهاتها المحرجة يقع الخطأ فور ما تغضُّ الطرف قليلًا. كانت كل الخادمات الأخريات لا يهملن الاغتسالَ يوميًّا بعد انتهاء أعمالهم، إلَّا أن "أوهارو" كانت تغفو بحلول المساء بغرفة الخدم، ثم تغط في نوم عميق دون أن تستبدل ثيابها بملابس النوم، ولا ترغب بغسيل ملابسها الداخلية، بل ومعتادة على ارتداء الملابس مُتَّسِخَةً لبضعة أيام، وعملية تنظيفها تستدعي بكل مرة أن يحاصروها ويجبروها على خلع ملابسها والاغتسال. من حين لآخر كانت تبحث "ساتشيقو" بأمتعتها وتغوص في أعماقها لتستخرج ما خبَّأته من ملابس مُتَّسِخَة، وتجبرها على غسيلها أمامها، وهكذا وجدت نفسها علقت بمتاعب أكبر من عناء رعايتها لابنتها.

كان الأكثر تذمُّرًا من "ساتشيقو" بل وقبل منها هُنَّ الخادمات الأخريات المتضرِّرات ضررًا مباشرًا. منذ مجيء "أوهارو" وخزانة الملابس بغرفة الخدم تتراكم بها الملابس المتَّسخة والتي لا تغسلها أبدًا أوَّلًا بأوَّل، واشتكين من تركها لهذه الثياب، والكل أصابته الدهشة حين استخرجت "ساتشيقو" ملابسهم من ضمن الأشياء. الغسيل والاغتسال بالنسبة لهذه الفتاه مأساة، حتى وإن كان يخصُّ سيِّدَها وسيدتها، وكانت رائحتها لا يطيقها مَن يمرُّ بجانبها، دون أن يقتصر الأمر على

رائحة جسدها فقط، فهي أيضا دائمًا ما تبتاع الحلوى وتأكلها خلسةً بأصابعها؛ مِمَّا أصاب معدتها بالتلوُّث، وجعل رائحة أنفاسها كريهة، وأكبر ورطة يقع بها مَن عليه النوم بجوارها في الفراش، حيث انتقلت منها العدوى بالقمل، والشكوى منها لا تنتهي.

نتيجة لكل هذه الأسباب ما كان أمام"ساتشيقو" سوى إعادتها لبلدتها "أماجاساكي". تَكرَّر هذا بضع مرَّات، وعادة ما يأتي أبوها أو زوجته -مُتبادِلَيْن الأدوار- للاعتذار بكلمات معسولة، وإعادتها، دون أن يتركا لهم خيار.

ببيت عائلتها في"أماجاساكي" هناك أخٌ وأختٌ أصغر منها، لكنها هي فقط التي من الزوجة الأولى المتوفَّاة لأبيها. كانت كل خصالها سيئة، نتيجتها بالمدرسة ضعيفة بشكل ملحوظ مقارنة بأخواتها الصغار.

خجل أبوها من زوجته بشأنها، وزوجة أبيها قلقت عليه هو الآخر، والشد والجذب بسبب بقائها بالمنزل لا ينتهي، وفي ظل هذه الظروف توسَّلَ كلاهما لـ "ساتشيقو" لتُبقي عليها إلى أن تصبح عروسًا.

اشتهرت بين الجيران بـ "الطفلة الغبية"، ومهما جعلت زوجة أبيها من أبنائها حلفاء ينحازون لصفِّها بالنهاية كان يُساء فهمها وتُتَّهم بأنها تدعها وحدها ولا تعاملها كابنةٍ شقيقةٍ لأولادها، ومهما قالت إنها طفلة سيئة الخصال لا يُصدِّقها زَوجُها، ولا يقدِّر أبدًا رعايتها لها بغيابه، وهذا ما كانت تشكوه دائمًا لـ "ساتشيقو"، وتخبرها بأنها هي فقط التي تتفهَّمها وتدرك كم هو سيئ موقفها، والنتيجة دائمًا هي التعاطُف معها.

"دعينا لا نتحدث عن القذارة؛ فمجرد رؤية ما ترتديه الآن ستدركين مدى الإنجاز. "أوهارو" بالسابق كانت تترك كل شيء على

حاله، ويضحك عليها الخادمات الأخريات، أمَّا الآن فقد انصلح حالها. أنا أظلُّ أوبِّخها مرارًا وتكرارًا على أشياء بديهية".

"لكن لها ملامح جميلة".

"تعتني بوجهها فقط، وتضع الزينة خلسةً، وتستخدم ما عندي من مرطِّبات وأحمر شفاه".

"يا لها من فتاة غريبة... إن فَعَلَتها "أوهيسا" سألتزم الصَّمت. يكفي أن أفكر في عدد المرَّات التي تُعِدُّ بها الطعام مَثَلًا، أو أفكر في أنها فتاة منذ أن كانت في السادسة عشرة من العمر وهي تعمل بالخدمة بالبيوت، وأنا للآن إذا تغيَّبَت لا يمكنني فعل شيء واحد ممَّا تؤدِّيه... إنها بوقت الطعام حين عودتهم جوعى تفعل كما أقول لها بالتمام... "أوهاروا" بحديثها مُهذَّبة ولبقة".

"نعم، ليست حمقاء، بل تحب التعامل مع الناس، وإن كانت تكره دقائق الأمور بمهامِّها داخل المنزل؛ فتنظيف الغرفة ذات الحصير من الأعمال اليوميَّة، إلَّا أنه إذا لم أتابع وأرى بنفسي تُغفِلها، وإن لم أوقظها بالصباح لا تستيقظ أبدًا، وبالمساء تغفو كما هي بملابسها...".

وبتجاذُبهما أطراف الحديث هكذا تذكَّرَت "ساتشيقو" العديد من المواقف وقصَّتها في مرح:

"القذارة من طبيعتها، تشعر بالفخر بذاتها وهي تأكل بأصابعها، وأثناء ذهابها من المطبخ لغرفة الطعام حامِلَةً الأكل تنتقص البعضَ منه، خاصة الكستناء الحلو، ووقتما تكون بمفردها بالمطبخ تحشو فمها، وإذا ناديتُها على حين غرة تزوغ عيناها، ثم تجيب لاحِقًا في ارتباكٍ مرَّاتٍ متكرِّرةً كأنها تردُّ بأثرٍ رَجعيٍّ. بالمساء إن استدعيتها لتدليكي قبل أن تكمل الربع ساعة تتَّكِئ عليَّ وتسقط رأسها وتغفو، وشيئًا فشيئًا تُرخي قدميها وتستلقي جانبي في وقاحة، وتسقط في سُباتٍ عميق فوق فراشي، غيرَ عابِئَةٍ بشيء...

إنها دائمًا ما تنام وتترك الغاز مفتوحًا، وتنسى أن تطفئ المكواة الكهربيَّة، وتحرق الملابس، وتكاد أن تتسبَّب بنشوب حريق عدَّة مرَّات. وأظن أنه لا بُدَّ من إعادتها لأهلها دون رجعة، ويأتي أهلها ويُهدِّئون من ثورة غضبي كالعادة"

"حقًّا! وعلى هذا الحال كيف ستصبح عروسًا؟".

"فكَّرتُ مثلَكِ، إن تزوَّجَت وأنجَبَت لن تسير أمورها على ما يرام... وإن لم يكن كذلك فهي باقية عندي. أليس هذا طريفًا!... حين أفكر أنها معي بالبيت منذ سِتِّ سنوات أي مع ابنتي سويًّا كم يبدو الأمر سخيفًا... رغم أنها تربَّت تربية غير سويَّة مع زوجة أبيها إلا أنها بقلبها الحب والصدق وإن كانت فتاة مثيرة للمشاكل وخصالها مقيتة لكن فوق كل شيء هي فتاة تربِّت على الفضيلة".

الفصل الثَّامِن عشر

عادت إلى غرفتها بـ "هامايا"بعدما أخذها الحديث مع أختها حتى المساء، والتي قبل أن تنصرف اقترحت بهذه المناسبة أن تأخذ "أوهارو" و"أوهيسا" في جولة سياحية بمتنزَّه "نيقوه" كنوع من التقدير، خاصَّةً وأنها جعَلَت "أوهارو" تنغمس في أعباء العناية بالأطفال، ومنها تحتجز "أوهيسا" التي ترغب بالعودة لأوساكا، على أن يكون هذا هو شرط ذهابها. إنها نَوَت منذ فترة، ولم تجد رفيقًا مناسِبًا، وهذه هي الفرصة المناسبة، فلِمَ لا تدع "أوهارو" ترافقها؟ وأردفت أنها هي ذاتها لا تعرف "نيقوه"، ولكنها تعلم أنه خروجًا من "أساكوسا" ستستقلَّان القطار، ثم الحافلة من معبد "طوشووجو"، ويتجوَّلان في شلَّالات "كجون" وبحيرة "تشوزنچيقو"، وتعودان بنفس اليوم، هكذا قال لها زوجها، وهي مَن ستتحمَّل نفقات الرحلة.

لقد استفاضت "ساتشيقو" في الحديث عن مهارات "أوهارو"، وإن لم تدعها تذهب فـ "أوهيسا" أيضًا لن تفعل.

"أوهيسا" حالها يُرثَى له، غير أنه على ما يبدو هي سمعت بالأمر سِرًّا؛ مِمَّا جعلها غاية في السعادة، فإن لن تسمح "ساتشيقو" سيكون ذلك بمثابة جريمة في حقِّها. على أية حال هي ستدع الأمور تسري وفق ترتيبات الأخت الكبيرة.

بعد يومين جاءها اتصال من "تسوروقو" تقول لها إنها بالليلة الماضية أخبرت الاثنين بشأن الرحلة، ولم يغمض لهما جفنٌ طوال الليل من فرحتهما، واليوم غادرتا منذ الصباح الباكر بعد إتمام كل الاستعدادات، وحسب جدول الرحلة ستعودان بالمساء قُربَ الساعة السابعة. بعدها أخبرتها أن "يوكيقو" تقترح أن يذهبوا هم الثلاثة أيضًا برحلة يزورون بها متحف الفنون وغيره، وقبلما تتَّخِذ قرارها بالموافقة وضعت سمَّاعةَ الهاتف جانِبًا لدخول الخادمة لتُسلِّمها رسالة بريديَّة عاجلة أخذتها منها الصغيرة ووضعتها على المنضدة التي تتَّكئ عليها أمُّها وهي ملتزمة الصمت.

امتقع لون وجهها. كان من الواضح من أوَّل وهلة رأت بها المظروف أنه ليس خطَّ زوجها، وكان مُدَوَّنًا عليه:

"فندق "هامايا"

السيدة المبجَّلَة "ساتشيقو ماكي أوكا"

سِرِّي للغاية".

مَن غير زوجها سيرسل خطابًا لعنوان الفندق بطوكيو؟ انتابها شعورٌ مريب.

"الرَّاسِل: أوساكاچي "تنوچي" شارع "تشيا أوسوياما"، رقم 23.

"أوكوباتا كسابورو""

تحاشت اللقاء بعينَيْ ابنتها وهي تسرع بفتح الخطاب، الذي كُتِبَ بِدقَّة على الوجهين، ومن ثلاث صفحات، على ورق سميك مستورد، مَطويٍّ لأربعة أرباع، وهي تخرجهم من المظروف وتفتحهم سَمِعَت الخشخشة وكأنها بمشهد سينمائي.

كان المحتوى بعكس توقُّعاتها تمامًا، وكل العبارات مكتوبة من اليسار:

"سيدتي العزيزة...

أستميحك عُذرًا لإرسال خطاب مفاجئ هكذا، وأنا أعرف أنه فور رؤيتك للخطاب ستُثار دهشتك -أختي الكبيرة- ورغمًا عن ذلك فأنا لم يمكنني ألَّا أفعل.

بالآونة الأخيرة فكَّرتُ كثيرًا بالكتابة إليكِ، لكن راودني القلق من أن يقع الخطاب في يد "تائيقو"؛ فتراجَعتُ. إنني التَقَيتُها اليوم في "شوكوجاوا" بعد طول غياب، وعرفت منها أن حضرتك الآن مع "إتسوقو" في طوكيو وتقيمان في نُزُل "هامايا"، لي صديقٌ في "طوكيو" مقيمٌ هناك؛ لذا فأنا أعرف العنوان، والآن أصبحت متأكِّدًا من أن خطابي سيصل ليد أختي الكبيرة؛ فكتبته في عجالة دون إعادة نظر فيما إن كان لا يَصحُّ. فقط أريد تبسيط الأمور قدر المستطاع، وأودُّ أن أخبرك بما في قلبي من شكوك، وإلى الآن هي ليست سوى شكوك لديَّ وحدي، وإنما أَوَدُّ سؤالك صراحة؛ أليس هناك شيء ما بين "إيتاكورا" و"تائيقو" مُؤخَّرًا؟

وقصدي: من ناحية المشاعر، دون الخوض في الموضوع من ناحية شرفها وسُمعَتِها... ألا تتَّضِح لك أمارات الحب بينهما؟

لقد شعرت بالأمر منذ وقت كارثة الفيضان، وحين فكَّرتُ لاحقًا بتفاصيل ما حدث وقتها وجدت أنه كم كان غريبًا أن يهرع "إيتاكورا" لإنقاذها. بذاك الوقت وذلك الموقف لماذا يُخاطر "إيتاكورا" بحياته من أجلها؟ لا أظنه ذهب لإنقاذها من طيب خلقه مثلًا.

دعيني أُخبِرِكِ بالمقام الأول أنه على عِلمٍ مُسبَق بمواعيدها بمدرسة التفصيل، وبصداقتها المفرطة مع السيدة "تاما أوكي"، ولا عجب!

ألم يكن يتردَّد معها على مدرسة التفصيل عادةً، ويلتقيها هناك من ذي قبل، وتبقى على اتصال معه؟

لقد بحَثتُ في الموضوع، ولديَّ أَدِلَّة، ولكن لن أذكرها هنا، وإن كان لا بُدَّ سأخبرك بها لاحِقًا، لكن الأهم الآن هو أن تبحثي أنتِ بنفسك في الأمر على وجه الخصوص، وأخشى أنَّكِ ستكتشفين المزيد ممَّا يخالف توقُّعاتِكِ.

إنني بعدما تَمَلَّكني الشكُّ حاوَلتُ مواجهتهما وإلقاء اللوم على "تائيقو" و"إيتاكورا"، لكن كلاهما أنكر بشدَّة، والغريب أنني بمجرَّد أن خرَجَت تلك الكلمات من فمي و"تائيقو" تتحاشى لقائي بشكل مريب. إنها لا تأتي إلى "شوكوجاوا" إلَّا نادِرًا، وحتى إنْ اتَّصلت بها ببيت "أشيبا" دائِمًا ما تخبرني "أوهارو" أنها خرَجَت وليست بالبيت. ولا أدري إن كان حقيقة أم كذبًا.

"إيتاكورا" هو الآخر قال بعبارة مُحدَّدة حرصًا على ألَّا يثير شكوكي أنه مؤخَّرًا لم يلتَقِها سوى مرَّةٍ أو مرَّتين من بعد واقعة الفيضان، رغم أنه يزوركم يوميًّا ببيت "أشيبا"... أليس كذلك؟

وأيضًا، ألَا يذهبان هما الاثنان سوياً للتَّنزُّه والسباحة بالبحر؟

أنا أستطيع معرفة الحقيقة بتفاصيلها، ولديَّ طريقتي؛ لذلك لن يُجدي الإخفاء، ولقد أمَرتُها بقَطعِ أي علاقة أو اتصال مع "إيتاكورا"، ولا أدري ما انطباعُكِ، ولكني لم آمُره هو بَعدُ.

إن كان هناك ضرورة للقائه بها بشأن تنسيق اللقطات الفوتوغرافية فأنا حاليًا مَنَعتُ أيَّ شُغل له معها، أي لم يَعُد هذا العمل موجودًا من الآن فصاعِدًا.

بِغَضِّ النَّظر عن أنه يتردَّد مُؤخَّرًا على البيت أكثر وأكثر، و"تائيقو" لا تأتي إلى "شوكوجاوا" أبدًا؛ فمن الأفضل أن يكون الوضعُ تحت سيطرة زوجك -أختي الكبيرة- لكن لسوء الحَظِّ بهذه المرة وبهذه الأثناء...

زَوجُكِ -أخوهم الكبير بالقانون- غائِبٌ طوال اليوم، وأنت و"إتسوقو" أيضًا، وحتى "أوهارو" في "طوكيو"، وكُلُّكم لا تعبؤون بما قد يحدث.

بالتأكيد أنتِ لا تدرين أنه يزوركم بالبيت كلَّ يومٍ أثناء غيابِكِ. أظنُّ أن الأخت الصغيرة حريصةٌ على نفسها بلا شكٍّ، وإنما شخصٌ مثل "إيتاكورا" ليس محلَّ ثِقَة. إنه شخصٌ عاد بعدما فعل الكثير وهو يجوب أمريكا كلَّها.

للعِلْم؛ بحثه عن علاقة تَسحبه للتَّغلغُل متشبِّثًا بأُسرَةٍ أينما كانت يجعل منه رجُلًا مُريبًا؛ فسُمعَتُه الرَّاسِخَة عنه هي خداعه الدائم لأي فتاةٍ تُقرِضه المال. أنا أعلم عنه ذلك منذ أن كان صبيًّا بالمتجر، وأنا أعرف الكثير.

أمَّا بخصوص مشكلة زواجي أنا و"تائيقو" فأنا لديَّ العديد من الطلبات؛ لذا فلندع الأمر ليوم آخر، والمشكلة الآن بالاعتبار الأول هي إبعاد "إيتاكورا" عنها، حتى وإن كانت تريد فسخ خطبتها معي. هي لم تفصح لي بنِيَّتها، لكنها ستدمِّر ذاتَها إن طالتها الشَّائِعاتُ مع مثل هذا الرجل.

قطعًا "تائيقو" -باعتبارها سيِّدة من عائلة "ماكي أوكا"- لن ترغب أن ترافق شَخصًا مثله، لكن أنا أيضًا من البداية تقع على عاتقي مسؤوليَّة تقديمه إليكم؛ لذا شعرتُ أنه من الواجب عليَّ أن أنبِّهَك لما أثار شكوكي، بما أنَّكِ الأخت الكبيرة المسؤولة، وأنا أعرف أنه من مُنطَلَق مكانتك سيكون لك تصرُّفُكِ الخاص، ووقتما يَكون لي دَورٌ في أي شيء ترينه فلتخبريني من فضلك.

بالنهاية، أَودُّ طلب شيء مُلحٍّ من فضلك... أرجوكِ أن يبقى كل ما ذَكَرتُه بخطابي سِرًّا، و"تائيقو" لا تدري به شيئًا.

ختامًا، لقد كتبتُ خطابي هذا في عُجالَة ليصلكِ -أختي الكبيرة- أثناء تواجُدِكِ في "هامايا". خطِّي سيِّئ، يصعب فَهمُه، ولكن أرجوك أن تُقدِّري الأمر؛ فأنا كتبت كل ما خطر على بالي دون ترتيبٍ؛ لذا أعتذر عن سوء خطِّي، وأكرِّر اعتذاري وطلبي أن تسامحيني إن كان أسلوبي غيرَ لائق.

مساء الثالث من سبتمبر

"أوكوباتا كسابورو"

إلى حضرة الأخت الكبيرة بأسرة "ماكي أوكا"

خالص احترامي".

استنَدَت "ساتشيقو" بمرفقيها على الطاولة، وبكلتا يديها أمسكت بأوراق الخطاب وأجزاء منه تعيد قراءتَها مرارًا وتكرارًا، وظلَّت تتهرَّب من نظرات "إتسوقو" التي تشاهدها مترقِّبة، وعندما انتهت من القراءة أعادت الأوراق للمظروف، وطَوَته نصفين، وأدخلته في حزام ردائها، ثم خرجت للتراس واتَّخذَت مقعدًا من الخوص. بدت وكأنها أسيرة بمصيدة، وإن لم تُهدِّئ من روعها وخفقان قلبها لن يَسَعَها

التفكير في شيء، فمهما كان ما ورد بالخطاب، تُرَى إلى أيِّ مدى كان صحيحًا؟

إنها أصبحت لا تدري هل المشكلة أنهم يُحسِنون الظنَّ بالناس، أم أنهم فقط تَخطَّوا حاجز الحَذَر مع ذاك المدعو "إيتاكورا"، والأمر لا يزيد عن ذلك؟ مجيئه لِلَّهو باستمرارٍ، ودون داعٍ، لم تَظنَّه من الغريب بشيء، لكن تصرُّفه دائمًا كيفما يروق لَهُوَ شيء لا يمكن تجاهُلُه.

أيضًا هم أنفسهم من ذاك المنطلق لم تكن لديهم أدنى مشكلة حيال الشاب. يعرفون فقط أنه كان صبيًّا بمتجر لعائلة "أوكوباتا"، ولا يعلمون شيئًا عن أصله ونَسَبِه.

ذاك الشاب من البداية وهو على عِلمٍ بأنهم من مستوى مختلف، وهو بنفسه كثيرًا ما قال لـ "أوهارو" "ألَا تتزوَّجينني؟ ألن تكوني لي عَروسًا، وكلام من ذاك القبيل، ولم تظنَّه أبدًا يقصد الأخت الصغيرة بأسرتهم... تُرى، هل لها يَدٌ فيما آلت إليه الأمور؟

حتى لو كان ذاك الشاب هذا هو مقصده ففكرة أن توافقه "تائيقو" لم تخطر ببالها أبدًا، ولا يمكنها التفكير ولو بالقليل على أنه على علاقة بها، حتى وهي تقرأ كلمات "أوكوباتا" الآن.

مهما ارتكبت "تائيقو" من أخطاء بالماضي فلا عُذرَ لها أن تُلقي بشرفهم وتتخلَّى عن ذاتها إلى ذاك الحد؛ أليس كذلك؟

مهما كان حظُّها العَسِر وما مَرَّت به من أوقات عصيبة؛ فإنها تظلُّ ابنةً لعائلة "ماكي أوكا".

حين وصل بـ "ساتشيقو" التفكير إلى هذا الحَدِّ تَرَقرَق الدمع بعينيها وهي تجلس لحالها.

لـو عـلى "أوكوباتـا" واختيارهـا مثـل هـذا الشريـك لحياتهـا وهـو عـلى الأرجـح عديـم الفائـدة فأيضًـا يمكـن مسـامحتها، لكـن أن تكـون عـلى علاقـة بـذاك الشـاب فيسـتحيل...

إن تَصرُّفـات "تائيقـو" نحـو ذاك الشـاب وطريقـة كلامهـا يتَّضِـح بهـا كيـف تُعامِلـه عـلى أنـه مـن مسـتوى أقـل، وهـو أيضًـا يقبـل بالوضـع، راض بقَـدَره... أليـس كذلـك؟

وإن كان هكـذا؛ إذن فهـل فحـوى هـذا الخطـاب لا أصـل لـه مـن الصِّحَّـة؟

لقـد قـال إنـه بحـث ولـن يذكـر أدِلَّـة دون أن يشـير إلى دليـل واحـد؛ إذن الأمـر ليـس إلا شـكوكًا غامِضَـةً لـدى "أوكوباتـا" فقـط؟

انتهـى المطـاف بظنـون "ساتشـيقو" أنـه لم يقـع ذاك الخـلاف مـن الأسـاس، وهـو عـن عَمـدٍ يُحذِّرهـا بشـكل مُبالَـغ فيـه. إنـه يقـول إن لديـه طُرُقَـه، ورغـم ذلـك هـو ذاتـه لا يـدري كيـف يتحـرَّى الحقيقـة، فمَثَـلًا "تائيقـو" و"إيتاكـورا" لم يذهبـا هـما الاثنـان بمفردهـما للسـباحة بالمحيـط؛ فهـي دائِمًـا مـا تعـير انتباهًـا لذلـك، ومثـل هـذه الأمـور ليسـت خارجـةً عـن سـيطرتها. إنهـما حـين ذهبـا للسـباحة كانـت معهـما "إتسـوقو" و"يوكيقـو" أيضًـا، وحتـى بـأي وقـت آخـر لم يحـدث أن خرجـت "تائيقـو" مـع "إيتاكـورا" وحدهـما أبـدًا، وبـدون الإحسـاس بأننـا نراقبهـا. حديـث "إيتاكـورا" دائمًـا مُسَـلٍّ؛ لـذا يجتمـع الـكل حولـه بمجـرَّد أن يـأتي، ولم تشـعر ولـو لمـرة بسـلوك مُريـبٍ منـه أو منهـا.

إذن، ببسـاطة: "إيتاكـورا" اعتمـد عـلى شـائعاتٍ هَوجـاءَ مـن الجـيران أو مـا شـابه، ونسـج حولهـا الأوهـام مـن نفسـه عـلى الأرجـح... أليـس كذلـك؟!

بذلت "ساتشيقو" قصارى جهدها لتستبعد مثل ذاك التفكير، لكن حتى وإن كان؛ فإنها بقراءتها للرسالة بأول وَهلَةٍ باغَتَتها وخزةٌ بقلبها لا يمكن نكرانها.

الحقيقة المجرَّدة أنها لم تَخُض أيَّ نقاش بخصوص "إيتاكورا" ومستواه، ولم يختلفوا من قبل حول ما يتظاهر به؛ وعليه فكل ما ورد بالخطاب لم تتخيَّله قَطُّ، والأمر ليس كذلك أبدًا...

ما لا تريد أن تُقِرَّه "ساتشيقو" هو أن "إيتاكورا" شخصٌ خَدومٌ ومُخلِصٌ لـ "تائيقو"، لكنَّ تَرَدُّدَه المستمرَّ دخولًا وخروجًا ربما وراءه شيء ما غامض لم تلحظه. إنها هي ذاتها لو بمكان "تائيقو" ستتحرَّك مشاعرها بقوَّةٍ كامرأةٍ شابَّةٍ نحو مَن أنقذ حياتها، وسيتَملَّكها إحساسٌ عميق بالامتنان له، علاوة على أنها هي نفسها تُبَجِّله.

إنه فقط التَّعصُّب لـ "اختلاف المستوى الاجتماعي" إلى أقصى حد؛ لذلك دون أن تلقي بالًا لا يرضيها أن تتقبَّل الأمر أو حتى أن تحسمه، فبالطبع هي تتحاشى أن تتأكَّد وتتثبَّت من صحَّة الأمر.

لهذا السبب كان كل ما تخشاه من ذلك الخطاب الذي بين يديها الآن هو أن ينكسر كبرياؤها بوقاحة "أوكوباتا" على هذا النحو غير المتوقَّع؛ فهي تريد أن يظلَّ كُلُّ شيء يدور تحت ناظريها، وهذا جعلها ترتبك وتَشعُر أنه لا داعي للتَّلكُّؤ بطوكيو ولا ليومٍ واحد، وإن لم يكن عليها العودة لهذا السبب فليكن لأنها مصابة بداء الحنين، وإذا نَحَّت كلَّ شيء جانبًا فلا بُدَّ لها أن تستوضح كل شيء سريعًا، وفكَّرَت فيما هي أفضل طريقة تبحث بها؟ هل عليها أن تفتح النار وتُحقِّق معها وحدها دون أن تثير فضول الآخرين بالبيت؟ أم تناقش مع زوجها الأمر برُمَّته؟ أم للنهاية تَتحمَّل على عاتقها المسؤولية وحدها ودون أن تُفصِح لزوجها أو "يوكيقو" وتتقصَّى الحقيقة سرًّا؟

لسوء الحظ إن استدلَّت على الحقيقة عليها أن تنهي هذه العلاقة دون أن تبوح بشيء، ودون أن تلحق أذى بأحد، وهذا هو الحل الأمثل.

إن مثل هذه الأشياء ما إن تطرأ على فكر أحد من نوعيَّتها تظل لها الأولوية، وتطغى على أي شيء آخر.ستمكث مشغولةَ الفِكر وتعتبرها مُشكِلَةً طارئة، وانشغل بالها كيف تجعل "إيتاكورا"لا يقترب منهم؟

من بين سطور الخطاب الذي قرأته للتَّوِّ ظلت هذه العبارة عالِقَةً بذهنها: "يزوركم كل يوم بالبيت أثناء غيابك، أختي الكبيرة".

لو بينهما حقًّا علاقَة حب فالفرصة الآن لتنمو براعمه.

"أخوها غائب طوال اليوم، وأنت و"إتسوقو" و"أوهارو" في "طوكيو"، ولا تعبؤون بما قد يحدث".

هذه الكلمات هي أكثر ما أثار غضبها؛ فكم هي حمقاء!

كيف لها أن تدع "تائيقو" بمفردها وتغادر مُصطَحِبَةً ابنتها و"يوكيقو" وحتى "أوهارو" وتذهب لـ "طوكيو" ولا تفكِّر سوى بنفسها ولا أي أحدٍ آخر كما لو أنها هي بنفسها التي تُهيِّئ المَرتَعَ لحُبِّهما وتباركه بمثل هذه الفرصة، فلو لم تتفتَّح براعم مشاعرهما لن يصبح لها نَبتة من الأساس. بذلك أي مشكلة تقع لن يمكن لوم أحدٍ سواها، وبأي شكل من الأشكال هذه الفترة هي كل ما تقلق بشأنه الآن، ونفد صبرها.

أليس من الأفضل أن تصطحب ابنتها وتغادر في غضون يوم أو اثنين وتتفقَّد الأحوال بنفسها؟ أم أن الحَلَّ الأسرع هو الاتصال بزوجها على الفور وتجعله يُحذِّر "تائيقو" ويمنعها من لقاء "إيتاكورا" في غيابه؟

كم يبدو الأمر سخيفًا! خاصَّةً وأنها تَودُّ إنهاء المسألة دون أن يعرف بها زوجها، بل وتريد أن تتجنَّب ذلك قدر المستطاع، وإن

كانت لا تطيق الأمر ولا مفرّ فلتَبُح لـ "يوكيقو" فقط وتغادر بالمساء بعد التمشية سويًّا.

إن تَفَهَّمتها "يوكيقو" فلا حاجة لاختلاق الأعذار للمغادرة سريعًا...

ربما هناك حَلٌّ آخر؛ فماذا إن جعلت "أوهارو" تغادر أوَّلًا ويَبدو الأمر طبيعيًّا؟

بالتأكيد هي لن تُطلِع "أوهارو" على شيءٍ، لكن وجودها بجانب "تائيقو"سيجعل "إيتاكورا" لا يتمكَّن من زيارتها، وستصل للنتيجة المرجوَّة، وهي أنها ستحول دون قُربِهما من بعضهما البعض.

لكن "ساتشيقو" تردَّدَت بشأن تنفيذ خُطَّتها الأخيرة حين تذكَّرَت أن "أوهارو" فتاة ثرثارة، ووجودها لن تُحمَد عُقباه ما إذا كان هناك شيءٌ بينهما يثير ريبتها فهي إن استشعرت أي شيء من ذاك القبيل فلن تتوقَّف عن نشر الشائعات هنا وهناك، وإن لم يكن كذلك فهي فتاة فضوليَّة بطبعها، وستظلُّ تفكِّر لِمَ أرسلَتها هي أوَّلًا.

فوق كل شيء "ساتشيقو" راوَدَها القلق من أن تشتريها "تائيقو" بالمال، وعلى العكس، بدلًا من أن ترسلها لمؤانستها فبالدَّهاء يسهل إغواؤها، خاصَّة لو فعل ذلك ذاك المدعو "إيتاكورا" بكلامه المعسول؛ ستُنفِّذ ما يقوله على الفور.

كل هذه الأفكار تزاحَمَت برأسها وهي لا تدري ماذا عساها أن تفعل، لكنها لم تُلقِ بمسؤولية هذه الورطة على أي أحد، وكالمتوقَّع استعدَّت بالترتيبات اللازمة للإسراع بالعودة.

لم يكن أمامها حلٌّ آخر سوى أنها بمجرَّد انتهاء الفحص الطبي -سواء باليوم أو الغد- ستغادر بعده مباشرةً، حتى وإن كان متأخِّرًا بقطار المساء.

كانت شارِدةً بأفكارها حين وقع ناظرها على مظلَّة "يوكيقو" وهي آتية إليها تسير على ضفَّة النهر بعدما عبرت الجسر من جهة مسرح الكابوكي، فأسرعت لتجلس أمام منضدة الزينة وأخذَت فرشاة مورِّد الوجنتين ومرَّرَتها برفقٍ على وجنتيها، وتنبَّهَت لحقيبة أدوات التجميل الموضوعة جانبًا، ففتحتها دون أن تَدَعَ الصغيرة تلحظ، وأخرجت من جيبها قنِّينة "براندي" وسكبت بالكأس -الذي هو غطاؤها- ثُلُثَه، وتجرَّعَته.

الفصل التاسع عشر

فقدت "ساتشيقو" شغفها للذهاب للمعارض، لكنها ظنَّت أنه ربما عليها صرف انتباهها عمَّا يُوَتِّرها، والخروج ومشاهدة الأماكن السياحيَّة.

خرج الثلاثة مُتَّجِهاتٍ إلى "أويه نو"، والأختان أصابهما التَّعَب من قبل زيارة المعارض، لكن "إتسوقو" ألحَّت بشدَّة على الذهاب إلى حديقة الحيوان، فكانت كلتاهما تجر أقدامها جرًّا من الإنهاك، إلى أن أتممن جولتهنَّ في إيجاز وعُدنَ بالمساء بعدما تجاوَزَت الساعة السادسة.

في الحقيقة كانت لديهنَّ النِّيَّة لتناول العشاء بمكانٍ ما، لكن فضَّلن العودة سريعًا دون الاستراحة ولو قليلًا، وظلَّت معهنَّ يوكيقو إلى أن عدن للنُّزُل ودخلت للاغتسال، ثم تناولن العشاء بالغرفة، وهنا جاءت "أوهارو" بملابس قطنيَّةٍ رثَّة ووجهها أحمر يتصبَّب عَرقًا وتصيح:

"مرحبًا لقد عدت".

إنها عادت للتَّوِّ من رحلتها إلى "نيّقوه". ركبت المترو مع "أوهيسا" من محطة "كامينـاري مـون"، ونزلت بمفردها في محطة "أواريتشـو" لتـزور سـيدتها وتشـكرها. أخرجـت "أوهـارو" ثلاثـة مـن الحلـوى الچيلاتينيـة "يـووكان" والبطاقـات المصـوَّرَة للمعـالم السـياحية هنـاك.

"هذه الهدايا كلِّفَتكِ الكثير... خذيها معك لهم ببيت "شيبويا"".

"كلَّا كلَّا لقـد اشـتريتها لكـم هنـا، و"أوهيسـا" جلَبَـت لهـم هنـاك وسـبقتني".

"حسنًا إذن ولكن هذا كله كثير للغاية...".

"هل رأيت شلَّال "كيجون"؟".

سألتها "إتسوقو" وهي تتفحَّص بطاقتها المصوَّرة.

"نعـم، لقـد أخذنـا جولـةً سـياحيَّة لمشـاهدة المعـالم مـن الشَّـلَّال ومعبد "طووشـووجو" إلى البحـيرة... كلـه بفضلكم".

بـدا الحديـث عـن معـالم "نيّقـوه" شـيِّقًا لبعـض الوقـت، إلى أن قالـت "أوهـارو" إنهـا رأت جبـل "فوچـي"، ونشـبت المشـكلة.

"ماذا؟ جبل "فوچي"؟".

"نعم".

"من أين رأيتِه؟".

"من داخل قطار "طووبو"".

"وهل من داخل القطار يمكن رؤيته حقًّا؟".

"هذا ليس حقيقيًّا يا "أوهارو"... إنه جَبَلٌ مختلف، ليس "فوچي"".

"كلَّا، أنا متأكِّدة وبلا شك. الزُّوّار كلهم كانوا يقولون يمكننا رؤية جبل "فوچي"، جبل "فوچي" ظاهر اليوم".

"حسنًا، إذن أين يمكنني رؤيته أنا أيضًا؟".

كانت "ساتشيقو" مشغولةَ البال منذ الصباح، واستغلَّت الموقف لتأمر "أوهارو" أن تقول بالطريق للطبيب "سوجي أورا" -دون أن تلحظها الصغيرة-؛ فالآن هذه فرصة مناسبة ليكون الرد: "هيَّا، فلنَقُم بالرحلة قبيل عودتنا ونَمُرَّ على الطبيب بالصباح لإجراء الفحص الطبي".

وها هو ذا على غير المتوقَّع ستنتهي من الأمر سريعًا، وجعلت "أوهارو" تستدعي موظَّفة الاستقبال بالنُّزُل، وطلبت منها حجز ثلاثة تذاكر بقطار النوم مساء غَدٍ، ولو أمكن بأرقام متسلسلة بنفس العربة.

تفاجَأت "يوكيقو" وسألتها إن كانت ستغادر فعلًا بالغد، وإن كان الفحص الطبي بصباح غد فهل سيقضين مشترياتهن سريعًا ثم يستقللن قطار الليل؟ ما الدَّاعي لكل هذه العَجَلة؟!

أجابتها "ساتشيقو" بأن المدارس بدأت بالفعل، ويجب ألَّا تتغيَّب "إتسوقو" أكثر من ذلك، ومن الأفضل الإسراع بالرجوع، وبهذا فـ "يوكيقو" و"أوهارو" عليهما المجيء للفندق بالغد في الظهيرة، ستكون "ساتشيقو" وابنتها قد عادتا من موعد الفحص الطبي، ويخرجن جميعًا للتَّسوُّق، واعتذرت "ساتشيقو" عن عودتها مرَّةً أخرى لتوديعهن ببيت "شيبويا"؛ فليس هناك مُتَّسَعٌ من الوقت، ولتبلغهم "يوكيقو" منها السلام، وبعدما اتَّفقن على ترتيبات الغد وانتهين من عشائهنَّ عادت كلٌّ من "يوكيقو" و"أوهارو" إلى بيت "شيبويا".

كان اليوم التالي يومًا حافِلًا يعجُّ بالمشاغل.

بداية من الصباح حيث زيارة الفحص الطبي لدى السيد الدكتور "سوجي أورا"، ثم التوجُّه لصرف الأدوية الموصوفة من صيدلية البلدة، وبعدها تستقلُّ "ساتشيقو" وابنتها سيارة أجرة لتعود إلى "هامايا"، حيث تنتظرهما "يوكيقو" و"أوهارو".

أول ما سألت عنه "يوكيقو" هو نتيجة الفحص الطبي.

أجابتها "ساتشيقو" بأن رأي الطبيب"سوجي أورا" مُشابِهٌ للدكتور "تسوجي" في المُجمَل، حيث قال إن الأجواء المحيطة تجعل الطفلة مُتوتِّرَة، غير أنه يحيطها الكثير من الأطفال المتفوِّقين مُتَّقِدي الذكاء؛ لذلك فهي لا تتحمَّل الانصياع لقيادتهم كشخصٍ عاديٍّ، ويجب ألَّا ندعها تصل إلى هذا الحَدِّ من القلق، والأهم أن نمنحها مجالًا لتستكشف ما يتفوَّقون عليها بمهاراتهم، وعليها أن تحاول جاهِدَةً التركيز في شيء واحد، هكذا قال الطبيب، وكتب لها نظامًا غذائيًّا مفصَّلًا، وهذا هو ما أضافه مُختَلِفًا عن الطبيب"تسوجي".

خرجن جميعهن بالمساء للتنزُّه على ضفاف بحيرة "دوواميو" والتجوُّل بمتجر "ميتسوقوشي" في "نيهونباشي"، ومتجر "ياماموتو" للمأكولات البحرية، ومتجر"اريإن" في "أواريتشو"، وبشارع "هيرانويا"، ومتجر "أوايا" في "نيشيجينزا"، وغيرها الكثير.

لسوء حظِّهن اشتدَّت الحرارة بأواخر الصيف، واشتعلت نسمات الهواء بلهيب الشمس، فقرَّرن أن يلتقطن أنفاسهنَّ ويروين ظمأهنَّ في متجر "COLOMBIN" أو "JAAMAN BAKERY".

جعلن "أوهارو" تحمل الكثير والكثير من لفائف المشتروات، وبالكاد أطلَّت برقبتها من بين ما تحمله، ولليوم التالي على التوالي يتوهَّج وجهها احمرارًا، ويتصبَّب عَرقًا. ظلَّت تحاول اللحاق بخطواتهن، وهن الثلاثة أيضًا كلٌّ منهنَّ تحمل حقائب بيديها، وواصلن تسوُّقَهنَّ إلى أن

حان موعد العشاء، وتوجَّهن إلى مطعم "ROMAIYA" الذي لا يحيد رأيهن عنه اختصارًا للوقت، بدلًا من العودة للنُّزُل وطلب الطعام.

لكن يظلُّ هناك أمرٌ واحد بَعدُ؛ فبهذا المساء من أجل "يوكيقو" التي لن تراها مرَّةً أخرى إلَّا بعد فترة فليكن تَجمُّعهنَّ وداعًا لائِقًا، وتضم طاولتهن البيرة والمأكولات الغربية.

بعد العشاء عدن للفندق سريعًا، وحملن أمتعتهن وتَوجَّهن لمحطَّة طوكيو، وجاءت لوداعهن الأختُ الكبيرة، وطال حديثهنَّ في استراحة المحطة لقرابة خمس دقائق، وبالثامنة والنصف مساء كُنَّ بقطار النوم السريع، وقبيل تَحرُّكه نزلت "إتسوقو" خارج القطار لتُثَرثِر مع "يوكيقو"، وصعدت" تسوروقو" مع أختها، وبدهليز القطار همَسَت لها:

"أليس هناك أيٌّ من عروض الزواج لـ "يوكيقو"؟".

أجابتها "ساتشيقو":

-"كلَّا... لا شيء... مع أنني تَوقَّعتُ أنه لا بُدَّ أن يكون أي عرض آخر بهذه الآونة...".

"إن لم يُقدَّر لها شيء بهذا العام، فالعام القادم سيكون أكثر شُؤمًا".

"أظنُّ كذلك، وأسأل الجميع...".

"وداعًا أختي الحبيبة".

قالتها الصغيرة لـ "يوكيقو" كما اعتادت أن تناديها على أنها أختها وليست خالَتَها، وصعدت للقطار وبيدها مَحرَمَة من الحرير الچورچيت باللَّون الوَرديِّ.

"متى ستأتين إلينا يا أختي؟".

"فور ما أستطيع المجيء".

"حسنًا، تعالي سريعًا".

"حسنًا".

"أكيد أختي... أكيد، أليس كذلك؟".

بالقطار كانت الأَسِرَّة واحِد علوي واثنان بالأسفل، وبأرقام متسلسلة. اختارت "ساتشيقو" السرير العلوي، وجعلت "إتسوقو" و"أوهارو" بالسريرَيْن اللذين قبالة بعضهما البعض، واستلقت برداءٍ خفيف، الذي هو بطانة داخلية للكيمونو.

مجرَّد أن مَدَّدَت ظهرها أدرَكَت أنه لن يمكنها النوم، وطالما لن يغمض لها جَفنٌ فلن تخوض عناء المحاولة، وظلَّت فور ما تجفل وتغمض عيونها يتبادر لمخيِّلتها وجه أختيها منذ قليل وهما تنهمر دموعهما أثناء وداعها، واستغرقت بالتفكير في مدة بقائها بـ "طوكيو" هذه المرة. إنها غادرت باليوم السابع والعشرين من الشهر الماضي، واليوم هو الحادي عشر.

لم يهدأ لها بالٌ طوال هذه المدَّة، وتوالَت الأحداث برحلتها بلا هَوادَة. في البداية أقامت ببيت أختها الكبيرة، وتحمَّلَت إزعاج الأطفال، واختتم الأمرَ إعصارُ الـ "تايفوو" الذي أفزعهم، وقادتها السُّبُل لتتَّخِذ من فندق "هامايا" ملاذًا، وما إن ظنَّت أنها تنفَّسَت الصعداء جاءها خطاب "أوكوباتا"، الذي وقع عليها كالقنبلة، ولم تهنأ من بعده براحةٍ أبدًا، ومهما تَعَجَّلَت جرَّت الأيَّامُ بعضها، يومٌ تلوَ الآخر مع أختيها، وبالفحص الطبي، وهذا أهم مسألة استطاعت إنجازها، ولم تشاهد أي مسرحية بالنهاية.

منذ الأمس وطوال اليوم هي تتجوَّل هنا وهناك بشوارع "طوكيو" المليئة بالغبار، بكلِّ نشاطٍ وهِمَّة. وحقًّا أمضت يومين غاية في الصَّخب.

ظلَّت تركض بتلك الساعات القليلة؛ فهي لا يمكنها أن تقبل ألَّا تُحقِّق كل أهداف رحلتها.

غرقت بتفكيرها على ذاك النحو إلى أن تَمَلَّكها التعب، ولم تَنَمْ، بل غطَّت بنومٍ عميقٍ وكأنه انتشلها عاليًا شيءٌ ما من الأفق وتركت عالمنا.

كانت تتجرَّع البراندي ليساعدها لتغفو، وحين تستيقظ تجد أنها لا تملك أيَّ قُوَّة حتى لالتقاط القنِّينة؛ فبداخل رأسها التي لا تنام الحادث المزعج الذي بانتظارها لتُصدِر حُكمَها، وتُقرِّر عاجِلًا فور عودتها... وإن كانت هدأت وتيرةُ هذه المشكلة وما يصاحبها من شَكٍّ وخوف وسط الزحام، ولكن يظل السؤال عالِقًا:

هل ما ورد بالخطاب حقيقيٌّ؟

هل تَشكُّ "إتسوقو" بوجود خَطبٍ ما؟

هل تحدَّثَت مع "يوكيقو" بخصوص وصول خطاب من "أوكوباتا"؟

الفصل العشرون

عادت "إتسوقو"، وبعد استرخائها ليوم واحد فقط بدأت باليوم التالي مباشرة الذهاب للمدرسة، أما "ساتشيقو" فحلَّ بها كل التعب بمجرد مغادرتها وقضت بضعة أيام متتالية في استرخاء وتدليك، وحين يصيبها الملل تتَّخذ مقعدًا بالتراس وتُمضي أوقاتها تتأمَّل الحديقة.

هذه الحديقة تعكس ذوق صاحبتها وما تُفضِّله من زهور في الربيع عنها في الخريف، إلَّا أنه الآن أيضًا تفتَّحَت براعم زهور اللوتس الهزيلة في ظلال الزخارف الصناعية بالحديقة وبالقرب من حدود حديقة عائلة "STOLZ" الألوان البرَّاقة تخطف الأنظار وحشود العشب الأبيض تحتضن بعضها البعض. بالصيف فعلت كل ما بوسعها لتظلَّ فروع أشجار الإسفندان والمظلة الصينية نَضِرَة، والعشب يغطِّي المشهد بأكمله كبساطٍ باللون الأخضر، ولم يتغيَّر شيء منذ مغادرتها لـ "طوكيو"، سوى أن أشِعَّة الشمس انكسرت بعض الشيء، والنسمات

المنعشة الباردة تتسلَّل من بين غصون الزيتون فيفوح عطرها ويملأ الجو فتستشعر اقتراب الخريف خلسةً.

الستائر الخوص المسدلة سيلزم طَيُّها جانبًا عمَّا قريب...

شردت "ساتشيقو" بتفكيرها وظلَّت عدَّةَ أيَّامٍ تتأمَّل حديقة بيتها العزيزة على قلبها وتألف رؤيتها. إنها حقًّا نادرة، وتقريبًا لم تصادف مثلها برحلتها، رغم أنها تَغيَّبَت لعشرة أيام فقط إلَّا أنها غير معتادة على الرحلات، وربما لذلك ينتابها الإحساس وكأنها فارقت لشهر، وسعادتها عارمة بالرجوع، وهنا -ولمرَّةٍ أخرى- يعزُّ عليها بقاء "يوكيقو" هناك... وبَدَا عليها الأسى.

كل مكان بهذه الحديقة يُذكِّرها بها. ألم تكن "يوكيقو" هي الأخرى تعشق تأمُّلَ الحديقة هكذا! إنها شخصٌ أصيل من إقليم "كانساي"، وتعي كيف هو الارتباط العميق بكل معالمه.

قد تكون هذه الحديقة رتيبةً لا تجمع أذواقًا نادِرةً مَثَلًا، إلَّا أنه الهواء بها مُعبَّأ برائحة أشجار الصنوبر، وترى منها جبال "روقّوو" حين تصفو السماء؛ مِمَّا يُشعِرُك بأن السعادة والانسجام بالسُّكنى في أراضي إقليم "هانشين" ليست مثل هنا أبدًا، علاوة على أنه يعجُّ بالضوضاء والغبار و"طوكيو" التي يُطلَق عليها المدينة البيضاء هي مكان بغيضٌ، فحتى الإحساس بالهواء بها مختلفٌ مثلما اعتادت أن تقول "يوكيقو".

"يوكيقو" التي انتهى بها الحال للانتقال لما هو أسوأ، وحين تقارن "ساتشيقو" حالها بأختَيْها لا تدري أي سعادة تلك قد تكون لديهما، وهذا الشعور الذي انغمست به جعلها في استمتاع ليس بعده شيء.

وتصيَّدَت "أوهارو" لتثرثر بما في نفسها:

""أوهارو" قبل ذهابك لرحلة "نيّقوه" هل كنت تستمتعين بإقامتك في "طوكيو"؟ أنا لا أرى أن ذاك المكان جيِّد على الإطلاق، بالتأكيد بيتي هو أفضل مكان أليس كذلك؟".

أمَّا عن "تائيقو" فلقد كانت بإجازة من تصنيع الدُّمى طوال الصيف، وظنَّت "ساتشيقو" أنها ستبدأ ثانية بهذه الفترة، وأثناء غيابها هي كانت كثيرة الخروج لتتَّخِذ استعداداتها، ومنذ اليوم التالي لعودتهم وهي بدأت تتردَّد على شقة عملها في "شوكوجاوا". إنها لا تدري متى ستبدأ دروس مدرسة التفصيل، وإن كانت المعلِّمة ليس لديها ما يمنع الآن، إلَّا أن "ساتشيقو" رأت أنه أَوْلَى من هذه الترتيبات أن تنتهز الفرصة الآن وتتعلَّم الفرنسية قبلما تنشغل بالعمل، وإن كان هكذا فلتأتِ "مدام تسوكاموتو". إنها توقَّفَت عن العمل بعدما انتهت من تعليم "ساتشيقو" و"يوكيقو"، لكنها لن تُمانِع إذا ما أرادت "تائيقو" أن تبدأ معها.

هكذا اقترحت عليها، وأضافت أنها ستتعلَّم من البدايات؛ لذا، للأسف، لن تكونا سويًّا بنفس الحصص، علاوة على أن الفرنسيين تكاليفهم باهظة.

في إحدى المرَّات جاء "إيتاكورا"، ولم تكن "تائيقو" متواجِدةً، وقال جئتُ لإلقاء التحية على سيدتي بعد عودتها، وجلس مع "ساتشيقو" بالتراس قرابة العشرين دقيقة، وبمروره على المطبخ سأل "أوهارو" عن رحلة "نيّقوه".

انتظرت "ساتشيقو" تعافيها من إنهاك السفر، ورغم أن هذه كانت فرصةً مناسبة لكن بهذه الأثناء كان من الغريب أن كل الشكوك التي جاءت مُحمَّلة بها من "طوكيو" تلاشت شيئًا فشيئًا.

صَدمَتُها بالخطاب الذي وصلها بغرفتها في "هامايا" في صباح ذاك اليوم، والخوف الجاثم على صدرها مع صخب اليوم التالي، والكوابيس المتسللة لفِراشها بكل ليلة، وكل ما عانته...

بذاك الوقت ورغم شعورها أن الواقعة لا يمكن إرجاء التحقق منها ولا ليومٍ واحد، إلَّا أنها بلحظة عودتها لبيتها واستقبالها لصباح مُشرِق سَكَن تَوتُّرها بشكل غريب، ورأت "يوكيقو" أنه لا داعي للإستعجال هكذا.

على وجه العموم لو كانت المشكلة تتعلَّق بسلوك "يوكيقو" لقالت "ساتشيقو" لا داعي لنأخذ بأقوال أي أحد، وصمَّت أذنيها، واعتبرته افتراءً عاريًا تمامًا من الصحة، وعلى عكس حالها مع "تائيقو"؛ هي لا تصدقها في كثير من الأمور؛ لهذا أصابها الذعر باستلام الخطاب. لكنها بعد عودتها لم تلحظ أبدًا أي تغيير بسلوك "تائيقو"، وهي دائمًا ما تلقاها بوجه بشوش؛ ممَّا أكَّد إحساسها بأن تلك الأخت الصغيرة ليس وراءها مثل تلك الفِعلَة المشينة، حتى إنها استغربت حالها حين ارتبكت بذلك الوقت، وشغل تفكيرها بالوقت الحالي ما إن كانت أصابها انهيارٌ عصبيٌّ هي الأخرى أثناء تواجُدِها بـ "طوكيو".

في الحقيقة تلك الأجواء المتوتِّرة بـ "طوكيو" بالنسبة لشخصية مثلها لن يُغيِّر من عصبيتها شيءٌ، وبالتأكيد قلقها بتلك الفترة كان مَرضيًّا، والآن حُكمها هو الصواب.

بعد مرور أسبوع، وبيوم ما انتهزت الفرصة لتحسم الأمر مع "تائيقو"، وانفرجت أساريرها بشدَّة. حينها عادت "تائيقو" مبكِّرًا من "شوكوجاوا" وتوجَّهَت لغرفة الجلوس ومعها ما جلبته من شقة أشغالها.

دُمية لسيدة بمنتصف العمر، برداء مزركش، تجلس القرفصاء تحت فانوس وتنتعل قبقاب الحديقة. إنها مسألة "أصوات الحشرات"((1)*)؛ فالسيدة تعطيك انطباعًا بالإصغاء لأزيز الحشرات. بذَلَت فيها "تائيقو" الكثير من المجهود.

كانت تبحث لها عن مكانٍ، وجرَّبَت أن تضعها فوق المنضدة، وهنا جاءت "ساتشيقو":

"ها أنتِ ذا، استطعتِ الانتهاءَ منها".

"نعم، ها هي".

"جميلة حقًّا. إنها أفضل أعمالك بهذه الفترة...فتاة شابَّة وبمنتصف العمر، لكن إن فكَّرتِ مَليًّا تعطيك الإحساس بالوحدة ".

وأضافت كلمات قليلة من النقد، ثم قطعت حديثها بذاك الموضوع، وقالت:

"أختي الصغيرة... أنا، بالحقيقة بهذه الآونة وأنا بـ "طوكيو" وصلني خطابٌ غريبٌ".

"مِن مَن؟".

سألتها "تائيقو" وهي لا تزال تُغدِق الدُّمية بنظراتها ولا تلقي بالًا.

"من "أوكوباتا"".

"ممم... إنه هكذا أفضل وضع...".

قالتها ووَضَعَت الدُّمية قبالة أختها الكبيرة.

همَّت "ساتشيقو" بإخراج الخطاب من مظروفه.

---

(1) ارتباط اليابانيين بالطبيعة ارتباطٌ روحيٌّ منذ قديم الأزل، ويتمُّ التعبير عنه بالأغاني والأشعار. والاستماع للحشرات أثناء تأمُّل الطبيعة يُنبئ بتغيير الفصول، حيث إنه لكلِّ نوع منها موسمه كالزهور أيضًا.

"هذا هو... هل تعرفين ما هو مكتوب به "تائيقو"؟".

"بالطبع أعرف... عن "إيتاكورا" بالتأكيد".

"حسنًا، لقد قَرَأت ما به و...".

بذاك الموقف لم يتغيَّر لون وجهها ولو بالقليل، بل حافظت على هدوئها دون أن تُحرِّك ساكِنًا؛ فهي من البداية يصعب أن تُفصِح عمَّا بجَعبَتِها، وحتى الآن و"ساتشيقو" ترمقها بالنظرات، وأزاحت لها على المنضدة أوراق الخطاب الثلاثة، ودون أن يطرف لها جَفنٌ أخذتها وقلَّبَت الصفحات لتقرأها بتَمعُّن.

"كم هو أحمق... لقد اندهشت حين قال لي من فترة إنه سيرسل خطابًا للأخت الكبيرة لكي أخبرها".

"أنا بالتأكيد دهشتي كانت كالصَّاعقة".

"أريد أن أحتفظ بهذا".

"لكنَّه كتب به يستسمحني ألَّا أبلِغَكِ شيئًا، وأنا بدلًا من أن أخوض النقاش مع أيِّ أحدٍ واجَهتُكِ مباشرةً، وأول ما تبادر لذهني هو أن أسألك... قطعًا هذه ليست الحقيقة، أليس كذلك؟".

""أوكوباتا" يقول إنني أخونه... هل وصل الشَّكُّ به لهذا الحد؟".

"رغمًا عن ذلك، ما ظَنُّكِ بـ "إيتاكورا"؟".

""إيتاكورا" أنا سَبَّبتُ له الكثير من المشاكل. الوضع يختلف عمَّا يقصده "أوكوباتا"، أنا يتوجَّبُ عليَّ شُكره والعِرفان بجميلِه. إنه صاحب فضلٍ، وأنقذ حياتي. هل يؤول الوضع لسوء الظَّنِّ به هكذا؟".

"حسنًا إذن، كما ظَنَنتُ تمامًا... أتفهَّم ذلك".

قالت "تائيقو" إن شَكَّ "أوكوباتا" كما جاء بالخطاب هو منذ حادثة الفيضان، لكن الحقيقة أنه من قبل، وأدركت فيما بعد

سببَ كراهيته الدائمة لـ "إيتاكورا". في البداية كان يُثار حنقه دون داعٍ من تَردُّد "إيتاكورا" بحُرِّيَّة على بيت "أشيبا"، فرأت أن تدعه بغضبه الطفولي هذا لأنه ليس غيرةً، ولم تُعِره أيَّ انتباه، لكن بعد حادثة الفيضان تملَّكه الشَّرُّ لدرجة أنه أصبح يَصبُّ كُلَّ شكوكه عليها. سألها "أوكوباتا" هي فقط، وقبلما يفعل مع "إيتاكورا" طلَبَت منه أن يلتزم الصمت، وظنَّت أيضًا أن "أوكوباتا" شديدُ الاعتداد بذاته؛ فلن يتحدَّث له أبدًا، وتحاشت المواجهة بأي حديثٍ مباشر مع "إيتاكورا"، وهو بدوره لم يفعل، ولم يُلقِ اللَّومَ على أحد، وكان هذا سببًا كافيًا لينشب الشجار بينها وبين "أوكوباتا"، ومهما حاول الاتصال بها تغضب ولا تجيبه، وعن عَمدٍ لا تعطيه فرصة للقائها، وأصبَحَت طريقة إلحاحه تُوَتِّرها، وتعتبرها شيئًا مُثيرًا للشَّفقة، وآخر ما جاء به هو هذا الخطاب، والذي عرفت بشأنه بعدما التقته أخيرًا في الثالث من الشهر الحالي.

إنها دائمًا ما تلتقيه بالقرب من غرفتها المُستَأجَرَة كمقرٍّ لعَمَلِها في "شوكوجاوا" وتنتظره بالطريق، وهذا ما يقصده "أوكوباتا" حين ذكر بخطابه أنه لم يَعُد يلتقيها دون أن يذكر بالتفصيل كيف وأين يتقابلان.

بسماع "ساتشيقو" لإجابتها ولأنها تُنهي حديثها معه بعد التَّمشية هناك عند أشجار الصنوبر ثم تغادر- أدرَكَت أن عبارة "إيتاكورا" بالخطاب: "لديَّ العديد من الأَدِلَّة" ما هي إلَّا ليدفعها لتوبيخ "تائيقو"، وجَعلِها تقطع علاقتها بـ "إيتاكورا" من أجله، لكن "تائيقو" لا سبيل لها لتقطع صِلَتَها بشخص صاحب فضل عليها في بقائها على قيد الحياة، فلقد رفضت بشدَّة حين أمرها بذلك؛ فأصرَّ أكثر على ألَّا تلتقي "إيتاكورا" أبدًا.

أصبح لا مفرَّ من أن تشرح له الأسباب، وحينها قطع "إيتاكورا" عهدًا بألَّا يأتي للزيارة ببيت "أشيبا" ثانية، وأن يُنهي تمامًا أيَّ علاقة عمل وكل ما يخصُّ عمولات الصور الدعائية.

أخذت "تائيقو" الخطوة لتبدأ شرح ملابسات الوضع، وحديثها جَعَلَه يمتنع عن الكلام فأدركت أنه مجبورٌ على قَطع مثل هذا الوعد.

بناء عليه، فهو منذ أن قطع وعده، أي منذ الثالث من الشهر الحالي وهي لم تَلتَقِ بـ "إيتاكورا" ولا مرَّة، وهو نفسه لم يَزُرهم ثانية، فقط عندما عادت "ساتشيقو" أخلَفَ اتفاقه وجاءهم بزيارةٍ عابرة، وعن عَمدٍ اختار موعد غياب "تائيقو" عن البيت.

هكذا هي لا غُبارَ عليها، ولكن تُرى "إيتاكورا" ما شعوره نحوها؟

بالنسبة لـ "أوكوباتا" ما من حاجة لـ "تائيقو" لتتلقَّى العون منه وتدين له بأي معروف؛ فهو يظن أن إقدام "إيتاكورا" على عمله البطولي له هدف في الأساس. ذاك الرجل الماكر واجَهَ الأخطار بجدارة فقط لترقبه لتعويض عظيم من أي نوع كان. إنه كان منذ الصباح الباكر مُستعدًّا، ويتجوَّل بالمنطقة ممَّا يؤكِّد أن سلوكه كان مُخطَّطًا له؛ فأين هو المبرِّر لشكر رجل يحتضن طموحاته التي هو نفسه لا يعرف مداها.

ففي المقام الأول حين يستولي على حبيبة رب عمله ألن يكن هذا جحود؟

هذا أيضًا ما ينكره "إيتاكورا" بشدَّة، ويقول إن "أوكوباتا" أساء فهمه للغاية. إنه قدَّم العون للأخت الصغيرة لأنها بالأساس حبيبة ربِّ عَمله، ولأنه لم ينسَ فَضلَه القديم؛ ولهذا تفانى وبذل قصارى

جهده مقدِّمًا حياته، فكيف تؤخذ فعله على ذاك المحمل؟ ولأنه شخص سليم النِّيَّة أصبحت "تائيقو" تستعين به دائمًا.

إذن...

كيف لـ "تائيقو" أن تحكم أو تفصل القول بينهما؟

بصراحة لا يمكن الجزم بأن "إيتاكورا" لم يشعر ولو بالقليل بمشاعر حقيقية، وهو أيضًا ذكيٌّ؛ لذا لم يُظهِر الأمر، لكن خوضه للمغامرة لهذا الحَدِّ هل هو فعلًا ولاء وعرفان لرَبِّ عمله القديم؟

ربما ما يعيه هو ذاته أن الأَوْلى من ولائه لـ "أوكوباتا" تقديم ولائه لها، وإن حدث العكس فلن يضيره شيءٌ. إنه يدري أن عليه ألَّا يتخطَّى حدوده أكثر من ذلك، وإنما فليرسم على وجهه أمارات أنه لا يعرف شيئًا؛ وبهذا يظل هو الرجل الخدوم الذي يسعى لكسب عيشة بكَدٍّ، ويستغلُّ الوضع الاستغلال الأمثل، وبالمقابل هي ستفكِّر بمكافأته نظير خدماته، ومن الأفضل أن يرتِّب أموره هكذا.

وعلى هذا الحال، وبتلك المشاعر كان الوضع بينه وبين "تائيقو"، لكن "أوكوباتا" الضعيف الشخصية اشتعلت غيرته وهي تكره أن تُعلِّق بسوء الفهم السخيف هذا، وإن كانا على وشك الانفصال، فبقدر الإمكان ستجعله لا يتمادى بالمجيء والذهاب معها، ويقتصر الأمر على تبادُل الأحاديث على فترات. بهذا حين تَفجَّر شَكُّ "أوكوباتا" اطمأنَّ "إيتاكورا" لكونه سيندم عمَّا قريب على كتابته مثل هذا الخطاب لـ "ساتشيقو".

"احذري "تائيقو" من هؤلاء أمثال "إيتاكورا"، لا أدري من أيِّ نَوعٍ هم، وإنما لا تُحسِني الظَّنَّ أبدًا... أمَّا عن "أوكوباتا"

فأنت رغم أنك لا تُكنِّين أي مشاعر لغيره إلا أنه ترجم الوضع هكذا، وما كان يصحُّ له أبدًا...".

بالآونة الأخيرة تباسطت "تائيقو" أمام أختها الكبيرة لدرجة أنها أخرجت علبة السجائر من بين طيَّات حزام ردائها بعد قليل، والتقطت واحدة من اللفافات المستوردة باهظة الثمن، ذات المبسم الذهبي، وأشعَلَت لهب قدَّاحتها، وفتحت شفتيها الغليظتين التي تُميِّزانها، ونفثت الدخان وهي تفكر بجدِّيَّة.

"إذن فلنتحدَّثْ عن السفر للخارج".

والتفتت إلى "ساتشيقو" بجانب وجهها:

مكتبة
t.me/soramnqraa

"أختي... ألا تُفكِّرين معي!".

"حسنًا، أفكِّر بالأمر، ولكن...".

"هل فتحت الموضوع بطوكيو؟".

"تحدَّثت مع "تسوروقو" في عديد من المواضيع، وكنتُ سأتطرَّق للأمر، لكنِّي لم أفعل، وأظنُّ أن المسألة تتعلَّق بالمال؛ لذا فمن الأفضل عدم الخوض في الحديث، وإن كُنَّا سنفتح الموضوع فليَقُم بذلك أخوك الأكبر "تينوسوكيه"".

"وما قول أخي الأكبر "تينوسوكيه"؟".

"يقول إذا كانت هذه رغبتك وتُصرِّين عليها فلا مانع من أن يتوسَّط ويرفع الأمر لهم، ولكن ألن تندلع الحروب في أوروبا؟ هذا هو المُقلِق في الموضوع".

"هل فعلًا ستبدأ الحرب؟".

"لا أدري، ولكن فلننتظر قليلًا نرى الوضع ".

"هـذا هـو الصحيـح. المعلّمـة "تامـا أوكي" ستسـافر عـمًّا قريـب؛ لـذا فكَّـرتُ أن تصطحبنـي معهـا، ولكـن بنـاء عـلى مـا تقولـين...".

بالحقيقـة "ساتشـيقو" أيضًـا فكَّـرَت أنـه طالمـا هـذا مـا آلـت إليـه الأمـور وشـأنها مـع "إيتاكـورا" طبيعـي، وأيضًـا تُـصرُّ عـلى الابتعـاد عـن "أوكوباتـا"؛ إذن فليدعوهـا تسـافر.

الوضـع في "أوروبـا" تـراه بالصُّحُـف أوَّلًا بـأوَّل، وهـي يسـاورها القلـق مـن رحيلهـا وحدهـا، وبِغَـضِّ النظـر عـن موافقـة البيـت الكبـير فهـي مـترددِّة، لكـن إذا كانـت السـيدة "تامـا أوكي" سـتذهب معهـا بنفـس الرحلـة فهـذا مُنطَلَـق لتعديـل وجهـة التفكـير، فعـلى حَـدِّ قـول "تائيقـو" هـي لا تنـوي الذهـاب في رحلـة طويلـة. إنهـا ذهبـت لباريـس بالسـابق، والآن هدفهـا الذهـاب لمـرة أخـرى فـور مـا تسـنح الفرصـة؛ لدراسـة أحدث صيحـات الموضـة، ولأنـه لا بُـدَّ مـن إعـادة بنـاء المدرسـة بسـبب أضرار كارثـة الفيضـان؛ فإنهـا تريـد أن تسـتغلَّ هـذه الفـترة وتسـافر وتعـود لأرض الوطـن بالكثـير بعـد سـتة أشـهر. إن كان حَقًّـا مـن الأفضـل لـ "تائيقـو" البقـاء لسـنة أو سـنتين للدراسـة فلتَبـقَ، وإن كان سـيحبط عزيمتهـا البقـاء بعـد رجـوع "تامـا أوكي" فلتَعُـد معهـا، والذهـاب لسـتة أشـهر فقـط سـيمكنها مـن ترقيـة مُسـمَّاها الوظيفـي في مجالهـا.

قالـت أيضًـا "تائيقـو" إن الآن تحديـدًا بتخطيطهـا للمغـادرة بـأول العام القـام والعـودة بشـهر يونيـه أو أغسـطس ربمـا بهـذه الفـترة القصـيرة تقـع الحـرب وتتـولَّى السـماء مصيرهـا، لكنهـا سـتطمئنُّ إذا كانتـا هـما الاثنتـان سـويًّا. لحُسـن الحـظ أنهـا تعـرف أشـخاصًا ألمـان وإنجليـز، وعندمـا يتـأزَّم الوضـع لـن تتـورَّط بالبحـث عـن مـأوى. إنهـا لـن تجـد فرصـة مثاليـة كهـذه مـرة أخـرى، وإن كانـت الرحلـة تَحفُّهـا المخاطـر فلتكـن برفقـة صديقتهـا.

"بهذه المرة ستوافقين بسبب موضوع "إيتاكورا" و"أوكوباتا"، أليس كذلك؟".

هكذا قالت لها "تائيقو".

"إن كان الأمر بيدي فأنا أوافق، ولكني لا أدري ماذا سيقول "تينوسوكيه"، سأتناقش معه ونرى".

"بالتأكيد سيوافق وسيشرح لهم ببيت العائلة الكبير. ستطلبين منه أليس كذلك؟".

"هل أول السنة بقريب؟".

"كلَّما كان أسرع كان أفضل، ومتى ستذهبين لطوكيو ثانية؟".

"لا بُدَّ لي من الذهاب لمرة أو مرتين قبل العام الجديد... إذن ها أنتِ ذا عليك تعلُّم الفرنسية يا "تائيقو"".

قالتها "ساتشيقو".

الفصل الحادي والعشرون

كانت السيدة "STOLZ" ستغادر إلى "مانيلَّا" في أحد أيام الشهر الجاري، مُصطَحِبَة "روزماري" و"فريتز" بسفينة الركاب الأمريكية الفاخرة "PRESIDENT COOLIDGE".

كانت "روزماري" طوال فترة تواجُدِهم بـ "طوكيو" وهي تخشي أن يُمدِّدوا إقامتهم، ويوميًّا تزعج "تائيقو" والخادمات وتسألهم عن "إتسوقو" لماذا لم تَعُد بعدُ، وهل ستمكث هناك أكثرَ من ذلك؟ ومنذ رجوعهم وهي تنتظر عودتها من المدرسة، وأمضت الطفلتان كلَّ الأيام القليلة المتبقية في اللهو سويًّا دون ضياع ولا يوم.

كانت "إتسوقو" بمجرَّد أن تضع حذاءها بالمدخل تجري نحو السور السلكي.

"رومي، هيَّا تعالي"...

وتناديها بلغة ألمانية متكسِّرة حروفها، وعلى الفور تظهر "روزماري" وتعبر السور وهي ترقص فرحًا، وتبدآن في قفز الحبل حافيتَيْ الأقدام فوق العشب.

ويأتي "فريتز" ويتولَّى مَهمَّة العَدِّ:

"EINS,ZWEI,DREI,VIER 1،2،3،4".

أسرع... أسرَع SCHNELL SCHNELL".

"لا يمكنني المزيد NOCH NICHT".

وغيرها المزيد من الكلمات التي أصبحت "إتسوقو" تستخدمها هي الأخرى، وبيومٍ ما جهة الأغصان الكثيفة تعالى صوت "روزماري" باليابانية:

""إتسوقو" كيف حالك؟".

أجابتها "إتسوقو" بالألمانية، واستمرَّ الحوار:

"حين تذهبين لـ "هامبرج" بالتأكيد لن تنسي أن تراسليني".

"أنت أيضًا يا "إتسوقو" راسليني".

"حسنًا سأفعل بالتأكيد، بالتأكيد... أبلغي سلامي لـ "بيتر"".

وفجأة تعالت أصواتهم بالنداء:

"إتسوقو".

""رومي"، "فريتز"".

خرَجَت "ساتشيقو" للشرفة لتستطلع ما يحدث؛ فوجدت "روزماري" والطفل الصغير فوق جذوع أشجارٍ ارتفاعها يناسبهما، يقفان عليها ويُلوِّحان، و"إتسوقو" تجيبهما، ويُمثِّلون مشهد إبحار السفينة ومغادرتهما.

نزلت "ساتشيقو" إليهم بالحديقة سريعًا، ولوَّحَت لهم وكأنها تقف على رصيف الميناء.

""رومي"، "فريتز"".

"يا والدة "إتسوقو" Auf, Wiedersehen".

"لا زلتم باليابان يا "رومي"، ラ機嫌よう".

"يا والدة "إتسوقو"، يا "إتسوقو"، تعالوا إلى "هامبرج"".

"بالطبع سنأتي... الآن "إتسوقو" كبيرة بما يكفي لنذهب قريبا... يا "رومي" اعتنِ بحالِكَ".

قالتها "ساتشيقو" وهي تشارك الأطفال لعبهم والدَّمعُ يختنق بأعينها.

كانت السيدة "STOLZ" صارمةً في قواعد الأدب التي تُربِّي عليها أطفالها، وحتى ولو كانت "إتسوقو" هي التي بحديقتهم بعد ساعة بالضبط يعلو صوت ندائها أمام السور: ""رومي"، هيَّا"، لكنها في الآونة الأخيرة بدا أنها تتعاطف على نحوٍ خاص مع مشاعرهم الأليمة فيما تبقى للرفقة الطفولية من أيام أخيرة، ولم تتحدَّث إليهم بصرامة كما اعتادت، وحَلَّ الظلام وهي تترك طفليها يواصلان اللهو.

كان لعبهم المعتاد هو أن يَصفُّوا العرائس ويُلبسوها مختلف الملابس، ثم يمسك أحدهم بجرس ويَرِنُّه ليَتبادلوا الأدوار مع العرائس، ويرتدون مختلف الثياب، وأحيانا يتناوبون الدَّورَ للعزف على البيانو.

""إتسوقو"، تفضَّلي مرَّةً أخرى من فضلك".

كانت كثيرًا ما تقولها "روزماري" لتعزف إتسوقو مقطوعة موسيقية تحبُّها.

انشغلت السيدة "STOLZ" بسبب رحيل زوجها وترتيبها لكل الأغراض وتوليها بيع أثاث البيت وكل من تبقّى من مهام بمفردها، وانهمكت بالعمل يوميًّا. تابعتها "ساتشيقو" من غرفة الطابق الثاني، هذا لا يعني أنها ظلت تراقبهم عن عَمدٍ منذ انتقال هؤلاء الألمان للجوار، وإنما كان من الطبيعي أن يسقط نظرها على الباب الخلفي عندهم بكل مرَّة تُطلُّ بها من شرفتها، سواء بالصباح أو المساء، ومن الأحوال بالمطبخ عندهم عرفت أنها والخادمات يواصلن العمل باستمرار، وكانت تُصاب بالدهشة وهي تراهن يُنظِّمن أدوات الطهو بعناية فائقة، ومنضدة المطبخ والموقد بالمنتصف، ومن حولهما المقلاة والغلاية الألومنيوم، ولِكِبَر حجمهما وَضَعنهما بمكان ثابتٍ، وبالترتيب، بعدما تمَّ جليُهم وتنظيفهم، وأصبحتا مثل الأسلحة اللامعة للجنود.

تسير مواقيت أعداد الطعام وتناول الوجبات وتدفئة الحمام والغسيل والتنظيف كلها بدقَّة كما تَحدَّد لها، وكل من ببيت "ساتشيقو" لا يحتاجون النظر للساعة إذا ما رأوا ما يزاوله جيرانهم من مهام.

كان الخدم ببيت "STOLZ" فتاتَيْن يابانيتين، ولكن هناك واقعة تسبَّبَت بها الخادمتان المستأجرتان قبل هاتين الفتاتين. كانت تراهما "ساتشيقو" وهما متفانيتان بالعمل وغاية بالإخلاص، لكن كانت ترى كيف هي قاسية معاملة سيدتهما وهي دائمًا غير راضية عن أعمالهما وتسبقهما بنفسها لتجعلهما تسيران وفقًا لبرنامج لا تضيع به ولا دقيقة، وفور الانتهاء من مهمَّة تلحقهما بالأخرى. ظنَّت الفتاتان أنها ستتلقيان الكثير من المال بعملهما لدى أُسرة ألمانية، خاصَّةً وأن الأعمال الموكَلَة إليهما كثيرة، وتنهمكان بها طوال اليوم دون حتى استراحة لالتقاط الأنفاس. إن سيدتهما ربة المنزل لها كل الاحترام، وإنما ما عادتا تطيقان العمل بعدُ. وهذا ما جاءت به الفتاتان إلى "ساتشيقو"؛ فبصباح يوم ما كانت هاتان الخادمتان تُزاوِلان مهام

التنظيف اليومية حول السور، و"أو أكي" الخادمة المساعدة ببيت "ساتشيقو" تقوم بالمثل هي الأخرى، فتبادَلن الحديث. كانت "أو أكي" كلَّما خرجت خادِمَتا بيت "STOLZ" للتنظيف حول السور تنتهز الفرصة وتخرج هي الأخرى، وبمرَّةٍ واحدة فقط مشكورة قامت هي بأعمال النظافة كلها، لكن السيدة "STOLZ" لاحَظَت ونهرتهما بشدَّة ببذيء الكلمات لتركهما مسؤولية أعمالهما لخادِمةٍ أخرى.

إنهما لم تتركا مهام أعمالهم وحتى لم تطلبا من "أو أكي" ذلك، بل هي عن طيب خاطر فعَلَت، وإنما الفتاتان توسَّلَتا لـ "ساتشيقو" ألَّا تدعها تفعل، وإن كان من غير اللائق طلب ذلك، ولكن سيدتهما لن تتفهَّم ولن تسامحهما.

طلبت "أو أكي" من "ساتشيقو" أن تتفضَّل مع الفتاتين وتذهب لجارتها الألمانية بعدما استمعت منهما لملابسات الوضع، ورغم أن "أو أكي" أرادتها أن تتوسَّط لهما، إلا أنهما أصرَّتَا بشدَّة ألَّا تفعل، واستسمحتاها ألَّا تَقول شيئًا، وأضافت الفتاتان أنهما تعملان بكل كدٍّ، لكن سيِّدَتَهما لا ترى ذلك أبدًا، وهي كلمة لا تقول سواها دائِمًا: "أنتِ غبيَّة"، وأردَفَت إحداهما:

"بالطَّبع إننا لن نضاهيها في الذكاء، ولكننا لأقصى حدٍّ نؤدِّي أعمالنا بإخلاص".

طلَبَت الفتاتان من "ساتشيقو" أن ترى لهما وظيفة لدى شخص آخر؛ فهي ترى بنفسها كيف سيدتهما تقول إنهما سيِّئتان، وهما ترغبان في إيجاد فرصة عمل جيدة لأنهما ليستا كذلك، وسيدتهما لن تتغيَّر أبدًا أو تكبح جماح غضبها الدائم، وهما الآن بإجازة لمدة ساعة ستستغلَّانها في البحث عن عمل آخر.

بعد ذلك مباشرة أتت خادمتان جديدتان، وهما أيضًا في غاية الاستياء من سيدتهما، لكنهما تتفوَّقان على السابقتين في الذكاء وكفاءة

العمل، وهذا ما اكتشفته "ساتشيقو"، ورسم لديها ملامح للسيدة الألمانية جارتها، ولكنها أيضًا ليست الشخصيَّةَ الصارمة المتمسِّكة بالقواعد فقط؛ إن لديها أيضًا مشاعر حُبٍّ عميقة وطيبة؛ فمثلًا بوقت الفيضان حين سمعت بفرار بعض الناجين بعدما علقوا بالوحل إلى نقطة الشرطة بالجوار أسرعت وجلَبَت لهم الملابس بحماس، وأمَرَت الخادمتين أن يعطياها من ملابسهما أيضًا، وهي ترجو السلامة لزوجها وأطفالها، وقلقت بشأن "إتسوقو" أيضًا، وبوجه شاحب انهمرت دموعها، وبالمساء فور عودة زوجها وأبنائها سالمين هرعت إليهم وتعالت صرخاتها في مرح كالمجنونة. لقد رأتها "ساتشيقو" بمختلف حالاتها، وللآن كلَّما رأتها من بين أوراق شجر الإسفندان يتبادر لمخيِّلتها صورتها وهي تحتضن زوجها بشدَّة من فرط السعادة ناسيةً وجودهم.

كم مثيرة للإعجاب هذه المشاعر الحارَّة.

عامَّةً هذا لا يعني أن كل الزوجات الألمان رائعات مثل السيدة "STOLZ"، وإنما بالطبع يصعب أن تجد مثيلتها ممَّن يبلون بلاء حسنًا هكذا.

"ها نحن ذا. لم يَعُد يتبقَّى شيء بالبيت، وإلى أن نصعد على متن السفينة لن نستخدم سوى هذه الشُّوَك والسكاكين التي بالصندوق"- قالتها السيدة "STOLZ" وهي تضحك

وسألتها واحدة من الجيران ما إن كانت ستُعدُّ غرفة يابانية الطراز للذكرى حين تعود لألمانيا؛ لأنهم يودُّون إهداءها تُحفًا يابانية تُزيِّن بها تلك الغرفة، وأعطينها لوحات وأعمالًا خطِّيَّةً وتحفًا فنية عديدة. "ساتشيقو" أيضًا أهدتها منشفةَ أواني شاي مُطرَّزة من أيام عهدها بجدَّتِها.

أمَّا "روزماري" فأعطت لـ "إتسوقو" الدُّميَة المعتادة المُحبَّبة إليها، ومعها عربة الأطفال، وبالمقابل قدَّمَت لها "إتسوقو" صورة لها وهي تؤدِّي الرقصات في وقتٍ قريب برداء كيمونو ذي أكمام طويلة، مُزَركَش بالورود باللون الخوخي، من قماش "كريب ستان" الذي كانت ترتديه بذاك الحين.

بالليلة السابقة لرحيلهم على متن السفينة سُمِحَ لـ "روزماري" استثنائيًا بالمبيت لدى "إتسوقو" بغرفتها، ولم يمكن مقابلة طلبها بالرفض أمام حماستها ومعنوياتها المرتفعة. تركت "إتسوقو" فراشها لـ "روزماري" وأخَذَت هي فراش "يوكيقو"، لكن كلتاهما لم تستطيعا النوم.

دخل "تينوسوكيه" تحت غطاء فراشه من رأسه وحتى أخمص قدميه، ومع ذلك وصلت أصواتهما للرَّدهة، ثم زادت حِدَّة شغبهما شيئًا فشيئًا، فأدار عنقه ورفع رأسه، وببطء جذب سلسلة النور الكهربي بجوار وسادته دون أن يغفو ولو قليلًا وقال:

-"الضَّوضاء رهيبة، إنها الثانية بعد منتصف الليل".

أجابته "ساتشيقو" في اندهاش:

"حقًّا! هل تأخَّر الوقت هكذا!".

"أليس من الأفضل أن ندعهما مستمتِعَتَيْن كي لا تغضب السيدة "STOLZ"...".

"حسنًا، فلندعهما، إنها الليلة الأولى والأخيرة".

"تُرى هل جارتنا سيُمكِنها أن تَنعَم براحَةٍ الليلةَ؟".

وهنا قاطعهما فجأة صوت خطوات تقترب لغرفتهما.

"أبي... شبح!".

وصاحت الصغيرة بالخارج:

"أبي! "شبح"... ماذا تُقال بالألمانية".

"قُل لها يا عزيزي ماذا تُقال بالألمانية، وإن كُنتَ تدري عَلِّمني".

"GESPENST".

أجابها "تينوسوكيه" بصوتٍ عالٍ، وكان من الغريب تَذَكُّره لِلُّغة الألمانية التي درسها منذ بضع سنوات.

"شَبَح بالألمانية هي GESPENST".

"GESPENST".

وحاوَلَت "إتسوقو" أن تُردِّدَها:

"يا "رومي"، إنها GESPENST".

"أووه... أنا أيضًا سأتحوَّل إلى GESPENST".

وبدأت الضوضاء.

"شبح...".

"GESPENST".

وتعالت الصيحات بالطابق الثاني إلى أن دخَلَت "روزماري" عنوَةً إلى غرفة "تينوسوكيه" وزوجته، استباقًا لـ "إتسوقو". ارتدت الطفلتان ملابس فوق رأسيهما، تغطي وجهيهما، لتتقمَّصا دور الشبح، واستمرَّتَا في القهقهة والضحك وهما تقولان "شبح" بالألمانية حينًا، واليابانية حينًا آخر، وأحاطتا السرير، ودارتا في حلقة، ثم خرجتا من الغرفة للرَّدهة.

بالنهاية غَطَّ الزَّوجان في النوم قرب الساعة الثالثة صباحًا، لكن بالتأكيد لم تستطع الفتاتان النوم، واستمرَّتا في اللهو. لكن بعد بعض الوقت غلب الحنين "روزماري" وأرادت العودة لأمها، وبدأت في

العبوس والغضب، واستيقظ الزوجان وكلٌّ منهما أخذ دوره لتهدئتها، وأخيرًا بالفجر استطاعا أن يجعلوها تنام.

بيوم الرحيل ذهبت "إتسوقو" لرصيف الميناء حامِلةً باقَة الورود بصحبة أمِّها و"تائيقو". كانت السفينة ستغادر بعد السابعة مساء. حضرت لوداع "روزماري" فقط صديقةٌ ألمانية لها تُدعَى "إنچي"، التقت بها "إتسوقو" من قبل عدَّةَ مَرَّات ببيت عائلة "STOLZ"، وكانت تطلق عليها سِرًّا اسم "عود الفول الأخضر"، ولم يكن هناك أطفال يابانيون غير "إتسوقو".

صعدت عائلة "STOLZ" إلى متن السفينة بالظهيرة، أما عائلة "إتسوقو" فتناولت العشاء سريعًا، ثم استقلَّت سيارة أجرة من "سانّوميا" لتطير بهم. مرُّوا من أمام الجمارك، وفجأةً وجدوا أنفسهم أمام اسم الرئيس الأمريكي "كاليفين كوليدچ" مُضاء بالأنوار ومرفوع عاليًا على رصيف الميناء، الذي بدا كمدينةٍ لا تنام. على الفور سألوا عن الكابينة التي بها عائلة جيرانهم.

كانت الغرفة كلها -بالسقف والجدران والستائر والأَسِرَّة- كلها بلون أبيض شاهق البياض كاللَّبن، وممزوج باللون الأخضر، والأَسِرَّة محاطة بباقات الورود الساطعة وكأنها بحلم.

نادت السيدة "STOLZ" على "روزماري"، وأمرتها أن تصطحب "إتسوقو" لسطح السفينة، ولم تعبأ الطفلتان بالوقت وبأنه لم يَعُد أمامهما سوى أربع عشرة أو خمس عشرة دقيقة فقط، ولم يستطع أحد أن يحصي كَم مرَّة أخذَتَا درج هذه السفينة الفخمة صعودًا ونزولًا، وبرجوعهما للكابينة بَكَى الجميع وتبادلوا كلمات الوداع، وسرعان ما لاحقهم صوت الأجراس لينزلوا من السفينة، وبابتعادها عن رصيف الميناء:

"رائعة وكأنها مجمع محال تجارية يتحرَّك".

قالتهـا "تائيقـو" ذات الكنـزة البيضـاء مكتنـزة الأكتـاف وهـي عـلى رصيـف المينـاء بليـلٍ نَسـيمُه خريفـيٌّ.

ولفـترة طويلـة ظـلَّ خيـال السـيدة "STOLZ" الواقفـة عـلى سـطح السـفينة يتـلألأ وسـط الأضـواء، وتابعوهـا وهـي تبتعـد، وظَـلَّ صـدى الصـوت الصغـير المـدوِّي لـ "روزمـاري" وهـي تنـادي -مُثابِـرَةً- يبلـغ مسـامعهم مـن فـوق البحـار المظلِمَـة.

"إتسوقو...".

الفصل الثاني العشرون

"من مانيلًا في اليوم الثالث عشر من سبتمبر 1938.

عزيزتي السيدة الفاضلة "ماكي أوكا"

هـذا الشـهر باليابـان مـليء بالأعاصـير، وأنـا قَلِقَـة بشـأنكم للغايـة، في الشـهور الماضيـة واجهتـم الكثـير مـن الكـوارث، وأتمنَّـى ألَّا تُعانـوا مـن أي صِعـابٍ ثانيـة. أظنُّهـا انتهـت أعـمال إزالـة أكـوام الرمـال والحجـارة مـن الطرقـات والضواحـي، والآن عـادت المواصـلات مـرَّةً أخـرى لحالتهـا الطبيعيـة، والنـاس أيضًـا يسـتمتعون بحياتهـم. تُـرى، هـل جـاء مسـتأجرٌ جديـد للبيـت الـذي كُنَّـا فيـه؟ أنتـم فعـلًا خـير جـيرة حَظَينـا بهـا.

في الحقيقـة دائمًـا مـا أتذكَّـر حديقـة منزلنـا الجميلـة والطرقـات الهادئة التـي يلهـو بهـا الأطفـال ويتجوَّلـون. لقـد أمضـوا وقتًـا مُمتِعًـا حقًّا.

وأنتِ كم اعتَنيتِ بهم ببيتك.

أودُّ شُكرَكِ على كل مرة راعَيتِ فيها أطفالي بلُطفٍ. إنهم يخبرون الجميع دائمًا أنكم عائلتهم، ومن وقتٍ لآخر يتَملَّكهم الحنين لكِ ولـ "إتسوقو".

لقد أرسل "بيتر" خطابًا من السفينة يقول إنه استمتع بوقتٍ غير عادي في مشاهدة معالم "طوكيو" مع "إتسوقو" وأختك الصغيرة.

أنتم حقًّا قدَّمتم لنا كلَّ طَيِّب، ولكم خالص الشكر. إنهما وصلا إلى "هامبرج" بسلام، وأرسلا لنا برقيَّةً بالأمس، وهما الآن عند أختي الصغيرة.

إن لديها ثلاثة أطفال، و"بيتر" أصبح رابِعَهم.

إننا هنا وسط عائلة كبيرة بها ثمانية أطفال، وطفلتي بينهم كدجاجةٍ وحيدة بقفصها. أحيانًا يتشاجر الأطفال مع بعضهم البعض، لكنهم عامَّةً يستمتعون باللهو سويًّا. "روزماري" أكبرهم سنًّا.

كل يوم بحلول المساء ننطلق بالسيارة ونجوب بمتنزَّهات رائعة، ونأكل المثلَّجات.

أتمنَّى لكم جميعًا عيشًا هنيئًا، وأرجوكِ أبلِغي سلامي للسيد زوجك وأختك الصغيرة والمحبوبة "إتسوقو"، ووقتما تستقرُّ الأحوال بأوروبا مرَّةً أخرى تفضَّلوا تعالوا لزيارتنا في ألمانيا.

المكان الذي نحن به الآن يملؤه دَويُّ الأسلحة. بكل حال من الأحوال الشعب لا يحبُّ الحربَ، ولا يرغب أن تنشب من الأساس. أنا على قناعة بأن هتلر سيتعامل مع "مشكلة التشيك".

أدعو لكم بالصحَّة والسلامة، وأرجوكم ألَّا تنسوا أبدًا أنِّي أُكِنُّ لكم كلَّ الحب والاحترام.

المخلصة لكم

"ليندا ستولز".

أَرسَلتُ لكِ بنفس البريد مفرشًا بتطريزٍ "فلبِّيني" أظنُّه سيروقُ لَكِ".

كتَبَت السيدة "STOLZ" خطابها بالإنجليزية، واستلمته "ساتشيقو" في العاشر من أكتوبر، ووصل المفرش المطرَّز المذكور بالخطاب لاحِقًا بعد عِدَّة أيَّام، وكان من المشغولات اليدوية فائقة الجمال، ووضعته بمنتصف الطاولة.

فكَّرَت "ساتشيقو" أن تجيب على الخطاب، ولكن تُرى، إن كتَبَته فمَن سيترجمه لها؟

كان زوجها مثابِرًا على إزعاجها، وظَلَّ يُماطِل بحُجَّة أنه يبحث عن شخص مناسب، وبليلة ما وهي بنزهة على ضفة نهر "أشيبا" ورد بخاطرها أن السيدة "STOLZ" عَرَّفَتها بسيِّدة يابانية تزوَّجَت من ألماني يدعى "HENNING".

الأمر سخيفٌ؛ هي لا تستطع أن تكتب بمهارةٍ، وإنما ابنتها هي مَن تستطيع كتابة الإنجليزية والألمانية أيضًا، وستجعلها تترجم الخطاب، هكذا قالت السيدة "HENNING" لـ "ساتشيقو" وحلَّت المسألة، لكن دون سبب يُذكَر لم تَنسَب كلماتُها بالخطاب الذي سيقطع مسافاتٍ طويلةً، ولعدَّة مرَّات تُمزِّق الورق وتزيحه جانبًا، إلى أن استطاعت بالنهاية بيوم ما ووافَقَت على ما كتبته "إتسوقو" أيضًا، وأرسلته للسيدة "HENNING".

بعد حينٍ وصل طَردٌ على عنوانهم باسم "إتسوقو" من "نيويورك". إنه من "بيتر".

لقد ابتاع الحذاء الذي وعدها به بطريق عودته لبلاده، وأرسله، ورغم أن الحذاء كان بنفس مقاس الذي تنتعله بالضبط إلا أنه كان

صغيرًا جدًّا على قدمها، ومقاسه غير مناسب. إنه من جِلدٍ مُميَّز عالي الجودة مُصمَّم للسَّير لمسافات، واستسلمت "إتسوقو" للأمر الواقع بعد عدَّة محاولات لحَشْر قدمها؛ فكلما حاولت جاهِدَةً واجهت الفشل.

"يا للأسف. لو كانت أكبر من مقاسي لكان أفضل. لماذا أخطأ "بيترى"؟ ألم يأخذ المقاس بالضبط؟".

"ربما قَدَمُك كَبُرت بهذه الفترة. أو ربما لأن أحذية الأطفال تبدو أكبر ممَّا هي عليه. ليتنا انتبهنا لذلك. لو كان ابتاعها مع أمه لكان انتبه بالتأكيد".

"يا للخسارة".

"كفى. كم مرَّة ستظلين تحاولين"، قالتها "ساتشيقو" ضاحِكةً و"إتسوقو" تحاول مرارًا وتكرارًا انتعالَ الحذاء.

بتلك الأثناء كانت "تائيقو" تريد الانتهاء من تصنيع الدُّمى التي تلقَّت طلباتها قبيل ذهابها لأوروبا، ولم تَسترَح ولو ليوم واحد، وواصَلَت العمل بغرفة أشغالها. ولتتعلَّم المحادثات الفرنسية عرَّفَتها السيدة "تاما أوكي" برَسَّامٍ للوحات غربيَّة النَّمَط عاش في باريس لستِّ سنوات، يُدعَى السيد "بيشّو إينوسوكيه"، درَّس لها ثلاث مرَّاتٍ أسبوعيًّا مقابلَ مَبلغٍ زهيد، لا يتعدَّى العشرة ين شهريًّا.

كانت تقضي اليوم بأكمله بالخارج.

أمَّا "إتسوقو" فكانت كل يوم عند عودتها من المدرسة تتَّجه للسور السلكي الفاصل بينهم وبَين بيت عائلة "STOLZ" سابقًا، والذي أصبح بيتًا شاغِرًا، وتلقي نظراتها وكلها حنين، وبمرَّةٍ تأمَّلَت حشرةً بين العشب الكثيف تقف بلا هدف وتطلق أزيزها. إنها حتى الآن لم تَحظَ بأحدٍ من زملاء المدرسة بالقرب ليكون صديقًا مناسِبًا للَّهو

سـويًّا، إلى أن تجاهَلَـت الأمـر بمـرور الوقـت، لكنهـا بـدا أنهـا لا تتحمَّـل الوحـدة؛ فبـدأت محاولاتهـا لتكويـن صداقـات جديـدة، لكـن سرعـان مـا لا تجـد رفقـة تروقهـا فتعـود مـرَّةً أخـرى للحديقـة الخلفيـة للبيـت، وتتفقَّـد مـا إن جـاء أطفـال مثـل "رومـي"، وتظـلُّ تُـردِّد هـذه الكلـمات.

كانـت البيـوت المسـتأجرة المصمَّمـة لتناسـب الأجانـب لا يسـتأجرها اليابانيـون، ومـؤشر الاضطرابـات الراهنـة فيـما حـول العـالم جعـل الأجانـب كلَّهـم يفعلـون مثـل عائلـة "STOLZ"، ولنفـس الأسـباب يغـادرون مـن الـشرق الأقـصى؛ ولهـذا ظـلَّ ذاك البيـت مغلقـة أقفالـه.

بسـبب الملـل توجَّهَـت "ساتشـيقو" لتتعلـم فـنَّ الخَـطِّ تـارة، وتلقـين "أوهـارو" مبـادئ العـزف عـلى آلـة القانـون تـارة أخـرى.

"ليسـت "إتسـوقو" فقـط مَـن تشـعر بالوحـدة؛ بـل أنـا أيضًـا، وأشـعر بـالأسى عـلى كل شيء بحلـول الخريـف. أنـا أحـب الربيـع، وإن كنـت لم أشـعر بـه هـذا العـام، ومنـذ بدايـة السـنة وأنـا أجـد ملامـح الخريـف بـكل مـا يحيطنـا... تُـرى، أَهُـوَ العُمـر؟".

واختتمت "ساتشيقو" خطابها لـ "يوكيقو" بهذه العبارات.

بوجـهٍ عـام، هـذه السـنة بعـد لقائهـا بـ "يوكيقـو" في الربيـع كان اللقاء الراقـص في شـهر يونيـه، ثـم مـرورًا بكارثـة الفيضـان و"تائيقـو"، ووفـاة المعلِّمـة "أوسـاكو"، ورحيـل عائلـة "STOLZ"، وسـفرهم لـ "طوكيـو"، وإعصـار إقليـم "كانتـو"، انتهـاءً بالسـحابة السـوداء التـي حلَّـت فـوق رأسـها بخطـاب "أوكوباتـا"... سـنة مليئـة بالحـوادث المؤلمـة التـي وقعـت لـلآن، وأخـيرًا هـدأت الأوضـاع لأوَّل مـرَّة هنـا، ومكثـت شـاردة الذهـن مستسـلمة للملـل.

مـع ذلـك، فحيـاة "ساتشـيقو" بباطنهـا وظاهرهـا ترتبـط بأختيهـا الصغيرتـين ارتباطًـا وثيقًـا، وهـذا شـعور لا يمكـن تلافيـه. إنهـا عـلى صعيـد أُسرَتهـا الصغـيرة حياتهـا يسـودها الانسـجام فيـما بينهـا وبـين زوجهـا وطفلتهـا الوحيـدة صعبـة المـراس. في الغالـب يعيـش ثلاثتهـم في سـلامٍ بقليـل مـن مشـاكل تقلُّبـات الحيـاة، لكـن إلى الآن أختاهـا الاثنتـان هـما مـن تطـرأ عـلى حياتهـما الكثـير مـن المتغـيِّرات. هـذا لا يعنـي أن وجودهـما يُزعِجهـا، بـل عـلى العكـس؛ يضفـي الألـوان عـلى حيـاة الأسرة، ويجعـل الأجـواء بهـا بهجـة، وتنعـم "ساتشـيقو" بالسـعادة، والسـبب هـو أنهـا هـي أكـثر مـن ورث مـن والدهـم الراحـل الشـخصية البرَّاقـة المفعمـة بالحيـاة، وأكـثر مـا تكرهـه هـو البقـاء لحالهـا بالبيـت بمفردهـا، وعـادة مـا تحـب العيـش بحيويَّـةٍ وفي صخـب؛ ولهـذا كانـت أختاهـا تكرهـان البقـاء ببيـت العائلـة الكبـير لـدى أختهـم الكبـيرة، وتمضيـان معهـا أغلـب أيـام الشـهر. بالتأكيـد كانـت لا تشـجعهما عـلى ذلـك أمـام الزوجـين كبـار العائلـة، ولكنهـا بأعـماق قلبهـا ترحِّـب بذلـك، وتـرى أنـه مـن الطبيعـي أن تُفضِّـل الأختـان البيـتَ الأوسـع والأقـلَّ عَـددًا، والـذي يتوفَّـر بـه الاعتنـاء بأحوالهـما عـن قـرب. الأكـثر أن "تينوسـوكيه" كان يخـشى مـن انزعاجهـما ببيـت العائلـة، وأظهـرت أفعالـه مـدى تَفهُّمـه لشـخصية زوجتـه؛ فـكان يقبـل بهـما كأختـين لـه بـكلِّ سرور.

لكـن بمثـل هـذه الظـروف بالآونـة الأخـيرة أصبحـت علاقتهـا بأُختَيْهـا يحكمهـا المفهـوم التقليـدي للأخـوات، وظنَّـت نفسـها لا تعطـي أغلـب وقتهـا للاهتـمام بشـأن "يوكيقـو" و"تائيقـو" مثلـما تفعـل بشـأن زوجهـا وابنتهـا، واندهشـت مـن الأمـر؛ لأن هاتـين الأختـين بالنسـبة لهـا لا تَقـلُّ محبَّتُهـما عـن ابنتهـا "إتسـوقو"، بـل ويمكـن القـول إنهـما رفيقتاهـا الوحيدتـان.

بهـذه المـرة، بعدمـا أصبحـت وحيـدةً هكـذا، وجَـدَت نفسـها لأول مـرة ليـس لديهـا أصدقـاء...

فبخلاف العلاقات الرسمية ليس لديها سوى القليل من المعارف.

تنبَّهَت للأمر، وتعجَّبَت أنها بوجود أختيها الاثنتين لم تجد لذلك ضرورة. والآن هي وابنتها التي تفتقد "روزماري" حالهما بالمثل. على حين غرَّة تتذكَّر كُلٌّ منهما وحدتها.

خطف "تينوسوكيه" نظرةً عابرة على باب المسرح والترفيه بالصُّحف في أواخر شهر أكتوبر؛ فهو لطالما اعتنى بزوجته وهي بهذه الحالة البائسة.

"انظري، الشهر القادم سيأتي لـ "أوساكا" مسرح الجيل السادس".

هكذا أخبرها، ثم تساءل ما إن كان اليوم الخامس من الشهر مناسِبًا للذهاب، وسأل "تائيقو" أيضًا ما إن كانت ستأتي؛ فبهذه المرة ستظهر "كاجامي چيشي"[1]، لكنها أجابته بأن لديها الكثير من المشاغل، خاصَّةً بأول عشرة أيام من الشهر القادم، وستذهب لاحِقًا.

حين جاء ذاك اليوم اصطحب الزوجان ابنتهما وذهبوا سويًّا.

تلاشى استياء "ساتشيقو" من أنها لم تتمكَّن من مشاهدتهم بـ "طوكيو" في شهر سبتمبر، وحقَّقَت رغبتها في أن تجعل "إتسوقو" تشاهد المسرح الاستعراضي لممثِّل الكابوكي الشهير "كيكوجورو".

بتلك الأمسية، وفي الفاصل، خرَجَت "ساتشيقو" ووقفت بالرَّدهة، وانهمرت دموعها بشدَّة. لم تلحظ "إتسوقو"، ولكن "تينوسوكيه" انتبه. إنَّ زوجته مشاعرها جيَّاشة حيال كل شيء، ولكن رغم ذلك استغرب منها وسألها:

"ماذا حدث!".

(1) مُمثِّلة مسرح كابوكي شهيرة.

سألها وهو يجذبها برفقٍ للرُّكن، فتلاحَقَت دموعها المنهمرة مرة أخرى.

"أنتَ، هل نسيتَ تمامًا؟... إنه بمثل هذا اليوم من مارس، ولولا ما حدث لكان بهذا الشهر أتم عشرة شهور بالضبط".

قالتها والدمع المترقرق بعيونها تمسحه بأناملها.

الفصل الثالث والعشرون

رغم قول "تائيقو" بأن رحيل السيدة "تاما أوكي" في يناير المقبل، ورغم مرور أكثر من عشرة أيام من شهر نوڤمبر إلَّا أنها استشعرت كيف أن الأمر ليس هيِّنًا على الإطلاق، وسألت "ساتشيقو" ضمنيًّا من حين لآخر، فكانت تجيبها بالأسف؛ فزوجها غالبًا ما يذهب إلى طوكيو كلَّ شهرين بمهام عمل، وما من فرصة ليذهب بهذه الآونة.

بعد فترة من مشاهدتهم للمسرح تقرَّر سفره في غضون أيام، وكان دائمًا ما يخرج في عجلة من أمره، وبمساء اليوم السابق لسفرة تلقَّت "ساتشيقو" اتصالًا من مقرِّ عمله بخصوص شؤون أخبرته بها عند مجيئه، وفكَّرَت "ساتشيقو" إن كان بهذه الأجواء سيتحدَّث إليهم ببيت العائلة، ووجدت أنه من الضروري التركيز وترتيب الحديث؛ فتوجَّهت لغرفة المكتب وهاتَفَت "تائيقو" لتأتيها سريعًا.

هكذا كانت "تائيقو" تريد تعلُّم الفرنسية لتصبح خيَّاطَةَ ملابس غربيَّة بمؤهِّلات مُميَّزة، ولكن لا يزال لديها أسباب أخرى خفيَّة؛

فالسبب في أنها تريد أن تصبح لها مهنتها هو توقُّعاتها بأنها هي مَن ستتوَّلى مسؤولية الإنفاق وإطعام "أوكوباتا" في حالة إن حدث وتزوَّجَته مستقبلًا؛ ففي الأصل هذا الافتراض هو الدافع الأساسي. شرطها للزواج من "أوكوباتا" وبالمقام الأول هو عملها تحسُّبًا للعواقب، وإن كان هذا هو سبب المشاكل وعدم التوافُق بينهما في الفترة الأخيرة؛ فـ "تينوسوكيه" أيضًا وسيطها لدى بيت العائلة يكره الأمر ويتهرَّب من أن تقع على عاتقه هذه المَهمَّة الصعبة، وإن كان يظنُّ أنه من الأفضل لـ "تائيقو" أن تستطيع السفر للخارج كي لا تكون في حيرة من أمرها حيال ما تبتغيه، وتخطِّيها الحديث عن الزواج بالواقت الراهن هو النهج الأمثل.

إذا سارت الأوضاع على هذا الأساس فهذا لن يعني أنها كانت مظلومةً بماضيها حين نشرت الصحف قصَّةَ حُبِّها الملتهب وهروبها مع عشيقها؛ لكنها لا تريد أن ينتهي بها الحال لتصبح عروسًا بأيِّ شكلٍ من الأشكال؛ فماذا بها إن قالت إنها ترغب بالنهوض بحالها وتصبح سيِّدةً محترفة بمجالها، وإن كان مُقدَّرًا لها الخير فلتذهب، والتمهيد لالتحاقها بمهنةٍ مَهمَا كانت الشروط سيعود بالنفع في كل الأحوال.

دار نقاش الأختين حول السفر للخارج، وبأنه السبيل ليُكسِبَها لقبًا مهنيًّا مُميَّزًا بعد عودتها، وسيجعل كل مَن يراها كفتاة تالِفَةٍ يَعدِل عن رأيه، وهذا نوع من الرَّدِّ لشرف العائلة؛ لذا هي تريد إذنهم بالسماح لها، وإن دفعوا لها التكاليف لن تطلب منهم نفقات زواجها فيما بعد، وهذا ما اقترحته "ساتشيقو"، ولم يكن لدى "تائيقو" أي اعتراض؛ فهي تريد أن تطلب منهم الأمر بأي طريقة يُفضِّلونها.

كانت "ساتشيقو" لديها عدَّة أمور لتوضِّحها بطريقتها الخاصَّة بهذه الليلة وقتما تطلب من زوجها هذه المَهمَّة. إنها تظنُّ بالطبع أن أفضل حَلٍّ هو إبعاد "تائيقو" عن "إيتاكورا" و"أوكوباتا". وإن كانت

أسبابها مختلفة عن دوافع "تائيقو"، غير أنها ترغب بكل حماسة في جعلها تسافر. إنها لم تَبُح بأمر "إيتاكورا"، لا لزوجها ولا لأيِّ شخصٍ آخر؛ لذا حين تحدَّثَت إليه ذكَرَت اسم "أوكوباتا" فقط.

حين كان يتردَّد "أوكوباتا" على بيت "أشيبا" ويلتقي "ساتشيقو" ويطلب الموافقة على زواجه من "تائيقو" كان "تينوسوكيه" يظنُّه لم يَعُد ببراءة الماضي، رغم تظاهُره بالجدِّيَّة، وحين بحث بخفايا الأمور اكتشف أنه دائم التواجد بالمقاهي وأحياء المتعة، ولا يمكن اعتباره شابًّا ذا مستقبل واعِدٍ. مثل هذه الأشياء سيُعدِّدها لهم، وبما أنه بهذا الوقت اهتمام "تائيقو" كله منصب على تَعلُّم تقنية حياكة الملابس الغربية؛ أليس من الأفضل إذن أن ندعها تسافر وتلاحق طموحها؟ لقد أصبحت "تائيقو" بالثامنة والعشرين من العمر، أي ليست بطَيش الماضي، ولكنَّ خطأها لمرَّةٍ يجعل من الأمان وجودها بمكان لا تطاله يد ذاك الشاب.

هذا هو الرَّدُّ الذي أرادت "ساتشيقو" سَماعه من زوجها واستحوذ على تفكيرها أنه من الأفضل أن تحصل "تائيقو" على أموالها وهذا ليس له أن يغضب بيت العائلة في شيء، وإنَّما الأولى التفكير به الآن هو أن بيت العائلة الرَّجعي لن يسمح بسهولة بسفرة الفتاة للخارج. أنه من الصعب أن يدعوها تهرب مرَّةً أخرى مع عشيقها لكن هذا الأسلوب يعني أن الحديث اتَّخذ مسارًا يوحي بالتهديد نوعًا ما.

مدَّد "تينوسوكيه" فترة بقاءه ليومٍ آخر، واختار الساعة الثانية ظهرًا بمساء اليوم الثالث من وجوده بطوكيو ليذهب لزيارة بيت "شيبويا" حيث إنه استحسن الحديث لأخته الكبيرة بالقانون عِوَضًا عن زوجها.

بعدما استمعت "تسوروقو" لحديثه بالكامل وأدركت مقصده؛ قالت إن الأمر ليس بيدها وستسأل زوجها "تتسو أو" وتوافيهم بالرَّدِّ

في خطابٍ لـ "ساتشيقو" وستسرع قدر الإمكان لأنها تعي أهمية هذا الخطاب لـ "تائيقو"، واعتذرت له لتحمُّلِه متاعِبَ الأختين الصغيرتين بكل مرَّة، وبالطبع لم يحصل على ردٍّ فوريٍّ، وهذه كانت الكلمات التي عاد بها.

"ساتشيقو" تعرف أن أختها الكبيرة بطيئة، وحتى وإن قالت إنها ستفعل العكس، وزوجها برغم أن بيده القرار إلَّا أنه شخص مُتمهِّل في الوقت؛ فتوقَّعَت أن الرَّدَّ لن يأتيهم في الحال، لكن بلغ بهما الأمر إلى أنه مضى عشرة أيام من الشهر دون أن تَردَّ أيَّ أنباء وعشرة أيام أخرى وسيشارف شهر نوفمبر على الانتهاء، ومهما طلَبَت "ساتشيقو" من "تينوسوكيه"أن يُلِحَّ عليهم ويتَّصِل لمرَّة تهرب منها قائِلًا:

"أنا فاتحتهم بالموضوع ولا أعلم ماذا بعد".

فعزَمَت "ساتشيقو" على القيام بالأمر، وفعلًا سألت أختها الكبيرة بخصوص موضوع "تائيقو" وما إن كانت ستغادر بشهر يناير، لكنها أيضًا لم تتلقَّ رَدًّا.

تحدَّثَت "ساتشيقو" لـ "تائيقو" وحثَّتها على التعجيل بالذهاب إلى "طوكيو" طالما لم يأتِ منهم ردٌّ، وكان هذا ما قرَّرته "تائيقو" أيضًا ونوت الذهاب في غضون بضعة أيام.

بالنهاية، باليوم الثلاثين من شهر نوفمبر وصل الخطاب التالي:

"لم أُراسِلكم منذ حينٍ

كيف حالكم.

طمأنني "تينوسوكيه" على "إتسوقو" وحالها بالانهيار العصبي أثناء زيارته وعرفت أنها تتحسَّن.

هـا هـي هـذه السـنة لم يتبـقَّ منهـا سـوى أيـام معـدودة. هذه سـتكون ثـاني مـرة لي أسـتقبل بهـا العـام الجديـد بـ"طوكيـو". كلـما تذكَّـرتُ أن ذاك الشـتاء المخيـف يقـترب مـرة أخـرى يصيبنـي الرعب.

جـاء بحديـث سـيدة مـن "أوزابـو" أن الأمـر يتطلَّـب ثـلاث سـنوات للاعتيـاد عـلى بـرودة طقـس "طوكيـو". إنهـا هـي أيضًـا انتقلـت إلى هنـا وظلَّـت طـوال الثـلاث سـنوات الأولى لهـا تصـاب بنـزلات الـبرد. محظوظـة أنـتِ يـا "ساتشـيقو" بسُـكناكِ بمـكانٍ مثـل "أشـيبا".

مـن فـترة أبلغنـي "تينوسـوكيه" بشـأن "تائيقـو" رغـم مشـاغله، وأردت أن أشـكره بشـدَّة أنـه دائمًـا مـا يهتـم ويشـغل بالـه بشـؤون الأختـين الصغيرتـين.

في الحقيقـة كان لا بُـدَّ لي أن آتيكـم بالـرد أسرع مـن ذلـك، ولكـن كالمعتـاد بعـد الانتهـاء مـن المهـام اليوميـة للأطفـال لا أجـد مُتَّسـعًا مـن الوقـت للكتابـة، ومـا سـأقوله أيضًـا يصعـب عـليَّ كتابتـه؛ فلقـد جـاء رأى أخيكـم الكبـير عـلى عكـس مـا ترجـوه، وكنـتُ أؤجِّـل الأمـر قـدر الإمـكان يومًـا بعـد يـوم، وأرجـو ألَّا تُسـيئوا فهمـي، معـذرة.

وإذا ذكـرت أحـد أسـباب اعتراضـه فـلا داعـي أبـدًا لشـعور "تائيقـو" بالانتقـاص مـن قدرهـا بسـبب حادثـة الجريـدة تلـك. ذاك الموضـوع كان منـذ ثمـاني أو تسـع سـنوات، وأصبـح في طَـيِّ النسـيان؛ لـذا إن فكرنـا في موضـوع أن تصبـح امـرأة عاملـة دون الحديـث عـن أن تصبـح عروسًـا سـيكون هـذا تَعنُّتًـا مُبالَغًـا فيـه، حتـى إنـه مـن الغريـب ذِكـرُ مثـل ذاك القـول للأقربـاء؛ فمظهرهـا وتعليمهـا وموهبتهـا- كل ذلـك يضمـن أنهـا سـتكون عروسًـا رائعـة؛ لذلـك لا تقعـوا فريسـة للأفـكار السَّـوداويَّة.

المـأزق الآن هـو المطالبـة بالأمـوال التـي تحـت رعايـة أخيكـم الكبـير، تحديـدًا المـال الـذي يخـصُّ "تائيقـو"؛ فهـو لم يَعُـد موجـودًا بَعـدُ، وهـذا لا يعنـي أننـا اسـتبعدنا التفكـير في وقـت إقامـة حفـل زفافهـا، ولكـن حينهـا

سـندفع؛ وبهـذا فليـس هنـاك أمـوال أو شيء مـن ذاك القبيـل تحـت وصايتـه.

أخوكـم الكبـير يرفـض قطعيًـا أن تصبـح "تائيقـو" امـرأةً عامِلـةً، ويريـد لهـا دائمًـا الوضـع المثـاليّ، وأن تجـد شريـكَ حيـاة مناسـبًا وتتزوَّجـه رسـميًّا، وتصبـح زوجـةً رائعـة وأمًّـا حكيمـة، أمَّـا عـلى سـبيل الهوايـة فهـو بالطبـع يُفضِّـل تصنيـع الدمـى، ولا يُحبِّـذ حياكـة الملابـس.

يـأتي بعـد ذلـك شـأن "أوكوباتـا"، فـالآن ليـس وقـت القبـول أو الرفـض، ونؤكِّـد عـلى أنـه ليـس لنـا أي قـرار مُسـبَق. الأهـم أن "تائيقـو" أيضًـا شـخصية ناضجـة عـن ذي قبـل، ونحـن أيضًـا لـن نصبـح بالصَّرامـة التـي كُنَّـا بهـا مـن قبـل. وإن كنـتِ يـا "ساتشـيقو" أنـت وزوجـك سـتلاحظانها دون أن تـدري، فأعتقـد أنـه مـن الأفضـل غَـضُّ النظـر عـن أمورهـا الخاصـة للمواعـدة.

عـذرًا لإقحـام "تينوسـوكيه" وتحمُّلـه العنـاء، وأرجـوك يـا "ساتشـيقو" تحـدَّثي برفـق مـع "تائيقـو"".

أظـنُّ أنهـا عـلى ذاك الحـال مـن التخبُّـط بسـبب تأخُّـر زواجهـا؛ لذلـك مـن الـضروري التعجيـل بـزواج "يوكيقـو"، وكلَّـما كان أسرعَ كان أفضـل. تُـرى، سـينتهي هـذا العـام دون أن يسـتقرَّ وضعهـا؟

لا زلـتُ أريـد كتابـة المزيـد والمزيـد، ولكنـي سـأكتفي بهـذا القـدر اليـوم.

تحياتي لـ "تينوسوكيه" و"إتسوقو" وأختي الصغيرة والجميع.

28 نوڤمبر

من "تسوروقو"

إلى حضرة السيدة "ساتشيقو"".

"ما رأيك بهذا الخطاب؟".

وقبلما تتحدَّث "ساتشيقو" مع أختها عرضت الخطاب أوَّلًا على "تينوسوكيه" بتلك الليلة.

"بخصوص الحديث عن المال فهناك تعارُضٌ بين ما تظنُّه "تائيقو" وما يقولونه ببيت العائلة".

"بالضبط، يا لها من مشكلة!".

"عمومًا ليس عليك سوى الاستماع على هذا النحو، وبالأيام القليلة القادمة سأعرف أيَّهما على حَقٍّ، حتى وإن كنتُ سمعت أن الأخ الكبير يدير ممتلكات الوالد".

"أليس من الأفضل ألَّا نخبر "تائيقو" بشيء الآن".

"كلَّا مثل ذاك الأمر البالغ الأهمية لا يحتمل التأجيل، ومن الأفضل إخبارها سريعًا".

"والحديث عن "أوكوباتا" -زوجي العزيز- ماذا تظنُّه؟ ألن تقول لي إن الأمر حاليًا ليس أفضل ممَّا مضى؟".

"بناء على الوضع الحالي وعدم اقتناعها به، وبدون أن تقولي لي لا تتحامل عليه هكذا؛ أرى أن الوضع على ما يرام من الناحية الاجتماعية، ولا أوافق على جعلها تتزوَّج، وأنا قلت رأيي لأنك سألتِني، وبإلحاحٍ، وإنما ذاك الحديث أنا أتجنَّبه تمامًا...".

"مشكلة "أوكوباتا"، إنها تُذكِّره في خطابها وهي تتوقَّع أن صفحته بيضاء، وبلا شك الأخت الكبيرة تريد إتمامَ الزواج. أليس كذلك؟".

"بالضبط هو هكذا. أنا أيضًا أخذت نفس الانطباع".

"إذن أ لم يكن من الأَوْلَى لها أن تتناول مشكلة ما قبل الزواج!".

"وكيف ذلك! إذا تزوَّجَت "تائيقو" فلا حاجة لسفرها للخارج وهذا ما يريدونه".

"معك حقٌّ".

"على أيَّة حال، إن أخبرت "تائيقو" بهذا الحديث المعقَّد ستذهب وتصطدم بهم، وهذا ما أخشاه".

تردَّدَت "ساتشيقو" بعض الشيء في إخبارها؛ خوفًا من أن تستولي على قلبها المشاعرُ السلبية لبيت العائلة من الآن فصاعدًا أكثر من "يوكيقو"، لكن لأن زوجها كان رأيه عدم إخفاء الأمر؛ فباليوم التالي جعلتها تقرأ الخطاب، وكانت النتيجة كالمتوقَّع بالضبط.

اعترضت "تائيقو" وقالت إنها ليست طفلةً؛ لذا لن تنصاع لأوامرهم وقراراتهم حيال تصرُّفاتها، وهي أدرى بشؤونها أكثر من أي أحد، وتساءلت عن سبب رفضهم لتصبح امرأةً عامِلةً! فهذا لأنهم بالتأكيد يتشبَّثون بالوضع الاجتماعي ومركز العائلة، ويعتبرون خروج معلِّمة تفصيل ملابس غربية من بين أفراد عائلتهم شيئًا غير مُشرِّف، وهذا هو نمط تفكيرهم.

أضافت "تائيقو":

"التعصُّب شيء عفا عنه الزمن ويدعو للسخرية، وطالما آل الوضعُ إلى ذلك سأذهب بنفسي لأشرح لهم رأيي بكل صراحة. تفكيرهم المُضَلَّل هذا سأدحضه. أمَّا عن مسألة الأموال فهذا غير حقيقي وما نقلته أختي الكبيرة عن زوجها غير صحيح وبالرغم من أنني لم أُلقِ اللَّومَ عليها بشيء من قبل، حتى لو كانت تستنكر فِعلَةَ زوجها، أخينا الكبير بالقانون، إلَّا أنه بهذه المرَّة تحديدًا الجدال معها هي. بالطبع تبريراتهما لاتخصُّني وبشأن ما يديره أخي الكبير من أملاك وما يتوجَّب إعطاءه لي مستقبلًا؛ أليس هذا ما سألتهم عنه العمَّة "طومي ناجا" وأختي الكبيرة أيضًا أجابتها حينها بمثل ذاك الكلام!

وهـا هـو ذا نفسـه مـا يحـدث الآن! كـم مُشـين مثـل هـذا القـول المبهـم. يتزايـد الأطفـال ببيـت العائلـة مـن ناحيـة، وينهمكـون في كسـب سُـبُل العيـش مـن ناحيـة أخـرى، وإنمـا يبـدو أن الأخ الكبـير تغـيَّرَت مفاهيمـه دون أن يـدري، ولكـن هـل طـال الأمـر أختـي أيضًـا! وتتوسَّـط وتبلغنـا بهـذه البسـاطة؟!

حسـنًا. إذا كان هـذا هـو قـول بيـت العائلـة فأنـا عـلى أتـمِّ اسـتعداد أيضًـا، وسـأفعل أي شيء لأخـذ هـذه الأمـوال بالتأكيـد".

وتأجَّـج غضبهـا، وتوجَّـبَ عـلى "ساتشـيقو" بـذل كل مـا في وسـعها لتهدئتهـا.

كان أسـلوب أخيهـا "تينوسـوكيه" أيضًـا أحمـق، فالطريـق الوحيـد الـذي لا مفـرَّ منـه كان بالنسـبة لـه هـو وزوجتـه ورطـة. إنهـما يتفهَّـمان مـا تبغيـه "تائيقـو"، لكنهـما يريـدان منهـا أن تتفهَّـم هـي موقفهـما. التفـاوض المبـاشر أفضـل حَـلٍّ، ولكـن فلتَخُـض الحديـث بهـدوء؛ لأنهـا إذا دخلـت في شـجارٍ مـع بيـت العائلـة سـتضعهم في مـأزق؛ لذلـك هـما مـن هـذا المنطلـق لـن يدعِّماهـا.

بـذلا قصـارى جهدهـما لقـول كلمـة طيبـة، و"تائيقـو" أيضًـا بحثـت عـمَّا تمحـو بـه بعضًـا مـن غضبهـا بـذاك الوقـت، وكالمتوقَّـع، لم تُواتِهـا الشـجاعة الكافيـة لفِعـل شيء، وبعـد بضعـة أيـام هـدأت ثورتهـا وعـادت لهدوئهـا المعتـاد.

انتهـى الأمـر هكـذا وكأن شـيئًا لم يَكُـن، وتنفَّسَـت "ساتشـيقو" الصعداء، ولكنهـا ظلَّـت بداخلهـا في ترقُّـب، وبمنتصـف شـهر ديسـمبر تقريبًـا، وبيـوم مـا فجـأة عـادت "تائيقـو" مبكِّـرًا وقالـت:

"لقد أوقفت حصصَ الفرنسيَّة".

"حسنًا".

تلقّت "ساتشيقو" حديثها دون شَدٍّ وجذب؛ فأضافت "تائيقو":

"وألغيتُ السّفرَ للخارج أيضًا".

"حسنًا... هكذا. أختي الصغيرة عَدَلتِ عن تفكيرك بشقِّ الأنفس. حتى بدون كلام العائلة... حقًّا من الأفضل الإلغاء".

"بالحقيقة أنا لا يعنيني ما يقولونه، وإنما المسألة هي أن المعلِّمة "تاما أوكي" ألغت الأمر".

"حقًّا! لماذا؟".

"ستبدأ مدرسة التفصيل مع بداية العام؛ لذا لم يَعُد لديها مُتَّسعٌ من الوقت للسفر للخارج".

كانت السيدة "تاما أوكي" ستسافر للخارج لأن مدرسة التفصيل لا بُدَّ من إعادة بنائها، لكن مُؤخَّرًا بعد فحص حالة الأضرار تبيَّن فعليًّا أن المبنى لا فائدة منه، ولا بُدَّ من ترميم الأساسات. هذا العمل ليس يسيرًا من حيث التوقيت، والشؤون الاقتصادية؛ بسبب نقص المواد الخام والعِمالة بالوقت الحالي؛ مِمَّا دفَعَها لتتمعَّن في التفكير. من حسن الحظ أن الأسعار ليست باهظة بالمنطقة؛ فبحثت عن بيتٍ غربيِّ الطِّراز للبيع بسعر زهيدٍ يمكن استخدامه كأكاديميَّة، ووجدته، واشترته، وما إن تحصل عليه ستدير الأكاديمية على الفور. كان هذا أحد أسبابها لإلغاء السفر، والسبب الآخر هو زوجها الذي يراوده القَلَقُ من الاضطرابات في أوروبا، ونصحها بالإلغاء. إن رأيه مبنيٌّ على أقوال ضابط بحريٍّ عاد من أوروبا للوطن مُؤخَّرًا، وأخبره أن ألمانيا ستحافظ على علاقتها مع انجلترا وفرنسا، وستُبقي على الهدوء الظاهري بعد اجتماع ميونخ الذي تَمَّ في سبتمبر، ولكن بحقيقة الأمر هم لم يتوصَّلوا لاتِّفاق مشترك، ولأن انجلترا لم تُتِمَّ بعدُ استعداداتِ الحرب، فلقد سعت للتسوية مؤقَّتًا لتجعل ألمانيا تغفل. ألمانيا أيضًا

تخمِّـن نوايـا انجلـترا لخداعهـا؛ لذلـك بالتأكيـد الحـرب باتـت وشـيكةً؛ ولهـذا أو لـذاك ألغـت السـيدة "تامـا أوكي" فكرتهـا بالنهايـة.

لذلـك فـ "تائيقـو" لم يَعُـد بيدهـا حيلـة، وألغـت الفكـرة هـي الأخـرى، إلَّا أنهـا لـن تتوقَّـف عـن إبـداء رغبتهـا لبيـت العائلـة في أن تصبـح مُعلِّمَـةَ تفصيـل، وإن بـدأت أكاديميـة التفصيـل بـأول العـام فسَـتَتردَّد مـرة أخـرى عـلى المحـاضرات، وبهـذه المـرة لديهـا رغبـة مُلِحَّـة بـضرورة اعتمادهـا عـلى ذاتهـا، ورفـض مـا يأتيهـا مـن حـوالات مـن بيـت العائلـة كلِّيًـا، وبـأسرع وقـت مُمكِـن، ومـن هـذا المنطلـق يتوجَّـب عليهـا الإسراع في اكتسـاب التقنيـة المطلوبـة.

"أختـي الصغـيرة هـذا أفضـل بالطبع، ولكـن إن واصَلـتِ تَعلُّـمَ التفصيل فنحـن ليـس لدينـا عُـذرٌ نُقـرُّه أمـام بيـت العائلة".

""ساتشيقو"، أريدك فقط أن تقولي لا أعرف".

"وهل ستسير الأمور هكذا؟".

"يمكننـي الاسـتمرار ظاهريًـا بتصنيـع الدُّمـى، والتَّظاهُـر بالتوقـف عـن تعلُّـم التفصيـل".

"يا للورطة حين يعرفون...".

شـعرت "ساتشـيقو" باقـتراب موعـد أزمـةٍ تُوقِـع بهـم بـين شِـقَّي الرحـى؛ فلقـد بـدا أن "تائيقـو" تخفـي فكـرًا خطـيرًا وراء تَلهُّفهـا للاعتـماد عـلى ذاتهـا، وظلَّـت تُـردِّد:

"صعب... الأمر شاقٌّ".

الفصل الرابع والعشرون

تُرى ما أسباب "تائيقو" وراء سعيها لاكتساب مهارات وقدرات سيدة الأعمال؟ إن كان كما تقول، فكيف لها أن تظلَّ إلى الآن ترغب بالزواج من "أوكوباتا"؟ فهذا لا يتماشى مع ذاك... أليس كذلك؟

إن زواج شخصية مثلها من شخص عديم الفائدة كـ "أوكوباتا"يعني أنها بأي حالة طارئة هي مَن ستتحمَّل أعباء الحياة ومسؤولية إطعام زوجها. لكن "أوكوباتا" ذاته سيكون الزَّوجَ الشاب الذي لا ينقصه شيءٌ، والتورُّط معه في جلب نفقات العيش حقًّا لن يكون إلا بحالة طارئة. إذن فتلك الأسباب الواهية قد تكون وراء رغبتها لتعلُّم التفصيل، أمَّا رغبتها في السَّفر للخارج فليست طبيعية أبدًا. أَوْلَى بها أن تتطلَّع لليوم الذي ستمتلك به أُسرَةً جديدة مع مَن تحب. إنها طيلة عمرها أنضَجُ من سِنِّها، وتتَّخذ حذرها ومتيقِّظة، وبزواجها ستظل متنبِّهةً، وتُعِدُّ ترتيباتها للنهاية؛ لذا فمهما كان لا يزال هناك نقطة مُبهَمَة بالأمر.

انشغل تفكير "ساتشيقو" على ذاك الحال، وشعرت دائمًا بأن الدافع الحقيقي لـ "تائيقو" هو كرهها لـ "أوكوباتا"، وهي تريد إلغاء زواجها منه بكياسَةٍ، والسفر للخارج هو الخطوة الأولى، وأن تصبح سيِّدَةَ أعمال هو سبيل لمواصلتها للحياة بعد الانفصال عنه، ومرة أخرى ساوَرَها الشَّكُّ فيما يخصُّ مسألة "إيتاكورا"؛ فهي لم تتحقق بعد.

منذ ذاك الوقت لم يأتِ "إيتاكورا" للزيارة، ولم تَرَ منه أي اتصال هاتفي أو خطاب، لكن "تائيقو" تمضي وقتها كله بالخارج فهل حقًّا ليس هناك أي صِلة بينهما؟أم أن علاقتهما مستمرَّة في الخفاء؟

ووقَعَت الريبة في نفسها، وأصبحت كل شكوكها غامِضةً بلا أساس تعتمد عليه، ومع مرور الأيام تفاقَمَ الأمر ورجَّحَت"ساتشيقو" أن ظنونها في محلِّها، علاوة على ما رأته بعينها؛ فـ "تائيقو" بمظهرها، شخصيتها، صحَّتها، وتعبيراتها... كل هذا تغيَّر تدريجيًّا منذ الربيع، وكلَّما فكَّرَت "ساتشيقو" اتَّخَذَت من ذلك ذريعةً لشكوكها.

إن "تائيقو" في الأساس فيما بين الأخوات الأربعِ هي فقط من تتَّضح قوَّةُ تَحمُّلها، وهذه السمة تغيَّرَت مؤخَّرًا لحالة غريبة؛ فلقد أصبحت طريقتها في الكلام سوقيَّةً مُتدنِّيَة، وأصبح من العادي أن تظهر عاريةً حتى أمام الخدم، وتستلقي برداء الحمَّام أمام المروحة، ولم يَعُد بالقليل ظهورها بهيئة كسيِّدات المساكن الشعبية، وتجلس القرفصاء بثيابٍ مكشوفة، وتستلقي جانبًا. دون أن تحافظ على ترتيبٍ لكبيرٍ أو صغير تبدأ الطعام قبل أختَيْها الكبيرتين، بل وتدخل قبلهما للمائدة، وكثيرًا ما تُثير حنق "ساتشيقو" وقت وجود ضيوف باتِّخاذها مقعدًا على رأس الطاولة. أيضًا بهذا العام بشهر أبريل وقتما ذهبوا إلى معبد "نانزنجي" سبقتهم للغرفة اليابانية الطراز ذات الأرضية الحصير وجلست أمام "يوكيقو"، وعندما أتت صينيَّةُ الطعام كانت أوَّلَ مَن مَدَّ يده؛ لذلك همَسَت "ساتشيقو" لـ "يوكيقو" تعتذر عن ذهابها لأيٍّ

مَطعَمٍ مع "تائيقو" سويًّا، وبالصيف حين ذهبوا للمسرح وبالمطعم أتتهم "يوكيقو" بالشاي وقدَّمَته لواحدٍ تلو الآخر، ورغم أن "تائيقو" رأتها إلَّا أنها أخذت كوبها وارتشفت منه، ولم تبالِ بمساعدة أختها.

سوء سلوكها على تلك الشاكلة هناك منه الكثير، وبالذات مؤخَّرًا، وأصبح ملحوظًا على نحو مريع.

بهذه الليلة أيضًا مرَّت "ساتشيقو" بالرَّدهة التي أمام المطبخ، ووجدت الباب الجرَّار للغرفة مفتوحًا نصفه، والباب الجانبي بين الحمام وحوض الاستحمام أيضًا مفتوحًا لبضعة سنتيمترات، يظهر منها الجزء العلوي لجسد "تائيقو" وهي مغمورة بالماء؛ فنادت "ساتشيقو" على الخادمة:

""أوهارو"، أغلقي الباب هناك".

وأَمَرتها أن تذهب لغَلقِه، لكن "تائيقو" تذمَّرَت من داخل حوض الاستحمام، ونَهَرتها قائلة:

"كلَّا... كلَّا... لا تُغلِقيه".

"حضرتك تريدينه مفتوحًا؟".

" نعم. أستَمِع للمذياع، وأريده مفتوحًا".

بذاك الحين تحديدًا كان بالمذياع معزوفة جديدة، وهي تريد الاستماع لها أثناء استحمامها؛ فتركت كل الأبواب فيما بين غرفة المعيشة والحمَّام جميعها مفتوحة قليلًا.

بعدها، وبهذا العام أيضًا، بيومٍ ما من شهر أغسطس، جاء رَجُلٌ شابٌّ صاحب متجر أقمشة يجلب لها طلباتها، وكانت "ساتشيقو" تُعِدُّ شاي المساء بغرفة الطعام، فخرجت له "تائيقو" واصطحبته لغرفة المعيشة، وبلغ حديثهما مسامع "ساتشيقو".

لقد قال لها الشاب:

"زاد وزنك يا فتاة، لو كان لباسك الداخلي من الـ "كريب حرير" لتقطَّعَت أردافُكِ!".

وأجابته "تائيقو":

"لن يحدث، والكُلُّ يلاحقني".

قالتها وتعالت ضحكاتها، لكن "ساتشيقو" استاءت من الحوار؛ وفهي تلاحظ سوقيَّةَ أسلوبها منذ وقت طويل، ولكن لم تتوقَّع أبدًا أن يبلغ الحدَّ لما سمعته، وظنَّت أن الرجل لن يتحدَّث هكذا مع أي فتاة أو سيدة من زبائنه، بل بالطبع يتحدَّث على ذاك النحو مع "تائيقو" لأنها تعطيه حيِّزًا لرفع التَّكلُّف، وربما فيما لا تدريه "ساتشيقو" تتحدَّث "تائيقو" مع أيِّ أحدٍ بمثل هذا الابتذال، أليس كذلك؟

عامَّة، "تائيقو" لديها أشغال على كل المستويات، فهي تتعلَّم التفصيل، وتتدرَّب على الرقص، وتصنع الدُّمى. إنها أكثرهن تواصُلًا مع مختلف طبقات المجتمع، وهذا طبيعيٌّ في التعامُل مع العوامِّ فقط، وهي أكثرهم درايةً بالأشخاص. لكن مهما تباهَت بهذا وعامَلَت أخواتها الكبار على أنهم هم الصغار إلَّا أن كل هذا حتى الآن يؤخذ على محمل الفكاهة، ويمرُّ من قبيل المرح، لكن أن يبلغ الأمر هذا الحدَّ فـ "ساتشيقو" لا يمكنها التجاهُل بعد.

إنها حتى مع الأخت الكبيرة ببيت العائلة التي لا يمكن اعتبار تفكيرها عتيقًا أو عفا عنه الزمن تعتبره كذلك، وتتشدَّق بمثل هذا الكلام بطريقةٍ مثيرة للاستياء.

هذا الاتجاه الذي تسلكه "تائيقو" يعطي انطباعًا خاصًّا عنها، ويخلق التلميحات بوجود شيء ما يدور في الخفاء، وحتى ومن قبل أن تلحظ "ساتشيقو" ذلك؛ فلقد بدا من سوقيَّة أسلوب "إيتاكورا" وطريقة إبدائه للملاحظات وإلقاء الدعابة- أنها معتادة على الأمر.

لكن من ناحية أخرى فكَوْن "تائيقو" شخصية استثنائية بين الأخوات كلهم يجعل هذا سببًا وجيهًا كي لا يلقي باللوم عليها.

إنها الطفلة الأخيرة، ولم تتلقَّ الكثير من محاباة أبيهم في زهو أيامه، وتوفيت والدتهم وهي بالمدرسة الابتدائية، وليس لديها سوى القليل من الذكريات الضبابية لملامحها، حتى أبوهم، الشخص المُرفَّه، المُسرِف، الذي أعطى بناته من كل أنواع التَّرف- إلَّا هي، ولا يسعها تَذَكُّر ما تلقَّته منه، ورغم أن فارق السِّنِّ قليل، إلَّا أن "يوكيقو" لديها الكثير من الذكريات عن أبيها، وتعي ما تلقَّته منه، ودائمًا ما تتحدَّث عنه. إنما "تائيقو" كانت طفلةً، واكتسابها للمعارف كان محدودًا. استمرَّت لحينٍ تتدرَّب على الرقص، لكنها توقَّفَت بوفاة أمها. إنها فقط تتذكَّر نظرة والدها لها على أنها فتاة قَذِرَة سوداء الوجه، حيث كان والدها بسنواته الأخيرة وهي طفلة بمدرسة البنات أصغر من أن تضع أيَّ مساحيق تجميل، وملابسها لا تُظهِر ما إن كانت صبيًّا أم فتاة؛ فبالتأكيد بَدَت فتاةً رثَّةَ المظهر. بذاك الحين تطلَّعَت بشدَّة للتخرُّج مثل أخواتها الكبار؛ لتتأنَّق بثيابها مثلهن؛ ظنًّا منها أن الثياب الجميلة ستُحاك لها أيضًا، لكن والدها توفي دون أن تحقق أمانيها، وبنفس الوقت أُعلن عن نهاية زهو عائلة "ماكي أوكا". بعد ذلك بوقت قصير وقعت حادثتها مع "أوكوباتا" التي نُشِرَت بالصحف. "يوكيقو" ذاتها ترى أن هذه الحادثة نتيجة للجَوِّ الأُسَري المُمِل، وعلاقتهما بزَوْجَيْ أختيهما التي لم تَسِر بسلاسَةٍ، وعدم تلقِّيهما للحُبِّ والرعاية الكافية بعد رحيل والديهما. لقد نما قلبٌ بِكرٌ مُرهَف الحِسِّ وسط تلك الأجواء؛ فهذا ليس مسؤوليَّة أحدٍ، وإنما جريمة البيئة المحيطة.

"تائيقو" حتى بالنتيجة الدراسية لم تكن أقلَّ شأنًا منهنَّ، بل كانت أفضلَهم في الرياضيات. لكن دائمًا تلك الحادثة تظهر كعلامة مُسجَّلة في سيرتها الذاتية، وبالتأكيد أفقدتها الكثير؛ فإلى اليوم هي لا تتلقَّى

نفس المعاملة مثل "يوكيقو" من أخيهم الكبير رب العائلة. منذ وقت مبكِّر وهو يعتبرها متمرِّدةً، وهي مصدر المتاعب، في حين أن مَعَزَّتَه لـ "يوكيقو" واضحة، وكانت نظرة التَّفرِقة هذه ظاهرة بوضوح على كل المستويات؛ بداية من المصروف الشهري، ونهاية بما لديها من ثياب.

"يوكيقو" عمَّا قريب ستصبح عروسًا؛ فيأتيها كل شيء، لتمتلئ خزانتها، عكس "تائيقو" التي لا داعي لجلب لها أي شيء باهظ ثمنه، وما لديها الآن من أشياء قَيِّمة في الغالب هي اشترتها لنفسها مما تجنيه من أموال، وإن لم يكن هكذا فلأنَّ "ساتشيقو" تشتري لها الكثير. يقول ربُّ العائلة إن "تائيقو" لها مصدر دخل آخر، وليس من العدل أن تحصل على مصروف مثل "يوكيقو"، وهي نفسها قالت المال ليس ضروريًّا لي... أعطوه لـ "يوكيقو"، لكن بالحقيقة "تائيقو" لم تكلِّف بيت العائلة نصف أعباء "يوكيقو"، وعلى حدٍّ هذا القول أيضًا فكَسبُها لمال وفير شهريًّا، وادِّخارها جزءًا منه، وإنفاق الجزء الآخر بتَرَفٍ على الحُليِّ والزينة، واتِّباع أحدث صيحات موضة الملابس، ومهارتها في إدارة شؤونها، وتأديتها لكل شيء على أكمل وجه، وكل ما تعتبره "ساتشيقو" مُبهِرًا- كان دائِمًا ما يثير شكوكها وتواريها بقلبها. إنها كانت تخشى من أن يكون ضمن حُليِّها من سلاسل وخواتم ما يخصُّ متجر مصوغات "أوكوباتا"؛ فهي تعرف مدى حبِّ "تائيقو" للمال، وهذا ما تنفرد به عنهم.

بالواقع، بهذه النقطة تحديدًا، تجد "ساتشيقو" التي نشأت في أزهى فترات حياة أبيها هي أكثرَهنَّ سوءًا، و"تائيقو" التي تأذَّت حتى النخاع من البؤس وقت انهيار العائلة هي أحسنهنَّ.

لقد كانت بين الحين والآخر تُفكِّر ما إن تورطت هذه الأخت الخارجة عن المألوف في حادثة مرة أخرى. من المؤلم أن ينجرَّ جميعهم

لهذا؛ لذا يُستَحسَن إيداعها ببيت العائلة إذا أمكن، لكنها بالطبع لا توافق، وبيت العائلة أيضًا ليس من المتوقَّع منهم استدعاؤها.

في الحقيقة بكل مرة تهمُّ بالاتصال بهم لتسألهم أن تدع "تائيقو" تحت رعايتهم، وأن تُسلِّمهم مسؤوليَّتها... لا تفعل أبدًا. بالماضي قال الأخ الكبير إنه يكره بقاء الأختين الصغيرتين ببيت العائلة الفرعي؛ مُراعاةً للمظهر الاجتماعي، وعلى ما يبدو أن الأمر الآن يتعارض مع مشاكلهم المادية، فاليوم علاقة بيت العائلة بـ "تائيقو" تقتصر فقط على انتظارهم لليوم الذي سيتوقَّفون به عن إرسال التحويل الشهري، خاصَّةً وأنها استقلَّت بحالها إلى حدٍّ كبير.

وعندما تعيد "ساتشيقو" التفكيرَ من هذا المنظور تشعر أن "تائيقو" حالها يُرثَى له، وبعد تَذكُّرها لكل هذه الأمور المُزعِجة لا تجد أمامها سوى أن تنأى بحالها بعيدًا، لكن بعد حين ينشب النزاع بينهما؛ فهي لا تستطيع أن تبقي أسئلتها حول ما يثير شكوكها طويلًا.

ببداية العام الجديد، وبعد قضاء أسبوع الاحتفالات، بدأت "تائيقو" مرة أخرى تَعلُّمَ الحياكة وارتياد الأكاديمية دون أن تخبر "ساتشيقو" عن قصد. لكنها كانت تعي ذلك من أحوالها، وبصباح يومٍ ما و"تائيقو" تهمُّ بالخروج سألتها "ساتشيقو" مباشرة:

"هل بدأت مدرسة السيدة "تاما أوكي"؟".

"نعم".

وأجابتها"تائيقو" وهي تنتعل حذاءها عند المدخل.

"لكني أريد أن أتحدَّث معكِ قليلًا...".

واصطحبتها "ساتشيقو" لغرفة المعيشة، وجلستا وجهًا لوَجهٍ حول المدفأة.

"غير تفصيل الملابس أريد أن أسألَكِ عن شيء واحد فقط يا "تائيقو"، وفكّرتُ أن أتحدَّثَ إليكِ صراحةً. أريدُكِ أن تخبريني بالحقيقة. أخبريني بما تخفينه عني "تائيقو"".

- "...".

زادت "تائيقو" من وهج المدفأة بزيتٍ دُهنيٍّ قوامُه عالي الجودة، وحبَسَت أنفاسها وهي تراقب جذوةً من الحطب تحترق.

"حسنًا إذن، من واقع علاقتك بـ "أوكوباتا" أسألُكِ: هل أنتِ الآن حقًّا لا ترغبين في الزواج به؟".

في البداية التزمت "تائيقو" الصَّمتَ وظلَّت غارِقةً في تفكيرها مهما انهالت عليها الأسئلة؛ فتغيَّر أسلوب "ساتشيقو" تمامًا، وترقرقت عيناها بالدَّمع وهي تسألها عن كل ما يؤرِّقها، وفجأة التقطت محرمةً لتمسح دموعها، وقالت:

"أنتِ مخدوعة في "أوكوباتا"".

وأخيرًا أطلَقَت العنان للكلمات الخانقة لأنفاسها.

"أختي، متى عرفتِ ذلك؟ لقد سمعت مرَّةً من قبل عن علاقة قديمة له بفتاة هوى".

" نعم، نعم... لقد سأل "تينوسوكيه" بالمقهى الجنوبي".

"ووَجَدَ الأمر كذلك بالضبط...".

قالتها "تائيقو"، ومن بعدها تقبَّلَت ما يُوَجَّه إليها من أسئلة، وبدأت بالإدلاء باعترافاتها شيئًا فشيئًا.

المشكلة بدأت منذ شهر مايو، حين ظنَّت أن الأمر لا يتعدَّى الشَّائِعَة، وظاهريًّا بدت كأنها تخطَّت المسألة، لكن بالحقيقة نشأت المشكلة منذ ذاك الوقت، والأكثر أن شأن المقهى الذي يلهو به

"أوكوباتا" سابقٌ على كُلِّ هذا. قال "أوكوباتا" إن هذا مجرّد إلهاء لصرف أنظارهم، بعد رفضهم موضوع الزواج، وأنه يشرب خمر "الساكي" فقط، وتَجمُّع الفتيات من حوله بريء قطعًا، وليس هناك ما يُلوِّث شَرَفَه، وصدَّقته "تائيقو"، وتفهَّمَت موقفه. قال أيضًا وقتها إن أقاربه من أخواته الكبار وأعمامه كلهم أوغاد بمكانة راقية بالمجتمع، ويتردَّدون هناك، ذاك بالمثل كان حال والدها: شخص يحبُّ اللهو والمُتعَة، وهي ذاتها تدري ذلك، وكانت تراه وهي طفلة. أكَّد "أوكوباتا" أن ما بيده حيلة، وأنه يحافظ على مبادئه، وهي عليها أن تَكفَّ عن التَّحذلُق.

كان حديثه كَذِبًا صريحًا، وكله خداع، وهذا ما عرفته لاحقًا بعد الحادث الاندفاعي لنَزوَتِهما.

كانت له علاقة بفتاة جيشا، وأخرى براقصة أنجَبَت له طفلًا، وحين عرف "أوكوباتا" أن المسألة وصَلَت لـ "تائيقو" نسَّق كلماتِ اعتذارٍ بكلِّ ما لديه من مهارة، وقال إن شأن الراقصة أصبح من الماضي وانقطعت علاقته بها تمامًا، أمَّا الطفل فهو لا يدري طفل مَن هذا، وهي تلقي على عاتقه المسؤولية من باب الافتراء، ولن تكون هناك أي علاقة له به كأبٍ وابنه، وأكَّد أنه ما عاد له حُجَّة ليتردَّد على أيٍّ من أحياء المتعة، وأقسم بذلك.

لكن سلوكه بذاك الحين بدا مثل الأشخاص الوَقِحَة التي لا تلحق الكذب بكلماتها، وهو بالفعل حديثه كله تافِهٌ مهما فعل، ولم يَعُد بإمكانها الوثوق به. أمَّا من ناحية الراقصة الأم وطفلها؛ فبعدما جاءت ومعها صَكُّ أموالِ التَّراضي بينهما أصبح من المؤكَّد أن الأمر ليس كذبًا، وما من دليل مهما قال يُثبِت انقطاعَ العلاقة، علاوة على أنها لا تدري ما إن كان هناك شيء آخر يُخفيه.

رغم ذلك، لم يُغيِّر "أوكوباتا" من حماسته لعَقدِ قرانه بـ "تائيقو"، وقال إن حُبَّه المكنون لها ليس مثل مشاعره مع أيٍّ من تلك الفتيات، في حين أن "تائيقو" شعرت أنه يجعل منها هي الأخرى تسليةً له، وبالحقيقة منذ ذاك الحين وكراهيته ملأت قلبها. إنها فقط ستنزعج من كلام الناس، بدايةً بأخواتها الكبار، كلهم سيقولون لها "أرأيتِ! أخَذتِ كلامه على محمل الجدِّ، وخَدَعكِ بالنِّهاية"!

لم تستطع بسهولة أن تنكث وعودها، لكن بعد التروِّي قَرَّرَت الانفصال؛ لذا كان السفر للخارج بمثابة الوسيلة التي هداها إليها تفكيرها، ورغبتها في تعلُّم التفصيل أيضًا هي نوعٌ من التأهُّب لحياتها كعزباء بالمستقبل، كما استشعرت "ساتشيقو" تمامًا.

في وقت مُعاناتها من التفكير بالزواج من "أوكوباتا" دون أن يدري أحدٌ وقَعَت حادثة الفيضان. إنها حتى ذاك الحين لم تفكِّر في "إيتاكورا" سوى أنه الخادم المخلص فقط، وفجأة تغيَّرَت نظرتها للرَّجُل؛ وهذا ما أثار فضول أختيها الكبيرتين: "ساتشيقو" و"يوكيقو"؛ فقالت لهما إنها لم تختبر من قبلُ الشُّعورَ العميق بإنقاذ حياتها باللحظة التي آمنَت فيها باستحالة الإغاثة ولا بنسبة واحد في المليون وهي أمام خطر حقيقي.

"أوكوباتا" بذاك اليوم كان هدفه تَصيُّدَ أي خطأ ما بتصرُّف "إيتاكورا"، ولحُسن الحظِّ؛ العكس هو ما حدث؛ فبِكُلِّ حال من الأحوال "إيتاكورا" عرَّض حياته للخطر، وألقى بنفسه أوَّلًا وقبل كل شيء، أمَّا "أوكوباتا" فماذا فعل؟!

لم يجازف بحياته ولم يُظهِر لها أنها حُبُّ حياته الوحيد، وهي منذ ذاك الوقت تخلَّت عن أي مشاعر حُبٍّ أو كراهية له، والسبب كما تدريه "ساتشيقو" أيضًا؛ فبيوم الفيضان بعدما جاء أخيرًا إلى بيت "أشيبا" وقال إنه استقلَّ قطار "هانشين" وجاء ليتفقَّد الأحوال وروى

أنه وصل إلى الطريق السريع ولم يستطع العبور لأن هناك القليل من الماء، وبعد تجوُّله دون هدفٍ مرَّ بطريقه على منزل "إيتاكورا" يسأله ما إن كان يعرف شيئًا عنها، وما إن كانت عادت سالِمةً. بذاك المساء حين ظهر "أوكوباتا" قبالة منزل "إيتاكورا" كان بكامل أناقته؛ يعتمر قُبَّعةً، ويرتدي بزَّةً باللون الأزرق الداكن، وبيده عصاه من خشب الدِّردار، عَلَّق عليها آله تصوير من نوع CONTAX. لقد ذهب وهو متأنِّق بهذا الشكل ولم يعبر قليلًا من الماء بطريقه؛ لأنه يكره أن تبتلَّ طَيَّةُ بنطاله. أليس كذلك؟

وحين تقارن هذا بما فعله "تينوسوكيه" و"إيتاكورا" وخوضهما في الوحل لإنقاذها؛ ألا يتَّضِح الفَرقُ؟

إنها تدري بأمر أناقة "أوكوباتا"، وأنه لن يتَّسِخ بالوحل من أجلها، لكن هكذا فهو ليس لديه حتى أيُّ مشاعر إنسانية. لو كانت سلامتها شيئًا يُسعِدُه فعلًا لعاد مرَّةً أخرى لـ "أشيبا" ليرى وجهها. إنه هو ذاته ذهب وقال إنه سيعاود مرَّةً أخرى، و"ساتشيقو" توقَّعَت عودته، وبالرغم من ذلك فلم يفعل.

تُرى، لو كان اطمأنَّ على سلامتها؛ هل كان سينتهي ارتباطهما؟

إن قيمته كإنسان تظهر بهذه المواقف، وإذا كان قد بلغ به الحَدُّ لأن أصبح مُسرِفًا، غشَّاشًا، عديمَ الفائدة، دون أمل في التغيير- فإنها حتى لن تفكِّر أن تتحمَّل؛ لقد تبدَّدَت كل آمالها. وهي تراه تافِهًا لدرجة أنه يتجنَّب اتِّساخَ بنطاله من أجل زوجته المستقبليَّة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الخامس والعشرون

حتى هذه اللحظة كانت"تائيقو" تذرف الدمع من وقت لآخر، وتُجفِّف دموعها وتمسح وجنتيها من وقت لآخر، إلى أن هدأت نسبيًّا، وتحدَّثت بالتفصيل وبالمنطق، لكنها لم تَبُح بالكثير عن "إيتاكورا"، وبالطَّبع جعَلَت "ساتشيقو" تُدلي بكثير من القول، وهي إن تأكَّدَت واستنكرت ستسعى"تائيقو" لإنهاء الحوار سريعًا؛ لذا تداركت "ساتشيقو" الموقف، وكان لا بُدَّ لها أن تستمع وتتغاضى، والحديث التالي هو بعد ترجمة ومراجعة "ساتشيقو".

"تائقو" تقارن بين "إيتاكورا" و"أوكوباتا" في كثير من الأشياء، وهذا ومشاعرها نحو "أوكوباتا" تتأجَّج بسرعة غير عادية وتنعكس بعيونها، وشخصية مثلها تسخر دائمًا من شأن بيت العائلة وأفكاره عن النَّسَب والمستوى الاجتماعي لن يجدي معها نفعًا التذكير بسخافة موقفها إن ارتبطت بشخص مثل "إيتاكورا"، وسترجِّح كفَّة قلبها أمام عقلها، لكنها بهذه الحالة لن تتخلَّى عن هدوئها، وحتى وإن وقعت

بحبه لن تصبح عمياء من أجله، خاصَّةً وأنها تعلَّمَت من تجربتها السابقة مع "أوكوباتا"؛ وهذا جعل مخاوفها بهذه المرَّة لا حدود لها. إنها تحاول إجراء حسابات المكسب والخسارة، وأوصلها التفكير إلى أن طريق سعادتها هو بزواجها منه مهما حدث.

في الحقيقة "ساتشيقو" لديها الكثير من التكهُّنات بخصوص علاقتهما، لكن أبدًا لم يخطر لها ببالٍ استعداد "تائيقو" للزواج منه؛ لذلك كانت دهشتها حين استمعت لهذا الاعتراف لا يفوقها شيء.

"تائيقو" تعرف جيِّدًا أن "إيتاكورا" هو الفتى صبي المتجر غير المتعلِّم، وهو ابنٌ لمزارعٍ مُستأجَر، وأيضًا هو شابٌّ سوقيٌّ، نقاط ضعفه مشتركه بينه وبين النازحين لأمريكا، ووازَنَت جيِّدًا بين عيوبه ومميِّزاته، وتوصَّلَت لقرارها هذا، ومهما قيل لها مِمَّا يُقلِّل شأنه فإنه مقارنةً بسليل الحسب والنَّسب "أوكوباتا" هو إنسان يعلوه بمراحل، وقوته الجسمانية تفوقه، وعنده الشجاعة للخوض في النيران إذا ما تطلَّب الأمر، وأهم شيء هو مهاراته التي تضمن أنه سيتولَّى مسؤوليتها ومسؤولية نفسه. انه يختلف عمَّن يمتهن التسوُّل من أخيه الكبير ووالدته.

سافر"إيتاكورا" يجوب كلَّ أنحاء أمريكا وهو خالي الوفاض، دون تلقِّي أي مساعدة مالية من أي أحد كان، وسعى سعيًا دؤوبًا ليتعلَّم ويكتسب مهارات، رغم الصعوبات؛ فمجال تقنية التصوير يتطلَّب قدرًا مناسبًا من الذكاء، وهو من هذه الناحية مُؤَهَّل، ولديه قدراته، وإن كان لم يحصل على تعليم نظامي إلَّا أنه يتمتَّع بالحَدْس والفطنة، وبسهولةٍ تَظنُّه بنباهَةِ حَمَلَةِ المؤهِّلات العليا أكثر من "أوكوباتا" الحاصل على شهادة جامعة "كانساي"؛ لهذا هي لم يُغرِها -ولو بالقليل- المستوى التعليمي والمؤهِّل وممتلكات إرث العائلة والمستوى الاجتماعي؛ كل هذا بلا قيمة بالنسبة لها، ولقد أدرَكَت كل شيء بعد

رؤيتها لحال "أوكوباتا"، فهي عِوَضًا عن ذاك كله ستتبع مذهب المنفعة. منفعتها الشخصية أهم شيء، ولا بُدَّ للشخص الذي سيصبح زوجًا لها أن يمتلك بنيةً جسديَّةً قويَّةً، ويكون لديه مهنة من كَدِّ ساعِدِه، ويحبها من كل قلبه، ومُستعدًّا ليُضحِّي بحياته من أجلها، وإذا ما تحقَّقَت هذه الشروط بشخصٍ فلن تسأله عن شيء آخر.

"إيتاكورا" لديه أشقَّاء كبار بالريف، أي أنه لا يتحمَّل مسؤولية رعاية أشقَّائه أو والديه. أخته الصغيرة التي تعيش معه الآن استدعاها من بلدتهم لتُعاوِنَه بعمله وشؤون البيت، ومجرَّد أن يستقبل بيتُه عروسًا ستعود أدراجها. هذا يعني أن "إيتاكورا" حقًّا وحيد، ولن يتردَّد أحدٌ في تخمين أنها ستقع في حُبِّه من صميم قلبها؛ فذلك بالنسبة لـ "تائيقو" هو منتهى السعادة بعد كل ما مرَّت به، وهذا أفضل لها من أن تصبح زوجةً لرَجُلٍ غنيٍّ ذي حَسَبٍ ونَسَب أيًّا كان هو.

"إيتاكورا" بحدسه القوي استشفَّ ضمنيًّا مشاعر "تائيقو" التي اتَّضَحَت في أسلوبها؛ فهي ليست من النوع الذي سيبوح بكلمات صريحة.

كان هذا بالعام الماضي في أوائل شهر سبتمبر أثناء غياب "ساتشيقو" وذهابها لـ "طوكيو". تَنَبَّه "أوكوباتا" لقرب علاقتهما، ودار نقاش"تائيقو" و"إيتاكورا"، وكانت هذه أوَّلَ مرَّة تُفصِح عمَّا بداخلها، وتَدَخُّل "أوكوباتا" كان هو السبب.

"إيتاكورا" لم يتَّخِذ كلام "تائيقو" على أنه دلالة على حُبِّها، وحين تطرَّق الحديث للزواج بدا عليه التَّوتُّر وكأنه يشكُّ بأذنَيْه.

لكن هل هذا ما جعله عن عَمدٍ يتظاهر بالانتصار؟

إنه لم تصل توقعاته إلى ذاك الحد... أليس كذلك؟

إنه بذاك الوقت تلقَّى مفاجأة لم يُفكِّر بها حتى بأحلامه، ولم يسعه استحسان حديثها أو الاستياء منه، وإنما طلب منها أن تفكِّر جيِّدًا وتتمعَّن؛ كي لا تندم فيما بعد، فإن تَزَوَّجته سيقطع صِلَتَه بعائلة "أوكوباتا"، وهي أيضًا ستنتقل من بيت العائلة، علاوة على أن كلَيْهما سيُساء فَهمُه من كل مَن حولهما، وسيضطهدهما المجتمع، وإن حدث فهو لديه الشجاعة ليناضل من أجلها، ولكن هل هي ستتحمَّل؟

هكذا قال "إيتاكورا"، ومن بعدها تغيَّر حديثُه وتساءل:

"ماذا بها إذا تَزوَّجَتني ابنةُ عائلة "ماكي أوكا"؟ إنني من مستوى اجتماعي مُختَلِف، ولكنني لديَّ الكثير من المهارات".

كان يعلم أن كلام الناس سيكون مريرًا، خاصَّةً بشأن علاقته بـ "أوكوباتا"، لكنه مهما فكَّر لا يُمكِنُه حلُّ سوء التفاهم معه، وما باليد حيلة.

إن عائلة "أوكوباتا" هي مَن دَعَّمَته بالأساس، ورب العائلة الراحل هو مَن قَدَّم له يَدَ العون فِعليًّا، ومن بعده الأخ الأكبر لـ "أوكوباتا" ووالدته." أوكوباتا" نفسه لم يُسدِ إليه مباشرة أيَّ معروف؛ وبهذا الشكل فإن زواجه من "تائيقو" إذا كان سيُغضِب "أوكوباتا" شخصيًّا كثيرًا إلَّا أنه على العكس- ستُرحِّب به عائلته؛ لأنهم لم يوافقوا لابنهم على الزواج من "تائيقو" من قبل.

على هذه الحالة تَردَّد "إيتاكورا" بين هذا وذاك، وتَمهَّل في موافقته على طلب "تائيقو".

بالنهاية واجه الاثنان الموقف، وحدَّدَا موعد زواجهما، على أن يكون سِرًّا، ولا يدري به أحدٌ في الوقت الحالي؛ فالمشكلة الأَوْلَى بالحَلِّ الآن هي فسخ خطبة "أوكوباتا"، وعليها أن تتجنَّب أيَّ طريقة مندفعة، بل تجعل "أوكوباتا" يفهم من تلقاء نفسه ويميل إلى الانفصال، وأفضل طريقة بالتأكيد هي سفرها للخارج، ومن بعدها تأجيل فكرة الزواج

مـن الأسـاس لسـنتين أو ثـلاث، ولكـن بهـذه الحالـة في الغالـب سـتُضاف عليهـا ضغـوطٌ ماديَّـة مـن الـكُلِّ؛ لـذا فلتتأهَّـب مـن الآن بالاسـتعدادات اللازمـة للمجابهـة، والتـي مـن ضمنهـا التركيـز عـلى اسـتيعاب تقنيـات تفصيـل الملابـس، وبتنسـيق أمورهـا سـيتحقَّق كل شيء في أقـرب قريـب عاجـل.

لكـن تخطيـط "تائيقـو" للسـفر للخـارج أصبـح مسـتحيلًا فعليًّـا بسـبب اعـتراض العائلـة، وأيضًـا بسـبب تغيـير ترتيبـات السـيدة "تامـا أوكي".

أيقنـت "تائيقـو" أن "أوكوباتـا" سـيظلُّ يلاحقهـا طالمـا هـي باليابـان، وسـيصعب انفصالهـما؛ مـمَّا يجـرح كبريـاء "إيتاكـورا"؛ لذلـك كان بِنِيَّتهـا بعـد سـفرها "لباريـس" أن ترسـل لـه خطابًـا ليتركهـا، وسـتتوارى عـن ناظـره ببُعدِهـا إلى أن ينتهـي الأمـر، لكـن جـال بخاطرهـا مـا أثـار مخاوفها، فطالمـا سـفرها لم يَعُـد مُمكِنًـا فلـن تنتهـي علاقتهـا بـ "أوكوباتـا" بسـهولة، بـل إنـه لـن يفعـل بسـبب وجـود "إيتاكـورا"، وسـتتفاقم المشـكلة أكـثر ويلاحقهـا أكـثر وأكـثر.

لـو كانـت ابتعـدت وسـافَرَت للخـارج لاسـتطاعت الصـبر عـلى فـراق "إيتاكـورا" لعـامٍ مَثَـلًا، وإنَّمـا طـوال بقائهـا بالقـرب منـه تظـلُّ لا تتحمَّـل العيـش بدونـه، و" أوكوباتـا" يسـتمرُّ أيضًـا في رغبتـه بالاسـتحواذ عليهـا.

لذلـك بعدمـا نَفَـدَت كل الحيـل بجعبتهـا للسـفر للخـارج أدركـت أنـه يصعـب عليهـا خـداع أعـين النـاس أكـثر مـن ذلـك، بمـا فيهـم "أوكوباتـا"، وتأهَّبَـت للنـزاع بـكل الطُّـرق المُمكِنـة، وآل تفكيرهـا إلى التعجيـل بالـزواج قـدر الإمـكان.

فقـط هـو الآن، حتـى وإن كانـا غـيرَ مُسـتعدَّيْن ماديًّـا؛ فالتأجيـل سـيُصعِّب مـا سـيواجهانه مـن عقـاب المجتمـع، و"يوكيقـو" حالهـا يُـرثَى لـه، ومـا مـن فرصـة لزواجهـا، والواقـع يفـرض عليهـا انتظـار زواج أختهـا الأكـبر.

"إذن... أنت يا "تائيقو" مع "إيتاكورا" بذلك الوعد الشَّفهيِّ فقط، وليس هناك ما هو أكثر من ذلك؟".

"بالضَّبط".

"متأكِّدة؟".

"نعم... ليس هناك أي شيء آخر. هذا هو الأمر فقط".

"إن كان الأمر كذلك، ألا تُفكِّرين مرَّةً أخيرةً من أجلي قُبَيلَ تنفيذك لذلك الوعد؟".

"...".

"حسنًا أختي الصغيرة... إن حدث هذا فلن يمكنني التطلُّع بوجه أحد من العائلة أو الناس".

وانتاب "ساتشيقو" شعورٌ مفاجئ بأنها أمام هُوَّة بلا قرار، والآن بدلًا من أن تحشد "تائيقو" قواها لما هو آتٍ؛ فعلت ذلك "ساتشيقو" وتحفَّزَت وعلا صراخها.

الفصل السادس والعشرون

بكل صباح لبضعة أيام متتالية فور خروج "إتسوقو" للمدرسة و"تينوسوكيه" لعمله؛ تنادي "ساتشيقو" على أختها لتتفقَّد ما وصل إليه قرارها، فتجدها لم تتزحزح قيد أنملة عمَّا انتَوَته.

رأت "ساتشيقو" أنه طالما أن بيت العائلة وجميعهم يوافقون على قطع علاقتها بـ "أوكوباتا" إذن فليتدخَّل أخوها الكبير "تينوسوكيه"، ومن الأفضل أن يتوجَّه مباشرة إليه بحديثٍ واضح كي لا يظنَّ بعد الآن أنها ملكُه، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا لا يُعَدُّ موافقة رسمية على تَعلُّم تفصيل الملابس. وإن كان لا مانع لديها هي وزوجها، ولا يزعجهما أن تصبح سيِّدةَ أعمال بالمستقبل، وسيتظاهران بأنهما لا يعرفان شيئًا. أمَّا عن الأموال التي تحت وصاية بيت العائلة فهذه هي الورطة الآن، ولكن ربما لاحقًا إذا كان هناك استخدام معقول يسلمُّونها إيَّاها. سيتَّضِح ذلك بالوقت المناسب.

تطرَّق حديث "ساتشيقو" لنُصحِها بالعدول عن قرار زواجها بـ "إيتاكورا"، وأجابتها "تائيقو" بأنها ترغب بتعجيل الزواج، ولكنهما ينتظران من أجل "يوكيقو"، وهذا أقصى تنازُلٍ يُمكِنها تقديمه، وهما يتمنَّيان أن تجد "يوكيقو" نصيبها اليوم قبل غد.

تحدَّثَت "ساتشيقو" أيضًا عن مستواه الاجتماعي والفارق بينهما، وعن كَوْن "إيتاكورا" شخصًا غير جدير بثقتهم؛ فهو بعدما كان صبيَّ مَتجرٍ أصبح مُصوِّرًا، ويمتلك متجره، لكن هذا لا يجعله مثل "أوكوباتا". إنها تدري أنه اكتسب دهاءً علَّمَته إيَّاه الحياة، لكن حتى لو كذلك فالوضع الذي تقصده هو من حيث تعليمه وهواياته، والعديد من هذه النواحي التي تعكس تَدَنِّي تفكيره بجانب بساطته غير العادية وتباهيه بأشياء تافهة. كلها أشياء لا تستشعر "تائيقو" وجودها، وتظنُّ الأمر مُمكِنًا طالما لديه المهارة والموهبة بتقنيات التصوير لتجعل منها وظيفةً.

أكَّدَت لها "ساتشيقو" أنها الآن لا ترى عيوب هذا الرجل، ويتوجَّب عليها إعادة التفكير؛ لأنه من وجهة نظرها هو مستوى معيشته مختلف؛ وهذا يعني أن زواجهما لن يستمرَّ طويلًا، وسألتها:

"بصراحة، لماذا شخصية بمستواها يروقها زوجٌ بمثل هذا المستوى المتدنِّي لـ "إيتاكورا"؟".

أضافت "ساتشيقو" إن كان شريك حياتها من ذاك النوع فلن يكفي مصاريف مأكلها، ولا عجب، وستندم، وهذا واضح، وبالنسبة لها شخصٌ همجيٌّ مُزعِج على شاكلته قد يكون مُسلِّيًا لساعة أو ساعتين، وإنما العيش معه للأبد... لن يُحتَمَل.

حاوَلَت "ساتشيقو" أن تتحدَّث إليها على هذا النَّحو، لكن مهما قالت فهي لا تدري الكثير عنه منذ أن كان صبيًّا وأدَّى الخدمة العامة وتجوَّل مع المهاجرين، وهذه هي ظروفه التي لا مفرَّ منها، ولكنها

جعلت منه ليس بشخص تافهٍ، بل هو صادق ونقي المشاعر بأعماق قلبه على نحوٍ لم يكن بالحسبان. عادته بالتفاخُر بتوافهه الأمور ربما هي ما تجعل الكثير يكرهونه، ولكن أليس هذا دليلًا على أنه طفل بريء!

إن كان لم يكمل تعليمه ومستواه ضعيفٌ، لكنها على عِلمٍ بذلك، ولا تنزعج، حتى وإن كان بلا موهبة راقية أو صاحب وجهة نظر، وحتى وإن كان بالنسبة لهم شخصًا فَظًّا شاغر الذهن؛ فبالعكس، إن اتَّخذَت من شخص أقلَّ في المستوى شريكًا لها ستسهل معاملته دون تحفُّظ.

أمَّا "إيتاكورا" فشعر أنه شرفٌ غير عاديٍّ أن يستقبل العروس ببيته، ومن دواعي فخر كلِّ فَردٍ بعائلته أن تأتيهم ابنة عائلة مثل "ماكي أوكا"، وستنزل دموعهم من الفرح لمجرَّد أن تذهب"تائيقو" لبيت "إيتاكورا" في "تاناكا".

قدَّم "إيتاكورا" أخته الصغيرة لتُحيِّي "تائيقو" بلباقة مُتناهِيَة، وكأنه لا فرق اجتماعيًّا أبدًا، ورحَّبَت بها "تائيقو" بودٍّ، وقالت لها إنها إذا لم تستَطِع تقديم العون بالماضي فها هي الآن يمكنها. إنها لا تتعامل مع إخوته على أنهم أقل مكانةً أبدًا، وعلى هذا الحال بالنهاية استتبَّ الوضع في انسجام.

بسماع "ساتشيقو" لهذا الحديث تخيَّلَت "إيتاكورا" وهو فخورٌ بوضع كهذا، بعدما نال عروسًا كريمةَ عائِلَةِ "ماكي أوكا"، وظنَّت أن الأمور ستتأزَّم للغاية؛ فالأمر الذي هو سِرٌّ بالوقت الحالي سرعان ما سيُذاع بالريف.

بالماضي جرَّت "تائيقو" أختها "يوكيقو" لورطةٍ لا شأن لها بها بحادثة الجريدة، أمَّا بهذه المرة فهي تقول إنها لن تُقدِم على أيِّ فِعلٍ طائش، وستنتظر حتى تجد "يوكيقو" نصيبها؛ لذلك فمهما حاصرتها "ساتشيقو" فليس هناك أي كارثة مفاجئة وشيكة الحدوث.

الخوف كله من أنه باستمرارها بالضغط عليها هكذا ستأتي بردِّ فِعلٍ عكسيٍّ، وعلى أية حال، "يوكيقو" ذاتها لتستقر إن أتاها النصيب أمامها على الأقل ستة أشهر، وبهذه الأثناء إذا كانت "تائيقو" على قناعةٍ بأهمِّيَّة أن تتحلَّى بالصبر وتُكرِّس وقتها لما تزاوله من حِرَفٍ يدويَّة؛ فأسلوب "ساتشيقو" هذا سيقودها شيئًا فشيئًا لتفقد صوابها؛ من هنا قرَّرَت "ساتشيقو" أن تتروَّى وتعترف الآن برغبة "تائيقو"؛ فما من سبيل أفضل من عدم معارضتها بشيء.

لكنها لو نظرت بعين العطف لوضع "يوكيقو" وبحثت عمَّا بقلبها ستجدها مستاءَةً من المعروف الذي تُقدِّمه لها "تائيقو" بالانتظار، بل وليس ببعيدٍ أن تجدها مُمتنَّةً لـ "تائيقو". "يوكيقو" نفسها لا تتعجَّل الزواج، و"تائيقو" منحتها سببًا لضياع فُرَص زواجها. "يوكيقو" لا تحمل أي ضغينة لأختها الصغيرة لما تتحمَّله جرَّاء تهوُّرها، وهي على يقين بأن قدرها لن يتأثَّر بمثل ذاك الحادث السخيف، ولا تمانع أبدًا لو تزوَّجَت "تائيقو" قبلها دون أي تَقَيُّد بها.

"تائيقو" أيضًا ليس لديها أي نِيَّة لتقديم معروف، ونفاد صبرها من انتظار زواج "يوكيقو" الذي تأخَّر أمرٌ واقع.

في الأساس لو كان وقتما وقَعَت حادثة الجريدة "يوكيقو" تزوَّجَت بالفعل أو على وشك فعلى حدٍّ سواء؛ هي بالتأكيد لا يروقها مثل هذه الطريقة مهما كان عمرها.

الأهم أن هؤلاء الأخوات علاقتهم طيبة مع بعضهن البعض ولن ينشب بينهم شجار أبدًا، وبنظرة متأنِّية تجد أن تضارُبَ المصالح القوي بين "تائيقو" و"يوكيقو" يتلاشى.

من هذا المنطلق لم تَبُح "ساتشيقو" بأمر علاقة "تائيقو" و"إيتاكورا" لأيٍّ أحدٍ منذ أن تلقَّت الصدمة بخطاب "أوكوباتا" بشهر سبتمبر

الماضي وحتى الآن، لكن بعدما آل الوضع لما هو عليه الآن أصبحت تشعر بثِقَلِ ما تحمله جاثِمًا على أنفاسها.

إنها من أجل "تائيقو" تتحمَّل مسؤولية دعمها الدائم وتتعاطف معها؛ لذا شجَّعَتها على تصنيع الدُّمى وتأجير شقة "شوكوجاوا"، ووافَقَت ضمنيًّا على رفقتها بـ "أوكوباتا"، وتتدخَّل بالدفاع عنها أمام بيت العائلة في كل مرة يحدث شيءٌ ما. هذا كله الآن عاد بنتائج عكسية جزاءً لها. إنها كثيرًا ما كبحت جماح غَضَبِها حيال أسلوب "تائيقو"، ورغم أنها بقلب الحدث وتَملِك زمامَ الأمور، لكن الوضع كل مدى يتَّجِه للأسوأ لأنه ليس بمقدورها فعل أي شيء يضايق "تائيقو" أختها ببيت العائلة، والجميع لا يرونها كذلك.

إن أكثر ما يثير مخاوف "ساتشيقو" الآن هو أن بكل مرة يأتي فيها لـ "يوكيقو" عرض زواج؛ تسنح الفرصة لبحث وكالات التحرِّي في أصول كل شيء، وإن حدث الآن سيعرف الجميع بكل تصرُّفات "تائيقو". على أقل تقدير إن بَدَت "ساتشيقو" كأنها هي أيضًا لا تدري بشيء عن تصرُّفات "تائيقو" وعمَّا انجرفت إليه علاقتها بـ "أوكوباتا" و"إيتاكورا"؛ بالتأكيد سيكون وضعها سيئًا، وسيتهمها الجميع بالتقصير.

يتَّضِح لكل العيون نقاء "يوكيقو"، وبالبحث والتحرِّي ليس هناك أي ما يعيبها، فقط هي "تائيقو" ذات الطبيعة المختلفة عنهن، هي الوحيدة التي تجذب الأنظار بسهولة، وبالتحرِّي عنها تجدها هي مَن تثير الريبة، ورغم أن أفراد العائلة يتولَّون رعايتها إلا أنهم لا يدرون بشؤونها، وكل الناس يدرون.

إذا كان الأمر هكذا، أليس أَوْلَى بـ "ساتشيقو" أن تأخذ في اعتبارها أن "يوكيقو" منذ الربيع الماضي لم يتقدَّم لخطبتها أيُّ أحدٍ؛ فلِمَ لا يكون السبب هو الشائعات حول "تائيقو"؟ والتي بهذه المرة لا يمكن منعها. إذن فمن أجل مصلحة "يوكيقو" لا يمكن التغاضي، ومن حسن

الحظ أن مثل هذه الشائعات لا زالوا يهمهمون بها من وراء ظهورهم في الخفاء، وإنما في حالة أن وصلت لبيت العائلة فمن المؤسف أنها هي وحدها مَن سيُلقَى عليها اللوم، وحينها سيسألها "تينوسوكيه" و"يوكيقو" لماذا لم تصارحهم القول، ولأنها هي وحدها مشكوك في قدرتها على جعل "تائيقو" تعدل عن رأيها؛ ففكَّرت ما إذا حاول ثلاثتهم كل بدوره فربما يُجدي نَفعًا.

"متى حدث كل هذا؟".

بمساء يومٍ ما بعد مرور حوالي اثني عشر يومًا من العام الجديد، دار حديث "ساتشيقو" وزوجها بعدما جلست بغرفة المكتب تُقلِّب صفحات إصدار جديد من مجلة، ولكن بدا عليها وهي ترفع وجهها بنظرات غريبة من حين لآخر أن هناك خطبًا ما، ولاحظ زوجها وسألها، وقَصَّت عليه الأمر.

"لقد أعطته وعدها في العام الماضي حين ذهبتُ إلى "طوكيو"، وتغيَّبتُ أنا و"إتسوقو" والخادمة "أوهارو"، وعلى ما يبدو كان "إيتاكورا" يأتي إلى هنا كل يوم...".

"إذن تقع المسؤولية على عاتقي أيضًا".

" ألم تلحظ أي شيء من قبل".

"أنا عن نفسي لم ألحظ شيئًا... لكن حسبما تقولين، يبدو أن كل الظروف مُلائِمَة، حتى من قبل حادث الفيضان".

"بالضبط، ذاك الرجل هذه هي طريقته وليس مع "تائيقو" فقط".

"فعلًا، مضبوط".

"تُرى، كيف حدث هذا بوقت الفيضان؟".

"في الواقع ذلك الوقت كان مثاليًا، فتلك الطيبة والاهتمام اللذان لم تجدهما برَجُلٍ أثارت إعجابها بشدَّة، و"تائيقو" فَرِحَت بذلك الشعور".

"فهذا ما أرادته، وإلا فلماذا واحدة مثلها تُعجَب برجل كهذا من قاع المجتمع، حقًّا يا للغرابة! وكلَّما قُلتُ لها ذلك تغضب وإن كنتُ لم أَقُل هذا بالضبط، ولكن مجرَّد التلميح يجعلها تدافع كالحمقاء... بذلك فهي مُلمَّة بكل ما سيُقال عنهما من إنها كريمة عائلة ذات حسب ونسب مع شخص مثله".

"كلَّا "تائيقو" لا يعنيها كل هذا، وبقليل من التفكير يتَّضح أنها تتبع المذهب العملي وترغب برجُلٍ كادح قويِّ البنية، حتى وإن كان من الطبقات الدنيا بالمجتمع، وأنا عن نفسي أدعِّم هذا المذهب بصراحة... ماذا عنك "ساتشيقو"؟ ألا تفكِّرين هكذا؟".

"أنتَ ماذا تقول! أتظنُّه من الأفضل أن تتزوَّج من رَجُلٍ كهذا؟".

"ليس كذلك بالضبط، وإنما إذا خَيَّرتِني بين هذا الزواج وزواجها من "أوكوباتا"، سأُرجِّح كفَّة "إيتاكورا"".

"أنا على العكس تمامًا".

ووصل حديث الزوجين إلى هذه النقطة، واختلفت آراءهما على غير المتوقَّع. لقد بدأت "ساتشيقو" تكره "أوكوباتا" تحت تأثير رأي زوجها، والآن هي بالتأكيد لا تُفضِّله لأختها، ومقارنته بـ "إيتاكورا" تبدو مثيرةً للشَّفقة؛ ربما لأنه وَغدٌ مُدلَّل وبلا نفع يُذكَر بالحقيقة، وبعد كل ما رأته منه أيقنت أنه شابٌّ تافِهٌ ومُقزِّز، ولكن فوق كل شيء رُفقَته لها منذ طفولتهما بالبيت القديم برصيف الميناء، وهو من نفس المستوى ونفس النمط فيما يُحبُّه أو يكره، ووقتما يتمُّ زواجهما رسميًّا سيكون الوضع أمام الناس مناسبًا مهما كانت المشاكل المتورِّطين بها. لكن إن تزوَّجَت "تائيقو" من "إيتاكورا"بإرادتها الحُرَّة واختيارها بعيدًا عن رغبة أهلها؛ فمن الواضح جليًّا أن هذا

سيكون مَحط سُخرية المجتمع بكل مَن حولهم؛ لذلك إقلاعها عن فكرة الزواج من "أوكوباتا" ليس هو ما تتمنَّاه "ساتشيقو" أبدًا، بل والأكثر أنها ترى أن زواج "أوكوباتا" هو الخيار الأفضل للحيلولة دون المشكلات الناجمة عن زواجها من "إيتاكورا".

كان هذا هو رأى "ساتشيقو" في حين أن زوجها "تينوسوكيه" بهذه الجزئية كان تفكيره متطوِّرًا عنها، ويظنُّ أنه بِغَضِّ النظر عن المستوى الاجتماعي لـ "إيتاكورا" فـ "أوكوباتا" لا يتفوَّق عليه بأي شيء، وإن كانت شروط الزواج صحيحة كما تقول "تائيقو" وأهم شيء لديها هو أن يتوفَّر به شروطها الثلاثة: الاعتماد على الذات، الصِّحَّة، والحب، و"إيتاكورا" اجتاز إختباراتها فلا داعي للتعنُّت بصَدَد مستواه الاجتماعي والتعليمي أليس كذلك؟

وإن كان "تينوسوكيه" لا يروقه "إيتاكورا" إلى ذاك الحد لكنه يربح المقارنة بـ "أوكوباتا"، وهو متأكِّد أن بيت العائلة لن يسمح، وهو لا يرغب بأن يتوسَّط بالأمر وقتما يَصِلهم، وعندما طلَبَت منه زوجته أن يتحدَّث من منطلق أن لها شخصيَّتها وحياتها، وهي لا تميل للطريقة التقليدية بالزواج، وأنها وجدت الشخص الذي تحبُّ أن يشاركها حياتها، وهي يمكنها أن تتزوَّجه بإرادتها، وهذه الطريقة بحالة "تائيقو" أفضل لها من الزواج التقليدي، وهي أدرى بأمورها، وليس من الحكمة أن يتدخَّل أحدٌ. لو كانت "يوكيقو" بمكانها لَمَا استطاعت أن تتخلَّص من مشكلة الناس من حولها، وهم مهما اعتبروا المسألة ورطة، ولا بُدَّ من أن تتزوَّج كلتا الأختين بالترتيب، ولا بُدَّ من مسألة النَّسب والممتلكات؛ فـ "تائيقو" وضعها مختلف. هي متحرِّرة، ويمكنها الاعتماد على ذاتها بالتأكيد؛ ظلَّ "تينوسوكيه" للنهاية موقِفه سلبي ويتمسَّك بقولٍ واحدٍ بعدما استمع لرأي زوجته، وهو أن بكل الأحوال بيت العائلة لن يقبل، وسيُورِّطه مع "تائيقو"، وهو بهذه المشكلة من أولها لآخرها يعتبر نفسه غريبًا، واستنكرت "ساتشيقو" قائِلةً:

"ولماذا إذن...!".

فهمهم متردِّدًا:

""تائيقو" حقًّا شخصية مُعقَّدة أنا لا أفهمها".

"حقًّا. بالرغم من أنني أنحاز لها إلَّا أنني أخشى أن يُساء فهمي؛ لأنها تنتقم ممَّن يسيء معامَلَتها".

"فعلًا، هذا ما أقوله، شخصية مثلها أيضًا جذَّابة بكلِّ مُميِّزاتها، وستفعل أي شيء".

"إذا كان الأمر هكذا فمن الأفضل مصارحتها سريعًا، فإذا فكَّرتَ في خداع شخص مثلها بهذه المرَّة فعلًا ستغض... ستثور ثائرتها...".

بدا وجه "ساتشيقو" طفوليًّا، واعتلته ملامح الانزعاج، وظنَّ "تينوسوكيه" أن وجه زوجته الذي عليه دموع الأسى واحتنق حُمرةً بالطَّبع كانت هذه ملامحه وقت شجار الأخوات بوقت بعيد مضى، وظنَّها يتملَّكها الحنين لوقت طفولتهم.

الفصل السابع والعشرون

لم تعبأ "تائيقو" برأي أحدٍ أو بالمشاكل الوشيكة؛ فهي تتصرَّف كما تحبُّ، على العكس من "يوكيقو" التي لا حول لها ولا قوَّة، وحالتها مُزرِيَة منذ انتقالها للعيش بـ "طوكيو"، وهذا ما ألحَّ على فكر "ساتشيقو" بشدَّة.

بسبتمبر الماضي حين ودَّعَت أختها الكبيرة على رصيف المحطة بـ "طوكيو" أكَّدَت عليها ضرورة أن تجد عرض زواج لـ "يوكيقو"، لكن هذا العام ليس بعام حَظِّها[1] وعلى أية حال، التفكير في عام مضى لن يُجدي نفعًا، وعلى أقل تقدير لا يزال هناك أسبوع على إجازة الشتاء[2].

ماذا إذا أصاب تخمينها وسمعة "تائيقو" وما يدور حولها من أقاويل أعاقت فُرَصَ زواج "يوكيقو"؟ "ساتشيقو" مُلقى على عاتقها

(1) تعتبر سنوات العمر غير المحظوظة للرجال هي سن 25 و42، وللنساء 19 و33.

(2) إجازة أواخر الشتاء، والتي وفقًا للتقليد الياباني تكون في الثالث أو الرابع من فبراير.

نصف المسؤولية، هكذا ظنَّت، وشعرت أن خطأها بحقِّ "يوكيقو" لا يُغتَفَر.

إن "يوكيقو" أيضًا هي أكثر من سيتفهَّم عدم رضاها عن "تائيقو" الكامن بين ضلوعها و"ساتشيقو" تنوي استدعاءها لتقصَّ عليها ما حدث منذ وقت طويل، لكنها تخشى وقع الخبر عليها أنه سيعيدها عن غير قصد لتفكِّر بالتأثير الملموس الذي سيطالها من فضيحة الحب الجديد لأختها.

من ناحية أخرى فكَّرَت "ساتشيقو" أنها مهما خبَّأت الأمر وعرفت به "يوكيقو" لاحقًا ستستاء، ولن يكن بالسهل عليها وبالنهاية بمثل هذه الأجواء، و"تينوسوكيه" يريد أن يتحلَّى بالحكمة، فلا يتبقَّى أمامها حلٌّ أفضل من "يوكيقو" لتشاركها النقاش؛ لذا بحثت عن أي حجَّة لاستدعائها. لعل الحفل الراقص لذكرى وفاة المعلمة "أوساكو" بنهاية الشهر القادم الذي سيقام بالمجمع التجاري "ميتسوقوشي" بقاعة الطابق الثامن سيكون مناسِبًا.

الحفل الراقص على نمط القرى الجبلية في ذكرى وفاة المعلمة "أوساكو"

الموعد: يوم 21 فبراير 1945

(الافتتاح الساعة 1:00 مساء)

المكان: "قوراي باشي" المجمع التجاري "ميتسوقوشي"

ساحة الدور الثامن

العروض: المبخرة (إهداء إلى روحها)، الرحمة بدلو، علاقة مع القمر، دعوة للشاي، ثمانية مناظر خلَّابة، طيور النورس، ربما لا يسوى، الثلوج، طوق معدني، تذكار من عصر إيدو، اليابان، ملاط الخزف، الشَّعر الأسود. سيقدم الحفل بهذا اليوم بمذيع برنامج تلفزيوني شهير

سعر الاشتراك: مجانًا (ممنوع بدون بطاقة الدعوة)

تاريخ التقديم 19فبراير للأعضاء وعائلاتهم الموقَّرة

على الراغبين تقديم طلب للحصول على تذاكر الذهاب والإياب، والتي ستُرسَل مع بطاقة الدعوة

برعاية جمعية ساكوياماورا المحلِّيَّة

بدعم جمعية "أوساكا"

على الفور بشهر فبراير أرسلت "ساتشيقو" خطابًا إلى "يوكيقو" وأختها الكبيرة ببيت العائلة، مُرفَق به الدعوة المطبوعة من قبل اجتماع أهالي المنطقة.

كتبت "ساتشيقو" للأخت الكبيرة بعبارات سَلِسَة:

"أمَّا عنك "تسوروقو" فلعلَّكِ تَظنِّين بمجرد أن تأتي "يوكيقو" ستواتيها فرصة ما جيِّدة، وهذا ما تتطلَّعين إليه، فالعام الماضي مرَّ دون أي أخبار مُفرِحَة، وها نحن بأواخر الشتاء من العام الجديد. لكن ليس هناك موضوعٌ بعينه، إنني فقط لم أرها منذ وقت طويل، وعندنا هنا مناسبة هي تحبُّها، فإن لم يكن لديك أي مانع فهل يمكن إرسالها إلينا لبعض الوقت؟ لحُسن الحظ هناك ملتقى لرقص القرى الجبلية، ومرفق الدعوة بالمظروف، وستقدم "تائيقو" عرضًا، ونتمنَّى أن تأتي "يوكيقو" وتشاهدها.

أمَّا عنكِ "يوكيقو" فالملتقى بهذه المرة تحديدًا تخليدٌ لذكرى المعلمة الراحلة، والاحتفالات من هذا النوع يصعب اللحاق بها بالموعد المحدَّد؛ لذا من فضلك تعالَي على الفور، "تائيقو" أيضًا عرفت بالأمر فجأة، وهي مُقصِّرة بتدريباتها، ولأوَّل وهلة فكَّرَت بالاعتذار عن المشاركة؛ ظنًّا منها أنه لا وقت، ولكن طالما الحفل

لتأبين مُعلّمتها الراحلة فلا بُدَّ أن تقبل؛ ولذلك إن فاتتك هذه المرة فلن تأتي فرص أفضل لمشاهدة رقصات "تائيقو". إنها بظلِّ هذه الأجواء لا يُسعِفُها الوقت للاستعداد بشيء جديد؛ لذلك هي تتدرَّب في عجالة على رقصة العام الماضي "الثلوج" مرَّةً أخرى، إنما الملابس فقط هي التي لا يمكن أن تظهر بها مرَّةً أخرى؛ لذلك فالرِّداء الذي ابتاعته العام الماضي بصبغة متاجر "قوزوتشا" سيكون اختيارًا مثاليًّا سأجعلها ترتديه، حيث إنه سيشاهدها خيرةُ تلامذة المعلِّمة الراحلة والسيد "ساكو إينيه" مالك ساحة التدريب بـ "شينماتشي" في "أوساكا".

إنها تتدرَّب يوميًّا، وتراجع الألحان معي، وبتلك الأثناء كالمعتاد تُكدِّس كل شيء جانبًا بغرفة عَمَلِها لتستطيع مواصلة التدريب، وبالتالي فهي تجعلني أنا أيضًا مشغولة يوميًّا بالعزف، لكني أعزف مقطوعة "الثلوج" بالعود الياباني التقليدي؛ فأنا لا أجيدها على العود ثُلاثيِّ الأوتار. على أية حال، أنا لستُ مُستاءةً، وإن كان عليَّ أن أعير انتباهًا لعديد من الأشياء الأخرى التي ليس لي بذكرها في الخطاب؛ لذا أطلب منك المجيء. أريد أن أقصَّ عليك.

حين شارَكَت "تائيقو" بملتقى الرقصات العام الماضي لم تكن "تسوروقو" هنا، وبهذه المرة ليس لك أن تتغيَّبي أنت أيضًا".

كان هذا ما كتبته "ساتشيقو"، لكنها لم تتلقَّ أيَّ رَدٍّ من أيٍّ من أختَيْها؛ فتوقَّعَت أن تأتيها "يوكيقو" فجأة كما فعلت من قبل.

وفعلًا بمساء يوم العيد القومي[1] و"تائيقو" تتدرَّب مرتديةً ثيابها وممسكة بطرف ردائها بالغرفة الغربية الطراز رَنَّ الجرس:

"ماذا، أختي؟".

(1) يوم 11 فبراير كان يعتبر عيدًا قوميًّا وإجازة اليوم الامبراطوري من عام 1872 وحتى 1948.

وقبل أي أحد خرجت الصغيرة مُسرِعةً وتنادي بصوت عالٍ على "يوكيقو" بأختي الكبيرة كما اعتادت، ولا تنعتها بخالتي.

"أهلًا وسهلًا، تفضَّلي تفضَّلي".

واستقبلتها "أوهارو" وفتحت باب غرفة المعيشة.

دخلت "يوكيقو" ولم تجد سوى كرسي طويل واحد هو المتبقِّي، والمنضدة، وأخلوا المكان من كل المقاعد الوثيرة ذات المسند، والسجاد ملفوف وموضوع جانبًا، و"تائيقو" في المنتصف، وعلى رأسها الحليُّ المميَّزة باللون الوردي وبالملابس المذكورة في الخطاب سابقًا ذات النقوش بورد الكاميليا وفروع ثمار الخوخ بالثلوج على أوراقها ذات اللون الأرجواني الداكن وبيدها المظلَّة، و"ساتشيقو" بالزاوية تجلس على وسائد الجلوس الأرضية وبجانبها العود ذو الزخارف اللامعة والرسومات.

حين انزاح طرف الطبقة الثانية من رداء "تائيقو" ذي النقوش لجزيرة "أووچيما" تراءى لـ "يوكيقو" "تينوسوكيه" جالِسًا على المقعد الطويل؛ فأومأت له تُحيِّيه بهدوء.

"... يمكنني سماع ألحان العود من بُعد...".

"حبيبتي "يوكيقو" ظنَنتُكِ لن تأتي".

ووقع ناظرا "ساتشيقو" على أختها التي لم تلتقِ بها منذ حوالي ستة أشهر وكانت لا تزال تضع أناملها على أوتار العود، وأختها الحبيبة التي كوردَةٍ متفتِّحة في حيائها بدا على ملامحها الإرهاق من السَّفَر، لكنها لم تتخلَّ عن ابتسامتها.

"هل جِئتِ بالقطار السريع؟".

سألتها الصغيرة، لكنها لم تُجِبها واتَّجَهَت لـ "تائيقو" تسألها:

"هل هذا شَعرٌ مُستعار؟".

"نعم، جلبتُه اليوم سريعًا".

"رائعٌ، يليق بك أختي... أريده حين أعقص شعري لأعلى، وأنتِ ستساعدينني في تثبيته".

"حسنًا، وإن بدا جيِّدًا سأعيرك إيَّاه".

"ضعيه وأنت عروس، أمَّا أنا فسأضعه على رأسي وأبدو كالحمقاء الآن".

وألقت "ساتشيقو" بدعابتها وتلقَّتها "يوكيقو" بصدر رحبٍ والابتسامة على وجهها، فهي إن وضعت تاجًا على رأسها سيتوارى مُعظَمه من كثافة شَعرِها، وسيتبقى جزءٌ منه منسدلًا.

""يوكيقو" لقد جِئتِ بالوقت المناسب".

قالها "تينوسوكيه" مستطردًا:

"... اليوم جاءت "تائيقو" بالشَّعر المستعار وارتدت ملابسها وأدَّت الرقصات على أكمل وجه. إن يوم 21 بالشهر سيوافق يوم الثلاثاء، فلستُ متأكِّدًا من استطاعتي الحضور لمشاهدة العرض، ولكني رأيتها اليوم ترقص... لا ينقصها شيء".

"للأسف "إتسوقو" أيضًا لن تستطيع الذهاب".

"حقًّا! لماذا؟".

"إنها بهذه الآونة تبدو غير متحمِّسة".

"حسنًا إذن، وماذا عنك "ساتشيقو"؟".

سألتها "تائيقو" وبيدها اليمنى المظلَّة مفتوحة.

"الآن أريد أن أعزف مرَّةً أخرى".

"هيا التزموا الصمت، فلنبدأ من الأول".

قالها "تينوسوكيه"، ولحِقَت به "ساتشيقو" تُعيدُ نفس العبارة.

"هيا يا "تائيقو" ويا "ساتشيقو"... دعونا نشاهد".

""تائيقو" مُتعَبَة للغاية، هل سترقص مرَّةً أخرى؟".

وأجابت عنها "ساتشيقو".

"إنه مجرَّد تدريب، هيَّا، فلنبدأ".

"أنا عن نفسي إن جلست على الأرض فلن أتحمَّل البرودة".

"سيدتي، هل أدخل المدفأة إلى هنا؟ إن جعلتها بالقرب منك ستُحدِث فَرقًا لحضرتك على ما أظنُّ "، سألت "أوهارو"

"حسنًا، اجلبيها".

"فلأستَرِحْ قليلًا إذن"، قالتها "تائيقو" ووضعت المظلَّة جانبًا، وأمسكت بأطراف ثوبها، ورويدًا رويدًا بلغت المقعد الطويل حيث يجلس "تينوسوكيه" واستندت جواره وقالت:

"عفوًا، أمهِلوني دقيقة واحدة من فضلكم "، وأشعَلَت سيجارتها من نوع "GELEBE SORTE".

"أنا أيضًا أودُّ أن أغسل وجهي وسأعود"، وهمَّت "يوكيقو" بالخروج.

وعلَّقَت "ساتشيقو" قائلة:

""يوكيقو" حبيبتي دائمًا ما تبتسم هكذا".

"حبيبتي أنت، اليوم أَتَتكِ "يوكيقو" و"تائيقو" ترقص لعدَّة مرَّاتٍ... ويا للترف الذي أنتِ به الليلة!".

"وماذا عن كل الالتزامات التي عليَّ القيام بها؟ إنني لم أُعِدَّ أي شيء لهذه الليلة".

"مهما كان، سَلِمَت يداك".

"ماذا تُفضّلين "تائيقو"؟ مأكولات شرقية أم بحريَّة؟".

"في الحقيقة كلاهما جيد، اسألي "يوكيقو"".

"بما أنها منذ وقت طويل بـ "طوكيو" فبالتأكيد ستُفضِّل سمك الدِّنيس الطازج".

وأضاف "تينوسوكيه":

"ومن أجل "يوكيقو" سآتيكم بقنِّينة نبيذٍ أبيض".

"حسنًا، طالما الأمر كذلك فعليَّ أن أُقدِّم أفضلَ ما لديَّ بالرقص".

وعادت "أوهارو" بالمدفأة، وزمَّت "تائيقو" أطراف ثوبها بعدما أطفأت سيجارتها بآثار أحمر شفاهها بالمرمدة.

الفصل الثامن والعشرون

يوافق اليوم الحادي والعشرين من الشهر، و"تينوسوكيه" مشغول بمهام تنظيمية بالشركة، ويبدو أنه لن يتمكَّن من الذهاب للحفل، وبالصباح جاءته مكالمة هاتفية من زوجته تطلب منه حتى ولو المجيء لمشاهدة رقصة "الثلوج" فقط، وستخبره قبل أن تبدأ بقليل، وإن كانت تتمنَّى لو جاء من الآن، وبالفعل أخبرته "ساتشيقو" قرابة الساعة الثانية والنصف، لكنه ما إن أوشك على الخروج حتى جاءه عميلٌ واستمرَّ حديثهما في شؤون العمل حوالي نصف ساعة، وإذا لم يذهب الآن على وجه السرعة لن يلحق، وجاءته مكالمة أخرى من "أوهارو" لتتعجَّله، وخرج مُسرِعًا فور خروج عميله، وقطع المسافة من مكتبه بمحطَّة "ساكاي سوچي" حتى مصعد المجمع التجاري "ميتسوقوشي" على الناصية قبالة خَطِّ السكة الحديد كلها عَدْوًا دفعةً واحدة بدون أن يرتدي قُبَّعته.

صعد "تينوسوكيه" للطابق الثامن، وكانت لا تزال "تائيقو" تؤدِّي فقرتها.

على حسب قول "ساتشيقو" ملتقى اليوم ليس للجمهور العام، وإنما هو بالأساس لقرَّاء مجلة "كيكانشي" الدَّاعِمة لهذا الملتقى مع أعضاء جمعية "أوساكا" بجانب أعضاء الجمعية المحلية، ولم يكن من المتوقَّع أن يأتي كل هذا الجمع، ولكن يبدو أن الحدث نادِرٌ بهذه الأيام؛ لذا فالكثير ممَّن استلموا الدعوات لديهم الشغف. كل المقاعد انشغلت وظلَّت حشود تقف بالخلف. "تينوسوكيه" أيضًا لم يكن لديه مُتَّسع من الوقت للبحث؛ فانضمَّ للأشخاص الواقفين، لكنه تنبَّه فجأة لرجُلٍ عينه لصيقة عدسة آلة تصوير من نوع "Leica" موجَّهَة نحو منصَّة العرض، ترك مكانه للتَّوِّ ووقف في الصف الأخير مع باقي المشاهدين. إنه "إيتاكورا" بلا شك.

توارى "تينوسوكيه" هارِبًا لزاوية بعيدة بالجهة الأخرى كي لا يعثر عليه أحد، ومن حين لآخر تفحَّص خلسةً "إيتاكورا" الذي اختفى وجهه خلف طيَّةِ عُنُق سُترَتِه ويكاد لا يرفع رأسه عن آلة تصويره، وهو يلتقط الصور لـ "تائيقو" واحدة تلو الأخرى.

إنه كان يتعمَّد تفادي نظرات الناس، وإنما معطفه الذي جلبه معه من "لوس أنجلوس" بنقوشه المُبهِرَة كالَّتي يُفضِّلها نجوم الأفلام جعلته ظاهِرًا بين الجموع...

رقصة الثلوج هي نفسها التي أدَّتها "تائيقو" بالعام الماضي لذلك بهذه المرَّة لم يصدر منها ولا خطأ. بهذه المرة فور أن اتَّخذت قرارها بتقديم الفقرة بدأت التدريبات المتواصلة لمدة شهر فقط بعد توقُّف لفترة ليست بقصيرة، علاوة على أن هذه تُعَدُّ أول مرَّة ترقص بها على منصَّة أمام حضور رسميٍّ، فما يُقال عليه الجمعية المحلية هو مجرَّد منصَّة بغرفة يابانية الطراز بمنزل السيد "كاميسوجي"، لا تختلف عن

غرفة منزلهم، وإن كانت أيضًا هذه المنصَّة ليست بالاتِّساع المنشود، ولا تشعر بالبراح من حولها، لكنها ليست كالسابق تهاب الموقف أوَّلًا ثم يتحسَّن أداؤها؛ إنها اليوم لم تتوقَّف أو تخاف أبدًا، وقلقها تحديدًا من ابنة المعلِّمة "كيكو أوكاكنجيو"، مُعلِّمة عزف العود لـ "ساتشيقو"، والتي ستتولَّى العزف اليوم.

حين رآها "تينوسوكيه" وجد أداءها بمنتهى الثَّبات، دون أن تَفقِد حضورها، وكما هي على طبيعتها، وبفضل تدريباتها طيلة الشهر لم تكن مثل هؤلاء المبتدئات اللائي تمَلَّكَهنَّ الخجل على خشبة المسرح.

هذا الأمر لا يدركه المشاهد العادي، لكن بالنسبة لـ "تينوسوكيه" الذَّوَّاقة، الذي لا يعبأ بالمدح أو الذَّمِّ، ويظن أن الرقص بجراءة هو ابتذال، فرأيه في أدائها المتحمِّس وهي امرأة تجاوَزَت التاسعة والعشرين من عمرها، ولو كانت فتاة جيشا لاعتُبِرَت مُسِنَّة جاء بمحلِّه وليس بغريب.

بالملتقى الراقص بالعام الماضي أيضًا بدت "تائيقو" أصغرَ من عمرها بعشر سنوات، واليوم الشعور بشخصيتها الحقيقية غالِبٌ. حتى وإن كانت الأزياء من عصر "طوكوجاوا" والعصور الوسطى تُكسِب السيدات عُمرًا فوق أعمارهنَّ، فهذا ليس بالنسبة لها؛ فحيويَّتها المعتادة وحماستها بملابس العصور السالفة تطغى.

فور انتهاء فقرتها لاحظ "تينوسوكيه" "إيتاكورا" وهو يخطو خطواته مُسرِعًا بالردهة وآلة تصويره على كتفه، وخرج من البوابة واختفت هيئته في نفس اللحظة، ومن بين مقاعد الحضور اندفع أحدهم بقوة ليخرج مُتعقِّبًا الفتى ذا السُّترة المُبَهرَجَة، ورآه "تينوسوكيه" يخرج هو الآخر من نفس البوَّابة ويختفي.

تفاجأ "تينوسوكيه" من فعل ذاك الشاب الأنيق، لكن بعدها بلحظات أدرك أنه "أوكوباتا"، وخرج بدوره ولحق بهما.

"لماذا تلتقط الصور لـ "تائيقو"؟ ألم تقطع على نفسك وعدًا بأنك لن تفعل؟".

حاول "إيتاكورا" كَظمَ غيظه والسيطرة على نفسه كي لا تعلو نبرة صوته وهو يوبِّخه، و"إيتاكورا" انتفخت أوداجه وتجهَّمَت ملامحه إثر ما يتلقَّاه من إهاناتٍ، واستمع في صمت مُنكِّسًا رأسه.

"... أعطني هذه الكاميرا".

قالها "أوكوباتا" وكأنه مُحقٌّق يتقفَّى أثر جريمته. جذب "إيتاكورا" إليه وفَكَّ أزرار سترته وأدخل يده بجيب ملابسه وأخرج آلة التصوير وانتزعها منه، وهمَّ بإدخالها بجيبه، لكنه انتظر برهة وفكَّر بشيء ما، فأخرجها وتحسَّسها بأصابعه وفتح عدستها، وبعزم قوَّته ألقى بها على الأرض الخرسانيَّة وذهب دون أن يلتفت خلفه. في طرفة عين حدث هذا كلُّه، وحين تنبَّه الحضور من حولهم كان "أوكوباتا" غادر بالفعل ولا يُلمح ظِلُّه، وإلتقط "إيتاكورا" آلة تصويره من على الأرض وغادر مُحبَطًا.

روى "تينوسوكيه" المشهد لاحِقًا:

"لا أدري من أين ظهر "أوكوباتا"، لكنه بلا شك كان يبحث عن "إيتاكورا" هنا وهناك من البداية، ورآه بنهاية الفقرة بنفس الوقت الذي رأيتُه أنا، وبمجرَّد أن وقعت عينا "أوكوباتا" على "إيتاكورا" وهو يخرج مُسرِعًا حتى لحق به وأمسكه دون أن يضيِّع الفرصة. لا يمكن الحكم على المشهد ككل؛ فيبدو أن هذا الموقف له ملابساته".

هكذا قَصَّ "تينوسوكيه" على زوجته، لكن تُرى إن كان شاهد هذه المسرحية الهزلية من قُربٍ، فهل لم يلحظه أي منهما؟ أم لاحظاه، ومن خجلهما تَظاهَرَا بالعكس؟ هذا ما لم يعرف حقيقته.

قالت "ساتشيقو" إنها هي الأخرى لم تتوقع مجيء "أوكوباتا" للملتقى اليوم، وحين قابل "تائيقو" شعرَت بوجود خطب ما، وسألتها بالفعل، ووجدتها لا تدري شيئًا، ربما لأنها لم تتطرَّق بالحديث معه عن أي شيء بخصوص اليوم.

"أوكوباتا" بأي يوم بخلاف الأحد -أي بمساء كل يومٍ- يتواجد بالمتجر لبضع ساعات ليزاول عمله، وعادة ما لا يبرح مكانه، هكذا تقول "تائيقو"، لكن ربما بعد ما ذُكِر عن هذه المناسبة بعدَّة أسطر بمقالٍ بعمود الفنون الجديدة قرأ "أوكوباتا" عنها وعرف بشأنها، ومن الطبيعي أن يُخمِّن اشتراك "تائيقو"، وبطريقة ما حصل على الدعوة، وفَكَّر في الحضور والتواجُد بين مقاعد المشاهدين، لكن قبل بدء فقرة رقصة "الثلوج" لم ينتبه إليه أحد، حتى إن "يوكيقو" تواجَدَت بالأكثر بين صفوف المشاهدين، وليس بغرفة الملابس، وإذا كان حضر فلا بُدَّ أنها لاحظته، لكنها لم تذكر شيئًا. ربما هي دخلت من بعده، أو ربما أضمر "أوكوباتا" بنفسه شيئًا واختبأ بين الجموع كي لا يجده أحدٌ، وهكذا لم تعلم "تائيقو" أيضًا بمجيئه هو أو "إيتاكورا".

أضافت "ساتشيقو" أنها هي أيضًا و"يوكيقو" لم تكن أيٌّ منهما على عِلمٍ بوجود أيٍّ من الاثنين، والأكثر أنه لا أحد منهم يدري شيئًا عن واقعة المشاجرة تلك.

"بهذه الحالة فإن كلَّ مَن بغرفة الملابس لا يدرون شيئًا، فحقًّا لو عرف أيُّ أحد بشيءٍ لساء الوضع أكثر".

"إذن، "إيتاكورا" كان هو الطرف الأضعف؛ لذا لم يَزِد من المشكلة، لكن من أجل "تائيقو" تناسى الشابَّان أين هما، وتشاجَرَا. حقًّا إنه

موقف لا تُحسد عليه، وسرعان ما سيُذاع الخبر بين الناس، تُرَى ما أنسب حَلّ؟".

"أنت تقول هذا لأنك دائمًا ما تبحث عن القلق".

"بالفعل أقلق، ولكني ليس بيدي شيء... هل لا تزال "يوكيقو" لا تدري بشأن "إيتاكورا"؟".

"لقد استدعيتها هذه المرَّةَ لأخبرها وأتناقش معها، لكنِّي لم أفعل بعدُ...".

بالحقيقة نَوَت "ساتشيقو" أن تفعل بعد انتهاء الحفل، وبعدما دار هذا النقاش بين الزَّوجَيْن ببضعة أيام، أرادت "تائيقو" أن تُلتقط لها صور وهي ترقص؛ فأخذت هذه الملابس مرَّةً أخرى وطوتها بحقيبة وجمعت حُليَّ شعرها بصندوق وأخَذَت المظلَّة وكدَّسَت كلَّ شيء بسيارة أجرة وانطلقت، وبقيت الأختان لحالهما، وسنحت الفرصة أخيرًا.

"بالتأكيد "تائيقو" ذاهبة لمتجر "إيتاكورا"".

وكان هذا مُنطَلَقَ الحديث، وقصَّت عليها "ساتشيقو" باختصارٍ بدايةً من تَلَقِّيها الصدمة بتحذير "أوكوباتا" لها وهي بـ "طوكيو" في سبتمبر الماضي، وصولًا إلى مشهد المشاجرة بالرَّدهة يوم الملتقى الراقص مُؤخَّرًا.

"إذن، انكسرت الكاميرا الـ "leica"".

وكان هذا أوَّل تعليق من "يوكيقو".

"وماذا كان سيفعل! على الأقل خُدِشَت العدسة على حدِّ قول "تينوسوكيه"".

"إذا تَضرَّر الفيلم أيضًا فلن يستطيع إصلاح شيء".

"حقًّا! لا أدري...".

رَوَت "ساتشيقو" وهي تتوخَّى الحذر وتراقب"يوكيقو" التي استمعت لها في هدوء.

"أنا أيضًا بهذه المرة فعلًا أشعر بمعنى تَعرُّض "تائيقو" للخيانة ويثور غضبي حين أفكِّر بالأمر... إذا قُلتُ إن الموضوع منذ مدَّة طويلة أجد أن الوضع لا يُبشِّر بالخير أبدًا؛ فمن البداية ومثل هذا الشخص يثير المتاعب، حتى بالنسبة لك".

"حقًّا أنا لا أدري".

"الأمر ليس جيِّدًا على الإطلاق، بداية من حادث الجريدة ونحن نتأذَّى إلى أقصى حد... مثلًا من ناحية عروض الزواج التي تأتيك "يوكيقو"، ربَّما لو لم يحدث ذلك لَمَا انجرَحَت مشاعرك، ولما أعاقك شأن أختك... رغم أنَّ من عادتك دائِمًا أن تدافعي عنها وتقفي بِصَفِّها، إلَّا أنها لم تَبُح لكِ ولا بكلمة واحدة عن "إيتاكورا" ووعودها له".

"هل تحدَّثت مع "تينوسوكيه"؟".

"نعم، لم أستطع كتمان الأمرَ بقلبي وحمله بمفردي أكثر من ذلك".

"وما رأيه؟".

"ليس له رأي. يعتبر نفسه غريبًا عن العائلة، وليس له أن يتدخَّل... هكذا يقول".

"ولماذا؟".

"يقول إن شخصية "تائيقو" غامضة... بمعنى أنها لا تثق بأحد، وستقول له ليس من شأنك، لكنه يَظنُّ أن شخصية مثلها مُستَقِلَّة بحالها يُستَحسَن ألَّا يُوجِّه إليها الحديث من منطلق إنقاذها من المشاكل؛ فهي إن أرادت الزواج من "إيتاكورا" ستفعل، ومن الأفضل

تركها تفعل ما ترغب به مهما كان. إنها ستفعل ما تريده، وهذا ما يميل إليه "تينوسوكيه"، وأنا أختلف معه، وناقَشتُه".

"من وجهة نظري تحدَّثي إليها".

"هذا حقًّا ما أريده. لا سبيل لنا سوى أن نتحدَّث إليها أنا وأنتِ "يوكيقو" بالتناوُب؛ لعلَّنا نُصحِّح تفكيرها، والأهم أن عليها الانتظار إلى أن يَتمَّ زواجُكِ".

"أنا حقًّا لا أُمانِع أبدًا أن تتزوَّج قبلي إن التقت بشريك حياتها، لكن...".

"لكن ليس لدرجة "إيتاكورا"".

"على وجه العموم، هل لها أن تختلف معنا على أنَّه من مستوى أقل؟".

"لا أعرف".

"أنا عن نفسي لا يناسبني أن يكون لي أخٌ مثل "إيتاكورا"".

توقَّعَت "ساتشيقو" أن يكون رأى "يوكيقو" مثلها بالطبع، ووجدت موقفها معارِضًا أكثرَ منها، لكن بشخصيتها المتحفِّظة ليس لها أن تُصرِّح بذلك، وبالمثل تُرحِّب بموضوع "أوكوباتا"، وعن طيب خاطر، مُقارَنةً بـ "إيتاكورا". إنها توافق "ساتشيقو" الرأيَ تمامًا، وفوق ذلك تبدو أكثر اقتناعًا من وجهة نظرها بزيجة "أوكوباتا" مهما كانت.

الفصل التاسع والعشرون

بعودة "يوكيقو" أصبح بيت "أشييا" مُنمَّقًا مرَّةً أخرى كما كان من قبل وبعد مرور فترة طويلة.

"يوكيقو"، قليلة الكلام، الهادئة، التي لا تشعر بحضورها من عدمه؛ فهي نشأت وحيدةً ببيتٍ مُميَّز لم يكن يعجُّ بالحركة، وتوارت البهجة بشخصيتها الفريدة. إن اجتمع ثلاثتهم تحت سقفٍ واحد حلَّت نسائم الربيع، وإن غابت إحداهنَّ فُقِد الانسجام.

جديرٌ بالذِّكر أن بيت عائلة "STOLZ" الذي ظلَّ شاغِرًا لمدَّةٍ طويلة أخيرًا تَمَّ تأجيره، وبكل مساء ينعكس بريق لهب موقد الطهي على الباب الزجاجي.

الساكن الجديد سويسريٌّ، وهو مستشار بشركة في "ناجويا"، وهو غير متواجد باستمرار بالمنزل، وباقي الأسرة يظهر على هيئتهم أنهم أجانِبُ. ربَّة المنزل شابَّة تبدو فلبِّينيَّة أو صينيَّة، وتغزل الكِتَّان لكسب

لقمة عيشها، وهما ليس لديهما أطفالٌ؛ لذا فلم يَعُد المنزل مُبهِجًا كما كان بالسابق، بل كثيرًا ما يقبع في سكون، لكن على أية حال فالفرق شاسِعٌ قبالة السور بوجود أناس تُعمِّر البيت الغربي الطِّراز بعدما كان خاويًا تسكنه الأشباح. مرَّةً أخرى تمنَّت "إتسوقو" لو كان بالجوار طفلة مثل "روزماري"، وتحطَّمَت آمالها، ولكنها استطاعت أن تُكوِّن العديد من الصداقات الجديدة مع رفاقها بالصف، والفتيات هُنَّ الفتيات بأيَّة مرحلة كانت، يصنعن عالمهن الخاص، ويتبادَلنَ الدَّعوات للاحتفال بأعياد ميلادهن، ويجتمعن بلقاءات لاحتساء الشاي.

ظلَّت "تائيقو" في انشغالٍ دائم كالمعتاد، والساعات التي تقضيها خارج البيت أكثر ممَّا تُمضيها به. حدث باليوم الثالث من الشهر أنها لم تتواجد على العشاء لأوَّل مرَّة، ولم يتصوَّر "تينوسوكيه" غيابها، بل ظَنَّ أنها بالبيت ولكن تُفضِّل البقاء لحالها بعيدًا عن الصخب؛ فثارت مخاوفه التي خبَّأها في سريرته؛ تُرى، هل بهذه المرة ستحدث قطيعة بين "تائيقو" وأُختَيْها؟ وماذا حدث بينها وبين "يوكيقو" تحديدًا؟

لكنه بأحد الأيام حين عاد بالمساء لم يجد زوجته؛ ففتح الباب الجرَّار للغرفة اليابانية الطراز بحثًا عنها، ووجد "يوكيقو" تقف بالشرفة، و"تائيقو" منحنية تُقلِّم لها أظافر قدميها، فسألها عن "ساتشيقو" وأجابته:

"إنها ذهبت إلى السيدة "كواياما" وستعود على الفور".

كانت "تائيقو" بوقت فراغها تُسوِّي لـ "يوكيقو" أظافرها، وتأخذ طرف قدمها برفقٍ وتَلفُّها بحواف ملابسها، وتجمع براحة يدها زوائِدَ الأظافر المتطايِرَة.

أغلق "تينوسوكيه" الباب مرة أخرى، وتلك اللحظة تركت بنفسه عظيمَ الأثر؛ فمشهد العلاقة الجميلة بين الأختين شَعر وكأنه يلقِّنه درسًا ليُصحِّح مفاهيمه؛ ففيما بين الأخوات مهما اختلفت الآراء لا يقع الخصام.

بعد مرور أيام قليلة من شهر مارس، وبليلة أوشك بها "تينوسوكيه" أن يخلد للنوم فجأةً فتح عينيه بعدما شعر بدموع زوجته تنهمر على وجنتيها، فلقد استمع لنحيبها الخافت في الظلام الدامس، وسألها:

"ماذا حدث؟".

"الليلة... أنت... هذه الليلة بالضبط هي ذكرى وفاته الأولى".

قالتها "ساتشيقو" وهي تحاول التقاطَ أنفاسها المختنقة بالبكاء.

"ألم تَنسي بعدُ؟ إلى متى سأظلُّ أقول لك ما باليد حيلة؟".

مسح "تينوسوكيه" دموع زوجته التي تنهمر دون توقُّف وهو يُقبِّل شفتيها وتتملَّكه الدهشة من تَبَدُّل حالها فجأة بهذا المساء؛ فقبيل النوم كانت بخير حال.

لكن بالتأكيد بالعام الماضي بنفس الشهر كانت مُقابَلَة "يوكيقو" مع السيد "نومورا" الذي تقدَّم للزَّواج منها بعد التعارُف عن طريق السيدة "چينبا" وزوجها؛ لذا ففي مثل هذا اليوم يكتمل العام مرورًا على إجهاضها.

ورغم أنه لا يتذكَّر على الإطلاق، إلَّا أنه لا عجب من أنها لا تزال بمكنون قلبها حزن عميق، وليس من الغريب أن تداهمها مثل هذه المشاعر من حين لآخر على هذا النحو.

بالعام الماضي أيضًا حين ذهبوا إلى "أراشياما" لمشاهدة تفتُّح الزهور، وبالخريف حين ذهبوا لمسرح الـ "كابوكي" وخرجت هي لردهة المسرح، وحين كانوا على جسر "جتسوكيو" بكل مرة يرى

زوجته بهذه الحالة دموعها تنهمر على حين غرَّة، وبعدها تعود الأمور لطبيعتها وكأن شيئًا لم يكن، وهذا ما بدا أنه سيحدث بهذه المرة أيضًا؛ فمع شروق الشمس نسيت "ساتشيقو" بكاءها أثناء الليل.

كانت "كاترينا" صديقة "تائيقو" ستغادر بهذا الشهر إلى ألمانيا على متن السفينة الفاخرة "SCHARNHORST"، وبعد ضيافتها لعائلة "تينوسوكيه" بالعام الماضي ببيتها في "شوكوجاوا" كان يتوجَّب عليهم رَدُّها، لكن مرَّت الأيام وتقابَلَت الوجوه من حينٍ لآخر بالقطار في الذهاب والإياب ولم يحدث، وإنما كان دائمًا ما يبلغ مسامعهم أخبار عائلة "كورلينقو" وصديقهم "أورونسكي" من "تائيقو".

بعد فترة فقدت "كاترينا" شغفها بتصنيع الدُّمى دون أن تتخلَّى عن مهامِّها، بل لم تُعطِ الأمرَ أهمِّيَّة، وظلَّت تتردَّد على غرفة أشغال "تائيقو" وتطلب منها النصح والتوجيه فيما تعرضه عليها من منتجات جديدة، وخلال السنوات الثلاث تطوَّرَت مهاراتها بنسبة كبيرة، ودون أن تدري متى كانت البداية تحديدًا أصبح لديها صديقٌ ألماني مُقرَّب يُدعَى "RUDOLF"، وبدا أنها مشغوفةٌ بمُواعَدَته، وظنَّت "تائيقو" أنها ستفقد حماستها للعمل عمَّا قريب.

"RUDOLF" هو شابٌّ مُوظَّف بفرع لإحدى الشركات الألمانية في "قوبيه"، وتعَرَّفَت "تائيقو" به من ذي قبل ببلدة "موتوماتشي" ومن بعدها وهي كثيرًا ما تصادفهما يتجوَّلان. كان الرجل طويل القامة، قويَّ البنية، وبسيطًا أكثر من كونه فتًى ألمانيًّا جذَّابًا. اتَّخذَت "كاترينا" قرارها لاحِقًا بالذهاب إلى ألمانيا بعد تَعرُّفها عليه ومحبَّتها لبلده، ومن خلاله تقرَّبَت لأخته الكبيرة في برلين، ويبدو أن هذا ما كانت تُعدُّ له؛ فـ "كاترينا" دائمًا كان هدفها الأول والأخير هو العبور لانجلترا حيث تقطن طفلتها من زوجها السابق، وبذهابها إلى "برلين"

وفور أن تطأ قدمها قارة "اوروبا" ستشقُّ طريقها على الفور بما معها من نفقات سَفَرٍ وما لديها من علاقات؛ ممَّا يعني أن سفرها هو مُجرَّد نقطة انطلاق.

"حسنًا، إذن لن تكوني مع "يودوفو" على متن نفس الباخرة؟".

إن "يودوفو" باليابانية تعني "طعام الطووفو الملوَّن"، وكانت "تائيقو" تُلقِّب "RUDOLF" بهذا الاسم من قبيل الدعابة، ووصلت هذه الفكاهة إلى "ساتشيقو" وعائلتها، وأصبحوا هم أيضًا يطلقون عليه "يودوفو"، رغم أنهم لم يلتقوه بَعدُ.

""يودوفو" موجودٌ باليابان، أليس كذلك؟ "كاترينا" تلقَّت بطاقة الاستضافة من أخته، وبها ستذهب وحدها، صحيح؟".

"مضبوط، وبالرغم من ذلك فهي إن ذهبت "إلى انجلترا واستعادت ابنتها لن تعود إلى "برلين" أو تلتقي "يودوفو" بعد عودته لبلاده".

"حقًّا... ربَّما الأمر ليس كذلك".

"لو هكذا فإن "يودوفو" دوره ينتهي هنا".

"معقول!".

"هل الموضوع بهذه البساطة؟".

"حقًّا يبدو هكذا".

دار الحديث بينهم بتلك الليلة على طاولة العشاء، وتدخل "تينوسوكيه":

"في الأصل هذا كله لأن حبهما مُجرَّد لعبة".

"مثل هذين الشَّخصَين إن بَقِيَا مع بعضهما البعض باليابان بلا زواجٍ؛ بالطبع سيسوء الوضع بشكلٍ أو بآخر".

قالتها "تائيقو" كمحاولة منها للدفاع عن "كاترينا".

"بالمناسبة، متى ستغادر السفينة؟".

"المغادرة بعد غد بالظهيرة".

وسألت "ساتشيقو" زوجها:

"وأنتَ، ما ظروفك بعد غد؟ ألن تذهب معنا لوداعها؟ يا للأسف أننا لم نُحسِن إليها صنيعًا بأي شيء".

"ها قد أنهَيتُ طعامي وتَمَّ إطلاق سراحي".

"هكذا! إذن فأنت ذاهِبٌ معنا. "إتسوقو" عندها مدرسة، وبخلافها سيذهب الجميع".

""يوكيقو" ستذهب أيضًا؟".

وتساءَلَت الصَّغيرة "إتسوقو":

"سأذهب لأرى الباخِرَة".

أجابتها "يوكيقو" وهي تَضمُّ أكتافها وتُهَمهِم.

بذاك اليوم ترك "تينوسوكيه" عَملَه ساعةً بمنتصف النهار ليذهب مباشرة إلى "قوبيه"، وأسرع خطواته ليصل أخيرًا للرَّصيف البحري. لم يكن هناك مُتَّسَع من الوقت ليتحدَّث مع "كاترينا" بتروٍّ؛ فلقد جاء لوداعها جدَّتُها وأخوها وصديقهم "أورونوسكي"، وأيضًا "ساتشيقو" وأخواتها، بجانب الشخص الذي حدَّثَتهم عنه "تائيقو": "RUDOLF"، وبضعة أشخاص يابانيِّين آخرون لا يعرفونهم.

بعد مغادرة السفينة تحدَّثَت عائلة "تينوسوكيه" مع عائلة "كرلنقو" وهم يترجَّلون بطريق العودة على الرصيف البحري، وبمجرَّد أن تَفرَّقوا بالطريق الساحلي اختفى على الفور "RUDOLF" والآخرون.

"هـذه الجَـدَّة، حقًّـا لا أدري كـم عمرهـا، لكـن عـلى مـا يبـدو هـي لا تكـبر بالسِّـنِّ أبـدًا".

وتساءَلت "ساتشيقو":

"تُرى، هذه الجَدَّة هل لديها فرصة للقاء "كاترينا" مرَّةً أخرى؟".

"إنها تتمتَّع بالصلابة مهما كان عمرها".

وأضافت "يوكيقو":

"إنهـا لم تـذرف حتـى دمعـة واحـدة، مـع أننـي عـلى العكـس تمامًـا كنـتُ أبـكي، وخجلـتُ مـن نفـسي".

"الآن الحـرب عـلى وشـك أن يشـتعل فتيلُهـا، فـإن اسـتطاعت أن تخـرج مـن أوروبـا عـن طريـق ألمانيـا مـع ابنتهـا سـيكون شـأنًا عظيـمًا، لكـن الأعظـم حقًّـا كان خـروج هـذه الجَـدَّة مـن بلادهـا؛ فشـخص مثلهـا ربمـا وصـل لهـذا الهـدوء بعـد معانـاة غـير مُتوَقَّعـة بأوقـات عصيبـة مأسـاوية وقـت الثـورة".

""كاترينـا"، حـين أفكِّـر في أنهـا وُلِـدَت في روسـيا، ونشـأت في "شـنغهاي"، وعاشـت في اليابـان... وهـا هـي الآن تعـبر مـن ألمانيـا إلى انجلـترا!".

"والجَدَّة الكارهة لانجلترا سيسوء مزاجها مرَّةً أخرى بالتأكيد".

وتعالـت الضحـكات وقهقهـة الجميـع حـين شرعـت "تائيقـو" في محاكاة الجـدَّة، ومـا قالتـه للتَّوِّ:

" أنـا، "كاترينـا" دائمًـا نتشـاجر. كاترينـا تذهـب. أنـا لا أحـزن. أنـا فَرِحَـة".

الفصل الثلاثون

""كاترينـا" التـي التقيناهـا اليـوم كانـت مُفعَمـةً بالأنوثـة أكـثر مـن ذي قبـل، لم أظـن أنهـا بهـذا الجـمال، لقـد اندهشـتُ".

وسارت عائلة "تينوسوكيه" على ممشى الرصيف البحري إلى أن وصلوا لمطعم "إيكوتا" واتَّخذوا مقاعدهم بعد مرورهم من ستائر بوابة المتجر واصطفُّوا في أماكنهم بالترتيب: "ساتشيقو" "تينوسوكيه" ثم "يوكيقو" و"تائيقو"، واستمرَّ حديثهم.

أضافت "تائيقو":

"الأمر ليس هكذا، إنها مساحيق التجميل؛ واليوم هي أيضًا متأنِّقة بملابسها. إنها بعدما تعرَّفَت على "يودوفو" تغيَّرَت طريقة استخدامها لأدوات التجميل، وتغيَّرَت تعبيرات وجهها ككُل".

"إنها لديها ثقة بالنفس، "تائيقو"... تعلَّمي منها من فضلك، لو كنتُ بمكانها سأذهب إلى أوروبا بالتأكيد إن وجدتُ رَجُلًا غنيًّا أتزوَّجه".

"وحينها تصبحين غنيَّةً جدًّا".

"إنها عملت من قبل مُمرِّضة في "شنغهاي"... لو ضاق بي الحال سأفعل مثلها، ولكنها بالتأكيد وقتها لم تحصل سوى على راتب ضئيل".

"لقد انقطعت صِلَتُها بـ "يودوفو" اليوم".

"على ما يبدو".

"بناء على ما لاحظته مؤخَّرًا، تُرى، هل سترسل له خطابًا بعدما وفَّرَت لها الإقامة أختُه؟ وهل "يودوفو" اكتفى بالأمر هكذا؟".

"إنه رفع يده يُلوِّح لامرأةٍ على متن سفينة، غيرَ عابِئٍ، والتفَّ وغادر قبلنا كُلِّنا".

"لو كان يابانيًّا لما فعل ذلك".

"لو تُشبِّهه باليابانيين لأصبح "طووفو بالخَلِّ"".

ولم تفهم أيٌّ منهنَّ ما مقصد "تينوسوكيه" ببداية حديثه بقول"مفعمة بالأنوثة"، وسألته زوجته:

"ماذا تقصد؟ هل شيء برواية فرنسية ما؟".

"نعم، ربما بروايات FERENC MOLNAR".

كان المتجر ضيِّقًا للغاية، بالكاد يكفي لعشرة مقاعد من الزبائن. بخلاف عائلة "تينوسوكيه" كان هناك بالجوار شخصٌ بدا أنه صاحِبُ مَتجَر صرافَة، يصطحب معه اثنين أو ثلاثة من العاملين، وبالناحية الأخرى ثلاث من فتيات الجيشا تتزيَّن رؤوسهن بالحليِّ. بهذا امتلأت كل المقاعد بالمتجر، وبالكاد تجد مُتَّسعًا ليمرَّ أحدهم من الفراغ بين مقعد والجدار، ورغم ذلك بمجرَّد فتح الباب الجرَّار تجد الجموع في الانتظار يحدِّقون إلى الداخل، ويتفقَّدون الأحوال، ويناشدونهم لإيجاد مكان شاغر، حتى إنهم يتوسَّلون. الزَّبائن لا تنقطع عن هذا المكان؛ فهو من أفضل متاجر "السوشي"، ويبيع أيضًا مختلف أنواع الحساء باللحم، وحتى زبائنة الدائمون ليس لهم الأولوية، ويواجَهون بالرفض الصارم، وباختلاس النظر للداخل يدركون بأي وقت يمكنهم الدخول.

على هذا المنوال، الزَّبائن القادمون إذا لم يكن توقيتهم باللحظة المناسبة لن يتمكَّنوا من الدخول، وأيضًا الزبائن الدائمون الذين يطلبون الحجز بالهاتف مُسبَقًا إذا مرَّ أكثر من خمس عشرة دقيقة يُعتبر الحجز لاغيًا، وليس أمامهم فرصة سوى التجوُّل بالمنطقة لساعَةٍ أو أكثر حتى تسنح لهم فرصة مرة أخرى.

في الأساس العجوز مالك المتجر هو رَجُلٌ تعلَّم بمطعم "YOHEI" في طوكيو الذائع الصيت في عصر "ميجي"، وإن كان مذاق السوشي لديهم يختلف، حيث إن ذاك الرجل تَعلَّم بطوكيو لكن مسقط رأسه في "قوبيه" التي تشتهر بكرات الأرز بالأطعمة البحرية؛ فجمع الرجل

بين كل مذاق مميَّز، فمثلًا هو لا يستخدم الخَلَّ الأصفر كالمتَّبع في طوكيو بل يستخدم الأبيض، وأهل طوكيو لا يستخدمون صلصة الفول الصويا التي يستخدمها بكثرة أهل إقليم "كانساي"، ويوصي بأكل المأكولات البحرية المملَّحة من جمبري وكابوريا وغيره من صنع يديه.

بمتجره الطحالب البحرية والأسماك تُلتَقط من المياه مباشرة أمام أعين الزبائن؛ فمن وجهة نظره "لا سوشي بدون سمك"، كما كان رأي مالك متجر "YOHEI" بالماضي، ولهذا السبب تحديدًا اعتُبر امتدادًا لذاك المتجر الشهير بطوكيو.

فهو يتبع نهجه بداية من ثعابين البحر، السَّمك النَّفَّاخ، سمك الصُّخور الأحمر، سمك السريولا، لحم الزعنفة للسمك المُفَلطَح، المحار، شرائح اللحم الأحمر للحيتان وصولًا إلى فُطر عُشِّ الغراب بأنواعه، وبراعم الخيزران وفاكهة الكاكي، إنما سمك التونة فلا يحظى بقبولهم ولا يتوفَّر كثيرًا.

إنه مشهور أيضًا بالخُضَر المقليَّة وبإعداده للوجبات أمام أَعيُن الزبائن ويقدِّم القريدس والمحار حيًّا يتحرَّك، ويطهو الأرز بالفلفل وبراعم أوراق الخضروات بدلًا من الفجل. "تائيقو" كانت أوَّلَ من اكتشفت هذا المتجر وتعرفه من ذي قبل. إنها كثيرًا ما تتناول طعامها بالخارج، وتدري جيِّدًا بأنباء المطاعم الشهية بالجوار من "موطوماتشي" إلى "سانّوميا" و"قوبيه" أيضًا؛ نظرًا لظروف عملها.

قبل أن ينتقل المتجر لموقعه الحالي كان بمكان أصغر بشارع ضيِّق، وسرعان ما انتقل لهذا المكان بعدما وسَّع نشاطه. عرَّفَت "تائيقو" أختها "ساتشيقو" وزوجها به، وقالت لهما إنه يشبه الأماكن المذكورة بالروايات البوليسية التي كانت بمجلة "شباب العصر"، الطفل المشوَّه ذو رأس كالمطرقة الخشبية العملاقة بجسد قزمٍ.

سمع "تينوسوكيه" وزوجته ذاك الوصف منها من قبل مرارًا وتكرارًا، وإنما بسماعهم للردود الفظَّة على الزبائن التي لا مكان لها، وبرؤيتهم لملامح العاملين المفعَمَة بالإثارة وهم بقبضاتهم سكاكين المطبخ، وبنظراتهم وحركات أيديهم التي يرونها بأنفسهم الآن وجدوا وصف "تائيقو" المفصَّل يحاكي الواقع بشكل عجيب.

إنهم يَصفُّون الزبائن في طابور ويستمعون لطلباتهم ويأخذون الأسماك أوَّلًا وفقًا للطريقة التي يُفضِّلونها هم، والكل يدلي بطلبه بالدَّور، ثم القريدس، ويليه سمك الهلبوت، وعلى هذا النحو تُقَدَّم الأصناف، وقبل الانتهاء من الطبق الأول يُعَدُّ الثاني، وهذا كله وهمٌ بمزاج حادٍّ.

يقدِّم "السوشي" لبضع مرَّات، حتى لو لم تَنتَهِ من الأكل بعدُ، ويمكن طلب أخذ الطعام المتبقِّي، والأنواع المتوفِّرة تختلف يومًا عن يوم، وإنما سمك الدنيس والقريدس متوفِّر دائمًا؛ فسمك الدنيس في صدارة الطلبات دائمًا، والزبائن التي تسأل أسئلةً هوجاءَ مثل: "ألا يوجد شرائح دهن التُّونة؟" قطعًا غير مُرحَّب بهم، ومن عاداتهم إذا كان هناك شيء ما لا يروقهم أمثال الزبائن التي تفضِّل الفجل؛ يجعلونهم يقفزون هلعًا ودموعهم تنهمر ويراقبونهم ويقهقهون.

بعدما ألقت "تائيقو" على مسامعهم هذه المقدِّمة وقعت "ساتشيقو" المُحِبَّة لسمك الدنيس تحديدًا في سحر الـ "سوشي" ومن الطبيعي أن تصبح واحدة من زبائنه الدَّائمين، "يوكيقو" أيضًا أغراها"السُّوشي" بدرجة لا تقلُّ عن "ساتشيقو" أبدًا، بل تزيد حتى إنها قالت: "إن هذا السمك يدخل في عِداد قوى الجَذب التي تسحبها سحبًا من "طوكيو" إلى "أوساكا"".

إنها عادةً وهي "بطوكيو" تُحلِّق بمخيِّلتها في أفق "أوساكا" وأول ما يتبادر لمخيِّلتها بذاك الحين ليس بيت "أشيبا" بل يقبع بجزء منها

الحالة التي تجدها بهذا المتجر؛ الأسماك المتداعية تحت قوة نصل السكين والقريدس المتقافز في مرح. لا يمكن قول إنها لا تحب المطاعم الغربية وإنما السوشي له عشقٌ خاص؛ لقد كانت بطوكيو في شهر فبراير ومارس دائمًا ما تتناول الـ "ساشيمي"((1)*) وجاءتهم ولا يزال مذاقُه عالِقًا بفمها. إنها فور ما يقع أمام ناظرها لون اللحم الأبيض الرائع كقطع اللحم اللصيقة بقلب المحار وتتذكَّر المشهد البرَّاق على طول خط السكة الحديد"هانكيو" ويتراءى لها وجه أُختَيْها والصغيرة ببيت "أشيبا".

شعر "تينوسوكيه" وزوجته أن "السوشي" من دواعي السرور لـ "يوكيقو" في إقليم "كانساي"، وبالفعل دعوها أثناء فترة إقامتها لديهم لبضع مرَّات لهذا المتجر، وكان "تينوسوكيه" بذاك الوقت يحتلُّ مقعدًا بين "يوكيقو" و"ساتشيقو"، ومن حين لآخر يُمرِّر بينهم كؤوس خمر الساكي دون تفرقةٍ بين زوجته أو أخواته بالقانون.

"لذيذ... لذيذ حقًّا".

قالتها "تائيقو" بعدما تَنَفَّسَت الصعداء وبدأت بالأكل أوَّلًا، و"يوكيقو" بدورها أخذت الكأس الذي أمامها على استحياء وقالت:

""تينوسوكيه"... ممتنَّة لك للغاية لأنك جعلتنا نأكل مثل هذا الطعام اللذيذ بهذا المكان".

"حقًّا... ليتنا دعونا الجَدَّة "كرلنقو"".

"لم أنتبه لذلك فعلًا. فجأة زاد العدد من حولي، غير أني لا أدري إن كان سيروقهم مثل هذا الطعام".

(1) * شرائح نيِّئَة طازجة من اللحم الأحمر للتونة.

"مـاذا تقولـين! الأجانـب يأكلـون السـوشي بـكل أنواعـه يـا سـيدي"، قالتهـا "تائيقـو"، وهنـا تدخـل بالحديـث مُضيِّفُهـم العجـوز وهـو يغـرق القريـدس المتقافـز بالمـاء ويضغـط عليـه بأصابـع يـده الغليظـة وأضـاف:

"بين الحين والآخر يأتينا أجانب".

"أنتَ، ألم تجعل السيدة "STOLZ" تتناول الأرز بالسوشي".

"صحيح وكان الأرز به السمك النيِّئ".

"يأكلونـه حتـى لـو نَيِّئًـا، وهنـاك أشـياء يفضِّلونهـا، وأخـرى ليسـت بنفـس الدرجـة، كالتُّونـة".

قاطعم السيد بالطاولة المجاورة:

"حقًّا! ولماذا؟".

"لا أدري السبب، ولكنهم لا يأكلون التونة ولا سمك القيكتور".

"إذن سيدتي وماذا عن ذاك المدعو السيد "LUTZ"؟".

قالتهـا فتـاة الجيشـا الشـابَّة بلكنَـة "قوبيـه" وبصـوتٍ خافـت وهـي تسـأل السـيدة التـي برفقتهـا، وأجابتهـا:

"إنه دائمًا ما يُفضِّل شرائح اللحم الأبيض، وإنما الأحمر لا يحبُّه".

"نعم، نعم".

وانحنـت الفتـاة أمـام سـيدتها، التـي كان بيدهـا عـود الأسـنان تسـتخدمه.

"بالغرب لا يُفضِّلون أبدًا شرائح السمك الأحمر ولا تروقهم".

"فَهِمتُ قَصدَك".

قالها الرَّجلُ بالطاولة المجاورة تعليقًا على توضيح "تينوسوكيه".

"حسنًا، سأجرّب أن أكون مثل الأجانب وأضع شرائح اللحم الأحمر على الأرز الناصع البياض، وبالتأكيد مذاقه سيئ".

""يوكيقو"... انظري"- قالتها ساتشيقو وهي تتوجَّه بالسؤال لـ "تائيقو":

"الجدَّة إن جاءتنا لتأكل السوشي ماذا ستقول؟".

"لحم أحمر، لحم أحمر، أَخرِجيه من هنا".

قالتها "تائيقو" وهي تُحاكي أسلوب الجَدَّة الروسية بالضبط.

"اليوم جميعكم كنتم عند السفينة؟".

سألهم العجوز مُضيِّفهم بالمطعم وهو يستخرج لحم القريدس ويضعه على كُرات الأرز المطهو، ويُدخِل قرابة الخمسة أو السِّتَّة منه بعرض نصل السكين، ثم قدَّم السوشي في طبق أمام "تائيقو" و"يوكيقو"، والآخر أمام "ساتشيقو" و"تينوسوكيه".

همُّوا بأكل السوشي بالقريدس الكبير منزوع الرأس، وقبيل أن ينزل الطبق الثاني اقتسم "تينوسوكيه" واحدةً مع زوجته. "مممم... مجيء الناس لوداع ذويهم على متن السفينة أمر يستحقُّ".

قالها "تينوسوكيه" وهو يلتقط الملَّاحَة التي على الطاولة ويقلبها ليمتزج مسحوقها الناعم بالمذاق الأصلي للقريدس الذي لا زال لَحمُه يتحرَّك وكأنه تدبُّ به الحياة، وأخذ واحدةً وأدخلها بفمه، ثم استَطرَدَت "ساتشيقو":

"إن الباخرة الألمانية الفارهة تختلف للغاية عن الأمريكية".

وأضافت "تائيقو" وهي تُؤكِد القول:

"حقيقي. إنها تختلف بشدة عن تلك التي اسمها "PRESIDENT COOLIDGE" التي كانت كل ألوانها فاتحة مُشرِقَة، أمَّا الباخرة الألمانية فهي مطليَّة بلون كئيب، وتبدو كبارجة حربية".

"سيدتي، تفضَّلي طعامَكِ سريعًا".

قالها العجوز لـ "يوكيقو" التي تبقى "السوشي" أمامها بالطبق لم تمدَّ يدها له بَعدُ.

"عزيزتي "كي" ماذا بك؟".

"هذا القريدس لا يزال يتحرَّك".

كان من الصعب على "يوكيقو" أن يُفرض عليها تناول طعامها بنفس سُرعَة الزبائن الآخرين؛ وكان عليها أن تتأكَّد أوَّلًا أنه لم يَعُد ينبض بالحركة بالفعل؛ فمذاقه سيِّئ إن كان يفعل، لكنها تحبُّ سمك الدِّنيس، ولا يمكنها مقاومته، وإن كان من دواعي الفخر تناوُل القطع منه وهي ترجف نابِضةً بالحياة، لدرجة تسميتها بـ "السوشي الراقص".

"إن حركته تلك هي كل قيمته".

"فلتأكليه سريعًا. لقد أكلته ولم يَعُد يفعل".

وقاطعهم الرجل بالطاولة المجاورة:

"وهل هو عفريت القريدس؟ وإن ظهر لك سيخيفك؟!".

"إن كان على القريدس فليس مُخيفًا، وإنما الضفادع هي كذلك حقًّا يا "يوكيقو"".

"ماذا! أهذا حقيقي يحدث!".

"نعم، وإن كنتِ لا تدرين ذلك فلنَدَع أخاك بأقرب وقت يمكث في "شيبويا"، يَدعُكِ لمطعم المشويات في "دوجنزاكا". إنهم يقدِّمون الدجاج المشويَّ، ولكن معه الضفادع بعد قتلها وشوائها هي الأخرى، وحينها

يأتيك صراخها سيمتقع لونُكَ "يوكيقو" مثلها بالتمام، وسيظلُّ ذاك الصوت عالِقًا بأذنيك وسط سكون الليل".

"كفى كفى، توقَّفي عن ذاك الحديث".

قالتها "يوكيقو" وهي تنظر مرَّةً أخرى وتتفحَّص لحم القريدس بدقَّة وتلتقط بعصا طعامها واحدة من السوشي الرَّاقص وتتأكَّد أوَّلًا أنه لم يَعُد يرقص بَعدُ.

الفصل الحادي والثلاثون

بمنتصف شهر أبريل بيومَيْ السبت والأحد اصطحب "تينوسوكيه" ابنته والثلاث أخوات للمهرجان السنوي بـ "كيوتو"، لكن بقطار العودة ارتفعت حرارة الصغيرة فجأةً والأكثر أنها منذ الأسبوع الماضي، وهي يبدو عليها آثار الإعياء دون سبب يُذكَر، ولم تتحسَّن حالتها بـ "كيوتو"، بل بتلك الليلة بعد عودتهم وصَلَت حرارة جسدها إلى 41، فكان أوَّل شيء يَسعَون إليه هو زيارة الطبيب "كوشيدا". اتَّفقوا على أنهم بالغد لا بُدَّ لهم أن يتفحَّصها الطبيب خوفًا من أن تكون "الحُمَّى القرمزية".

بالصَّباح الباكر تَورَّد وَجهُها كله بالحُمرة فيما عدا حول فمها؛ ممَّا لم يَدَع مجالًا للشَّكِّ في أنها "الحُمَّى القرمزيَّة"، حيث إن من أعراضها أن تترك ما حول الفم، هكذا قال الطبيب "كوشيدا"، ونصحهم بدخول مشفى، وإن كانت الحُمَّى من الأمراض المُعدِية لكنها نادرًا ما تصيب البالغين، ولا يحدث أن تظهر حالة أخرى بنفس البيت، وإذا تمَّ عَزلُها

بغرفة المشفى بالتأكيد لن يمكننا منع العائلة من التردُّد عليها؛ لذا فلم يمانع الطبيب من العناية بها بالمنزل.

لحُسن الحَظِّ غرفة مكتب "تينوسوكيه" مُنفَصِلَة؛ فأرادت "ساتشيقو" أن تنتقل إلى هذه الغرفة وتنقل المكتب لغرفة بالأعلى، وهي تدري استحالة ذلك، وأن زوجها سينهرها معترضًا، لكنَّها أرادت هذه الغرفة لتكون كغرفة عَزل المشفى.

حدث بمرَّة من قبل منذ بضع سنواتٍ أن مرضت "ساتشيقو" بنزلة برد شديدة، واستخدموا هذه الغرفة هكذا لأنها منفصلة تمامًا عن باقي غرف البيت حتى أن الذهاب إليها يلزمه انتعال القبقاب. إنها مفروشة بالحصير ومُجهَّزة بالغاز والكهرباء، وأكثر ما تُفضِّله "ساتشيقو" بها أنها وقتما تريد أن تطبخ بها بسهولة يمكن جلب الماء.

المشكلة كانت في ترتيب الخزانة والأمتعة بعدما تَمَّ نَقلُ بعض من أرفُف الكتب وصناديق الأوراق والأدوات المكتبية والمكتب لغرفة الطابق الثاني.

ستنتقل الصَّغيرة وترافقها مُمرِّضة، ولا بُدَّ من الحَدِّ من حركتها والمجيء إلى المنزل، ولكن هذا لا يعني أنه سيتمُّ على أكمل وجه، فمَثلًا كان من الضروري جلب الوجبات لهما، ولا بُدَّ أن يبقى أحدهم على تواصُل، ومن الخطر أن تتولَّى الخادمة الصغيرة مَهمَّة أدوات المائدة وغيرها، بل من الأنسب أن تكون "أوهارو"؛ فهي أكثر جراءةً، ولا تخشى أي أمراض مُعدِيَة، ومن دواعي سرورها أن تقوم بهذا الدور، وسارت الأمور هكذا لبضعة أيام، وبالفعل لم تَخشَ على نفسها، لكنها أيضًا لم تلتزم بالتَّطهير والتَّعقيم بكل مرَّة تتردَّد على الغرفة وبيدها تَلمَسُ الصغيرة، ثم تَمسُّ كُلَّ الأشياء الأخرى؛ ممَّا ينشر الجراثيم؛ فجاء أول اعتراض من "يوكيقو" وبالنهاية اكتفوا بـ "أوهارو" إلى هذا الحَدِّ

وتولَّت "يوكيقو" المَهمَّة؛ فهذا ما تعتاده. كانت شديدةَ الحرص لأقصى درجةٍ، والممرضة أيضًا أحسَنَت عملها. مكتبة سُر مَن قرأ

لم تَستَعِن "يوكيقو" بالخادمات على الإطلاق في أدوات المائدة اللازمة للاستخدام بغرفة المريضة، وكانت تأخذها بَعدَ التعقيم وتعيدها للغسيل بنفسها، وطوال الأسبوع الذي استمرَّت فيه حرارة "إتسوقو" مرتَفِعَةً كانت تتناوَب مع الممرِّضة، وكل ساعتين تستبدل كمادات الثلج وحقًّا مرَّت أيامٌ دون أن يغمض لها جَفنٌ.

تحسَّنَت حالة"إتسوقو" بالأسبوع التالي، واستقرَّت درجة حرارتها، وجفَّت البثور الحمراء، وأوشكت قشورها على السقوط، إلَّا أن هذا المرض لا يُشفى إلَّا بسقوط كل القشور عن الجسد بأكمله، ويستغرق هذا أربعة عشر يومًا.

بعدما كانت "يوكيقو" تنوي المغادرة فور العودة من "كيوتو" أصبح الوضع الرَّاهن يَحول دون رحيلها. كانت تريد الذهاب إلى "طوكيو" لاستبدال ملابسها وجلب ملابس صيفيَّة، لكنها كرَّسَت نفسها للتمريض، ورغم تولِّيها هذه المَهمَّة إلَّا أن العيش هنا يروقها عن العودة إلى "طوكيو".

علاوة على أنه سينزعج الجميع ما إذا تَردَّد أحدٌ غيرها على الغرفة المعزولة، فـ "ساتشيقو" بالأساس صِحَّتها ضعيفة، ولا ترى بالأمر شيئًا إن أبقت طفلتها الصغيرة بين أحضانها مهما أرادوا إبعادها عن المكان.

مرَّت أيام على "ساتشيقو"، وهي ليس بوسعها فعل شيء، وبعدما زال قلقهم على "إتسوقو" اقترحت الذهاب لمشاهدة مسرح "الكابوكي". بهذا الشهر سيأتي لـ "أوساكا" مرَّةً أخرى الممثِّل الشهير "كيقوجوروه" ليعرض مسرحية من فنون التراث. أكثر ما تُفضِّله "ساتشيقو" من بين مسرحياته الاستعراضية تلك التي تشاركه بها بطولة نسائيَّة لتؤدِّي الرقصات، وإنما أيًّا كان ما سيُعرَض بهذه المرة فلن تفوِّته خاصَّةً

بعدما جاءتها كلمات "يوكيقو" لتصيب هدفها بالضبط، وتُطَمئِنها باستقرار حالة الصغيرة ومشاركتها الذهاب. إنها بذاك الحين أصابتها خيبة الأمل إثرَ المرض المفاجئ لابنتها، لكن بكل حال من الأحوال مهما كان العَرض المسرحي فهي كأمٍّ تبدو غيرَ عابئة بشيء، فقط كل ما يستحوذ على اهتمامها هو الجيل السادس من المسرح، وما يهدئ من غضبها هو تسجيلات الجراموفون لمسرحيات الفلكلور الياباني.

امتنعت "تائيقو" عن الذهاب معهم حين أخبروها وبدا أنها ذهبت خلسة بمفردها.

أمَّا عن "إتسوقو" فتحسَّنَت حالتها وأصبحَت تعاني من الملل وكانت تسليتها هي تشغيل الجراموفون بصوتٍ عالٍ، ولم يعترض جيرانهم السويسريُّون الذين حلُّوا محلَّ عائلة "STOLZ"؛ إلى أن أصابه عطل بأحد الأيام.

إنهم كانوا يظنُّون أن السويسريين أشخاص صعبة المراس؛ فمنذ شهر مضى وحتى الآن هم لا يستطيعون النوم من نباح كلبهم، وهم لا يُقدِمون على فعل شيء. بذاك الحين وليس بطريق مباشر طلبوا وساطة مالِكِ ذلك البيت غربيِّ الطِّراز، السيد "ساطوو"، والذي يقطن ببناية مجاورة لعائلة "ساتشيقو"؛ فقام بدوره بإرسال نفس الورقة المدوَّن بها عدَّة أسطر بالإنجليزية مع الخادمة لهؤلاء السويسريين.

"بخصوص الكلب

عزيزي السيد الفاضل "ساطوو"

في الحقيقة وبكل أسف نحن جيران لمالكي الكلب ونأسف على إزعاجك لكننا لا يمكننا النوم كل ليلة بسبب نباح الكلب.

من فضلك أبلِغهم بشكوانا، ونرجو لَفتَ انتباههم".

عـادت خادمـة السـيد "سـاطوو" ذات الوجـه العابـس دائمًـا برسـالة ورقيـة مـن السـيد "BOSCK".

"عزيزي السيد الفاضل "ساطوو"

في الحقيقـة، وبـكل أسـفٍ، نحـن جـيران لمـن لديهـم الجراموفـون، ونأسـف عـلى إزعاجـك.

مؤخَّـرًا أصبـح تشـغيل الجراموفـون يوميًّـا وبشـكل متواصِـل بالصبـاح والمسـاء أيضًـا، والضوضـاء أصبحـت مزعجـة للغايـة.

من فضلك تبلغهم بشكوانا وتنبيههم لإيجاد حلٍّ.

ولك جزيل الشكر".

لكنهـا بهـذه المـرَّة عـادت إليهـم وهـي تضحـك وتعطيهـم الرسـالة وتقـول:

"هذا ما قاله السيد "BOSCK"، تفضَّلوا".

بالسَّـابق حينـما كان هنـاك الكلـب "JOHNY" واسـتمرَّ نباحـه لليلتـين تقريبًـا تركـوه لحالـه غـير عابِئـين، وإنمـا بهـذه المـرة لم تتَّخـذ الأمـور نفـس مجراهـا؛ فالغرفـة المنفصلـة التـي مكثـت بهـا "إتسـوقو" أثنـاء مرضهـا، والتـي كانـت بالسـابق غرفـةَ مكتـب والدهـا يحيطهـا سـياجٌ خشـبيٌّ مختلـف عـن ذلـك الفاصـل السِّـلكي الـذي بالحديقـة ويفصـل بينهـم وبـين جيرانهـم؛ فهـذا مُحكَـم لا يمكـن اختـلاس النَّظـر منـه، وإنمـا بنفـس الوقـت هـو أقـرب لجيرانهـم والضوضـاء بـه لا تحتمـل، وحـين تواجَـدَت عائلـة "STOLZ" كان دائمًـا مـا ينزعـج "تينوسـوكيه" مـن جلبـة الأطفـال "بيـتر" و"روزمـاري".

ولهـذا السـبب أيضًـا كان مـن الطبيعـي أن تنزعـج عائلـة "BOSCH" السـويسرية مـن صـوت الجراموفـون، وعـلى ذكـر هـذه العائلـة، فمـن موقفهـم السـالف الذكـر يبـدو أن وظائفهـم في مدينـة "ناجويـا". هـذا

واضحٌ من أسلوبهم في التوبيخ والتعنيف. إنهم يعودون من وقت لآخر لهذا المنزل، لكن مهما كان فلا أحد من عائلة "ماكي أوكا" يدري حقيقتهم. أيام عائلة "STOLZ" كان رب الأسرة وزوجته والأطفال جميعهم يُطلُّون من الشرفات دائمًا ويتردَّدون على الحديقة الخلفية، إنما هذه العائلة السويسرية منذ مجيئها والزوجة بالكاد تظهر من قت لآخر، وذاك المدعو "BOSCH" لا يظهر على الإطلاق، وحتى وإن جلب مقعدًا للشُّرفة فإنه كان يفعلها خلسةً، ثم أحاط الشرفة بسياجٍ لَوحيٍّ بمستوى ارتفاع رأس مَن يجلس.

هذا كله يعني أنه يخشى أن يراه الآخرون، ومن الواضح جَليًّا أنه مع عشيقته.

جاء بحديث خادمة السيد "ساطوو" أنه شخص متوتِّر للغاية وسقيم، يعاني الأرق كل ليلة.

بوقت ما، وبدون أي سبب، جاء لمنزل عائلة "ماكي أوكا" مُحقِّق شرطة. كان هؤلاء الأجانب يَدَّعون أنهم سويسريُّون، وبدا أن هذا غيرُ حقيقي؛ فسلوكهم المريب كان أدعى لاتِّخاذ الحيطة. أخبروا المحقِّق بكل ما رأوه بأعينهم مُثيرًا للشكوك، فالزوج مجهول الهويَّة طوال العام، مُتغيِّب برحلات وزوجته تبدو صينيَّةً مختلطة العِرق، وعلاوة على ذلك هي لا تبدو زوجته رسميًّا، بل تبدو عشيقةً عابرةً، وجنسيتها غير معروفة. بالرغم أن مظهرها أقرب للصينين منه لليابانيين إلَّا أنها تُنكِر ذلك، وتَدَّعي أنها من مواليد الإقليم الجنوبي دون أن تُصرِّح أي إقليم جنوبي تحديدًا. بمرَّةٍ ذهبت إليها "ساتشيقو"، ودخلت المنزل ووجدت كل الأثاث صيني مصنوعًا من خشب الصندل الأحمر؛ فبالتأكيد هي صينية وتُخفي الأمر، والشيء الواضح هو أنها فتاة هوى تغوي الرجال بما تملكه من جاذبية الشرقيين وليونة الغربيين. إنها تشبه إلى حَدٍّ كبير تلك الممثلة الفرنسية الصينية التي تُدعَى

"ANNA MAY WONG"، وكانت تظهر بالأفلام الأمريكية؛ فجمالها من نوع خاص يختلف عن الجمال المألوف للأوروبيَّات.

كانت معظم الأوقات تعيش في مَلَلٍ أثناء غياب زوجها برحلاته، وبمرَّة التَقَت "ساتشيقو" بالطريق ودَعَتها لتأتيها ويُمضيا بعض الوقت سويًّا، وأرسلت لها منسوجاتها من الكِتَّان لتفتح بابًا للتَّعارُف، لكن "ساتشيقو" بعد واقعة المحقِّق ساورتها المخاوف من توطيد العلاقات معها.

استاءت "أوهارو" من هؤلاء الأجانب الذين لا يُحسِنون الجيرة، فهم منذ مرض الصغيرة لم يشغلوا الجراموفون كعادتهم بالسابق، حيث نهى "تينوسوكيه" عن التَّسلية بتشغيله هكذا منذ الصباح، ومنذ ذاك الحين و"إتسوقو" تلهو يوميًّا بلعبة الورق، وتوقَّفَت "يوكيقو" عن مشاركتها اللعب حينما بدأت بفترة النَّقاهة، حيث إن وقت تساقُط القشور هو أكثر وقتٍ تَسهل به العدوى.

"إتسوقو" بهذه الفترة كان لا بُدَّ لها أن تبقى تحت الملاحظة، والألعاب التي تتطلَّب طرفًا آخر تُشكِّل خطرًا بانتقال العدوى، فكان عادة ما تشاركها الممرِّضة "ميتو" والخادمة "أوهارو".

أطلَقَت "إتسوقو" هذا الاسم على الممرِّضة لأنها كانت شديدةَ الشبه بالممثلة "ميتو ميقو"، وكانت هذه الممرضة أصيبت من قبل بهذه الحُمَّى القرمزية؛ لذا فهي لديها مناعة ضد المرض. أمَّا "أوهارو" فكانت تقول: "أنا لا أخشى انتقال العدوى لي"، وكانت تأكل بقايا طعام المريضة، وتلتهم بشراهة الأرز والسَّمك، عكس الخادمات الأُخرَيات اللائي لا يقرِّبن أيديهن أبدًا، و"يوكيقو" هي أول مَن اكتشفت الأمر وصمَّمَت على عدم اقترابها ثانية، لكن "إتسوقو" كانت تناديها كلَّما وجَدَت نفسها وحيدة وتنغمس "أوهارو" باللهو في غرفة

المريضة ليوم بأكمله دون أدنى مبالاة بتوبيخ "يوكيقو" وتقول مثلما تقول "ميتو":

"لا داعي لكلّ هذا الحرص. يستحيل أن تنتقل إليَّ العدوى".

ولم يقتصر الأمر على المشاركة بلعبة الورق فقط، بل أمسَكَت كلٌّ من "أوهارو" و"ميتو" بأطراف "إتسوقو" لإزالة القشور عنها. كانت البثور تغطّي جسدها كله وهما تُقلّبان طرف قشورها وينزعانها، ثم يجمعانها للتخلُّص منها. اعتاد الوضعَ كُلُّ مَن بالبيت ولم يَعُد هناك أحدٌ يخشى العدوى.

ببداية شهر مايو بعدما تماثَلَت الصغيرة للشِّفاء قالت "تائيقو" إنها تودُّ الذهاب إلى "طوكيو" وتريد مناقشة أخيها الكبير رب بيت العائلة مباشرة، ولن ينتهي الأمر دون حلٍّ لمشكلة النقود، وهي ألغت فكرة السفر لأوروبا، ولن تتزوَّج بالقريب العاجل ويلزمها بعض الترتيبات فإن كان سيعطيها أيًّا من حقِّها فليسرع، وإن كان بِنيَّته ألَّا يعطيها شيئًا فلا بُدَّ من تصحيح تفكيره هذا، وكي لا يتسبَّب الأمر في أي مشاكل لـ "يوكيقو" أو "ساتشيقو" أرادت أن تذهب بمفردها وتتفاوَض معه بهدوء دون داعٍ لِقَلَقِهم.

إنها لا يتوجَّب عليها السفر بهذا الشهر تحديدًا، ولكنها تظنُّ أن الظروف أفضل الآن لتواجد "يوكيقو" عندهم ببيت "أشيبا"؛ فاتَّخذَت قرارها فجأةً، وهي لا تريد أن تطول إقامتها بذاك البيت الضيق الذي يعجُّ بالأطفال، وتنوي العودة فور انتهاء المسألة. على الأكثر قد تذهب لمشاهدة المسرح، لكنها للتَّوِّ فعلت هنا فلا بأس.

سألتها ساتشيقو ستتفاوض مع مَن؟ وأي ترتيبات هذه التي تلزمها؟ لكن مؤخَّرًا كلتا الأختَيْن تميلان لمُعارَضَتِها؛ لذا فـ "تائيقو" من السَّهل عليها ألَّا تصارحهما بشيء ولا تجيب على أيٍّ من أسئلتهما بوضوح. إذن فالاختيار يقع أوَّلًا على الأخت الكبيرة "تسوروقو" لتبادُلها النقاش وإذا

لم يفلح الأمر فلا مَفرَّ من صدامها المباشر مع أخيها الكبير، ولا يزال ما تدعوه "ترتيبات" شيء غامض لم يتَّضِح شأنه بعد.

خفَّفت "ساتشيقو" من وطأة هجومها وسألتها برفق عمَّا إن جدَّ أي جديد في شأن المعلِّمة "تاما أوكي"، وما إن كانت بدأت بالفعل في مشروع متجر الملابس النسائية على نطاقٍ ضيِّقٍ؛ ظنًّا منها أن هذا هو سبب حاجتها للنقود لتبدأ بها كرأس مال، لكن "ساتشيقو" تدري أنه للأسف حتى ولو كان هذا طموح "تائيقو" فهذا مرفوضٌ لدى العائلة. إن أخاهم الكبير لن يخرج المال من تحت يده إلَّا لزواج رسمي بموافقته، وحتى الآن ليس هناك بجديد، والأكثر أنه يرفض رفضًا قاطِعًا أن تصبح "تائيقو" امرأةً عاملة.

إذن فلا بُدَّ أن ما لديها من ترتيبات سيكون غير ذلك؛ فعلى هذا الحال تبدو المناقشة غير مُمكِنة على الإطلاق، إلَّا أن المنفذ الوحيد المتاح أمامها هو أن يحالفها الحَظُّ، وتسنح لها الفرصة لتحدِّثه مباشرة وبطريقتها الخاصَّة.

إن الأخ الكبير صفته المتأصِّلة به هي الخِسَّة، ومنذ ما دخل العائلة وهو شاب ومعاملته للأختين الصغيرتين فظَّة، وحتى في الخَفاء آراؤه قاسية، والمواجهة وجهًا لوجه تُضعِف موقفه، ومن هنا يوجد احتمالٌ أن ينصاع بقليل من الضغط؛ ممَّا يعني أنها لن تحصل على نتيجة إلَّا بتهديده، وهذا هو هدف "تائيقو" والأمل الوحيد الذي تتعلَّق به وقَرَّرَت على أساسه الذهاب إلى "طوكيو"، وبدا أنه يتهرَّب منها. لكنها ليست بالشخصيَّة التي يمكن الاستخفاف بها، فهي تهيَّأت واستعدَّت جيِّدًا على مدى عدَّة أيام إلى أن حانت الساعة.

حين قالت "تائيقو" فجأةً أنها ستذهب لـ "طوكيو" كانت "ساتشيقو" بالفعل تنبَّأت بذلك، فبهذا التوقيت لن يرافقها أيٌّ من

أُختَيْها، وكان من الواضح أنها اختارت تلك الفترة عن عَمدٍ؛ ممَّا أثار قلقها.

على حَدِّ قول "تائيقو" إنها ستتفاوض معه بسلاسة، لكن يبدو أنها في سريرتها تنوي الصدام به، غيرَ عابِئَةٍ بشيء، حتى لو آل الأمر للقطيعة بينها وبين بيت العائلة؛ ولذلك هي لا تريد أن تتورَّطَ أيٌّ من أختيها "ساتشيقو" أو "يوكيقو" معها.

لو أن هذا حقًّا ما تطرَّق إليه تفكيرها فلن يعرقلها أي شيء مهما كان.

ظنَّت "ساتشيقو" أن الأخ الكبير بذاك الحين سيظل كما هو، ولكي لا تدعمه "ساتشيقو" في أذى أختها عليها أن تدعها تذهب لحالها، وحتى أيضًا لا يُساء فهمها.

على هذا الحال غادرت "تائيقو" وبدون أن ترافِقَها أيٌّ من أُختَيها، وحاولت "ساتشيقو" قدر الإمكان أن تظهر أنها لا شأن لها بهذه المشكلة، فهي ترى المشهد ككُلٍّ من على بُعد وترى أن الأخ الكبير متورِّط بمشكلة، لكنها لا تستطيع تحمُّل العواقب مهما كانت مستاءةً من موقفه.

لكن مهما توارت كي لا يظنَّ بها الأخ الكبير ذلك فهل عليها أن توقف "تائيقو" عمَّا تنوي القيام به بأي شكل كان؟

هكذا أرسلت "ساتشيقو" لأختها الكبيرة "تسوروقو" تسألها وتخبرها بنفس الوقت عن ذاك التهوُّر.

إنهم حتى لو ألقوا اللَّوم عليها فـ "ساتشيقو" في مأزق، وموقفها لا تُحسَد عليه.

بتلك الفترة كان شأن الصغيرة متروكًا بالكامل لتتولَّاه "يوكيقو".

رأت "ساتشيقو" عن "يوكيقو" إذا رتَّبَت أمورها لتسافر هي الأخرى، فلا بُدَّ لها أن تتورَّط بالنِّزاع بين أخيها الكبير وأختها الصغيرة حول الأموال، وأكثر ما يزيد موقفها تعقيدًا هو إلى أيِّ جهة منهما ستنحاز؟ إنها هي ذاتها لا تستطيع حسم موقفها.

من ناحية أخرى ظنَّت "يوكيقو" أن لو أختها تخطِّط حقًّا لإدارة متجر ملابس غربية، فلا بُدَّ أن هذا التفكير وراءه "إيتاكورا" وهذا واضِحٌ جدًّا، أَمَا وإن كانت تسيء الظَّنَّ به وهذا حقًّا هو غرض "تائيقو" ذاتها من الحصول على المال؛ فهي لن تَتزحزح عن رأيها حتى وإن تظاهَرَت بالعكس؛ فهي دائمًا بها جانب عاطفي غير مُتوقَّع، وعلى الأرجح هذا ما يستغلُّه "إيتاكورا" ولا يَدَع لها مجال لقطع علاقتها به؛ لذلك من الأفضل عدم حصولها على الأموال.

كانت هذه إحدى الملاحظات التي من الأحرى أخذها في الاعتبار، ورأى "ساتشيقو" بذلك أن لو "تائيقو" مُغرَمَة لهذا الحد فقلبها سيعوقها، وسينتهي بها الحال لفشل ذريع، وهذا ليس بخفيٍّ على أحد.

استاءت "ساتشيقو" أكثر لأنها تشعر بأن "تائيقو" لا تزال تُواعِدُ "إيتاكورا" ولا تعبأ بتحذيراتهم، لكن مصير امرأة شابَّة مثلها لا يمكن أن يتدخَّل به أحد، والأخت الصغيرة الفاتنة التي تسعى لاستقلالها ليس هدفها أبدًا إثارة حنق أخيها الكبير الضَّعيف فما يقدِّمه لها من مساعدة شيء أدعى للسخرية. "تائيقو" تريد أن يُخصِّص لها مبلغًا مستقلًّا بأي شكل كان، وتصبح هي مَن تملك حرية التصرُّف به فعليًّا، ولأن الأخ الكبير هو وليُّها فهي تريده أن يُخرِج المال من حوزته.

ومع ذلك فإذا سافرت معها "ساتشيقو" إلى "طوكيو" سيصبح موقفها عصيبًا، سواء بالانحياز أو بالاستنكار فهي تقف بين "تائيقو" وبيت العائلة. الحل الوحيد أن أقنعت أختهم الكبيرة بأنه لا خيار

أمامهم سوى مُسانَدة "تائيقو" حتى ولو على مَضَض، وحتى ولو هي كارهة لذلك.

بهذه الحالة سيكون الانحياز صريحًا لـ "تائيقو" لدرجة الضَّغط على أختهم الكبيرة، والصراحة هذه ليست من شِيَم أخلاقهم أبدًا.

الفصل الثاني والثلاثون

اعترَضَت "يوكيقو" بالأساس على فكرة ذهاب أختها الصغيرة إلى "طوكيو" بمفردها، وعلى أية حال هذا لا يعني أنه ما من طريقة لترافقها "ساتشيقو"؛ فـ "إتسوقو" تماثَلَت للشفاء حقًّا، وإن تغيَّبَت أمُّها "يوكيقو" سترعاها وستكون مطمئنَّةً، وحتى ولو لم تَعُد على وجه السرعة ومكثت لحينٍ من الوقت فلا بأس، لكن "تائيقو" حين وقع على مسامعها خبر مُرافَقة "ساتشيقو" لها امتعضت ملامحها.

إن "ساتشيقو" لا تريد إزعاجها بالسَّفر معها وإنما كل ما في الأمر أنها تفكِّر في ردَّة فعلِ بيت العائلة، خاصَّة وأن "تائيقو" سلوكها مُتحرِّر ولا مانع لديها من الصدام بأيِّ شخص كان، وحتى وإن كان الأخ الكبير والأخت الكبيرة سيأخذان بشهادتها، فهذا ليس المقصد بالأساس، وستبذل قصارى جهدها لتلافي هذا الموقف. إن لم تستطع أن تجزم برفض قاطِعٍ فعلى الأقل ستحافظ على موقفها كطرف مُحايِد، وكله من منطلق توخِّي الحَذَر من تصرُّفات "تائيقو" غير اللائقة.

إن "تائيقو" بهذه المرة أفصَحَت عن غايتها في المُجمَل، وطالما قالت "ساتشيقو" إنها سترافقها فهي ستفعل، حتى وإن كانت "تائيقو" لا تحبِّذ تَدخُّلها، ولأن "ساتشيقو" ذاتها لا تريد أن تَعلَق بالأمر فقرَّرت أن تتوجَّه بحديث مباشر لأختهم الكبيرة، وأرسلت لها خطابًا مُسبقًا تخبرها بكل شيء.

بهذه المرة أيضًا أرادت "ساتشيقو" المبيت بنزل "هامايا" في طوكيو، لكن "تائيقو" تجنَّبَت هذه الترتيبات وكان تخطيطها المبيتَ في بيت العائلة إلى أن تخوض الحديث مع أخيها الكبير.

غادرت الأختان "أوساكا" بالقطار السريع، وبمساء يوم وصولهما كان أول ما فعلته "ساتشيقو" هو أنها اصطحبت "تائيقو" معها للنُّزُل، ثم هاتَفَت أختهم الكبيرة وأخبرتها أنها مُتعَبَة ولن تذهب إليهم اليوم وستأتيهم "تائيقو"، لكنها لا تعرف الطريق بمفردها، وسألتها ما إن كان مُمكِنًا إرسال أحد أبنائها.

أجابتها "تسوروقو" بأنها هي مَن ستأتي لاستقبالهما، وأنهم لم يتناولوا طعام العشاء بعدُ، واقترحت أن تلتقيهما بأيِّ مكانٍ ويذهبن لتناول الطعام سويًّا بحيِّ "جينزا".

قالت "تائيقو" إنهم طالما سيذهبون إلى "جينزا" فهي تريد مطعم "NEW GRAND" أو "LOHMEYER"، وأيَّدَت "تسوروقو" الذهاب إلى"LOHMEYER"، فهي لم تذهب إليه من قبل وأصبح الوضع على عكس المتوقَّع، وهي مَن تسألهما عن الطريق، وكيف تصل من بعد جسر "سوكيا".

قامت كلتا الأختَيْن بالاغتسال قبيل الخروج، ووصَلَت الأخت الكبيرة من قبلهما، وحجَزَت طاولةً، ومكَثَت في انتظارهما، وقالت إن الضيافة اليوم عليها.

عادة بمثل هذه المناسبات "ساتشيقو" هي مَن تقوم بتقسيم الحساب لكن بهذه الليلة كانت "تسوروقو" ودودةً بشكل خاص وتعير انتباهًا لـ "تائيقو" وتوجِّه إليها كلماتها أوَّلًا، وقالت لها أيضًا إنهم لم ينسوا شأنها أبدًا، ولكن المنزل ضيِّق للغاية، ولقد أخذوا "يوكيقو" بمفردها معهم على أن يستدعوها هي الأخرى بالقريب العاجل، لكنهم لم يستطيعوا تدبير الأمر، وأنهت "تسوروقو" كلماتها دون تقديم تفسير محدَّد.

بعدها فتحت كلُّ واحدة منهم قنينة من البيرة الألمانية "JOCK-EY"، ثم خرجوا من المطعم وتنزَّهوا بحيِّ "شينباشي" مرورًا بـ "جينزا" بليلة في أوائل الصيف، وتركتهما "ساتشيقو" عند محطَّة "شينباشي"، ولم تذهب لبيت العائلة لبضعة أيام إلى أن تنهي "تائيقو" النقاش الذي جاءت من أجله، وكان لا بُدَّ لها أن تمضي هذه الفترة لحالها، وفكَّرَت في زيارة صديقةٍ لها تزوَّجت بـ "طوكيو" كانت رفيقتها بمدرسة البنات، وإنما بالصباح التالي وهي تقرأ الصحف بغرفتها جاءتها مكالمة هاتفية من "تائيقو" تقترح عليها أن يخرجا سويًّا، وسألتها "ساتشيقو" عمَّا إذا كانت تناقَشَت بشيء مع أخيها الكبير، لكن الإجابة جاءت بالنفي، وأنها أصابها الملل، وأخبرتها "تسوروقو" بالصباح أن أخاها مشغول طوال هذا الأسبوع؛ لذا فمن الأفضل تأجيل الأمر للأسبوع القادم، وهي ليس أمامها حلٌّ آخر؛ ولذا فليمضوا وقتهم هنا في التنزُّه قليلًا. لكن "ساتشيقو" أنهت معها المكالمة على أنها لديها موعد اليوم لزيارة صديقتها "أوياما" وستتغيَّب حتى المساء، ربما تعود بالساعة الخامسة.

تأخَّرَت "ساتشيقو" وعادت بالسابعة حيث احتجزتها صديقتها وأعدَّت لها مأدبة عشاء، وجاءت "تائيقو" للنُّزُل بغيابها. إنها اليوم انتظَرَت عودة "ترو أو" من المدرسة ليدلَّها على معبد "ميچي شينكو" وعاد الاثنان من جولتهما للنُّزُل بالسَّاعة الخامسة، ولم تكن "ساتشيقو"

عادت بعدُ، وكانا سيطلبان الطعام بالغرفة لتضوُّرهما جوعًا، لكن "تائيقو" لا يزال عالِقًا بفمها مذاقُ البيرة الألمانية من الليلة الماضية، فدَعَت "ترو أو" لذاك المطعم، وبعد تناول عشائهما تَرَكَته وعادت للفندق للمبيت هذه الليلة مع "ساتشيقو".

جاء بحديث "تائيقو" عن بيت العائلة في "شيبويا" أن ترحيب أخيها الكبير وأختها كان ترحيبًا حارًّا ولم يتركوها وحدها أبدًا، وبالصباح قبل خروج أخيها للعمل قال لها إنها أخيرًا جاءت إليهم؛ فلتبقَ هذه المرة طويلًا، وإن كان البيت ضيِّقًا والوضع بائِسًا بعض الشيء إلَّا أن "يوكيقو" ليست هنا الآن، وإلى حدٍّ ما يمكن تدبُّر الوضع، وهو للأسف مشغول، لكنه سيكون لديه مُتَّسَع من الوقت بالأسبوع القادم، ويودُّ دعوتها للخروج بمكانٍ ما، علاوة على ذلك قال إنه لديه استراحة لساعة بوقت الظهيرة، فليتها تستطيع المجيء إلى بناية "مارونوتشي" ويتناولوا الغداء سويًّا بأيِّ يوم. قال لها الكثير من هذا القبيل، وبهذه الأيام القليلة تَبدَّد تَوتُّر الثلاث أخوات: "تسوروقو" و"ساتشيقو" و"تائيقو"، وتحوَّل لمزاجٍ جَيِّد، فالأخ الكبير لم يسبق له أن كان بمثل هذا اللطف من قبل.

بعد خروج الأخ الكبير لعمله أسرعت "تائيقو" لتتحدَّث مع أختها حديثًا مُفصَّلًا استمرَّ لقرابة السَّاعة عمَّا تريد فعله. لم تنزعج "تسوروقو" ولو بالقليل، بل ظلَّت تصغي باهتمام، وقالت إنها ستناقش زوجها، وترى ما قولُه، لكنه مشغول للغاية ويعود بوقت متأخِّر ليلًا، وهي تريدها أن تنتظر للأسبوع القادم وستسنح الفرصة بالتأكيد، وإلى ذاك الحين فلتستمتع بوقتها دون أن تشغل بالها بشيء، فهي اشتاقت لمجيئها، ولتجعل "ترو أو" يرشدها لأي مكان ترغب بالذهاب إليه، وليتنزَّها سويًّا، وما كان أمام "تائيقو" سوى الانتظار بناء على كلمات أختها، وإن كانت لا تدري ماذا سيحدث.

بالأمس حين ذهبت "تائيقو" إلى "نوماتزو" بالقطار لترى جبل "فوچي" وجدته حجَبَت الغيومُ مُعظَمَه، وقالت مازِحةً إن هذا ليس بالفأل الحَسَن، وبالطَّبع كان مقصدها هو الهدف من مجيئها لـ "طوكيو"، فحتى الآن هي ليست على يقينٍ من شيء، وتتوخَّى الحذر من أن يستدرجها الزَّوجان، فهي لا تعلم ما إذا كانا يخدعانها، لكنها على العموم استمتعت بأوقاتها.

أمَّا "ساتشيقو" فهي تقضي أوقاتها وحيدةً بغرفتها في النُّزُل، وانتابها شعور بالإحباط لاغترابها، وبالليلة الماضية لم يغمض لها جَفنٌ طوال الليل، وكان هذا هو حالها طوال الأسبوع، وأصبح وضعها بائِسًا. لكن بتلك الليلة أيضًا لأوَّل مرَّة ومنذ عدة سنوات تنام هي وأختها جنبًا إلى جنب. "ساتشيقو" منذ أيام سكناهم ببيت رصيف الميناء، وإلى أن أصبحت شابَّةً بمقتبل العمر، وبآخر ليلة قبل زفافها- وهي تشارك أختها نفس الغرفة، ووقتما كانت بمدرسة البنات كانت الأخت الكبيرة فقط المخصَّص لها غرفة وحدها، وهي والأختان الصغيرتان بغرفة بالطابق الثاني. لم تنفصل "تائيقو" عن أختيها أبدًا، و"يوكيقو" دائمًا ما كانت تسعى لمكانٍ بينها وبين "ساتشيقو". كانت غرفتهم ضيِّقةً وبها اثنان من الأَسِرَّة لثلاثتهم. "يوكيقو" هي التي لا تتقلَّب أثناء نومها، وحتى بالليالي الحارة تتدثَّر بعناية وكعادتها تنام بهدوءٍ دون أن تفسد هيئتها ولو بالقليل.

كان هذا هو المشهد الذي تَبادَر لمخيِّلة "ساتشيقو" الآن، واعتصر قلبها الحنينُ، وتراءت لها صورة من تلك الأيام و"يوكيقو" بقوامها الهزيل تنام ملتَزِمةً بمكانها بالضَّبط بينها وبين "تائيقو" بمساحة ضيِّقة للغاية.

بحلول الصباح فتحت عينيها بفِراشها، وكأنَّها عادت لأيام ما كُنَّ فتياتٍ، وبعد وهلة بدأت الثرثرة الطفوليَّة:

""تائيقو" ماذا سنفعل اليوم؟".

"ماذا سنفعل؟".

"ألن نذهب لأيِّ مكانٍ تحبينه؟".

"الكل يقول "طوكيو، طوكيو"، وأنا لا أرى بها أي مكان أريد الذهاب إليه".

"أنا أيضًا "أوساكا" و"كيوتو" بالنسبة لي أفضل... بالأمس ذهبت إلى "LOHMEYER" وتناولنا شيئًا مختلِفًا. "Wiener schnitzel"".

"وكان "ترو أو" فَرِحًا؟".

"مجرَّد أن بدأنا بتناوُل الطعام جاء قبالتنا رفيقٌ له بالمدرسة بصحبة والديه...".

"حقًّا".

"وفور ما وقع نظر "ترو أو" عليه توردَت وجنتاه وظلَّ يقول "يا للورطة... ماذا سأقول الآن وأنا معكِ سويًّا؟ لن يُصدِّق أحدٌ أنَّكِ خالتي فعلًا"".

"فَهِمت".

"سيقولون الفتى أكبر أخواته... ها هي رفيقته الجميلة... وحين أردت طلب البيرة تعجَّبَ واتَّسَعَت مُقَلتاه بشكل عجيب وقال: "مااااذا!"، كان يظنُّني لا زلتُ طفلةً".

"أنتِ يا "تائيقو" بالملابس الغربيَّة لا تبدين حتى كأخته الكبيرة. قَطعًا أي أحد سيظنُّ أنك فتاة تالِفَة".

قبل الظهيرة بقليل جاءتهما مكالمة هاتفية من بيت "شيبويا" يخبرونهما بحجز تذاكر مسرح الكابوكي بالغد.

إذن فلا شيء تفعلانه اليوم. ستخرجان بالظهيرة لاحتساء الشاي في "جينزا" وتستقلّان سيارة أجرة من "أواريتشو" للالتفاف حول مُرتَفَعات "مياكيه"، وصولًا إلى مجمع السينمات والمسارح "هيبيا". بعد عبور إشارة تقاطُع الطُّرُق هناك أطلَّت "تائيقو" من نافذة السيارة وظلَّت تحدِّق بالمارَّة، وقالت:

"الشائع بـ "طوكيو" هو الأقمشة ذات النقوش والزَّركَشة النَّمطيَّة على شكل المثلَّثات؛ فمنذ خروجنا من "GERMAN BAKERY" وحتى وصولنا إلى هنا شاهَدتُ سبعة أشخاص يرتدونها".

""تائيقو"... هل قُمتِ بِعَدِّهم؟".

"هيَّا انظري، هناك واحدة أخرى، وهناك أيضًا ها هي...".

واستمرَّ حَديثُها على ذاك المنوال لبعض الوقت.

وبتجوُّلهما بالطُّرُقات قالت "ساتشيقو":

"خطر... خطر، ليس على طالبة بالإعدادية أن تسير ويدها بجيوبها".

"مضبوط، ولكني متى فعلت ذلك! أنا حتى بأيام المدرسة كان الزِّيُّ بنطالًا بدون جيوب!".

وردَّت "ساتشيقو" متعجِّبة:

"حقًّا!".

كان من عادة "ساتشيقو" الحديث عن أختها الصغيرة هكذا منذ أن كانت فتاة بالمدرسة، وحتى بعدما نضَجَت، وبالحقيقة مثل ذلك الأسلوب يجعلها تشعر بالرِّضا وكأنه لم يَمُرَّ العمر ولا تزال شابَّة بمقتبل العمر.

الفصل الثالث والثلاثون

بذلك اليوم المشرق الذي تَوجَّهوا به لمسرح "الكابوكي"، وقُبَيل رفع ستار الفصل الأخير توالَت النِّداءات عبر مُكبِّر الصوت من على خشبة المسرح للعديد من الأشخاص:

"السيد فلان من "ميدوريتشو"".

"السيد فلان من "أوورياما مينامي تشو"".

"السيد فلان من "نيشينوميا"".

وهكذا خرج مُسرِعًا كلُّ مَن سمع اسمه، وجاء آخر نداء عن شخص من الفلبِّين، وكان هذا طبيعيًّا فمسرح الكابوكي يأتيه المشاهدون من كل أرجاء اليابان، وتعجَّبوا من كَمِّ الحضور من إقليم الجنوب، ثم فجأة قالت "تائيقو":

"مهلًا".

وأصغوا باهتمام.

"حضرة السادة من عائلة "ماكي أوكا" من "أشيبا"".

ونادوا عليهم عبر مُكبِّر الصوت، ثم صحَّحوا النداء وكرَّروه ثلاث مرَّات:

"السادة من عائلة "ماكي أوكا" من "أشيبا" بمحافظة "هيوجو"".

"ترى ماذا هناك؟ هيا اذهبي "تائيقو" وتعالي".

نهَضَت "تائيقو" فور قَولِ "ساتشيقو" ذلك، وذهَبَت ثم عادت بعد حينٍ وأخَذَت وشاحها وحقيبتها من على المقعد.

"عفوًا "ساتشيقو"".

واصطحبتها للرَّدهة بالخارج.

"ماذا حدث؟".

"الآن جاءت بالخارج نادِلة فندق "هامايا"، قالتها "تائيقو".

لقد أذاعوا أنه على السيدة "ماكي أوكا" الحضور إلى قاعة الزُّوَّار، وحين خرجت "تائيقو" من البوابة الرئيسية وجدت النادِلَة تقف عند الدَّرَج وأخبرتها أنه منذ قليل جاء اتِّصال من بيت "أشيبا". تحدَّثَت النادلة بلكنة "أوساكا"، وأضافت أنها حاولت الاتصال بالمسرح لعدَّة مرَّات ولكن دون جدوى فقالت لها ربَّة النُّزُل أنه من الأولى المجيء إليك هرولة وإبلاغك. سألتها "تائيقو" عن هذه المكالمة التي جاءتهم، لكنها أجابت بأن ربَّة النُّزُل هي مَن أجابت الهاتف؛ لذا فهي لا تعرف شيئًا، لكنها أضافت:

"إن الحديث بدا أنه عن شخص مريض وحالته سيئة للغاية، ولكنها ليست ابنةَ حضرتك، فابنتكم تتعافى من الحُمَّى القُرمزيَّة، والمريض المقصود ليس هي، بل شخصًا دخل إلى قسم الأنف والأذن والحنجرة بالمشفى".

هـذا مـا ذكرتـه النادلـة ورَوَتـه بمصداقيـة، وربَّـة النُّـزُل ظنَّـت أنهـما بالتأكيـد بالمـسرح فأرسـلتها وأبلغتهـا أنـه عـلى الأرجـح سـتعود "تائيقـو" هـذا المسـاء بالقطـار الليـلي، وهـي ترجوهـا أن تُطَمئِنَهـا بمكالمـة هاتفيـة إن سـمح الوقـت.

"إذن فهو "إيتاكورا"".

لقـد عرفـت "ساتشـيقو" بشـأن العمليـة الجراحيـة التـي سـيجريها "إيتاكـورا" بأُذُنـه أثنـاء رحلتهـما بالقطـار حـين سـألت "تائيقـو" عـن أخبـاره، ودار الحديـث حينهـا عـن أن "إيتاكـورا" ذهـب منـذ بضعـة أيـام لمشـفى في "قوبيـه" لانسـداد أذنـه بسـبب التهـاب الأذن الوسـطى، وأول أمـس أخبروهـا أنـه يجـب أن يخضـع لعمليـة جراحيـة لإصابتـه بالتهـاب الخشـاء[1]، وأمـس دخـل المشـفى لإجـراء الجراحـة، وتمَّـت العمليـة بنجـاح، وسـيتماثل للشـفاء سريعًـا؛ لقـد قـال لهـا "إيتاكـورا" ألَّا تقلـق وهـو يخبرهـا بالأمـر، وأكَّـد عليهـا أن تذهـب لـ "طوكيـو" وتعـود بالسـلامة؛ لذلـك أتمَّـت اسـتعداداتها للسـفر ولم ينشـغل بالُهـا؛ ظنًّـا منهـا أنـه أمـر هـيِّن؛ فهـو رجـل قـويُّ البنيـة، يتمتَّـع بخـير صحـة، ويبـدو أنـه حتـى وإن تعـرَّض للقتـل لـن يَمـوت. لكـن حالـة "إيتاكـورا" تَدَهـوَرَت فجـأة.

أبلغوهـم بالنُّـزُل عـبر الهاتـف أن يجعلـوا "تائيقـو" تتفضَّـل مشـكورةً بالاتصـال، ربمـا هـي أخـت "إيتاكـورا" مَـن اتَّصلَـت أو أي أحـد مـا مـن المشـفى جـاء لإخبارهـا، و"يوكيقـو" لم تَـدَع الأمـر يمـرُّ مـرور الكـرام، بـل عـلى الفـور أبلغـت الخـبر بدورهـا.

إن التهـاب الخشـاء حتـى وإن تطلَّـب عمليـة جراحيـة فهـو شيء لا يسـتدعي القلـق، ولكـن إذا تأخَّـر أكـثر مـن الـلازم أحيانًـا يتغلغـل الالتهاب بالمـخ، ويمكـن أن يُهـدِّد الحيـاة في بعـض الحـالات.

---

(1) العظم الناتئ خلف الأذن.

لقد أراد من "يوكيقو" أن تبلغها على وجه السرعة حين وجد حالته غير مُطَمئِنَة.

"ماذا ستفعلين "تائيقو"؟".

"على الفور سأمرُّ على الفندق ثم أغادر".

حافظت "تائيقو" على هدوئها دون أن يبدو عليها أي قلق.

"وأنا ماذا سأفعل؟".

"أكملي مشاهدتك للمسرحية. آسفة لتَركِكِ".

"وماذا سأقول لـ "تسوروقو"؟".

"لا أعرف".

"بهذه المرة يا "تائيقو" عليَّ أن أخبرها بشأن "إيتاكورا"".

"أخبِريها".

ووَضَعَت "تائيقو" وشاحها ذا اللون الفاتح على كتفيها وهمَّت بالمغادرة، وأضافت:

"... ولا مانع لديَّ إن حدَّثتني بالموضوع".

وألقت "تائيقو" بكلماتها ونزلت الدَّرَج وذهبت.

عادت "ساتشيقو" إلى مقعدها، وكان قد رُفِع الستار و"تسوروقو" مندمجة في المشاهدة بشغف ولم تنطق بكلمة أو تتساءل عن أي شيء، لكن "ساتشيقو" واتتها الفرصة لتخبرها بكل شيء عندما انتهى العرض وتَزاحَم الحضور عند البوَّابة الرئيسية للخروج، وسألتها "تسوروقو" لأول مرة عن "تائيقو"، لكن "ساتشيقو" لم تفعل وأجابتها:

"منذ قليل جاء للقائها صديقٌ، ويبدو أنهما ذهبا سويًّا".

وسارت "ساتشيقو" برفقة أختها الكبيرة إلى "جينزا"، وفارقتها عند "أواريتشو" وعادت للنُّزُل.

استقبلتها النادلة بالقول إن "تائيقو" غادرت للتَّوِّ، وهاتَفَت بيت "أشيبا" قبل رحيلها في عُجالة، وطلبت منهم حجز تذكرة بقطار النوم لها للعودة إلى "أوساكا" بعد انتهاء المسرحية، وأضافت:

"إنها لم توضِّح أي تفاصيل أكثر، فقط أمكنني الفهم من المكالمة التي أجرتها أن جرح العملية تلوَّث بميكروب خطير، والمريض يتألَّم للغاية، وهي ستذهب مباشرة إلى "سانّوميا" بالقطار، ثم للمشفى فور وصولها للمحطَّة غدًا بالصباح الباكر".

أضافت النادلة أن "تائيقو" أرادت منها أن تبلغها أيضًا أن هناك حقيبة صغيرة لها، فلتأخذها معها وتُعِدها إلى "أشيبا"، وكانت هذه كلماتها بعدما استطاعت بقليل من التخمين أن تفهم العلاقة بين "تائيقو" والمريض.

لم تستطع "ساتشيقو" التزام الصمت أو أن تظلَّ هكذا لا تُحرِّك ساكِنًا، وأرادت أن تتَّصِل ببيت "أشيبا" فكلَّمَت "يوكيقو"، لكنها لم تتمكَّن من سماعها جيِّدًا ولم تفهم منها أي شيء على الإطلاق؛ ذلك ليس لعيب بالهاتف أو بخطوط الاتِّصال، بل لأن طبيعة نبرة صوتها خافتة مهما حاوَلَت بعزم ما فيها من قوة رَفعَ صوتها، وأنسَبُ وصف لمحاولتها أنها تضيع سُدًى؛ لأن صوتها رقيق وضعيف. إنها طيلة عمرها لا شيء يثير حنقها كالهاتف؛ فهي يصعب عليها التعامُل عبره، وغالبًا ما تجعل أيَّ أحد سواها يقوم بهذه المهمة، لكن اليوم الأمر يتعلَّق بـ "إيتاكورا"؛ لذا لا يمكنها أن تَدَعَ "أوهارو" تتحدَّث بدلًا منها، ولا يمكنها أيضًا أن تطلب من "تينوسوكيه"؛ فما من سبيل لأحدٍ سواها؛ فحاوَلَت على مضض. صوتها ضعيفٌ وخافت للغاية، و"ساتشيقو" تمضي الوقت كله وهي تقول "ألو ألووووو" عِوَضًا عن تبادُل أطراف

الحديث. بالنهاية استطاعت أن تلتقط حديثًا متقطِّعًا مفاده أنه اليوم بالساعة الرابعة مساءً جاء اتِّصال من أخت "إيتاكورا" تقول إنه دخل المستشفى لإجراء عمليَّة بأذنه وتمَّت بنجاح، لكن منذ مساء أمس تبدَّلَت حالته فجأة للأسوأ، وعلى ما يبدو أن هناك ضَرَرًا طال الدماغ، وليس المخُّ فقط الذي أُصيب، بل القدم أيضًا، ولم تستطع أن تفهم بوضوحٍ ماذا قد يكون بقَدَمِه، لكنه يتألَّم ألمًا عظيمًا وينتفض من الوجع بمجرَّد لمسها، ويستمر في الصراخ "تؤلمني، تؤلمني".

لم يطلب "إيتاكورا" استدعاء "تائيقو"، ولكنها تشعر أن معاناة أخيها ليست بالأمر الطبيعي، وعلى ما يبدو أنها خرجت من نطاق تَخَصُّص الأنف والأذن والحنجرة، وهي تبحث عن أي استشاري آخر يتفحَّصه، ولكنها ليس بمقدورها التَّصرُّف أو اتِّخاذ أي قرار على مسؤوليتها وهي بمفردها، وقالت لها أخت "إيتاكورا" إنها في حيرة من أمرها، ولا تدري ماذا يتوجَّب عليها القيام به أو كيف ولماذا تطوَّرَت حالته بهذا الشكل. لقد هاتفتها "تائيقو" وعلمت بما أصابه وأنه يتلوَّى من الألم كالمجنون، فأخبرتها بمغادرتها هذا المساء. أيضًا أرسلت أختُ "إيتاكورا" برقيَّةً لوالديها بالريف، وسيحضران بصباح الغد.

كان هذا كل ما استطاعت "ساتشيقو" معرفته من "يوكيقو"، وقبل أن تُنهي المكالمة سألت عن ابنتها ووجدتها استعادت كامِلَ عافيتها ولا يمكنها التزام الهدوء بغرفتها المنعزلة، وتتسلَّل وتقفز خارجها، ولا يمكن السيطرة عليها، ولقد تساقَطَت القشور كلُّها عن جسدها، ولا يتبقى سوى القليل بساقها من الخلف.

غادرت "تائيقو" وبقيت "ساتشيقو" لحالها ترتبك كلَّما فكَّرَت في عُذرٍ مقبول يصلح الموقف ويجعلها تسرع بالمغادة بعدما تودِّع أختهم الكبيرة. انتهى بها التفكير لأن تتصرَّف بشجاعة، وحتى ولو بدا الأمر غريبًا، فلا مفرَّ، وستهاتف "تسوروقو" بالصباح وتخبرها أن

"تائيقو" عادت لـ "أوساكا" لظروف طارئة وهي ستلحق بها وتغادر أيضًا، ولكن تَودُّ لقاءها أوَّلًا بأيِّ مكان، وإنما سرعان ما جاءتها الأخت الكبيرة وهي تحمل بيدها حقيبة لـ "تائيقو".

كانت "تسوروقو" فيما بين الأخوات كلِّهنَّ هي الأكثر هدوءًا وطول بال، حتى إن أخواتها الصغار ينعتونها بـ "مُمِلَّة". إنها لم تسأل عن الأمر العاجل الذي استدعى سفر "تائيقو" وعادت أدراجها دون انتظار لمعرفة أي تفاصيل، وهذا جعل "ساتشيقو" تتنفَّس الصعداء. تناوَلَت الاثنتان الغداء بالصالة اليابانية الطراز بالفندق. حاوَلَت "ساتشيقو" أن تجعلها تستشفُّ الوضع، وكان كل ما سألت عنه هو ما إن كانت "تائيقو" مستمرَّةً بلقاء "أوكوباتا"، وأجابتها "ساتشيقو":

"نعم، من حينٍ لآخر".

"وبخلاف "أوكوباتا" هل هناك شخص آخر؟".

"ومِمَّن سَمعتِ هذا؟".

"مؤخَّرًا حدَّثتني "يوكيقو"، وعرفت أنه كان هناك شخص ما، ولكن انتهت قصَّتُه".

إن "يوكيقو" أسدت للجميع صنيعًا بوساطتها في الموضوع، وإن كانت "تسوروقو" لم تسأل بالتفصيل، ولكن ترى هل هي على عِلمٍ بأن "تائيقو" على علاقة بشاب آخر الآن، وهو من مستوى اجتماعي متدنٍّ؟! لقد طلبت من "ساتشيقو" وهي ترجوها أن تنتبه عليها. أضافت "تسوروقو" أنها تدري أنها كلها شائعات، ودار حديثهم بذاك الحين كما لو أنه عن علاقة قديمة لـ "تائيقو" وانتهت. تظنُّ "تسوروقو" أن أختهم الصغيرة تطاردها لعنة الشائعات المغرِضَة وهي تثق بأخواتها لأبعد حدٍّ؛ لذا لن تسأل أبدًا عن مدى صحة أي أقاويل؛ فبالحقيقة هي وزوجها أكثر ما يتمنَّيانه هو إتمام زواج "تائيقو" و"أوكوباتا" بأسرع وقت. ورأت أنه لو كان الأمر مُحرِجًا لـ

"يوكيقو" فليحدّثوها بالموضوع أوّلًا، وأكّدَت "تسوروقو" أنه بخصوص المال الذي جاءت من أجله "تائيقو" بهذه المرة وذكرته "ساتشيقو" بالخطاب فهُم لا نيَّةَ لديهم لقبول الأمر، وهذه الحماسة لـ "تائيقو" تثير استياءهم، وسيتطوَّر الموضوع لشِجارٍ مع الأخ الكبير؛ فطلبت من "ساتشيقو" أن تجعلها تعيد التفكير جيِّدًا قبل التسرُّع بأي ردٍّ، ولتَعُدْ أدراجها في هدوءٍ أفضل، وبدون أي جلبة. قالت أيضًا إنها لا تدري كيفما ستُحلُّ هذه الأزمة، وأرهقها التفكير وكأن هذه الكلمات لتزيح حملًا جاثِمًا على صدرها.

أجابتها "ساتشيقو":

"فعلًا. أفضل حلٍّ تُقدِّمه لنا هو أن تستمرَّ مع "أوكوباتا"... أنا أيضًا أظنُّ ذلك، و"يوكيقو" بالمثل، ودائمًا ما ننصحها".

"تسوروقو" لم تُلقِ بالًا ما إن اعتبرت "ساتشيقو" هذا الكلام بمثابة تقديم أعذار؛ فهي كل هُمِّها أن تلقي ما في جعبتها وتقول ما جاءت لقوله.

وضعت عصا طعامها جانِبًا وهندمت ملابسها وقالت:

"شكرًا على الطعام. سأعود أنا الآن، ولا أدري إذا كنتُ سأستطيع المجيء بالمساء لوداعك".

وغادَرَت على الفور دون أن تلتقط أنفاسها بعد انتهاء الطعام.

الفصل الرابع والثلاثون

عادت "ساتشيقو" لمنزلها بصباح اليوم التالي، وكما عرفت من ملخَّص الأحداث الذي ذكرته لها "يوكيقو"، فبمساء أوَّل أمس حين اتَّصلَت أخت "إيتاكورا" لم تكن "يوكيقو" تدري من الأساس بدخول "إيتاكورا" للمشفى، وهي لم تلتَقِ بأخته من قبل، وظنَّت أنها اختلط عليها الأمر ولم تُمَيِّز بينها وبين "يوكيقو"، لكنها نادتها فيما بعد باسمها، وذكَّرَت أنها تعلم بوجود "تائيقو" في "طوكيو"، واعتذرت بشدَّة، وقالت لها عن حالة أخيها المتدهورة.

أنه أجرى عملية في أذنه قبيل مغادرة "تائيقو" بيومٍ، وحين ذهبت لزيارته بالمشفى كان بحالة جيدة، لكن بالمساء بدأ شعوره بالحَكَّة في قدمه، وأراد خدشها، وبالصباح التالي أخذ يصرخ: "تؤلمني، تؤلمني".

وشيئاً فشيئًا أصبح لا يقوى على تحمُّل الألم، واستمرَّ الحال هكذا لثلاثة أيام، وتفاقَمَت حالته أكثر وأكثر دون أي تحسُّن.

وبالرغم من أن مدير المشفى على عِلمٍ بأن حالة المريض هكذا إلا أنه نظَّف جرح العملية دون أن يعبأ بشكواه، وبالصباح أتى مرَّةً واحدة لتغيير الضمادة، وأسرع بالمغادرة، واليوم وبعد انقضاء يومين أصرَّ على تجاهُل معاناة المريض التي بَلَغَت هذا الحَدَّ. تقول الممرِّضات أن الوضع فعلًا مأساويٌّ؛ وهذا لفشل العملية التي أجراها مدير المشفى، ونظرًا لتدهور حالته أرادت أخته أن تشارك أيَّ أحد الحديث؛ فأي شيء يتوجَّب فِعلُه هو مسؤوليتها، وظنَّت أنه ما من شيء تفعله له أفضل من أن تدع "تائيقو" تأتيه على وجه السرعة؛ ولهذا هاتَفَت بيت "أشيبا"، وبدا أنها تَتَّصِل من مكانٍ آخر غير المشفى، واتصلت من تلقاء نفسها؛ لأن أخاها وَبَّخَها حين عرف، واختنق صوتها بالبكاء عبر الهاتف. لقد استبقت وأخبَرَت "تائيقو" بهذا الحديث، وليس من الصعب تخيُّل رَدِّها. لكن رغم ذلك حين تستمع للأمر من "تائيقو" تجدها تقول إن الأخت الصغيرة لـ "إيتاكورا" ذات الواحد أو الاثنين والعشرين عامًا نشأت بالريف ولا زالت لم تعتَد حياة المدن، ولقد استجمعت كل قواها لتتَّخِذ القرار بإجراء هذه المكالمة الطارئة؛ قلقًا منها على شأن أخيها، ولا بُدَّ أن يُلتمس لها العذر فورًا بمجرَّد أن تلحظ نبرة صوتها وتلاحق أنفاسها.

لقد أبلغوها في "طوكيو"في الحال، وهذا بفضل أنها بادَرَت بالتحرُّك سريعًا.

بالأمس فور أن وصلت "تائيقو" إلى "سانوميّا" ذهبت مباشرة للمشفى، وعادت بالمساء، ولم تمض سوى ساعة وخرجت مرَّةً أخرى. كانت بذاك الوقت متماسِكةً قويَّةً كالعادة ولا تغلبها الدموع وهي تتحدَّث عن "إيتاكورا" الذي خارت قواه وبالكاد ينطق كلماته: "مؤلم، مؤلم"، ويستمر على هذه الحالة، وقالت إنه شعور مخيف أن تراه هكذا.

بصباح اليوم حين دخلت غرفته بالمشفى كانت أخته مُستَلقِيَةً جانبًا، واستقبلتها مُرَحِّبة بمجيئها، لكن "إيتاكورا" المريض الذي يعاني الأوجاع بالكاد رفع عينيه صوبها، لم يَقُل سوى "تؤلمني، تؤلمني" بصوتٍ خافت. إنه كان بأشد الحاجة لاستجماع كل قواه البدنية ليتحمَّل ذاك الألم؛ ولهذا لم يكن لديه أي مجال ليصرف انتباهه لأي شيء آخر.

وعلى ذلك الحال لم يكن أمامه سوى أن يتأوَّه طوال الليل والنهار دون أن يغفو أو حتى يتناول الطعام.

وقتما رأته "تائيقو" لم يكن جُرحُه مُتورِّمًا أو به أي قيح؛ لذا فهي لم تدرك أين مَكمَنُ ألمه. أخبروها بقسم التمريض أن ألمه من حيث موضع ركبته اليسرى إلى أصابع قدمه، وإن حاول تغيير وضعية نومه أو تَحسَّسها برفق آلمته ألمًا رهيبًا، وحينها يعلو صراخه.

سألتها "يوكيقو" عن السبب؛ فهو أجرى عملية جراحية بأذنه؛ فلماذا ساقه تؤلمه، وما العلاقة؟ لكن "تائيقو" لم تكن تدري هي الأخرى، وهذا أيضًا ما لم يُفسِّره الطبيب الاستشاريُّ أبدًا، ومنذ أن بدأت شكوى المريض وهو يتهرَّب من ذويه ولا يَمرُّ على غرفته، لكن بالتمعُّن فيما يتهامس به الممرِّضات سرًّا يتَّضِح أن جرثومة خبيثة دخلت جسده وقت إجراء العملية، وتغلغلت بساقة وسَمَّمتها على ما يبدو.

جاء والداه وزوجة أخيه الكبير من البلدة، وبعدها دار النقاش، وبدأت التساؤلات بالردهة أمام غرفة المريض بالمشفى، ولم يستطع المدير المسؤول "إيسوجاي" التخلُّصَ من إلحاحهم، وبالمساء استدعى جرَّاحًا آخر، ومكث الاثنان يتشاوران لبعض الوقت، وبالنهاية غادر مدير المشفى وجاءهم الجرَّاح الآخر ليتابع الحالة، ثم انصرف هو الآخر، وذهب لمدير المشفى ليتبادلا النقاش والشَّدَّ والجذب خلسةً.

وحين سألوا الممرضة قالت إن الوضع خرج عن سيطرة الطبيب المسؤول؛ لذلك طلب جرَّاحًا ذائِعَ الصيت في "قوبيه"، وجاء وقال إنه لا بُدَّ من قَطع الساق ممَّا يلي الفخذ، ولكن الآن الوقت تأخَّر للغاية وضاع الأمل الوحيد، وتمَّ استدعاء جرَّاحٍ آخر، لكنه هو أيضًا عاد أدراجه؛ لأن الوضع أصبح ميؤوسًا منه.

أضافت "تائيقو" أنها مرَّت تتفقَّده هذا الصباح، وسألت أخته ما إن كانت تحسَّنَت حالته، فقالت لها إنها ترى أنه من الأفضل البحث عن طبيب أهل ثِقَة يأتي لتفَحُّصه، وهم لا يعنيهم أمر مدير المشفى هذا، وليس هناك ولا لحظة ليضيِّعوها، ولكن ماذا عساها أن تفعل وكبار ذويهم من البلدة يتمتَّعون بطول البال، ويضيِّعون الوقت عبثًا لجمع المبلغ المطلوب، ولا يستقرون على رأي واحد، وهكذا يضيع الوقت، وما هو آتٍ لن تُحمَد عقباه.

قالت "تائيقو" إنها اليوم لأول مرة تلتقي بأهله هؤلاء؛ لذلك لا يمكنها أن تزيد القول؛ فهي مهما حاولت إقناعهم بأي شيء يقولون "بالضَّبط"، و"بالتأكيد"... وبدون أي حراكٍ! ممَّا أزعجها للغاية.

وكان هذا ما انتهى إليه الحديث بمساء الأمس، وباليوم خرجت "تائيقو" من الصباح الباكر قرابة السادسة صباحًا، ثم عادت بعد ساعة واستراحت ساعتين ثم خرجت مرة أخرى.

سألتها "يوكيقو" عن الأحوال مرَّةً أخرى، فقالت إنه بمساء الليلة الماضية جلب مدير المشفى جرَّاحًا آخر يدعى "سوزوكي"، وقال إنه يؤيِّد إجراء عملية البتر، وإن كانت النتائج غير مضمونة، ولكن للآن والداه لم يتَّخِذَا القرار بعدُ. إنهما -وبالذات والدته- يقولان إذا كنَّا لا نستطيع مساعدته لكننا لا نجرؤ على هذا الحلِّ الوحشي، وأمه تُكرِّر "أريده أن يموت بكامل جسده دون أن يُنتَقَص منه جزء"، وأخته تقول ليس بيدنا فعل شيء، ولكننا نبذل قصارى جهدنا لإيجاد أي

حلٍّ ممكنٍ، ونتعلَّق بأي أمل كان، ومن الواضح أن رأيها هو الصواب، ولكن يصعب على الكبار تَقبُّله. الأكثر هو أن "تائيقو" استسلمت بالكامل؛ فبلا شكٍّ -سواء بهذا الحل أو بذاك- فلقد فات الأوان. هذا كله بالإضافة إلى قول الممرضة التي بدت مُشمئِزَّة من مدير المشفى وتتحدَّث عنه بالسوء، بل وقالت لهم لا أعرف إلى متى ستثقون به، إنه سكِّير ومدمن شرب خمور، رعشة أصابعه كثيرًا ما تسبَّبَت في فشل عمليات جراحية، وإلى الآن شهدت بعينها بضع حالات على ذاك الوضع.

لاحقًا قصَّت "تائيقو" كل هذه التفاصيل على طبيب العائلة "كوشيدا"، فقال إنه دخل ميكروب بعد عملية أذنه وتغلغل حتى الأطراف، ومهما كانت عناية الطبيب المختص فبالنهاية هو ليس إلهًا. هذا لا يعني أنه لم يَعُد باستطاعتنا فِعلُ شيء، وإنما بمجرَّد الشَّكِّ في دخول ميكروب بعد العملية ولو بنسبة ضئيلة وفور ما يشعر المريض بالألم ولو قليلًا عليه استدعاء الجرَّاح في الحال، وإذا لم يتدخَّل بفعل اللازم أو تأخَّر تصبح هناك خطورة على حياة المريض. بالحقيقة الوضع أصبح صراعًا مع الوقت؛ لذلك حتى لو اعتبرنا الطبيب "إيسوجاي" مدير المشفى فشل في العملية التي أجراها فالوضع الحالي لم ينجم من تَجاهُله لمعاناة المريض من الألم طيلة الثلاثة أيام، وسلوكه الذي على القليل يوصف بأنه غلظة وانعدام أمانة فقط؛ بل لو لم يكن والداه قرويَّيْن لا يفقهان شيئًا، ولو لم يجعل ذويه الواقِعَة تمرُّ مرور الكرام؛ لتَبَدَّل الحال، وأصبحت الواقعة بمثابة حادثة مُشينة يخشى الطبيبُ المدير أن يعرف بها أحدٌ.

بنفس الوقت ذهاب "إيتاكورا" الذي لا يدري شيئًا عن ذاك الطبيب غير الجدير بالثقة لتلقِّي العلاج على يديه أمرٌ ليس إلَّا من سوء حظه.

وفات أوان كل هذا الكلام.

استمعت "ساتشيقو" لكل ما جرى من "يوكيقو"، ثم بدأت في سؤالها بالتفاصيل، وعندما هاتَفَتها أخت "إيتاكورا" بأي غرفة كانت، وهل استمعت إليها "أوهارو" وباقي الخادمات، وهل عرفن بالأمر، وماذا عن "تينوسوكيه"؛ هل عرف هو الآخر.

في الحقيقة "يوكيقو" حين جاءها الهاتف كانت بعيدةً عن "أوهارو"، لكن جاءتها "إتسوقو" أثناء المكالمة وممرِّضتها "ميتو" وتصنَّتت "أوهارو". امتقعت وجوههن جميعًا، وسألت "إتسوقو" عن "إيتاكورا" وماذا به، ولماذا عادت "تائيقو".

احتارت"يوكيقو" في كل هذه الأسئلة المزعجة، وفي الغالب كل ما استمعت إليه "أوهارو" نقلته لباقي الخادمات، وطالما بلغت الثرثرة ذاك الحدَّ فما باليد حيلة. "ميتو" ظنَّت ممَّا سمعته أن هناك خطبًا ما، وأن الأمور ليست على ما يرام. بالمرة الثانية التي جاء بها هاتف أجابه "تينوسوكيه" بنفسه، وبدا أنهم يوالونه بالأخبار أوَّلًا بأوَّل، وما آل إليه الوضع، لكن هو أيضًا أصابه القلق، وبالصباح قبل خروجه سأل "تائيقو" عن آخر التطوُّرات، ونصحها أن تُشجِّعَهم على الخضوع للعملية.

"أنا أيضًا أوَدُّ أن أذهب لزيارته".

"حسنًا. تحدَّثي مع "تينوسوكيه". هاتِفيه وأبلغيه بوصولك".

"بالتأكيد. سأفعل بعدما أنال قسطًا من الراحة".

لقد استقلَّت "ساتشيقو" قطار النوم، لكنها لم يغمض لها جفنٌ، ووصَلَت وصعدت لغرفتها واستلقت بمضجعها، لكنها لم تستطع النوم أيضًا لانشغال فكرها، واستسلمت بالنهاية وقامت واغتسلت ونزَلَت.

نادت "ساتشيقو" على الخدم بالمطبخ ليسرعوا بإعداد الغداء، وهاتَفَت "تينوسوكيه" ليأتيها.

قالت "ساتشيقو" إن استدعاءهم لـ "تائيقو" على وجه السرعة وبهذا الشكل هو مأزقٌ علقوا به، وإنما بوصولها لا يمكن البقاء والإقرار بعلاقة اثنتيهما عَلَنًا هكذا. بغَضِّ النظر عن أن "إيتاكورا" أنقذ حياة أختهم الصغيرة وقت الفيضان، ولا أحد منهم زاره حتى الآن، وهم يعرفون ذلك جيِّدًا. لكنها يعوقها الأرق وعدم استطاعتها النوم، علاوة على أنها تظلُّ تفكِّر كيف ليس بمقدورهم المساعدة. إنه رغم بنيته القوية إلا أن الحظَّ العَسِر يلازمه. هكذا قالت "ساتشيقو" لزوجها الذي أكَّد على كلامها بدوره، وقال لا مانع من زيارته ولو لوقت قصير؛ فهو أيضًا يشعر بالمثل، لكنه سألها عن "أوكوباتا"، وما إذا كان سيذهب للمشفى أم سيقول لها من الأفضل ألَّا تذهبي حضرتك، وكلامًا من ذاك القبيل.

بالنهاية استقرَّ رأي "تينوسوكيه" على أن تذهب بزيارة قصيرة، ولا داعي للصِّدام بـ "أوكوباتا" أو إخباره من الأساس، وبقدر المستطاع "تائيقو" أيضًا لا تفعل، وأكَّد "تينوسوكيه" على زوجته أن تصطحب "تائيقو" وتذهبا سويًّا بالمساء وتعود وهي معها وقتما تغادر المشفى.

بالمشفى كان الوضع لا يزال كما هو عليه، يدور النقاش حول شأن الجرَّاح دون الوصول لشيء. أيَّدَت "تائيقو" بحماس رأيَ أختها بضرورة عرضه على جرَّاح آخر، في حين أن والديه لم يحسما قرارهما بعد، رغم أنه ليس هناك أيُّ تَحسُّن؛ فطلبت "تائيقو" من "ساتشيقو" أن تساعدهم بالمشورة حين تذهبان.

قرَّرَت الأختان الذهاب بعد تناول الغداء، وأسرَعَت "ساتشيقو" وأختاها "يوكيقو" و"تائيقو" بالانتهاء من الطعام، وانتبهن كي لا يتسرَّب أي حديث بخصوص "تائيقو" على لسان الممرِّضة التي كانت بذاك

الوقت بالقُرب تلهو مع "إتسوقو" وليس لديها أي عمل آخر. تناقشن سويًّا كي تخبرها "يوكيقو" أن تبقى لو يسمح وقتها لأن لديهم أمرًا طارئًا يستدعي خروجهم سريعًا، وليتها تبقى إلى أن يعودوا، وتنصرف بعد تناوُل العشاء.

أخبرتها "يوكيقو" على الفور، وطلبن سيارة أجرة بالساعة الثانية عشرة ظهرًا ليذهبن مباشرة للمشفى.

كان الطريق للمشفى ضيِّقًا بين مرتفعات، وإن كانت تدعى مستشفى إلَّا أنها عبارة عن مجموعة عيادات في بناية فَخمَة من طابقين. الطابق العلوي لا تتعدَّى به غرف المرضى الاثنتين أو الثلاث. كانت غرفة "إيتاكورا" تطلُّ نافذتها على ساحة خلفية لمغسلة المشفى، مُعلَّق بها قطع ملابس خفيفة موحَّدة الشكل للمرضى في مشهد كئيب. جلس العديد من الأشخاص داخل الغرفة سيئة التهوية، وانبعثت منهم رائحة تعرُّق كريهة، والمريض يرقد جانبًا على تَختٍ معدنيٍّ قُبالة الجدار جهة اليمين، ينام منحنيًا متكوِّرًا على نفسه.

دخلت"ساتشيقو" ووجدت المريض تتسارَع كلماته دون أن يستكين ولو للحظة واحدة، ويقول: "تؤلمني، تؤلمني، تؤلمني". عرَّفتها "تائيقو" بوالِدَيْه وزوجة أخيه الكبير وأخته الصغيرة، وبادَلَتهم التحية، وبعدها اتَّجَهَت لسرير "إيتاكورا" واتَّكأت بكلتا رُكبَتَيْها لتعدل وسادته، وهمَسَت تخبره بمجيء "ساتشيقو" معها، لكنه ظلَّ على حاله؛ ظهره قبالتهم ووجهه للجدار ولا يقول سوى "تؤلمني، تؤلمني...".

نهضت "ساتشيقو" ووقفت بجوار "تائيقو" تترقَّب بخوف شديد، لكن جانب وجهه الظاهر لهم وهو مُستلقٍ لم يكن هزيلًا إلى ذاك الحد كما توقَّعت، أو مخضَّبًا بالدماء. كان بثوب نوم من الشَّاش، وأزاح الدِّثار عن خصره وبَدَا من مؤخِّرَة عنقة العارية وذراعيه المكشوفة من الأكمام المقلوبة للثَّوب أن بنية جسده القويَّة لم يتغيَّر

بهـا شيء، فقـط عنـد أذنـه تتعـارَض ضِمادتـان إحداهـما مـن أذنـه إلى الفَـكّ، والأخـرى مـن جبهتـه إلى مؤخِّـرَة عُنُقـه.

ظلَّت "تائيقو" تقول له وتُكرِّر:

""يونيان"... جاءت معي "ساتشيقو" لزيارتك".

سَـمِعَت "ساتشـيقو" "تائيقـو" وهـي تناديـه بهـذا الاسـم. إنهـم ببيـت "أشـيبا" عـادة مـا تتحـدَّث عنـه "تائيقـو" باسـم "إيتاكـورا"، وهكـذا تفعـل "ساتشـيقو" ويوكيقـو" والصغيرة "إتسـوقو" أيضًـا، لا يقلن سـوى "إيتاكورا"، حتـى لـو كُـنَّ يتحدَّثـن عنـه خلسـةً. إن لقبـه "إيتاكـورا"، واسـمه "يوسـاكو إيتاكـورا"، وإنمـا اسـم "يونيـان" هـذا أطلقـوه عليـه حـين كان يعمـل بمتجـر عائلـة "أوكوباتا".

نـادت عليـه ساتشـيقو بـ "إيتاكـورا"، ثـم اسـتطردت وهـي تُنَهنِـه وتُجفِّـف دموعهـا:

"إنه يعاني معاناةً رهيبة، طالما شخص مثله يتألَّم هكذا...".

اقترَبَت منه أخته وهمست له:

"أخي، حضرتها سيدة عائلة "ماكي أوكا" من "أشيبا"".

"كلَّا... كلَّا، لا تقـولي لـه هكـذا"، ونَهَتهـا "ساتشـيقو"، وتابعـت حديثهـا وسـألتها:

"ساقه اليسرى تؤلمه هي الأخرى؟".

" لا تؤلمـه... أجـرى العمليـة بأذنـه اليمنـى، وسـاقه بنفـس الجهـة هـي التـي تؤلمـه، ويظـل مسـتلقيًا هكـذا عـلى جانبـه الأيـسر".

"إن حالته سيئة للغاية".

"إنه يتألَّم كثيرًا".

كان جبينه يتفصّد عرقًا من كثرة ما يعانيه من ألم، حتى أصبح خَشِنَ الملمس، ومن حين لآخر تأتي ذبابة تقف على وجهه وتُزيحها "تائيقو" بيدها، وتواصل حديثها، وفجأة توقَّف أنين"إيتاكورا" المتواصل بقوله "تؤلمني... تؤلمني"، وقال:

"أريد التبوُّل".

مكتبة
t.me/soramnqraa

"أمي، أمي... سيتبوَّل".

ونادت أخته على أمهم؛ فجاءت وقالت:

"أستميحكم عُذرًا".

وانحنت وجلبت مبولَة سريريَّة ملفوفة بورق جرائد من تحت سريره، وأدخلتها من بين دثاره.

"أتألَّم... تؤلمني... تؤلمني... تؤلمني".

وإنما بهذه المرة انطلق صوته بصراخٍ جنوني يختلف تمامًا عن هذيانه من ذي قبل.

"تحمَّل... اصبر، ما باليد حيلة".

"تؤلمني... تؤلمني حتى بمجرَّد اللَّمس".

"اصبر... لن تستطيع هكذا".

انتاب "ساتشيقو" شعورٌ غريب، وظلَّت تُحدِّق فيه غير مستوعبة أي ألم هذا الذي يُحوِّل صوته من الخنوع للصراخ. إنه بالكاد حَرَّك موضع ساقه اليسرى قيد أنملة، بدون أن يستدير أو يلفَّ جسده؛ إلَّا أن هذه الدقائق القصيرة لخَّصَت المعاناة.

بعدما استقرَّ وضعه وهدأ أخيرًا وانتظمت أنفاسه والجميع في انتظار استكانته ليعلِّقوا على الأمر، وفتح ثغره واتَّسَعَت حدقتاه بنظرات رُعبٍ لا ترى شيئًا ممَّا حولها، ثم تَفقَّد الوجوه من حوله

مُدقِّقًا في صمتٍ لم يستمرَّ أكثر من لحظات، خلالها سألت "ساتشيقو" والدته:

"ألا يأكل أي شيء؟".

"كلَّا، ولا حتى القليل من الطعام، فقط يشرب عصير الليمون، وهذا ما يجعله يتبوَّل كثيرًا".

توجَّهَت "ساتشيقو" بناظريها نحو ساقه التي تظهر من تحت الدثار، وبالحقيقة لم يبدُ على مظهرها أي شيء غير عادي، وإن كانت فقط العروق تورَّمَت قليلًا، وأصبح لونها يميل للزُّرقة بشكل طفيف، ولم تدرِ"ساتشيقو" ما إن كانت كذلك فعلًا أم مجرَّد إيحاء، ورغم أن المريض لا يزال على وضعه دون حراك إلَّا أنه عاد يتأوَّه كسابق عهده، لكن بهذه المرة فيما بين كلماته "تؤلمني... تؤلمني" أصبح يصرخ:

"آآاه... أريد أن أموت... دعوني أَمُت... اقتلوني، اقتلوني سريعًا".

كان والده عجوزًا قليل الكلام، زائغة نظراته في رُعبٍ، وليس لديه رأي شخصي، على العكس من والدته التي بَدَت تُصرُّ على موقفها غالِبًا. كانت تسبل جفنيها باستمرار، وتغمض عينيها. ربَّما من قِلَّة النوم أو كثرة البكاء، أو قد يكون لديها مرض ما بعينيها. كانت تعبيراتها مُتبلِّدَة، ومظهرها صارمًا كعجوز شمطاء، ومن أول وهلة رأتها بها "ساتشيقو" وهي بجوار المريض تنفرد بمساعدته أدركت على الفور أنها والدته.

كان هو ذاته يحنو إليها ويتنبَّه ويصغي إليها في حديثها وصمتها.

وصل النقاش حول عرضه على جرَّاح آخر لطريق مسدود؛ فهذه العجوز لا تنطق بأدنى كلمة تنمُّ عن موافقتها، وبعدما جاءت "ساتشيقو" أيضًا ظلَّ الوضع كما هو عليه: أبوه وأمه في جهة، وأخته و"تائيقو" بجهة أخرى. من وقت لآخر يخرجون بالردهة أو يقفون

بزاوية الغرفة ويتهامسون، وزوجة الأخ الكبير هي الطرف الوسيط بين الجهتين، وينادونها هنا وهناك. العجوز تهمس كلماتها بصوت خافتٍ للغاية لا تستطيع "ساتشيقو" سماعها، وإنما زوجها تصنَّت لهَمهَمَتِها متلهِّفًا. حاصَرَت "تائيقو" وأخته زوجةَ أخيه لتبقى بينهما، وشدَّدت كلتاهما عليها القول بأنه إذا لم يخضع لعملية جراحية عاجلة سيموت، وذنبه برقبتهم، وألحَّت الاثنتان عليها لتجعل والدته توافق بأي شكل من الأشكال، وجعلتاها تقتنع، وكسباها في صفِّهما، وذهبت لأمه وقالت الكثير، لكن لم تعدل العجوز عن رأيها أبدًا، وأصرَّت إن كان سيموت فليَمُت وجسده كامل دون أن يُنتَقَص منه أي جُزء، وصاحت:

"يا لقسوتكم! ها أنتم تحاولون إجباري".

واستكملت هجومها المضاد بسؤالهم:

"هل ستضمنون لي أنه سينجو؟".

فتركتها زوجة الأخ الكبير وعادت إليهما لتخبرهم أنها حاولت بشتَّى الطرق، لكنها لم تقبل.

فَرقُ السِّنِّ يجعلها لا تتفهَّم أبدًا، وانهارت أخته، وحاولوا تهدئتها، لكنها بهذه المرة ذهبت بنفسها إلى أُمِّها وهاجَمَت عِنادَها، وقالت بصوت متهدِّج يخنقه البكاء:

"وماذا عن ألمه وهو ماثِلٌ أمام ناظرك هكذا! أحقًّا هكذا تكونين أمًّا! على أيَّة حال، سواء أنقذناه أم لم يحدث، لم يَعُد يتبقَّى لنا أيُّ مُتَّسَع من الوقت للتفكير. أليس من مسؤوليتنا الأخذ بالحل الوحيد المتاح أمامنا؟".

وظلَّت تعيد كلماتها مرارًا وتكرارًا.

""ساتشيقو"...".

بالنهاية نادت "تائيقو" على أختها وجذبتها لأبعد مكان بالردهة، وقالت لها:

"هؤلاء الناس من الريف... يا لطول بالهم! أنا في ذهول!".

"لو كنتُ بمكان أمِّه ربما من الطبيعي أن أقول لا مثلها".

"على أيَّة حال لقد فات الأوان وحُسم الأمر، وغاية الموضوع أن أختك طلَبَت مني أن أحاول ولو لمرَّة مع أمِّها. و قالت لي إنها عنيدةٌ جدًّا، ولكن ربما أمام شخصية عظيمة مثل حضرة أختك الكبيرة لا تقول شيئًا وتوافق".

"حقًّا! وأنا حضرة الشخصية العظيمة...".

بصراحة، وجدت "ساتشيقو" أن الموقف سيصبح سخيفًا بتدخُّل الغرباء، وهي لا تدري كيف لعجوز مثلها أن تتحمَّل هذا الوضع، والأكثر أنه بكل الاحتمالات سينتهي الأمر بالفشل، ولم يَرُق لها أن تَعلَق بجدال كهذا.

"عُذرًا، انتظري من فضلك. بالنهاية أنا أعلم أنه من الأفضل أن تسير الأمور وفقًا لما نراه جميعًا، لكني شَكَوتُ لكم بعدما فاض بي".

وبدلًا من أن تؤدي "ساتشيقو" الواجِبَ وتصطحب "تائيقو" وترحل كما كانت نِيَّتها، وجدت نفسها في مأزق لم تكن تتمنَّاه أبدًا.

صعدت الممرضة الدَّرَج بطريقها لغرفة المريض، وحين وجدت "تائيقو" بالرَّدهَة قالت:

"عفوًا، السيد مدير المشفى يريد مقابلة أحد أقرباء المريض... مَن يمكنه أن يتفضَّل معي وبمفرده؟".

ذهبت "تائيقو" لتخبرهم.

جلست أخته وزوجة أخيه القرفصاء على الأرض بجوار فراشه عند رأسه، ووالداه المُسِنَّان عند قدميه. بذاك الحين أيضًا تردَّد والداه بعض الشيء فيما إن كانا سيذهبان أم يدعانها هي تذهب، ثم هَمَّ العجوزان مع بعضهما البعض وخرجا سويًّا وعادا بعد حوالي ربع ساعة. جلس والده وتنهَّد ووجهه يعتليه نفس الوجوم، ووالدته تنهمر دموعها وتُهَمهِم بأذنه في تذمُّر، ولا يدري أحدٌ ما أخبرهما به مدير المشفى.

بعد حين اقتربت أخت "إيتاكورا" من والديها وسألتهما فأجابها بأن مدير المشفى قال إن خطر الموت يداهمه ببقائه على هذا الوضع، ولا بُدَّ بأي شكل من الأشكال إجراء عملية أخرى، إنه بذل قصارى جهده في عملية الأذن اليمنى للمريض، والتطهير والتعقيم تمَّ على أكمل وجه، وهو لا يظنُّ أن ما حدث ناتِجٌ عن إهمال في علاجه، وما أصاب ساقه ليس له علاقة بمرض أذنه، حتى إن أذنه تحسَّنَت؛ ولذلك ما من ضرورة لبقائه في المشفى هنا، حيث لا مجال لإيجاد طبيب مُختصٍّ فيما شُخِّص به مرضه، وعلى العموم الطبيب "سوزوكي" الذي أتاه بالليلة الماضية وافق على أن يتابع علاجه، لكن بتردُّدهم وعدم الوصول لقرارٍ يضيع وقتٌ غاية في الأهمية، وهو يظنُّ أنه قد فات الأوان، وإن كان لا يمكنه إلقاء اللوم عليهم للتباطؤ في قرار خطير كهذا...

وأزاح المسؤولية من على عاتقه، وبالتأكيد أصبح تَردُّد والديه وتأخُّر القرار هو حُجَّة بمثابة هجوم استباقيٍّ ليُحصِّن ذاته.

استمع العجوزان دون قول أي شيء غير" نعم، نعم" فقط، ثم ألقيا التحية بجزيل الشكر وانصرفا، لكن بمجرَّد أن عادت والدته للغرفة بدأت تُوبِّخ زوجها وكأنَّ الذَّنب ذنبه فيما لفَّقه لهم مدير المشفى.

برأي "ساتشيقو" هي كانت تَصبُّ غضبها عليه من كثرة ما تعانيه كأم، وبالنهاية تَبَلوَرَت فكرة تولِّي جرَّاحٍ آخر لحالته عقب ذاك اللقاء.

كانت مستشفى الطبيب "سوزوكي" في "كاميتسوسوي" قرب المحطَّة الأخيرة لخط "هانكيو" القديم، ولقد تأخَّر الوقت لاتخاذ اللازم لنقل المريض إلى هناك.

بنفس الوقت أيضًا أصبح أسلوب السيد "إيسوجاي" مدير المشفى سخيفًا، وبعدما انتهى حديثهم وتوصَّلوا إلى ذلك القرار اختفى وتوارى عن الأنظار تمامًا، ولكن ظلَّ شُغله الشاغل التَّخلُّصَ منهم. لم يأتِ حتى لتحيتهم وقت الخروج، وكل مَن جاء من مستشفى "سوزوكي" من أطباء وممرِّضين هم مَن قدَّموا يد العون لنقل المريض وتحمَّلوا المسؤولية.

تَناقَش والداه وأخوته لبضع ساعاتٍ، ودار الجدل حول ما إن كانوا سيخبرونه بشأن بتر ساقه أم لا، والمريض بالطبع لا يتوقَّف عن قول "تؤلمني،تؤلمني"، وفي ملكوته بعيدًا عن أي أحد وعن كل شيء، وتحوَّل لمسخٍ يتردَّد صدى أنينه. هكذا رآه كُلُّ مَن حوله من أقرب المقرَّبين، ولم تعد المشكلة لها صِلَة بالسؤال عمَّا سيحدث أو عن الأسباب والنتائج بحالته المَرَضيَّة، بل أصبح أكثر ما يثير رعبهم الآن هو كيف ستكون صرخات الألم لهذا المسخ أثناء نَقلِه من فراش المستشفى إلى السرير المتحرِّك؛ فالرَّدهة بخارج غرفة المشفى مثلها مثل أي رَدهَةٍ بمسكن لا يتعدَّى اتساعها المتر، والدَّرَج ضيِّقٌ حلزونيٌّ، بدون أي مساحاتٍ، ومن المؤكَّد أنه سيعاني آلامًا لا تُحتَمَل.

وبدلًا من الأسى الذي يشعر به كل عائلته والكل في انتظار صراخه ويستمع لأنينه الذي لا يتوقَّف بادَرَت "ساتشيقو" بسؤال الممرِّضة كيف سينقلونه، وأجابتها بأنه لا داعي للقلق، وأضاف الطبيب"سوزوكي" أنه سيعطيه حُقنَة مُخدِّر، وكانت إجابته شافيةً لصدورهم، وبالفعل هدأ المريض بعد الحقنة، وحمله الطبيب والممرضون، وشاركتهم أمُّه.

الفصل الخامس والثلاثون

انشغل والد"إيتاكورا" وزوجة أخيه وأخته الصغيرة بإنهاء الإجراءات ودفع التكاليف وجمع الأغراض من الغرفة.

بتلك الأثناء نادت "ساتشيقو" على أختها وأخذتها جانبًا لتخبرها بأنها ستكتفي بهذا القدر وستغادر، وأن "تينوسوكيه" شدَّد القول بعودتهما سويًّا. حاولت "ساتشيقو" جعلها تغادر هي الأخرى، لكن "تائيقو" أصرَّت على الانتظار لحين التأكُّد من نتيجة العملية التالية، ولم يَعُد لدى "ساتشيقو" أي حل. أخذا سيارة لتقلهما إلى مشفى "سوزوكي"، ثم تابعت "ساتشيقو" طريقها إلى "أشيبا"، وحين توقَّفَت السيارة أمام المشفى نادت "ساتشيقو" مرة أخرى على أختها واستوقفتها وقالت لها أن تنصرف فور أن تستطيع المغادرة بكياسة ومهما كانت تَودُّ مرافقته فهذا يثير حفيظة الجميع، علاوة على أن وجودها لا ضرورة له.

هكذا قالت "ساتشيقو" وأصرَّت على طلبها؛ فبالوضع الحالي أكثر ما يثير مخاوفها هو أن الناس ستسيء فهمها، حتى ولو كان بين "تائيقو" و"إيتاكورا" خطبة، بكل الأحوال لن ينسى أحدٌ... اسم عائلة "ماكي أوكا"، ومردود أفعالها، خصِّيصًا على "يوكيقو"، كلها أمور لا بُدَّ أن تضعها نُصبَ عينيها قبل أن تتصرَف، واستفاضت بحديثها.

بالحقيقة كان في نيَّة "ساتشيقو" ألَّا تسعى لمنع زواجهما، لكن الآن إذا مات "إيتاكورا" فمن الأفضل ألَّا يعرف أيُّ أحد عن وعدهما. قالتها "ساتشيقو" بطريق غير مباشر قدر المستطاع، ولكن بلا شك أخذت "تائيقو" كلامها على محمل مُغايرٍ تمامًا؛ فأكبر مشكلة تعاني منها "ساتشيقو" بهذه الآونة وتؤرِّقها هي أن أختها من لحمها ودمها ستصبح زوجةً لحِرفيٍّ لا يعرفون حَسَبَه ونَسَبَه، وطالما تطلَّعت لتُحلَّ المسألة من تلقاء نفسها بطريقة طبيعية وغير متوقَّعة، وبصراحة هي تستحقُّ الشكر قبل أي شيء على موقفها النبيل هذا. إن القلوب التي تتمنَّى الموت لأيِّ أحد كان هي نفسها التي تُكنُّ التعاسة والبؤس، وعلى ما يبدو أن هذه هي الحقيقة.

بهذه الحالة، فالوصف لا ينطبق على "ساتشيقو" فقط فهي ليست وحدها مَن تخفي بداخلها هذه المشاعر، بل بالطبع "يوكيقو" أيضًا و"تينوسوكيه" لديهما نفس الشعور، ولو كان "أوكوباتا"بمقدوره الاستماع لمكنون صدورهم لرَقَصَ فَرَحًا، وما كان بسعادته أحد.

"تأخَّرتِ للغاية... لقد خرجتِ بالظهيرة، وحين وجدتك تأخَّرتِ هكذا اتَّصلتُ بالمشفى".

قالها "تينوسوكيه"بعدما وصل للبيت وظلَّ في انتظار عودة زوجته.

"فعلًا. تأخَّرتُ هكذا على أمل أن أصطحب "تائيقو" ونعود سويًّا، ولكن...".

"هل عادت معك؟".

"كلَّا، قالت إنها ستظل معه حتى انتهاء العملية، وبالطبع هذا ليس بغريب...".

"هل تَقرَّر إجراء العملية؟".

"نعم، نعم... لقد عُدتُ بعدما قرَّروا ذلك أخيرًا بعد نقاش طويل دار حول: سيُجريها أم لن يفعل، وبالنهاية استقرُّوا على رأي، وأوصلت "تائيقو" لمشفى "سوزوكي"".

"هل هذا في صالحه؟".

"ربَّما... لن نفقد الأمل".

"غريبٌ جدًّا، وهل تسمَّمَت ساقُه كلُّها؟".

" لا أعلم".

"وما هذا المرض؟ هل سمعت اسمه؟".

"مهما سألنا عن هذا المرض يتهرَّب "إيسوجاي" من الإجابة، و"سوزوكي" أيضًا يتعامل بتحفُّظ شديد ويتستَّر عليه، ولا يفيدنا بقولٍ واضح".

"على ما أظنُّ هو مرض مختلف عن داء "الإسقربوط"((1)*)، وعن مرض تَسمُّم الدم".

ذهبت "ساتشيقو" للمُمرِّضة "ميتو" التي ارتدت ملابسها وانتظرتها. شكرتها "ساتشيقو" على مجهودها طيلة الأربعين يومًا، وبعدما رحلت انضمَّت لزوجها و"يوكيقو" على طاولة العشاء، لكن بتلك الأثناء جاء

(1) الإسقربوط- ESCURVY: داء ناجم من نقص فيتامين سي، ويتسبَّب في ضعف الأنسجة وآلام المفاصل وخلخلة الأسنان وسقوطها.

هاتفٌ من مشفى "سوزوكي" أجابته "ساتشيقو" واستمع "تينوسوكيه" وباقي العائلة للحديث وهم بغرفة الطعام، وبدا أنها تتحدَّث مع "تائيقو". كانت مكالمة طويلةً إلى حَدٍّ ما. مفادها أنه انتهت العملية، وحالته الآن مستقرّة، لكن يلزمه نقل دم. أُخِذَت من الجميع عيِّنة تحليل لفصيلة الدم، بخلاف والديه المُسِنَّيْن. كان "إيتاكورا" وأخته من فصيلة "A"، وتائيقو "O"؛ لذا فمن الأنسب أن تتبرَّع له أخته، لكن من الضروري إيجاد مُتبرِّع آخر، و"تائيقو" فصيلتها تسمح أن تتبرَّع له، ولكنه بالطبع لم يتجرَّأ أحد من أقاربه على طلب منها ذلك. فقط ما يضعها في ورطة الآن هو أن أخته تقترح أن تخبر بعض رفاقه الذين كان يعمل معهم بمتجر "أوكوباتا"، وهذا يعني أنهم سيحضرون على الفور، وهي لا ترغب بلقائهم، غير أنه من المحتمل أن يسمع "أوكوباتا" ذاته بالأمر فيأتي معهم.

أرادت "تائيقو" أن تغادر في الحال لتتحاشى أي فرصة للقائه، وطلبت من أختها أن ترتِّب اللازم، وترسل لها سيارة بالمشفى، فبأيِّ حالٍ من الأحوال هي أصابها الإنهاك، وتريد العودة للمنزل لتناول الطعام والاغتسال.

وبالفعل أخبرت أخت "إيتاكورا" رفاقه القدامى منذ أن كان صبيًّا من حرفيِّي المتجر بحالته المتدهورة، وهي تسعى لإيجاد متبرِّعين بالدم من أعماق قلبها.

انتظر "تينوسوكيه"عودة زوجته للمائدة ليسألها بهدوء:

"ماذا هناك؟ هل عائلة "إيتاكورا" يعرفون أي تفاصيل عن علاقة "أوكوباتا" و"تائيقو"؟".

"أظن أن أبويه لا يعرفان شيئًا؛ فلو كان لديهما علم لما سَمَحَا لابنهما أبدًا أن تكون "تائيقو" عروسًا له".

"بالضَّبط، قَطعًا لا يعرفان شيئًا"، هكذا قالت "تائيقو".

"ربما أخته فقط هي مَن تدري".

"ربَّما أيضًا رفاقه الذين يعملون بمتجر "أوكوباتا"؛ فهم يتردَّدون على منزله باستمرار".

"كيف؟! لم أسمع من قبل أن له رفاقًا قُدامى هكذا، لو كلامك صحيح ألن يكونوا أخبروا كلَّ الناس بعلاقة "إيتاكورا" و"تائيقو"؟".

"حقًّا... بالتأكيد هو كذلك؛ ألم يَقُل "أوكوباتا" سابقًا أنا يدي تطال أي شيء أريد معرفته".

وصلت "تائيقو" المنزل بعد أكثر من ساعة، وقالت إنها انتظرت طويلًا بالمشفى لأن إطار السيارة انثقب وهي بالطريق إليها، ولا بأس بذلك، وإنما بتلك الأثناء جاء رفاق "إيتاكورا" عُمَّال متجر "أوكوباتا"، وكما توقَّعَت بالضبط؛ جاء معهم، وللأسف اضطرَّت لمقابلتهم جميعا. (رغم أن "أوكوباتا" لا يكون بالمتجر بذاك الوقت، لكن في الغالب أخبره أحدُ العاملين هاتفيًّا).

كل ما حدث هو أنه حين همَّت "تائيقو" بالانصراف اقترب منها "أوكوباتا" بلُطفٍ وهمس لها قائِلًا: "أليس من الأفضل أن تبقي قليلًا"، ولم تتلقَّها "تائيقو" على سبيل السُّخرية؛ لأنه حين تقدَّم عُمَّال المتجر لتؤخذ منهم عيِّنة تحليل فصيلة الدَّم تَقَدَّم معهم بالمثل، دون أن تدري ما نواياه من الإقدام على هذا الفعل، لكنه عامَّةً طالما تصرَّف بهذا الشكل وبهدوء؛ فلا بأس، ولم يَزِد الأمر عن ذلك.

أُخِذَت العَيِّنات من الجميع بداية بأقاربه، ورغبت "تائيقو" أن تتبرَّع هي أيضًا، لكن أبوَيْه وأخته وزوجة أخيه استوقفوها بإصرار.

"من أين قُطِعَت ساقه؟".

واجتمع الثلاثة حول "تائيقو" يستمعون لها وهي تروي التفاصيل بعدما اغتسلت واستبدلت ملابسها وانضمَّت لهم على الطاولة.

"من هنا".

ومَـدَّت "تائيقـو" سـاقها مـن أسـفل المنضـدة وهـي تشـير لهـم بيدهـا عـلى موضـع الفخـذ؛ مُحاوِلَـةً أن توضِّـح لهـم.

"أختي، هل رأيت ذلك؟".

"فقط ألقَيتُ نظرة".

""تائيقو"! هل شاهَدتِ العمليَّة؟".

"بوقـت العمليـة انتظـرتُ بالغرفـة المجـاورة... كانـت ذاتَ بـابٍ زجاجيٍّ ويمكنني المشـاهدة".

"وهل شاهَدتِ ذلك؟ حقًّا أكان بمقدورك المشاهدة "تائيقو"؟".

"حاوَلـتُ جاهِـدةً، إلى أن أصبـح الوضـع مُرعِبًـا. كانـت ضربـات قلبـه مُخيفَـة، وصـدره يرتفـع ويعلـو لأقـصى درجـة، ويهبـط، وكل جسـده مُخـدَّر، لـو كنـتِ أنـتِ يـا "ساتشـيقو"... ألـن يُمكِنَـكِ حتـى مشـاهدة هـذا فقـط؟ فهـذا مـا بـه؟!".

"كفى. توقَّفي عن الحديث".

"حقًّا، إلى هنا الوضع عاديٌّ ليس به شيء، ولم أرَ أيَّ شيء مُفجِعًا".

"كُفِّي... كُفِّي عن ذلك".

"حسنًا! الآن وقت شرائح لحم الغزال الصافي، وليس اللحم البشري".

"توقَّفي "تائيقو""، ونهرتها "يوكيقو".

"حسنًا إذن، أنت تعرف اسم ذلك المرض؟".

توجَّهَت "تائيقو" بسؤالها إلى "تينوسوكيه".

""الغرغرينـا" عـلى مـا أظـنُّ... لم يُخـبِرني السـيد "سـوزوكي" أثنـاء تواجُدِه بمشـفى "إيسـوجاي"، وإنمـا أبلغنـي بعـد ذهابكم لمشـفاه".

"وإن كان "غرغرينا"؛ فهل تُسبِّب كُلَّ هذا الألم؟".

"بالتأكيد المسألة لها علاقة بعملية أذنه، وهي أصل السبب بهذا كله".

"وكيف هذا! أنا حقًّا لا أتخيَّل".

وستعرف لاحقًا أن "سوزوكي" رفيق مدير المشفى الأخرى، وهو طبيبٌ سيِّئ السُّمعة، لكن على وجه العموم هما أشهر جرَّاحَيْن بالإقليم، وهما الاثنان يُقرَّان بأن حالة المريض الرافض للعملية ميؤوس منها، وما من ضمان لنجاحها، وإن فكَّرتَ في هذا ستجده برُمَّته غريبًا؛ فهناك أسباب مُشينة لمدير المشفى لا تزال مُستَتِرَة. لم تلحظ "تائيقو" هذا بتلك الليلة، وإنما كل ما تنَبَّهَت إليه أنه عِوَضًا عن البناية الضخمة لمستشفى "إيسوجاي" أصبحوا بمكان هادئ؛ فهذا المشفى يبدو وكأنه ليس به ولا مريضٌ واحد، ومن النادر أن تطأه قَدَم؛ ربما ذلك لأن البناية في الأصل كانت منزلًا لأحد الأجانب وتمَّ ترميمه، وهي على الطراز الغربي الكلاسيكي، وشبيهة بمباني عصر "ميجي".

كل خطوة بالرَّدهة يتردَّد صداها بين الجدران والأسقف الشاهقة الارتفاع؛ ممَّا يُعطي انطباعًا بالخواء وكأنها منزل مسكون بالأشباح، وبأول لحظة خَطَت "تائيقو" خطوتها للداخل شعرت بالقشعريرة وداهمها الإحساس بالكآبة.

حملوا المريض بعد العملية إلى غرفته بالمستشفى، وحين استردَّ وعيه بعد التخدير وجد "تائيقو" بجوار وسادته، وكانت أوَّل كلماته:

"أصبحتُ مشلولًا!".

قالها ونبرة صوته يَغلِبُها الأسى، ثم بدأت تأوُّهاته وأنينه المتواصل كالمعتاد مثلما كان بمشفى "إيسوجاي"، وليس هذا فقط، بل والأكثر أن كل كلمة من تأوُّهاته التي كانت وكأنها أنينُ وَحشٍ كاسِر غَلَبَه الأملُ أصبَحَت مُستمرَّةً وهو بكامل وعيه ويدري حالته ويعرف كل ما يدور بجواره من مناقشات، إلَّا أن "تائيقو" كانت ترى أنه يتحسَّن، وأفضل من ذي قبل، حتى كلماته "تؤلمني، تؤلمني" هدأت حِدَّتُها، وكانت تظنُّ أنه تمَّ إنقاذه للتَّوِّ بأقل الخسائر الممكنة، وبفقده لإحدى ساقيه، وكانت تتخيَّله يتماثل للشفاء ويتوكَّأ على عكاز بِسَيْره، لكن بالحقيقة خلال ساعات قليلة قادمة سينال راحته التي طلبها.

لقد أسرع إليه رفاقه و"أوكوباتا"، و"تائيقو" أيضًا كانت بجوار تطمئنُّ على حالته بنفسها باستمرار، وحيت غادَرَت كانت حالته مستقرَّة.

أخته فقط من بين كل الموجودين هي التي شعرت بأن هناك خطبًا ما، لكن "تائيقو" جعلتها تتغاضى عن الأمر. والأكثر أن "تائيقو" أكَّدَت عليها حين انصرافها أنه إذا طرأ أي شيء بحالته تخبرها مهما كان الوقت وأيضًا أكَّدَت على سائق السيارة الذي جاءها أن يبقى على أهبة الاستعداد لأنه إن جدَّ أيُّ شيء ستحتاجه أن يأتيها على الفور.

خلدت "تائيقو" للنوم بعدما أرهقها الحديث مع ثلاثتهم، لكن كالمتوقَّع بالضَّبط، أوقظها هاتِفٌ من المستشفى بالرابعة صباحًا، واستدعوها.

بالفجر استمعت "ساتشيقو" لصرير عجلات السيارة وهي تنصرف من أمام منزلهم، لكنها واصَلَت أحلامها وسقطت في غفوتها وهي لا تعي أن "تائيقو" غادَرَت، أو حتى بأيِّ وقتٍ هُم.

السَّتائر بالكاد مفتوحة قليلًا.

"سيدتي...".

قالتها "أوهارو" وتابَعَت:

"الآن جاء هاتف من سيدتي الأخت الصغيرة تقول إن "إيتاكورا"، مات وعليَّ أن أُخبِرَكِ".

"ما السَّاعة الآن؟".

"السادسة والنصف حضرتك".

أوشَكَت "ساتشيقو" أن تغفو مرَّةً أخرى، لكن جافاها النوم. "تينوسوكيه" أيضًا أيقظه رنينُ الهاتف، واستيقظت "يوكيقو" والصغيرة "إتسوقو" لاحقًا قُربَ الساعة الثامنة، واستمعا لما حدث من "أوهارو".

عادت "تائيقو" بالظهيرة.

لقد ساءت حالته بعد رحيلها وتبرَّعَت له بالدم أختُه ورفاقه أيضًا، كلٌّ بِدَورِه، دون أي جدوى؛ فالمريض الذي تحرَّر أخيرًا من أوجاع ساقه غزا الميكروب رِئَتَيْه ومُخَّه. لم تَرَه "تائيقو" وهو يعاني آلامه الرهيبة قبل أن يلفظ آخر أنفاسه.

كان بكامل وعيه وهو على فراش الموت، وتحدَّث لواحدٍ واحِدٍ ممَّن حوله: والديه وإخوته ورفاقه، وأرادهم أن يخبروا "تائيقو" و"أوكوباتا" أيضًا عرفانَه بجميلهم وتمنِّياته لهما بالسعادة في المستقبل، وذكر اسم كل فرد بعائلة "ماكي أوكا": "ساتشيقو"، "تينوسوكيه"، "يوكيقو" و"إتسوقو"، وحتى "أوهارو"، وأوصاهم أن يبلغوهم السلام.

غادر رفاقه المشفى لأن كان لديهم نوبة عمل مسائيٍّ بمتجر "أوكوباتا"، لكن "أوكوباتا" ذاته مكث مع والديه وإخوته إلى أن وصَّل جثمان "إيتاكورا" لمنزله، ورافقته "تائيقو" ثم عادت للبيت، وظلَّ "أوكوباتا" معهم يعتني بهم ويساندهم، وهم ينادونه دائمًا بـ "سيدي"، و"حضرتك"، "سيادتك".

أتمَّ معهم مراسِمَ التأبين بتلك الليلة، والجنازة باليوم التالي.

حينها بدا الهزال على وجه "تائيقو" إثر قلَّة النوم وسهرها للتمريض، وارتسم الهدوء على ملامحها دون أن تذرف دمعةً واحدة.

حضرت "تائيقو" لساعة فقط بليلة التأبين، وبمساء اليوم التالي كان لديها مشاغلها، في حين أن "أوكوباتا" ظلَّ متواجِدًا بكل ليلة.

كان على أهبة الاستعداد لينتهز أي فرصة ويحادثها إن لمح منها أيَّ إشارة.

في البداية قال"تينوسوكيه" إنه من غير اللائق تَغيُّبهم عن المأتم، لكنه باليوم التالي قال إن مصلحة أختيه الصغيرتين بالقانون هي أهم شيء يضعه نصب عينيه... تلك المراسم سيكون بها الكثيرُ من الحضور، ومنذ واقعة الجريدة هو لا يفضِّل الصِّدام بعائلة "أوكوباتا"؛ لذا انتهى الأمر بأنه لن يحضر الجنازة، و"ساتشيقو" ستؤدِّي واجب العزاء لاحِقًا بأيِّ وقت آخر. أمَّا "تائيقو" فحضرت المأتم ولم تذهب لمحرقة الجثامين، وبعدما عادت رَوَت لهم أنه كان هناك أعداد هائلة من الحضور المشاركين على نحوٍ غير متوقَّع، ورأت كثيرًا من الوجوه التي أثارت دهشتها، ربما لأنَّ "إيتاكورا" كانت يداه ممدودةً بالخير، وودودًا مع كل الناس.

لكنها شعرت بشيء أخر غير مُتوقَّع بذاك اليوم؛ كان "أوكوباتا" يتحرَّك بكل طاقته هنا وهناك، ويتبادَلُ الحديث مع عُمَّال متجره سويًّا وهو جنبًا إلى جنب معهم بجوار النعش.

أخذ ذووه الرُّفات لمعبد بلدتهم مسقط رأسه لدفنها، لكن قبيل رحيلهم فتحوا متجرَ تصوير "إيتاكورا" المغلق بمنطقة "تاناكا" لبعض

الوقت، ولم تأتِهم أيَّة تحيَّة من عائلة "ماكي أوكا"، وعلى الأرجح هم فَضَّلوا انتهاء العلاقة عند هذا الحد.

على مرِّ خمسة وثلاثين يومًا، أسبوعيًّا، كانت تذهب "تائيقو" بمفردها لبلدة فقيدها الراحل، وتزور قبره بكل أسًى، وتعود خلسةً دون أن تمرَّ على مسكن والِدَيْه وإخوته.

حتى "ساتشيقو" لم تَدرِ بالأمر.

بعدما غادَرَت الممرِّضة "ميتو" واستردَّت الصغيرة عافيتها أصبحت تنام مع "يوكيقو" بجهةٍ مُنفَصِلة بنفس الغرفة، وبقيت "تائيقو" لحالها، ولمدة ليلتين كانت تستدعي "أوهارو" للمبيت معها. إنها باليوم السابق لرحيل "إيتاكورا" انتقلت لغرفة نومٍ ببناء البيت الرئيسي والجناح المنفصل بالبيت تمَّ تطهيرُه بـ "الفورمالين"، ثم عاد كما كان من قبل؛ غرفةَ مكتبٍ لـ "تينوسوكيه".

وفي خِضَمِّ تَقلُّب الأحداث على ذاك الحال انقضى شهر مايو، لكن بأحد الأيام وصل خطابٌ لمنزلهم مُرسَل عبر "سيبريا".

كان خطابًا إلى "ساتشيقو" بالإنجليزية من السيدة "STOLZ"، بعدما عادت من "مانيلا" إلى "هامبرج"، مكتوب به:

"2 مايو 1939

من هامبرج

عزيزتي سيدة عائلة "ماكي أوكا"

أعتذر بشدة عن التَّلكُّؤ في الرَّدِّ على خطابك الرقيق.

في الحقيقة وأنا في "مانيلا"، وعلى متن السفينة في عرض البحر أيضًا لم يكن لديَّ مُتَّسَع من الوقت أبدًا.

أنا الأن برفقة أختي المريضة في ألمانيا. كان لا بُدَّ لي من حزم كثير من الأمتعة بدلًا منها، واصطَحَبتُ أبناءها الثلاثة أيضًا، أي كنت وسط متاعب خمسة أطفال، وحقًّا لم أهنأ بأي راحة برحلتنا من "چنوه" إلى أن وصلنا "بريملهافن"، وهناك التقيتُ بزوجي. كان بخير حال، وأمَّا "بيتر" فلقد كان في استقبالنا بالمحطَّة مع أقاربنا والرفاق. ما زلتُ لم ألتقِ بعدُ بوالدي العجوز وباقي أخواتي.

نحن نريد بناء منزل لنا، لكن هذه مشقَّة كبيرة، وتجوَّلنا نبحث عن واحد. بالنهاية وجدنا بيتًا نظنُّه مناسِبًا لنا، ولكننا لا يزال يلزمنا أن نبتاع الأثاث وأدوات المطبخ وغيره.

أظنُّ يلزمنا أسبوعين لننتهي من كل شيء. ما شحَنَّاه من أغراض لم تصل بعدُ، وقد تصل خلال عشرة أيام.

لا يزال "بيتر" و"فريتز" يقيمان لدى أحد الأصدقاء. "بيتر" لديه الكثير من الواجبات المدرسية، وهو يرسل لكم كثير السلام.

هناك صديق لنا سيعود لليابان بشهر مايو، وسنرسل معه هدية بسيطة لـ "إتسوقو"؛ تعبيرًا عن الامتنان للصَّداقة التي جمَعَتنا بكم، ونحن نرحِّب بكم بأي وقت في ألمانيا.

ليتني أستطيع أن أُريَكِ "هامبرج"... إنها مدينة رائعة.

كتبَت "روزماري" خطابًا لـ "إتسوقو". من فضلك دعيها تكتب لها رَدًّا، ولا تعبَئي بأخطاء الإنجليزية؛ فها أنا ذا أقع بكثير من الأخطاء.

ماذا عن المنزل الذي يملكه السيد "ساطوو"؟ هل يسكنه أحدٌ الآن؟

بالحقيقة كان مكانًا مُحبَّبًا إلى قلبي للغاية.

مـن فضلـك أبلغـي السـيد "سـاطوو" سـلامنا وخالـص تحيـاتي لـكل واحـد بأسرتـك.

هـل اسـتَلَمَت "إتسـوقو" الحـذاء الـذي ابتاعـه لهـا "بيـتر" مـن "نيويـورك"؟

إنـه خالـص الجـمارك عـلى مـا أعتقـد، ولسـتِ بحاجَـةٍ لدفـع شيء لاسـتلامه.

تحيَّاتي.

"هيلدا ستولز"".

كان ذلـك محتـوى خطـاب السـيدة "STOLZ "، وكان مُرفَقًـا بـه بنفـس المظـروف ورقـة ترجمتهـا السـيدة "هيلـدا" مـن الألمانيـة إلى الإنجليزيـة نقـلًا عـن خطـاب "روزمـاري":

"الثلاثاء 2 مايو 1939

عزيزتي "إتسوقو".

كثير من الأخبار لم أَروِها لكِ منذ فترة طويلة.

أخيرًا أنا أكتب إليكِ خطابًا.

عرفـتُ شـخصًا يابانيًـا يقيـم ببيـت السـيدة "VON PSTAN"، إنـه يعمـل ببنـك "يوقوهامـا". زوجتـه وأبنـاؤه الثلاثـة أيضًـا جـاؤوا معـه إلى هنـا. اسـمه "إيمـاي".

الرحلة من "مانيلا" إلى ألمانيا كانت مُمتِعَةً للغاية. واجَهنا لأوَّل مرَّة عاصِفةً صحراوية بقناة السويس.

غادر أبناء خالتي السفينة في "چنوه"، واصطحبتهم أمُّهم إلى ألمانيا بالقطار، أمَّا نحن فتابعنا بالسفينة إلى "بريملهافن".

بالبيت الذي نقيم به، وتحت نافذة غرفة نومنا عَشَّشَت بجعةٌ سوداءُ، ووَضَعَت بيوضها لأوَّل مرة. لا بُدَّ لها أن تفقس الآن.

رأيتهم بذات مرَّة: الأب يجمع بمنقاره الحشرات ويقدِّمها للأم، لكن البجعة الأم طارت مُرَفرِفَةً بجناحيها.

كان الأب ماهِرًا جدًّا بجمع الحشرات الميتة. كان يضعها بالعش ويطير، وحين عادت الأم على الفور التهمت الطعام، ورقدت فوق بيوضها مرَّةً أخرى.

قريبًا سيكون لدينا بيت جديد. عنواننا هو:

مدينة "فيربيك"، بيت رقم 14، الدور الأرضي، جهةَ اليسار.

عزيزتي "إتسوقو"، من فضلك راسليني سريعًا.

سلامي للجميع

التقينا بـ "بيتر" في الأمس، وهو أيضًا يرسل سلامَه للجميع".

"روزماري"

(يُتبع في الجزء الأخير)

نبذة عن المؤلف

جون إيتشيرو تانيزاكي

جـون إيتشـيرو تانيـزاكي (باليابانيـة:—潤 谷崎 郎 تانيـزاكى جونيتشـيرو)، (24 يوليـو 1886- 30 يوليـو 1965)، روائى ياباني وقـد يكـون أشـهر روائى يابانى بعـد ناتسـومى سوسـيكي. تمثـل أعمالـه ديناميكيـة الحيـاة العائليـة اليابانيـة فى سـياق التغـيُّرات السريعـة فى المجتمـع اليابـانى فى القـرن العشريـن، كـما تمثـل البحـث عـن هويـة ثقافيـة يابانيـة فى العـالم الحديـث. حصـل على وسـام الثقافة عـام 1949.

صنفـه النقـاد إلى جانـب ميشـيما يوكيـو، وكاواباتـا ياسـوناري، كأكـبر كاتـب عرفتـه اليابـان فى القـرن العشريـن، نـشر روايتـه الأولى "وشـم" عـام 1910 -وسـنه 24 سـنة- وبـدت منطبعـة بتيـار الأدب الحديـث والمتأنـق

جماليًّا. خسر منزله بعد أن دمره زلزال طوكيو المأساوى واضطر إلى الانتقال إلى "كيوتو"، وهناك انقلبت حياته وأفكاره رأسًا على عقب عندما صدمته مدينة "كيوتو" التى جسدت التقاليد والأصالة مقابل حداثة "طوكيو"، ليكتشف أن الأدب الحديث الذى كان يعتقده ابتكارًا أوروبيًّا خالصًا إنما يجد معادله فى الأدب اليابانى العريق.

الجوائز:

- صاحب الاستحقاق الثقافى 1951
- وسام الثقافة 1949
- جائزة أساهى 1948

نبذة عن الرواية

أربع أخوات. لكل منهن حكايتها.

حب وزواج وعلاقات أسرية تتأرجح بين منفعة ومصلحة أو احتواء وعطف بخلاف الغيرة أحيانًا والضجر أحيانًا أخرى. الأخوات الأربع تختلف طبائعهن وطموحاتهن وتطلعاتهن، وفي النهاية كلهن مقيدات بأعراف المجتمع والتقاليد، ولكل واحدة منهن طريقة تعبيرها الخاصة، تجد المندفعة وتجد المتكتمة مثلاً.

إن كان الكاتب يستعرض في الرواية مختلف أنواع الشخصيات النسائية وبالمثل أيضًا عن الجانب الذكوري، فستجد في الرواية الزوج مرهف الحس المحب لزوجته، والزوج العملي المهتم بوضعه الوظيفي على حساب من حوله، والأب الطيب المرفَّه، ومختلف شخصيات العرسان الذين يتقدمون لخطبة الأخت الصغرى "يوكيقو".

الروايـة صـدرت فى ثلاثـة أجـزاء بدايـةً مـن عـام 1943 إلى عـام 1948 رصـدًا لحيـاة أسرة غنيـة بـ"أوسـاكا" فى عـام 1936، وتركـز عـلى حياتهـم الاجتماعيـة ومحاولتهـم إيجـاد زوج مناسـب لأختهـم "يوكيقـو" دون تنـازل عـن مسـتواهم الاجتماعـى، مـا يعرضهـم لكثـير مـن المواقـف المحرجـة والمشـكلات.

اسـم القصـة مسـتوحى مـن الأشـعار اليابانيـة الكلاسـيكية وصـورة تسـاقط أزهـار الكـرز بالربيـع المبكـر التـى دائمًـا مـا تُنسـج حولها الأشـعار، وذلـك كنايـة عـن الـلادوام.

صـارت الروايـة فيلـمًا سـينمائيًّا للمـرة الأولى 1950، ثـم أعيـد إخراجـه مـرة أخـرى فى عـام 1959 وصـدر للمـرة الأخـيرة كفيلـم فى عـام 1983.

أيضًـا تحولـت القصـة إلى مسلسـل تلفزيـونىّ لكثـير مـن المـرات، أولاهـا عـام 1957 ثـم 1959 و1966 وأخـيرًا عـام 1980.

كلمة من المترجم

هذه الرواية ترجمة مباشرة من اليابانية إلى العربية للمرة الأولى للأديب "تانيزاكي جون إيتشيرو"، فالكثير من أعماله مترجم إلى الإنجليزية، ونادر فى عالمنا العربى أن تُترجَم الأعمال اليابانية من الأصل وليس من الإنجليزية. المعروف أن الترجمة من غير النص الأصلى تفتقر إلى الدقة عادةً وتجعل العمل عرضة للتحريف، وعليه فقد عملت جاهدة للمحافظة على روح النص ونقل إيحاءات الألفاظ والمقاصد المستترة بين السطور كما هى ليستشعرها القارئ.

هنا يجب التنويه إلى أن قارئ الأدب المترجم ليس بأى قارئ، فهو يتميز بسعة الأفق وشغفه بالثقافات المختلفة والبعيدة عن عالمه، وبقدرته على تقبل الآخر من منطلق التطلع والتعرف إلى كل جديد وغريب. بالنسبة إلى هذا النوع من القراء، فها هو قد وجد ضالته بهذه الرواية. إنها باب مفتوح على مصراعيه لإلقاء نظرة على المجتمع اليابانى.

الروايـة تـدور أحداثهـا حـول أربـع أخـوات لـكل منهـن ظروفهـا وسـماتها المختلفـة عـن بقيـة الأخـوات، ويـسرد الكاتـب ببراعـة وسلاسـة مواقـف حياتيـة تثير فضـول القـارئ خصوصًـا فى بلادنـا العربية، فستجدك ترسـم بمخيلتـك أشـكال البيـوت والشـوارع والنـاس وتـرى عاداتهـم وتقاليدهـم وتقارنهـا بحالنـا، وتـارة سـيثير دهشـتك مـدى التشـابه وتـارة أخـرى سـتتعجب مـن مـدى الغرابـة بالنسـبة إلينـا، وعليـه سـتزداد فضـولاً حيـال كيـف صـار شـكل المجتمـع اليابـانى الآن والحيـاة، وكيـف تغيرنـا نحـن.

إن الكاتـب أبـدع فى ربـط الأحـداث ونسـج خيوطهـا، فتجـده مـرة يتعـرض لنـواحٍ سياسـية وأثرهـا الملمـوس فى حيـاة العامـة، ومـرة يـسرد عـادات وتقاليـد وموروثـات خاصـة بالـزواج والعمـل والحب وهـى تتأرجح بـين الاسـتمرار وبـدء الـزوال، ويسترسـل ويعـرض مختلـف طبقـات المجتمع وطبيعـة العلاقـات الإنسـانية، ومـن بـين السـطور ستستشـف استحسـانه أو رفضـه. فى النهايـة سـتجد أنـك لديـك صـورة متكاملـة الأركان ومتناسـقة الألـوان للمجتمـع اليابـانى وهـو عـلى أعتـاب الحـرب العالميـة.

لقـد أبـدع المؤلـف إلى حـد صعَّـب عـلىَّ مهمتـى التـى بذلـت فيهـا قصـارى جهـدى، وأرجـو مـن اللـه التوفيـق.

آية حسن شاكر

アーヤ . ハッサン